Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

Gaston Wiet
Collection

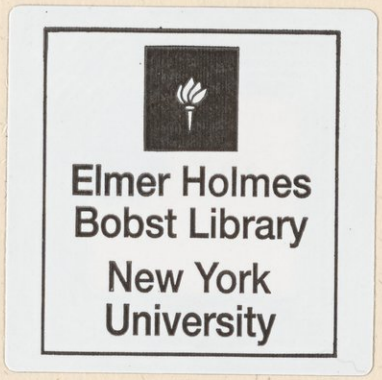
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

vol II

فهرست

الجـــزء الثانى

مـــن تاريخ مصر لابن اياس

(فهرست الجزء الثانى من تاريخ مصر لابن اياس)

صحيفه

٢ ذكر سلطنة الملك المؤيد أبى النصر شيخ بن عبد الله المحمودى الظاهرى

٣ سنة ٨١٦

٤ سنة ٨١٧

٥ سنة ٨١٨

٥ سنة ٨١٩

٦ سنة ٨٢٠

٦ سنة ٨٢١

٦ سنة ٨٢٢

٧ سنة ٨٢٣

٨ سنة ٨٢٤

١٠ ذكر سلطنة الملك المظفر أبى السعادات أحمد ابن الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى

١٣ ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبى سعيد ططر الظاهرى الجركسى

١٤ ذكر سلطنة الملك الصالح ناصر الدين محمد ابن الملك الظاهر ططر

١٥ ذكر سلطنة الملك الاشرف أبى النصر برسباى الدقاقى الظاهرى

١٥ سنة ٨٢٥

١٧ سنة ٨٢٦

١٧ سنة ٨٢٧

١٧ سنة ٨٢٨

١٧ سنة ٨٢٩

١٨ سنة ٨٣٠

١٨ سنة ٨٣١

١٨ سنة ٨٣٢

١٨ سنة ٨٣٣

١٩ سنة ٨٣٤

١٩ سنة ٨٣٥

١٩ سنة ٨٣٦

صحيفه

٢٠ سنة ٨٣٧
٢٠ سنة ٨٣٨
٢٠ سنة ٨٣٩
٢١ » ٨٤٠
٢١ » ٨٤١
٢٣ ذكر سلطنة الملك العزيز أبى المحاسن جمال الدين يوسف ابن الملك الاشرف برسباى الدقاقى الطاهرى
٢٣ سنة ٨٤٢
٢٤ ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبى سعيد چقمق العلائى الظاهرى
٢٧ سنة ٨٤٣
٢٧ » ٨٤٤
٢٨ » ٨٤٥
٢٨ » ٨٤٦
٢٩ » ٨٤٧
٢٩ » ٨٤٨
٢٩ » ٨٤٩
٣٠ » ٨٥٠
٣٠ » ٨٥١
٣٠ » ٨٥٢
٣٠ » ٨٥٣
٣٢ » ٨٥٤
٣٣ » ٨٥٥
٣٣ » ٨٥٦
٣٤ » ٨٥٧
٣٧ ذكر سلطنة الملك المنصور أبى السعادات فخر الدين عثمان ابن الملك الظاهر چقمق العلائى
٣٩ ذكر سلطنة الملك الاشرف أبى النصر سيف الدين اينال العلائى الظاهرى
٤٥ سنة ٨٥٨

صحيفه

٤٧ سنة ٨٥٩
٥٢ ذكر خلافة المستنجد بالله أبي المحاسن يوسف بن محمد المتوكل على الله
٥٤ سنة ٨٦٠
٥٧ » ٨٦١
٦٠ » ٨٦٢
٦٣ » ٨٦٣
٦٤ » ٨٦٤
٦٤ » ٨٦٥
٦٥ ذكر سلطنة الملك المؤيد أبي الفتح شهاب الدين أحمد ابن الملك الاشرف اينال العلائي الناصري
٧٠ ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد سيف الدين خشقدم الناصري المؤيدي
٧٣ سنة ٨٦٦
٧٥ » ٨٦٧
٧٦ » ٨٦٨
٧٧ » ٨٦٩
٧٩ » ٨٧٠
٨٠ » ٨٧١
٨١ » ٨٧٢
٨٤ ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي النصر سيف الدين بلباي المؤيدي
٨٧ ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد تمربغا الظاهري
٩٠ ذكر سلطنة الاشرف أبي النصر سيف الدين قايتباي المحمودي الظاهري
٩٩ سنة ٨٧٣
١١٢ » ٨٧٤
١١٨ » ٨٧٥
١٢٨ » ٨٧٦
١٣٥ » ٨٧٧
١٤٦ » ٨٧٨
١٥٠ » ٨٧٩

صحيفة
١٥٧ سنة ٨٨٠
١٦٥ « ٨٨١
١٧١ « ٨٨٢
١٨١ « ٨٨٣
١٨٥ « ٨٨٤
١٨٦ ذكر خلافة المتوكل على الله أبي العز عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله ابن المعتضد بالله أبي بكر بن المستكفي بالله سليمان ابن الامام الحاكم بامر الله أحمد العباسي الهاشمي
١٩٢ سنة ٨٨٥
٢٠٢ « ٨٨٦
٢١٢ « ٨٨٧
٢١٧ « ٨٨٨
٢٢١ « ٨٨٩
٢٢٦ « ٨٩٠
٢٣٢ « ٨٩١
٢٤١ « ٨٩٢
٢٤٧ « ٨٩٣
٢٥٥ « ٨٩٤
٢٦١ « ٨٩٥
٢٦٦ « ٨٩٦
٢٧٢ « ٨٩٧
٢٧٨ « ٨٩٨
٢٨٠ « ٨٩٩
٢٨٥ « ٩٠٠
٢٩١ « ٩٠١
٣٠٣ ذكر سلطنة الملك الناصر أبي السعادات ناصر الدين محمد ابن الملك الاشرف أبي النصر قايتباي المحمودي الظاهري
٣٠٦ سنة ٩٠٢

صحيفة

٢٣١ سنة ٩٠٣
٣٣٣ ذكر خلافة أمير المؤمنين المستمسك بالله أبي الصبر يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله
٣٤٤ سنة ٩٠٤
٣٤٩ ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد قانصوه بن قانصوه الاشرفي
٣٦١ سنة ٩٠٥
٣٧٠ ذكر سلطنة الملك الاشرف أبي النصر جان بلاط بن يشبك الاشرفي
٣٧٣ سنة ٩٠٦
٣٨٦ ذكر سلطنة الملك العادل طومان باي بن قانصوه أبي النصر الاشرفي قايتباي

تمت

Ibn Iyās
"Kitāb ta'rīkh Miṣr"

الجزء الثانى من تاريخ مصر

المشهور ببدائع الزهور فى وقائع الدهور

تأليف

العلامة المؤرخ محمد بن أحمد بن اياس
الحنفى المصرى رحمه الله تعالى
آمين

طبع على نفقة الكتبخانه الخديويه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣١١
هجريه

JAN 1 0 1984

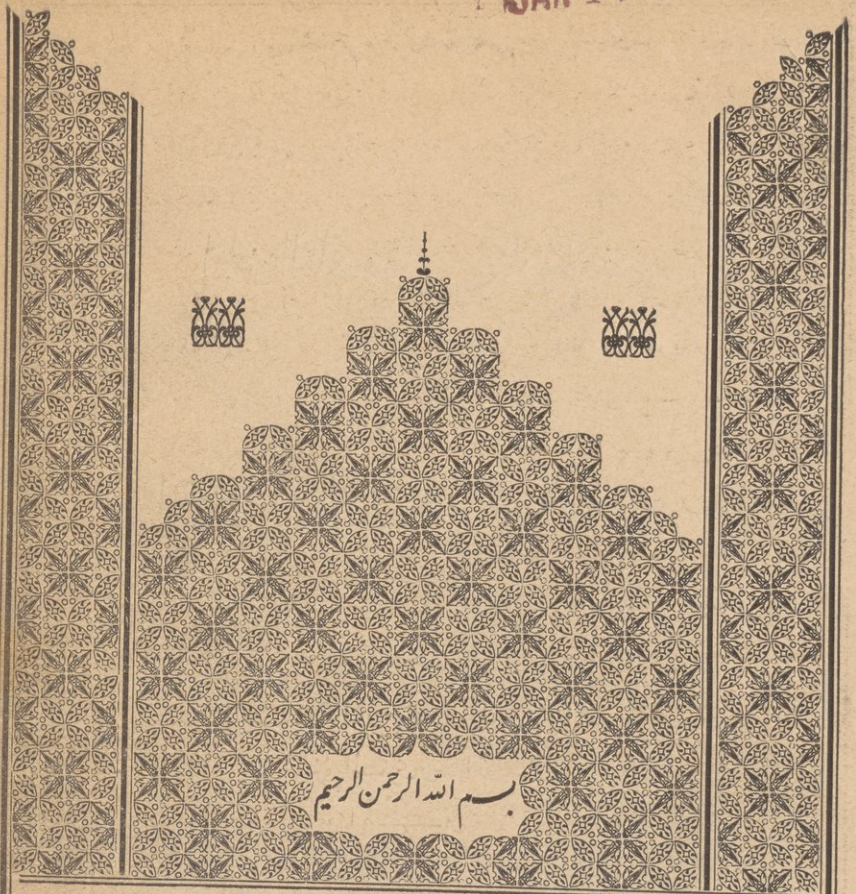

DT
96
.I28
v.2

ذكر سلطنة الملك المؤيد أبي النصر شيخ ابن عبد الله المحمودي الظاهري

وكان يعرف بالخاصكي وهو الثامن والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الرابع من ملوك الجراكسة وأولادهم بويع بالسلطنة بعد خلع الخليفة العباس في يوم الاثنين مستهل شهر شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من باب السلسلة وطلع الى القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباسوا له الارض وتلقب بالملك المؤيد ودقت له البشائر ونودي باسمه في القاهرة وضج الناس له بالدعاء من الخاص والعام وفيه يقول الشيخ ناصر الدين بن كميل الشاعر

تسلطن الشيخ وزال العنا * فالناس في بشر وتيه وفيخ
فلا تقاتل بصبي ولا * تلق به جيشا وقاتل بشيخ

وكان

c2821 2564 v.4

وكان أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق اشتراه من الخواجا محمود شاه وأعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقي خاصكيا ثم بقي ساقيا وكان يعرف بشيخ المجنون ثم بقي أمير عشرة ثم بقي أمير أربعين وسافر الى الحجاز أمير حاج في سنة احدى وثمانمائة ثم بقي مقدم ألف في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق ثم بقي نائب طرابلس ونائب الشام أيضا وأسره تمرلنك على حلب كما تقدم ووقع له في دولة الملك الناصر فرج أمور شتى ومحن عظيمة وسجنه الملك الناصر بخزانة شمايل فأقام بها مدة ثم خرج الى الشام والتف على جكم العوضي ونوروز الحافظي ولم يزل في عصيان وهياج في البلاد الشامية حتى مضى أكثر عمره فلما جرد الملك الى نوروز وقتل الملك الناصر كما تقدم وتسلطن الخليفة العباس بقي أتابك العساكر بمصر ونظام المملكة ثم انه خلع الخليفة من السلطنة وتسلطن عوضه فلما تسلطن وتم أمره في السلطنة قبض على جماعة من الامراء وأرسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية وأنعم على جماعة من الامراء بتقادم ألوف ووظائف سنية وأنعم على ولده المقر الصارمي ابراهيم بتقدمة ألف وأقام له من الامراء عصبة وأرضى الجند بالاقطاعات ثم قرب جماعة حضروا معه من البلاد الشامية فرقاهم الى وظائف سنية فمنهم المقر الزيني عبد الباسط بن خليل ومنهم المقر الناصري ناصر الدين بن البارزي ومنهم القاضي علم الدين داود بن الكويز والقاضي بدر الدين بن مزهر والامير ناصر الدين التاج وأخيه والشيخ تقي الدين بن حجة الحموي عين أعيان الشعراء وغيرهؤلاء جماعة كثيرة حضروا معه من البلاد الشامية الى الديار المصرية ثم انه قبض على القاضي فتح الله كاتب السر الشريف واحتاط على موجوده من صامت وناطق ثم انه خنقه ودفنه تحت الليل فلما مضى أمر فتح الله خلع على المقر القاضوي ناصر الدين بن البارزي واستقر به كاتب السر بالديار المصرية عوضا عن فتح الله واستقر بالمقر الزيني عبد الباسط كاتب الخزائن الشريفة ثم جعله والى القاهرة وناظر الجوالي وناظر الكسوة الشريفة واستقر بالقاضي علم الدين بن الكويز ناظر الجيوش المنصورة واستقر بالامير ناصر الدين التاج استادار الصحبة وقرر كل واحد منهم في وظيفة تليق به ثم انه قرب من الامراء من شاء منهم وأبعد من شاء منهم واستقامت أموره في السلطنة وأطاعه الجند ولم يختلف عليه اثنان من العسكر

816 ثم دخلت سنة ست عشرة وثمانمائة فيها جاءت الاخبار من دمشق بان نوروز الحافظي لما بلغه ان شيخ خلع الخليفة العباس من السلطنة وتسلطن عوضه عز ذلك عليه ولم يقبل الارض للملك المؤيد شيخ وأظهر العصيان وتعجب من شيخ كيف خان الايمان والعهود التي كانت بينه وبين نوروز وكانوا أعظم من الاخوة ينامون على مخدة واحدة فخان شيخ الايمان والعهود وتسلطن بمصر فكان كما قيل

وحلفت انك لاتميل مع الهوى * أين اليمين وأين ماعاهدتنى

واستمر نوروز يخطب باسم الخليفة العباسى على منابر دمشق وأعمالها ولم يخطب باسم الملك المؤيد شيخ ولا ضرب باسمه سكة واستمر واضعا يده على البلاد الشامية من غزة الى الفرات وفى هذه السنة خلع السلطان على منكلى بغا الشمسى وولاه محتسبا بالقاهرة وهو أول من تولى الحسبة من الاتراك ولم يتولها قبله أحد من الاتراك ومن الحوادث فى تلك السنة انه ظهر بالقاهرة شخص يدعى انه يصعد الى السماء ويكلم البارى جل جلاله فى كل يوم مرة فاعتقده جماعة كثيرة من عوام مصر فلما شاع أمره بين الناس رسم السلطان بان يعقدوا له مجلسا بالصالحية فاجتمع له هناك القضاة الاربعة فأراد القاضى المالكى ان يثبت عليه الكفر فشهد جماعة من أهل الطب بانه فى عقله خلل فسجنوه ولم يثبت عليه كفر وهذه الواقعة متفق على صحتها فى زمن المؤيد شيخ انتهى ذلك *(ثم دخلت سنة سبع عشرة وثمانمائة)* فيها قوى عزم الملك المؤيد شيخ بأن يخرج الى الشام بسبب عصيان نوروز فعلق الجاليش وعرض العسكر وأنفق عليهم وخرج من القاهرة فى موكب عظيم وصحبته الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة وسائر الامراء وقرر الامير ططر نائب الغيبة الى أن يحضر السلطان والامير سودون قراسنقر حاجب الحجاب يحكم بين الناس فلما وصل الى دمشق وجد نوروز قد حصن دمشق وركب على سورها المدافع من كل جانب فحاصره الملك المؤيد شيخ أشد ما يكون من المحاصرة ونصب حول مدينة دمشق صاعدة مناجيق ولازال يحاصر نوروز مدة طويلة حتى ضجر نوروز وأرسل يطلب من شيخ الامان على نفسه وكان بقلعة دمشق فمازالوا على ذلك حتى غلب نوروز وسلم نفسه الى شيخ وآخر الامر قطع شيخ رأس نوروز فى قلعة دمشق وأرسلها الى القاهرة وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام ثم دفنت وكان شيخ باغيا على نوروز فكأن لسان حال نوروز يقول

يا غادرا بى ولم أغدر بصحبته * وكان منى مكان السمع والبصر

قد كنت من قلبك القاسى أخاف جفا * فجاء ما قلته نقشا على حجر

قال الشيخ تقى الدين بن حجة الشاعر وفى النيل المبارك فى سنة ست عشرة وثمانمائة فى أوائل مسرى فنزل الملك المؤيد وخلق المقياس وكسر السد على العادة وذلك قبل أن يتوجه الى دمشق بسبب نوروز فانشدته فى ذلك اليوم مهنئا

أيا ملكا بالله صار مؤيدا * ومنتصبا فى ملكه نصب تميز

كسرت بمسرى سد مصر وتنقضى * وحقك بعد الكسر أيام نوروز

فكان الفال بالنطق وتوجه الملك المؤيد عقيب ذلك الى نوروز وقطع رأسه وأرسلها الى مصر صحبة الامير جرباش قاشق وذلك فى جمادى الاولى سنة سبع عشرة وثمانمائة فارتجت

817

لها مصر وأقام بعد ذلك فى دمشق أياما حتى مهد البلاد الشامية وعزل من عزل وولى من
ولى وخلع على قانباى المحمدى واستقر به نائب الشام عوضا عن نوروز الحافظى وخلع
على الامير اينال الصصلانى واستقر به نائب حلب وخلع على الامير سودون بن عبد الرحمن
واستقر به نائب طرابلس وخلع على الامير جانى بك البجاسى واستقر به نائب حماه ثم
قصد التوجه الى نحو الديار المصرية فلما دخل الى مصر كان له يوم مشهود وزينت له
818 القاهرة وجملت على رأسه القبة والطير حتى طلع الى القلعة ۞ ثم دخلت سنة ثمان عشرة
وثمانمائة ۞ فيها جاءت الاخبار بان النواب المقدم ذكرهم قد أظهروا العصيان وخرجوا
عن الطاعة فجرد اليهم الملك المؤيد ثانيا وخرج اليهم بنفسه وأوقع معهم فانتصر عليهم
وقبض على قانباى المحمدى نائب الشام وقطع رأسه ثم قبض على اينال الصصلانى وقتله
على صدر أبيه ثم قتل الاب بعد ذلك ثم انه ولى جماعة من الامراء نوابا غير هؤلاء ورجع الى
الديار المصرية فلم يقم سوى مدة يسيرة وقد جاءت الاخبار بان النواب قد خامروا وأظهروا
العصيان فجرد اليهم ثالث مرة وخرج بنفسه فلما بلغ النواب مجيئه هربوا من وجهه
وتوجهوا الى قرا يوسف أمير التركمان فاستقر بنواب غيرهم ممن يثق بهم وفى هذه المرة مهد
البلاد الشامية والحلبية وقطع جادرة هذه النواب الذين كانوا مخامرين عليه ثم رجع الى
الديار المصرية وقد صفا له الوقت وانشأ له مماليك كثيرة وجدد له أمراء وحسنت أوقاته
بمصر فكان ينزل من القلعة ويتوجه الى بولاق ويقيم عند القاضى ناصر الدين بن
البارزى فى بولاق وكان يعمل المواكب هناك وتجتمع الامراء المقدمون عنده وكان ينزل
يوم فى بعض الاوقات فى البحر وحوله الامراء والخاصكية وكان يتباهى فى يوم كسر سد
النيل المبارك ويلزم الامراء المقدمين بان كل واحد منهم يزين له حراقة ويجعل فيها
الصناجق والكؤسات فاذا وفى النيل يحضرون له بالذهبية الى بولاق ويتوجه الى المقياس
يخلق العمود ويكسر السد والامراء المقدمون حوله فى الحراريق المزينة حتى يسدوا
البحر من كثرة المراكب ويكون له يوم مشهود لم يسمع بمثله فيما تقدم وقد فاق فى ذلك
على ما كان يصنعه فى ذلك اليوم أستاذه الملك الظاهر برقوق وكان يتباهى فى المواكب
الجليلة الى الغاية وكان رجلا كثير التنزه لا يقيم بالقلعة الا قليلا وأكثر أيامه فى بولاق
وقيل كانت الرماحة تلعب قدامه فى بولاق وهو ينظر اليهم من البارزية ولم يمش أحد من
819 الملوك على طريقته فى اللهو والقصف ۞ (ثم دخلت سنة تسع عشرة وثمانمائة) فيها وقع
الطاعون بالديار المصرية وفتك غاية الفتك فى البرية وقد قال بعض الشعراء

رعى الرحمن دهرا قد تولى * يجازى بالسلامة كل شرط
وكان الناس فى غفلات أمن * فجاطاعونهم من تحت ابط

820 ۞ (ثم دخلت سنة عشرين وثمانمائة) فيها ظهرت أعجوبة ولدت جاموسة بمدينة بلبيس مولودة لها رأسان وأربعة أيدى وسلسلتا ظهر ولها دبر واحد وفرج واحد ولها رجلان فى حقوها فأقامت أياما وماتت ومن العجائب أيضا ماذكره العلامة شهاب الدين بن حجر فى تاريخه أن المصونة فاطمة بنت قاضى القضاة جلال الدين بن سراج الدين عمر البلقينى ولدت ولدا ذكرا له ذكر وفرج وله يدان زائدتان فى كتفيه وله قرنان فى رأسه مثل قرون الثور فاقام ساعة ومات وذكر أيضا فى تاريخه ان جلادا ذبح بمدينة غزة بعد العشاء فاضاء لحمه فى الليل كما يضىء الشمع وقيل رمى بقطعة من لحمه لكلب فلم يأكل منها شيأ ولم يعلم سبب ذلك وهذا

821 من العجائب التى وقعت فى تلك السنة ۞ (ثم دخلت سنة احدى وعشرين وثمانمائة) فيها وقع الطاعون بالديار المصرية واستمر يسلسل حتى دخلت سنة اثنتين وعشرين فكان تارة يزيد وتارة ينقص وفى سنة احدى وعشرين وقع الغلاء أيضا بالديار المصرية ونزل الملك المؤيد شيخ واستسقى كما جرت بذلك العادة وقيل ان الملك المؤيد لما نزل الى الاستسقاء لبس جبة صوف أبيض وعلى رأسه عمامة صغيرة جدا بعذبة مرخية خلفه وعلى كتفه مئزر صوف أبيض وركب فرسا بغير قماش حرير ولا سرج ذهب وذبح هنالك بيده أغناما وأبقارا وفرقها على الفقراء وفرق فى ذلك اليوم على الفقراء ثلاثين ألف رغيف وصلى على الرمل من غير سجادة وتواضع الى الله تعالى فى ذلك اليوم فزاد النيل ووفى فى أواخر توت ثم

822 انهبط بسرعة وشرقت أكثر البلاد واستمر الغلاء بمصر سنة كاملة وعزت الاقوات ۞ (ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة) فيها كملت عمارة جامع الملك المؤيد شيخ الذى هو داخل باب زويلة وكان مكان هذا الجامع سجنا يحبس فيه أصحاب الجرائم وكان يعرف بخزانة شمايل وكان شمايل هذا من جملة جماعة والى القاهرة فلما خرج الملك الكامل صاحب المدرسة الكاملية الى قتال الفرنج لما أخذوا ثغر دمياط كان شمايل هذا يمشى فى ركاب الملك الكامل ويسبح فى البحر تحت الليل ويكشف عن أخبار الفرنج ويأتى الملك الكامل بالاخبار فحظى عنده بذلك فلما انتصر الملك الكامل على الفرنج جعل شمايل هذا والى القاهرة فبنى له هذا السجن فنسب اليه وقيل خزانة شمايل وكان الملك المؤيد شيخ من جملة من حبس فى خزانة شمايل فى دولة الملك الناصر فرج بن برقوق فقاسى بها شدائد عظيمة فنذر فى نفسه ان خلص من هذه الشدة وبقى سلطانا يهدم هذا السجن ويبنى مكانه جامعا فلما تولى الملك بمصر هدمه وبنى مكانه هذا الجامع وقد تناهى فى زخرفته ورخامه وسقوفه وأبوابه فلم يبن فى القاهرة مثله ولا مثل سقفه ولكنه ظلم أعيان الناس فى تحصيل رخامه وصاروا يكبسون البيوت والحارات بسبب الرخام فظلم خلق الله حتى حصل هذا الرخام ومن جملة ظلمه فيه انه أخذ باب مدرسة السلطان حسن والتنور الكبير وجعلهما

فى جامعه وأعطى فيهما أبخس الاثمان وأخذ العمودين السماق اللذين فى المحراب من جامع قوصون الذى بالقرب من بركة الفيل ووزع أخشاب سقوفه ودهانها على أعيان المباشرين فكان كما قيل

بنى جامعا لله من غير حله * فجاء بحمد الله غير موفق
كطعمة الايتام من كد فرجها * فليتك لا تزنى ولا تتصدق

ولما تم بناء هذا الجامع وقف عليه الاوقاف الجليلة من بلاد ومسقفات وقرر فيه حضورا من بعد العصر ورتب لهم جوامك وخبزا وقرر شيخ الحضور الشيخ شمس الدين الديرى الحنفى وجعل الخطابة للقاضى ناصر الدين بن البارزى وأودع بهذا الجامع خزانة كتب نفيسة قيل لما كملت عمارة هذا الجامع رسم السلطان بان تملأ الفسقية التى فى صحن الجامع سكرا وماء ليمون فملئت سكرا ووقف رؤس النواب يفرقون السكر على الناس بالطاسات وخلع فى ذلك اليوم على جماعة كثيرة من المشدين والمهندسين والبنائين والمرخمين والنجارين فلما كان يوم الجمعة حضر بالجامع القضاة الاربعة وسائر الامراء وأرباب الوظائف وأعيان العلماء وخطب فى ذلك اليوم القاضى ناصر الدين بن البارزى كاتب السر الشريف خطبة بليغة وكان يوما مشهودا فلما كان وقت الحضور فى الجامع اجتمع الطلبة وخرج الشيخ شمس الدين الديرى من الخلوة وقد امه ولد السلطان المقر الصارمى ابراهيم وهو حامل سجادة الشيخ شمس الدين الديرى حتى فرشها له فى المحراب وفى ذلك يقول بعض شعراء العصر

ان يقولوا سجادة فوق بحر * لولى يمشى عليها كرامه
قلت هذى سجادة فوقها البحر * فحدث عنه بغير ملامه

ومن الحوادث انه لما بنوا مأذنتى هذا الجامع مالت احداهما الى السقوط عند ما كملت فرسم بهدمها فهدمت ثم أعيدت ثانيا فقال العلامة شهاب الدين بن حجر يداعب قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى فى هذه الواقعة

لجامع مولانا المؤيد رونق * منارته تزهو من الحسن والزين
تقول وقد مالت عليهم ترفقوا * فليس على هدمى أضر من الغين

فأجابه عن ذلك بدر الدين بن العينى

منارة كعروس الحسن اذ جليت * وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط * ما أوجب الهدم الا خسة الحجر

ومما عد له من المحاسن أنه أبطل مكس الفواكه فاطبة ونقش ذلك على رخامة وجعلها بباب هذا الجامع لما كمل بناؤه ❁ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة فيها توفى المقر

الصارمى ابراهيم ابن السلطان المؤيد شيخ وقيل ان أباه المؤيد سمه فى حلوى وسبب ذلك ان
سيدى ابراهيم كان شجاعا بطلا لا يمل من الحرب والقتال فمالت اليه قلوب الجند وكان
الملك المؤيد لا يزال يعتريه ضربان المفاصل وكان قد ثقل عن الحركة فكان يحمل على
أكتاف المماليك اذا انتقل من مكان الى مكان فقال القاضى ناصر الدين بن البارزى للملك
المؤيد ان العسكر يقصدون خلعك من السلطنة ويولون سيدى ابراهيم فحسن له ان يشغله
فلما شغله ومات حزن عليه الناس حزنا شديدا ودفن داخل القبة التى فى الجامع المؤيدى فلما
كان يوم الجمعة حضر السلطان المؤيد فى الجامع وصلى الجمعة فى مأتم ابنه فخطب القاضى ناصر
الدين بن البارزى فى ذلك اليوم خطبة فى معنى ذلك حتى ينفى عنه كلام الناس فروى وهو
على المنبر هذا الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما ان دخل على ولده
ابراهيم وجده يجود بنفسه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت عيناه تذرفان
وقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم
لمحزونون فلما سمع الملك المؤيد ذلك شق عليه وقال فى نفسه يغريني على ولدى حتى أقتله
ثم يندمنى عليه فلما فرغ القاضى ناصر الدين من صلاة الجمعة قدم اليه سلطانية سكر وشغله
فيها فتوجه الى بيته وأقام أياما ومات والمجازاة من جنس العمل ❁ ثم دخلت سنة أربع 824
وعشرين وثمانمائة فيها ثقل الملك المؤيد فى الضعف ولزم الفراش واستمر على ذلك أياما حتى
مات فى يوم الاثنين تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فغسل فى القلعة وكفن وصلى
عليه ونزلوا به من القلعة والامراء مشاة قدامه حتى توجهوا به الى جامعه فلم يدخلوا
به من باب زويلة ودخلوا به من الباب الذى عند الخضريين وقيل مات وله من العمر خمس
وستون سنة وخلف من الاولاد صبيا وبنتين وهو سيدى أحمد الذى تسلطن بعده وهو ابن
خوند سعادات وكانت احدى بناته متزوجة بالاتابكى قرقماس الشعبانى والاخرى متزوجة
بالامير يشبك الفقيه الدوادار وهى أم ولده سيدى يحيى فكانت مدة سلطنة الملك المؤيد
شيخ بالديار المصرية والبلاد الشامية ثمان سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام وكان ملكا
جليلا كفأ للسلطنة عارفا باحوال المملكة وافر العقل مقداما فى الحرب وله مكايد وحيل
وثبات وقت التقاء الجيوش حتى ضرب به المثل فكان يقال نعوذ بالله من ثبات شيخ ومن
حطمة نوروز الحافظى وكان المؤيد كريما على من يستحق الكرم وشحيحا على من يستحق
الشح وكان يضع الشئ فى محله وهو الذى مهد البلاد الشامية والحلبية وقطع جدر تلك
النواب العصاة الذين أخربوا غالب البلاد الشامية وكان يميل الى اللهو والطرب ويستعمل
الراح ويميل الى الملاح وكان يستعمل الاشياء المخدرة من المصطلات وكان يقرب أرباب
الفنون وكانت أرباب الفنون تتباهى فى أيامه فى فنونهم لجودة فهمه وحسن معرفته

وكان

وكان يغنى من فن الموسيقى ويركز الفن ويتظم الشعر ومن نظمه الرقيق قوله من قصيدة

فتنتنا سوالف وخدود * وعيون نواعس وقدود

أسرتنا الظباوهن نعاس * وخضعنا لها ونحن الأسود

ولم يزل يركز هذه الابيات الى الاستشهاد باسمه فقال

وأنا الخاصكى شيخ المؤيد * نظم شعرى جواهر وعقود

وله أشياء كثيرة من الفن دائرة بين المغنيين الى الآن وكان منقادا الى الشريعة ويحب أهل العلم ويقرب الفقهاء والصلحاء ويبرهم ويحب فعل الخير وله أوقاف كثيرة على جهات بر وصدقة ولكن ذكر له المقريزى أشياء كثيرة من المساوى منها أنه كان جهورى الصوت سفيها فى كلامه وكان غير مقبول الشكل واسع العينين كبير الكرش درّى اللون أكث اللحية معتدل القامة متركن الوجه كبير الانف وكان سفاكا للدماء قتل جماعة كثيرة من النواب والامراء وكان اذا ظفر باحد من أعدائه لا يرحمه وكان كثير المصادرات للرعية وأحدث فى أيامه أشياء كثيرة من أبواب المظالم لما كان يخرج الى التجاريد وأما ما أنشأه من العمائر بالديار المصرية فهو الجامع الكبير الذى هو داخل باب زويلة وعمر الجامع الذى فى رأس الصوة مكان المدرسة الاشرفية التى هدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وعمر الجامع الذى عند المقياس وعمر الخلاوى والمأذنة التى فى المدرسة الخروبية التى فى بر الجيزة وجدد عمارة القبة التى فى قاعة البحرة وجدد عمارة التاج والسبعة وجوه التى كانت بالقرب من الكوم الابيض ولكن هدم ودرست معالمه فى دولة الملك الظاهر جقمق وكان من جملة المفترجات القديمة بمصر فهدمه الناصرى محمد بن اينال قريب الملك الظاهر جقمق وللملك المؤيد آثار كثيرة غير ذلك بمصر والشام وكانت دولته ثابتة القواعد وصير الذئب والغنم يمشيان فى صعيد واحد فأما قضاته الشافعية فالقاضى جلال الدين بن سراج الدين البلقينى الشافعى والقاضى ولى الدين العراقى الشافعى وأما قضاته الحنفية فالقاضى بدر الدين محمود العينى الحنفى والقاضى التفهنى والقاضى صدر الدين بن العديم الحنفى وأما قضاته المالكية فالقاضى نصر الدين بن التونسى المالكى واما قضاته الحنابلة فالقاضى علاء الدين بن مغلى الحنبلى وأما من توفى فى أيامه من الاعيان فقاضى القضاة جلال الدين بن سراج الدين البلقينى الشافعى قيل انه توفى بمنزلة الصالحية عند عود الملك المؤيد من البلاد الشامية فلما توفى جلال الدين فى الصالحية ودخل السلطان الى الديار المصرية اشتوروا فيمن يولونه قاضيا عوضا عن جلال الدين فاخبروا السلطان بذكر ابنه تاج الدين وأخيه علم الدين صالح فلما بلغ الشيخ شهاب الدين بن حجر ذلك انشد يقول

مات جلال الدين قالوا ابنه * يخلفه أو فالأخ الكاشح

فقلت تاج الدين للائـــق * بمنصب الحـــكم ولاصالح

ثم وقع الاختيار على توليـة الشيخ ولى الدين العراقى فولى عوضا عن جـلال الدين البلقينى وتوفى فى أيام المؤيد من الاعيان الشيخ شمس الدين البنانى وكان من كبار الحنفية وتوفى الشيخ مجد الدين الفـيروزابادى صاحب القاموس وتوفى الشيخ خلف النحريرى وكان من كبار المالكية وتوفى الشيخ جمال الدين بن ظهيرة قاضى القضاة الشافعية بمكة وتوفى الشيخ برهان الدين بن رفاعة الدمشقى وكان من أعيان دمشق وله شعر جيد وتوفى ابن هشام العجمى وتوفى القاضى ناصر الدين بن البارزى الجهنى الشافعى كاتب السر الشريف بالديار المصرية وتوفى الشيخ عز الدين الموصلى صاحب شرح البديعية وتوفى الشيخ جمال الدين بن خطيب داريا وكان من فحول الشعراء وتوفى الشيخ علاء الدين بن ابن ينبك الدمشقى وكان من فحول الشعراء وتوفى فى أيامه جماعة كثيرة من الاعيان ولما توفى الملك المؤيد شيخ تولى من بعـده ابنه الملك المظفر انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المؤيد شيخ وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المظفر أبى السعادات أحمد ابن الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى

وهو التاسع والعشرون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الخامس من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد تسلطن بعـد موت أبيه الملك المؤيد شيخ فى يوم الاثنين تاسع المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة تسلطن وله من العمر سنة وثمانيـة أشهر وسبعة أيام فكان مرضعا وكانت ولايته تقرب من ولاية سابور ذى الاكتاف الذى تولى الملك وهو فى بطن أمـه فوضعوا على بطنها تاج الملك وسابور رجـل فكانت ولاية الملك المظفر أحمد تقرب من ذلك وكانت أمه خوند سعادات بنت الامير صرغتمش الناصرى فلما تسلطن كان الاتابكى الطنبغا القرشى غائبا فى التجريدة هو وجماعة من الامراء نحو البلاد الشامية بسبب عصيان النواب وكان بمصر من الامراء المقر السيفى ططر أمير مجلس فلما توفى الملك المؤيد شيخ تعصب مماليكه وقالوا ما نسلطن الا ابن أستاذنا وكان المماليك المؤيدية نحو خمسة آلاف مملوك فلما حضر الخليفة والقضاة الاربعة وقصدوا المبايعة لاحمد ابن الملك المؤيد عارض الخليفة فى ذلك وقال هذا صغير وتضيع أحوال المسلمين بين الامراء فقال المماليـك الامير ططر يكون مدبر المملكة الى أن يحضر الاتابكى الطنبغا فما وسع الخليفة الا انه بايعه على كره منه فسلطنوه ولقبوه بالملك المظفر ونودى باسمه فى القاهرة ثم اجلسوه على سرير الملك وهو فى حجر المرضعة وكانت العادة اذا تسلطن سلطان وجلس

على سرير الملك فى القصر الكبير تدق الكؤسات داخل القصر فلما أجلسوا الملك المظفر أحمد على سرير المملكة وهو فى حجر المرضعة دقت الكؤسات فى القصر فاضطرب الملك المظفر اضطرابا شديدا وأغمى عليه فحصل له فى الحال حول فى عينيه من الرجفة واستمر فى كل وقت يضطرب الى ان مات فلما تم أمره فى السلطنة ثار المماليك المؤيدية على الامير ططر بسبب الامريات والوظائف وصار ططر معهم فى غاية الضنك فما وسعه الا أن يرضيهم بكل ما يمكن فخلع على الامير على باى المؤيدى واستقر به دوادارا كبيرا وكان أمير عشرة وخلع على الامير تغرى بردى بن قصروه واستقر به أمير اخور كبير وكان أمير عشرة ثم جعل جماعة من الامراء المؤيدية مقدمى ألوف وجماعة منهم أمراء طبلخانات وجماعة منهم أمراء عشراوات ثم انه فرق الاقطاعات السنية على المماليك المؤيدية ثم جاءت الاخبار من البلاد الشامية بأن جقمق الارغونى نائب الشام قد خامر وخرج عن الطاعة وكذلك يشبك المؤيدى نائب حلب قد خامر أيضا وخرج عن الطاعة وكذلك بقية النواب قد خامروا وخرجوا عن الطاعة وكان الاتابكى الطنبغا القرشى لما توجه الى الشام بسبب عصيان النواب أوقع معهم بمن معه من الامراء فهربوا الى نحو صرخد ثم ان الاتابكى الطنبغا لما توجه الى صرخد جمع العربان والعشير ورجع الى دمشق وأوقع مع نائب الشام جقمق فانكسر جقمق منه وهرب الى نحو حلب فملك الاتابكى الطنبغا دمشق وقلعتها فلما بلغه وفاة الملك المؤيد وسلطنة ابنه أظهر العصيان وخرج عن الطاعة وأقام بدمشق وحصنها ونصب على سورها المكاحل بالمدافع والتفت عليه العربان والعشير فلما بلغ الامراء ذلك خلعوا على ططر واستقر وابه أتابكى العسكر عوضا عن الطنبغا القرشى ثم اتفق الحال على ان الاتابكى ططر يأخذ السلطان معه فى محفة ويتوجه هو والعسكر الى دمشق بسبب الطنبغا القرشى والنواب فخرج ططر من القاهرة وصحبته الملك المظفر أحمد فى محفة والمرضعة معه وخرج من مصر وسائر الامراء والعسكر وكانت خوند سعادات صحبة ابنها فى المحفة لما خرج الى الشام حتى تأمن عليه من القتل وكانت خوند سعادات لما انقضت عدتها مشت الامراء بينها وبين ططر بان يتزوج بها فلما خرج ابنها الى الشام خرجت معه فلما وصلوا به الى الشام ألقى الله تعالى الرعب فى قلب الطنبغا القرشى وجقمق نائب الشام فلما دخل الملك المظفر الى الشام حضر اليه الطنبغا القرشى وفى رقبته منديل فباس الارض قدام الملك المظفر وهو فى المحفة فلما وقعت عليه عين الاتابكى ططر قبض عليه وسجنه بقلعة دمشق ثم قبض على جقمق نائب الشام وسجنه بقلعة دمشق أيضا ثم انه أمر بخنقه وبخنق الطنبغا القرشى فخنقا تحت الليل ثم قبض على جماعة من النواب وقتلهم وأخذ

فى أسباب القبض على جماعة من الامراء المؤيدية فاحتال عليهم وأظهر انه قد مرض وأقام بقلعة دمشق ولما بلغ الامراء ذلك طلعوا يسلمون عليه ودخلوا عليه فقبض على جماعة منهم حتى قيل قبض فى يوم واحد على أربعين أميرا من الامراء المؤيدية وحبسهم بقلعة دمشق ثم قبض على جماعة من المماليك المؤيدية نحو ثلثمائة مملوك وحبسهم بقلعة دمشق فعند ذلك صفا الطر الوقت والتفت عليه خشداشينه القاهرية وفرق عليهم الاقطاعات والوظائف وقويت شوكته وعصبته وصار يمهد لنفسه فى الباطن فعند ذلك خلع الملك المظفر أحمد من السلطنة وتسلطن عوضه بدمشق وكان الخليفة المعتضد بالله داود صحبته والقضاة الاربعة فبايعوا طر وسلطنوه وذلك فى يوم الجمعة تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة وتلقب بالملك الظاهر وخطب باسمه فى ذلك اليوم على منابر دمشق فلما تم أمره فى السلطنة هنالك طلق خوند سعادات أم الملك المظفر أحمد وقد خاف على نفسه منها والذى خاف منه وقع فيه كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه فلم ينل من الدهر قصده فلما تسلطن قصد التوجه الى نحو الديار المصرية وأخذ الملك المظفر معه وأمه ورجع الى مصر فلما دخل الى القاهرة كان له يوم مشهود وزينت له المدينة وحملت على رأسه القبة والطير ولعبوا قدامه بالغواشى الذهب الى ان طلع القلعة فلما جلس على سرير الملك أرسل الملك المظفر أحمد الى السجن بثغر الاسكندرية وأرسل معه المرضعة والدادة فكانت مدة سلطنته بمصر سبعة أشهر وعشرين يوما فما كان أغناه عن هذه السلطنة والحول الذى حصل فى عينيه لما دقت الكؤسات فى القصر يوم سلطنته كما تقدم وآخر الامر سجن وأقام فى السجن الى ان مات بثغر الاسكندرية فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فى دولة الاشرف برسباى ومات بالطاعون ثم نقل بعد موته الى القاهرة ودفن على أبيه داخل القبة التى فى الجامع المؤيدى الذى هو داخل باب زويلة ومات وله من العمر نحو احدى عشرة سنة ولم يبع أيام سلطنته وانما وعى نفسه فى السجن الى ان مات فيه وقد دخل مماليك أبيه فى خطيئته حيث سلطنوه وهو فى هذا السن وكان المظفر هذا حسن الشكل جميل الصورة وانما حدث له ذلك الحول فى عينيه من يوم سلطنته كما تقدم ومن الحوادث فى أيامه ان فى هذه السنة وهى سنة أربع وعشرين زاد النيل المبارك زيادة مفرطة واستمر ثابتا الى آخر هاتور من الشهور القبطية وهذا قط لم يعهد فى الاسلام وحصل للناس فى تلك السنة الضرر الشامل واستبحرت الاراضى وغرق أكثر البساتين وفات الزرع عن أوانه وانقطعت الطرق من الماء وفى ذلك يقول بعض الشعراء

يارب ان النيل زاد زيادة * أدت الى هدم وفرط تشتت

ماضره لوجا على عاداته * فى دفعه أو كان يدفع بالتى

وتوفى فى أيامه قاضى القضاة الشافعية ولى الدين العراقى والشيخ شمس الدين الديرى الحنفى وقيل بل مات فى أثناء دولة الملك الاشرف برسباى والله أعلم بذلك انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المظفر احمد بن الملك المؤيد شيخ المحمودى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبى سعيد ططر الظاهرى الجركسى

وهو الثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو السادس من ملوك الجراكسة فى العدد (أقول) كان أصله من مماليك الظاهر برقوق من مشتراته ثم اعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك السلطانية الجمدارية ثم هرب من الملك الناصر فرج وتوجه الى حلب والتف على جكم العوضى لما تسلطن بحلب فلما قتل جكم التف ططر على شيخ ونوروز لما أظهروا العصيان بالشام فلما قتل الملك الناصر بالشام وتسلطن الخليفة العباس انعم على ططر بامرية عشر ثم بقى أمير أربعين فى دولة الملك المؤيد شيخ ثم بقى مقدم ألف ثم بقى رأس نوبة النوب ثم بقى أمير مجلس كل ذلك فى دولة المؤيد شيخ فلما مات الملك المؤيد وتسلطن ابنه الملك المظفر بقى ططر مدبر المملكة فلما أظهر العصيان الاتابكى الطنبغا القرشى لما كان بالشام بقى ططر أتابك العساكر عوضا عنه فلما خرج الى الشام صحبة الملك المظفر احمد وظفر بالاتابكى الطنبغا القرشى والامير قجقار القردمى أمير سلاح ونائب الشام حقمق الارغون شاوى وجماعة من النواب وقتلهم كما تقدم ذلك قبض على جماعة كثيرة من الامراء المؤيدية وسجنهم بقلعة دمشق فعند ذلك صفا له الوقت وقويت شوكته والتفت عليه خشداشينه الذين كانوا مفرقين فى بلاد الشرق فخلع الملك المظفر من السلطنة وتسلطن عوضه بالشام وطلق خوندسعادات أم الملك فقيل انها أشغلته فى منديل الفرش لما خلع ابنها من السلطنة فرض ططر بالشام ودخل الى مصر وهو عليل واستمر يسلسل فى المرض ولزم الفراش فهو كما قيل فى المعنى

فكان كالمتمنى أن يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمى

فلم يزل عليلا حتى مات فى يوم الاحد رابع ذى الحجة من سنة أربع وعشرين وثمانمائة ومات وله من العمر نحو خمس وخمسين سنة ودفن بجوار قبر الامام الليث بن سعد رضى الله تعالى عنه فكانت مدة سلطنته بالشام وبمصر ثلاثة أشهر وأياما وقد تحمل فى هذه المدة

اليسيرة ثم من قتله من الامراء والمماليك فى طلب السلطنة وقد مهد لغيره فكان كما قيل فى المعنى

الا انما الارزاق تحرم ساهرا * وآخر يأتى رزقه وهو نائم

ولما مرض ططر عهد بالسلطنة الى ابنه محمد انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر ططر وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الصالح ناصر الدين محمد ابن الملك الظاهر ططر

وهو الحادى والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم وهو السابع من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية فى العدد بويع بالسلطنة بعد موت أبيه ططر فى يوم الاحد رابع ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة تسلطن وله من العمر نحو احدى عشرة سنة فلما بايعه الخليفة أحضروا له خلعة السلطنة وتلقب بالملك الصالح ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وجلس على سرير الملك فلما تم أمره فى السلطنة خلع على المقر الاتابكى جانى بك الصوفى واستقر به أتابك العساكر على عادته ومدبر المملكة فصار الاتابكى جانى بك فى تلك الايام صاحب الحل والعقد والابرام والنقض فعز ذلك على بقية الامراء وصار الامير طرباى الظاهرى حاجب الحجاب يرمى الفتن بين الاتابكى جانى بك الصوفى وبين المقر السيفى برسباى الدقماقى أمير دوادار كبير فوثب الامير برسباى على الاتابكى جانى بك الصوفى فهرب فى أواخر النهار فقبض عليه بعض المماليك وأحضروه الى الامير برسباى فقيده وأرسله الى السجن بثغر الاسكندرية فاجتمعت الكلمة من بعد ذلك فى برسباى وصار صاحب الحل والعقد ثم ان برسباى وقع بينه وبين الامير طرباى حاجب الحجاب فقبض عليه وأرسله الى السجن بثغر الاسكندرية فعند ذلك صفا للامير برسباى الوقت وقويت شوكته فتعصب له جماعة من الامراء وخلعوا الملك الصالح محمد بن ططر من الملك وتسلطن برسباى فكانت مدة سلطنة الملك الصالح بمصر ثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما لا غير وكان ليس له فى السلطنة الا مجرد الاسم فقط فلما خلعه برسباى من السلطنة عطف عليه ولم يسجنه بثغر الاسكندرية كعادة أولاد الملوك بل أدخله دور الحرم وأسكنه فى قاعة البربرية هو وأمه خوند بنت الامير سودون الفقيه ثم ان الاشرف برسباى تزوج الملك الصالح بنت الاتابكى يشبك الاعرج واستمر الملك الصالح ساكنا فى القلعة بدور الحرم ورسم له الملك الاشرف برسباى بأن ينزل ويركب فى كل جمعة ويزور قبر والده ططر فكان

يركب صحبة المقر الناصرى محمد الملك الاشرف برسباى ويسيروا نحو المطرية (أقول) وسيدى محمد هذا كان ابن الاشرف برسباى وكان أكبر من ولده سيدى يوسف ولكن توفى فى حياة والده عقيب الفصل الذى جاء فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكان الملك الصالح محمد بن ططر هذا يهلل كثير الخباط فكان يسمى الفرس البوز الفرس الابيض فقال بعض الخدام لا تقل الفرس الابيض وقل الفرس البوز فحفظ منه ذلك الاسم فطلب يوما سلطانية صينى أبيض فقال هاتوا السلطانية البوز فنهره بعض الخدام ونهاه عن ذلك فقال له لا لانى علمنى هذا وكان له من أنواع الخباط أشياء كثيرة ليس هذا محلها فكان كما قيل فى الامثال

فى الناس من تسعده الاقدار * وفعله جميعه ادبار

واستمر الملك الصالح على ذلك حتى توفى فى ليلة الخميس ثانى عشرى جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ومات بالطاعون الذى وقع فى تلك السنة ودفن على والده ططر بجوار قبر الامام الليث ومات وله من العمر اثنتان وعشرون سنة ولما مات الملك الصالح محمد رسم الملك الاشرف برسباى لاولاد الاسياد الذين كانوا فى دور الحرم من داخل بان ينزلوا ويسكنوا المدينة وأنعم على كل واحد منهم بفرس ومائة دينار فنزلوا من يومئذ وسكنوا بالمدينة وبطل أمرهم انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الصالح محمد بن ططر وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبى النصر برسباى الدقماقى الظاهرى

وهو الثانى والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثامن من ملوك الجراكسة وأولادهم بويع بالسلطنة بعد خلع الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر فى يوم الاربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من باب السلسلة وركب من المقعد وحملت على رأسه القبة والطير حتى طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباس له الامراء الارض من الاكابر والاصاغر وتلقب بالملك الاشرف ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء من الخاص والعام قيل لما خلع الملك الصالح محمد بن ططر من السلطنة حضر أمير المؤمنين المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة وحضر الاتابكى بيبغا المظفرى وسائر الامراء فاشتوروا فيمن يولونه السلطنة فقال الاتابكى بيبغا الامير برسباى يكون سلطانا وهو أحق بها منى فآثره بالسلطنة على نفسه وكان الملك الاشرف برسباى يومئذ دوادارا كبيرا ولم يكن أتابك العساكر وأصله جركسى الجنس جلبه بعض التجار الى البلاد الشامية فاشتراه الامير دقماق المحمدى نائب ملطية مع

جملة مماليك صغار ثم انه قدمه الى الملك الظاهر برقوق فأخذه وجعله من جملة المماليك السلطانية ونزل بطبقة الزمامية وكان اغاته الامير جركس القاسمي المصارع ثم ان الملك الظاهر برقوق أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا ثم بقي خاصكيا ثم ساقيا في دولة الملك الناصر فرج ثم التف على شيخ ونوروز لما خامروا بالشام فلما قتل الملك الناصر فرج وتسلطن الملك المؤيد شيخ جعله أمير عشرة ثم بقي أمير طبلخانات ثم بقي مقدم ألف ثم تولى نيابة طرابلس ثم قبض عليه الملك المؤيد وسجنه بقلعة المرقب مدة طويلة ثم أطلقه وأنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق فلما خامر نائب الشام جقمق الارغون شاوي قبض على برسباي وسجنه بقلعة الشام فلما توجه ططر الى الشام وقبض على جقمق نائب الشام وحبسه في قلعة دمشق أفرج عن برسباي وأحضره صحبته الى القاهرة فلما تسلطن بدمشق ثم انه خلع عليه واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عن الامير علي باي المؤيدي واستمر برسباي على ذلك حتى توفي الظاهر ططر وتسلطن ابنه الصالح محمد فوقعت الفتن بين الاتابكي جانبك الصوفي وبين الامير برسباي فقبض عليه الامير برسباي وأرسله الى السجن بثغر الاسكندرية فعند ذلك خلع الملك الصالح محمد من السلطنة وتسلطن عوضه كما تقدم فلما تم أمر برسباي في السلطنة عمل الموكب وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر الاتابكي بيغا المظفري واستقر به اتابك العساكر على عادته وكان بيغا هذا عظيم اللسان قليل الكلام بالعربي يابس الطباع سيئ الخلق فلم يوافق العسكر على سلطنته فقنع بيغا بالاتابكية دون السلطنة فكان كما قيل في المعنى

اذا منعتك أشجار المعالي * جناها الغض فاقنع بالشميم

وخلع على الامير جقمق العيسوي واستقر به أمير سلاح على عادته وخلع على الامير اقبغا التمرازي واستقر به أمير مجلس وخلع على الامير سودون بن عبد الرحمن واستقر به دوادارا كبيرا وخلع على الامير قصروه بن عثمان واستقر به أمير احوز كبير وخلع على الامير أزبك المحمدي واستقر به رأس نوبة النوب وخلع على الامير جقمق العلائي واستقر به حاجب الحجاب وخلع على المقر السيفي جانبك البجاسي واستقر به نائب الشام وأنعم على جماعة من الامراء بتقادم ألف وعلى جماعة بامريات طبلخانات وعلى جماعة بامريات عشرة ثم أنفق على العسكر وفرق الاقطاعات على جماعة منهم واستقامت أحواله في السلطنة وراق له الوقت ثم أخذ في أسباب تقريب جماعة من حاشية الملك المؤيد شيخ فخلع على المقر الزيني عبد الباسط بن القرشي خليل واستقر به ناظر الجيوش المنصورة وقدر قي في أيامه الزيني عبد الباسط حتى صار صاحب الحل والعقد في تلك الايام وكان الملك الاشرف لا يتصرف في شيء من أحوال المملكة الا برأي القاضي عبد الباسط فعظم أمره في تلك الايام حتى أطلق عليه عظيم الدولة في أيامه واستمر على ذلك في مدة دولة الملك الاشرف كلها

ثم قرب الامير ناصر الدين التاج واستقر به والى القاهرة على عادته وكان أصل التاج من الشوبك وكان جده من النصارى وكان ينادم الملك الاشرف ولا ينشرح الا به وكان التاج واسطة خير قليل الاذى لا يتكلم فى حق أحد الا بخير ليس عنده ضرر وفيه يقول الشيخ تقى الدين بن حجة

سبع وجوه لتاج مصر * تقول ما فى الوجود شبهى
وعندنا ذو الوجوه يهجى * وأنت تاج بفرد وجه

وقرب أيضا القاضى بدر الدين بن مزهر حتى صار كاتب السر الشريف بالديار المصرية وقرب جماعة كثيرة من حاشية الملك المؤيد شيخ غير هؤلاء انتهى ذلك ۞ (ثم دخلت سنة 826
ست وعشرين وثمانمائة) فيها وفى النيل المبارك فى ثامن عشر أبيب من الشهور القبطية ولم يسمع بمثل هذا فيما تقدم من السنين الماضية وفيه يقول بعض الشعراء

لما وفى النيل المبارك عاجلا * عم البلاد وللروابى طفقا
نشروا القلوع وبشروا بوفائه * فالراية البيضا عليه بالوفا

وفى هذه السنة رسم السلطان للامير جرباش الكريمى المعروف بقاشق بان يتوجه الى ثغر الاسكندرية بسبب حفر خليج الاسكندرية لانه قد طم بالرمال وضعف جريان الما فيه فتوجه اليه الامير جرباش وجمع ما قدر عليه من الرجال فجمع ثمانمائة وسبعين انسانا وابتدأ فى حفره فى حادى عشر جمادى الاولى من تلك السنة المذكورة فانتهى العمل منه ومشى فيه الماء فى مدة أربعة أشهر فسر الناس بذلك ۞ (ثم دخلت سنة سبع وعشرين 827
وثمانمائة) فيها تزايدت عظمة الامير جانى بك مملوك الملك الاشرف برسباى وصار أمير طبلخاناه دوادار ثانى واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد فى دولة أستاذه وهو صاحب المدرسة التى بالقرب من المنجكية ومما يحكى عنه انه نفى الاتابكى بيبغا المظفرى الى ثغر الاسكندرية من غير علم السلطان فلما علم السلطان بذلك لم يقل له ليش فعلت ذلك وتناهت عظمته حتى التف عليه جميع العسكر وكان الامراء المقدمون ينزلون معه من القلعة الى بيته الذى بالقرب من سوق الجوار ولم يزل جانى بك على ذلك حتى تخيل منه الملك الاشرف أن يثب عليه فشغله فى حلوى فاستمر عليلا ملازم الفراش حتى مات فى أثناء دولة استاذه ولو عاش لوثب على استاذه وتسلطن ۞ ومن الحوادث فى أيامه ان شخصا من العوام شنق نفسه وسبب ذلك انه كانت له زوجة يحبها فطلقها فتزوجت بغيره ووكلته فيه فشنق نفسه من قهره منها فمات ۞ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثمانمائة فيها حجت خوند 828
جلبان زوجة الملك الاشرف برسباى وهى أم ولده المقر الجمالى يوسف وكان المتسفر عليها القاضى عبد الباسط ۞ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثمانمائة فيها أرسل 829

السلطان بتجريدة الى قبرس فاعطاه الله تعالى النصر وفتح مدينة قبرس فى تلك السنة وأسر
ملكها وجىء به الى القاهرة أسيرا فكان يوم دخوله الى القاهرة يوما مشهودا وزينت المدينة
سبعة أيام ودخل عسكر الفرنج وهم فى زناجير وملكهم راكب وعليه آلة الحرب وكانت
هذه النصرة على غير القياس وفى هذه السنة كملت عمارة مدرسة السلطان وهى المدرسة
الاشرفية التى عند سوق الوراقين فلما وقعت هذه النصرة وأسر ملك الفرنج فى تلك
السنة رسم السلطان بان تعلق خودة ملك الفرنج على باب هذه المدرسة لتكون تذكار
الله وهى الآن معلقة فى باب هذه المدرسة ۞ ثم دخلت سنة ثلاثين وثمانمائة فيها 830
جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بان الاتابكى جانى بك الصوفى قد كسر قيده وهرب
من السجن وقيل ان جارية دخلت اليه فى السجن وقد تحملت بمبرد لطيف فى فرجها فبرد
به قيده وهرب من أعلى حيطان البرج وتدلى فى حبل صغير وهرب فلما بلغ الملك الاشرف
ذلك اضطربت جميع أحواله وصار يكبس البيوت والحارات وقبض على اصهار جانى بك
الصوفى وعاقبهم وكذلك عياله ومماليكه وجرى بسبب ذلك على الناس مالا خير فيه وصار
كل من له عدو يكذب عليه ويقول جانى بك الصوفى مخبا عنده فيكبسوا عليه بيته وينهبوا
ماله ويعاقبوا ذلك الرجل اشد العقوبة واستمر الملك الاشرف على ذلك وهو لا يهنأ له عيش
حتى ظهر جانى بك فى بلاد التركمان عند أولاد قرايوسف فعند ذلك سكن الاضطراب من
القاهرة وفيها قبض السلطان على الصاحب بدر الدين نصر الله وعلى ولده صلاح الدين وقرر
عليهما مالا وفيها تولى قاضى قضاة الشافعية العلامة الحافظ شهاب الدين بن حجر الكنانى
العسقلانى الشافعى وهو أول ولايته فنزل من القلعة الى بيته فى موكب انتهى ذلك ۞ ثم 831
دخلت سنة احدى وثلاثين وثمانمائة فيها ابتدأ السلطان الملك الاشرف بعمارة
مدرسته التى فى خانقاه سرياقوس وقد تناهى فى رخامها وزخرفها ثم عمل فيها خطبة ولم يعمل
مثلها فى ذلك المكان وكان أول من خطب فيها الشيخ عبد الرحيم الحوى الواعظ وقد قرره
السلطان فى الخطابة بل كان خطيبا فى الاشرفية التى عند سوق الوراقين أيضا ۞ ثم دخلت 832
سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة فيها خلع السلطان على الامير جقمق العلائى واستقر
أميرا خور كبير عوضا عن الامير قصروه بن عثمان وفيها نزل السلطان الى الرماية وشق من
المدينة وزينت له وكان له يوم مشهود والله سبحانه وتعالى أعلم ۞ ثم دخلت سنة ثلاث 833
وثلاثين وثمانمائة فيها وقع الطاعون العظيم بالديار المصرية وكان هذا الطاعون مخالفا
لبقية الطواعين فان عادة الطعن يقع فى فصل الربيع وهذا وقع فى وسط الشتاء واستمر
يسلسل أربعة أشهر وكانت قوة عمله فى الغرباء والاطفال والمماليك والعبيد والجوار
فمات فيه من الناس مالا يحصى عددهم حتى قيل انتهى من مات فى يوم واحد الى أربعة

وعشرين ألف جنازة حتى ضج الناس من ذلك وصار يودع بعضهم بعضا وفى ذلك يقول القائل

قد نقص الطاعون ثلث الورى * واهـــلك الوالد والوالده

كم منزل كالشمع ســكانه * اطفاهمو فى نفخة واحـده

وفى أول شعبان لم يمت غير طفل صغير مرضع وارتفع الوباء بالكلية فى ليلة واحدة فسبحان الحى الذى لا يموت ولكن ما ارتفع حتى أخلى عدة أماكن ومات فيه من الاعيان الملك الصالح محمد بن ططر وسيدى محمد ابن الملك الاشرف برسباى وجاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بموت الخليفة العباس الذى تسلطن ومات هناك أحمد ابن المؤيد شيخ قال الحافظ بن حجر لما كثر الطاعون بمصر اجتمع أعيان العلماء بالجامع الازهر
834 ودعوا الله برفعه فازداد أمر الطاعون ولم يتناقص ❁ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثمانمائة) فيها كسفت الشمس وقت العصر حتى ظهرت النجوم بالنهار واستمرت مكسوفة
835 نحو ساعة الى قريب الغروب ❁ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثمانمائة فيها حضر الى الابواب الشريفة بعض التراكمة وصحبتهم رأس الاتابكى جانى بك الصوفى قطعها بعض التراكمة الذين كان عندهم وأرسلها الى السلطان ليحظى عنده بذلك فلما حضرت الرأس رسم السلطان بان يطوفوا بها فى القاهرة فطافوا بها ثم علقوها فى باب زويلة ثلاثة أيام ثم رسم
836 السلطان بان ترمى فى ميضة جامع الحاكم فرميت بها وبطل أمر جانى بك الصوفى ❁ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثمانمائة فيها جاءت قصاد قراملك الى السلطان وطلعوا الى القلعة وصحبتهم هدية للسلطان فمن جملتها قرص مرآة مكفتة بذهب ومن جملتها خروف باليتين وخلعة للسلطان مخمل أحمر مرقومة بالذهب وبعض أثواب مخمل وصقورة برسم الصيد فلما رأى السلطان تلك الهدية استقلها وعز عليه أمر الخلعة ثم انه عزم قصاد قراملك فى البحيرة ثم احضر تلك الخلعة والبسها الشخص من الشهدارية وكان مضحكا فرقص بها قدام السلطان فضحك عليه ثم احضر نارا واحرق تلك الخلعة بحضرة القصاد وذبح الخروف ثم قال للقصاد استاذكم ان أراد ان يهدل أحدا يش يعمل فيه فقالوا له يرميه فى الماء فرسم السلطان برميهم فى البحيرة فرموهم فيها فاقاموا ساعة ثم أطلعوهم فرسم السلطان بقص أذناب خيلهم وقال لهم اخرجوا سافروا فى هذا الوقت وقولوا لاستاذكم يلاقينى على الفرات فلما جرى ذلك علق السلطان الجاليش ونادى للعسكر بالعرض وأخذوا فى أسباب الخروج الى التجريدة وقد اولوا الخروف بانكم عندنا مثل النعاج والمرآة بانكم مثل النساء انظروا وجهكم فى هذه المرآة وأولوا الخلعة بانك نائب من تحت يدنا ثم ان السلطان

أنفق على العسكر وعين من الامراء أربعة مقدمين يقيمون بالقاهرة مع جماعة من الحجاب
وعين جماعة من الامراء يتوجهون معه الى البلاد الشامية فلما انتهى شغل السلطان عزم
على السفر وكان نائب الغيبة اقبغا المعروف بالتمرازى أمير مجلس وجماعة من الحجاب
وبعض مماليك سلطانية وبرز خيامه الى نحو الريدانية ثم ان السلطان طلب وخرج من
الميدان الذى تحت القلعة فكان فى طلبه مائتا فرس ملبسة بالبركستوانات الفولاذ
والحرير الملون وكان فيه كجاوتان زركش وكان فيه خمسون فرسا بسروج ذهب وكنابيش
وكان له يوم مشهود بموكب عظيم وكان صحبته أمير المؤمنين المعتضد بالله داود والقضاة
الاربعة وهم ابن حجر وبدر الدين العينى وشمس الدين البساطى ومحب الدين البغدادى
الحنبلى وخرج معه سائر الامراء من الاكابر والاصاغر فأقام بالريدانية يومين ثم رحل وقصد
التوجه الى نحو البلاد الشامية فكان له فى الشام موكب عظيم وكذلك فى حلب ثم خرج من
حلب وقصد التوجه نحو آمد من ديار بكر فلما وصل الى هناك حاصر قلعة آمد أشد المحاصرة
ونصب عليها عدة مناجيق فلم يقدر عليها فأقام هناك مدة فوقع فى العسكر الغلاء فقلق
من ذلك وكانت العوام تغنى وتقول فى آمد رأينا العونه فى كل خيمة طاحونة الغلام نهاره
يطحن والجندى يجيب المونه فلما سمع المماليك ثارت أخلاقهم على السلطان وقصدوا
الوثوب عليه هناك فخشى الملك الاشرف ان تقع هناك فتنة فلم يقع بينه وبين قراملك واقعة
ولا قابله فمشى بعض الامراء بين قراملك وبين السلطان بالصلح فأرسل اليه السلطان
القاضى محب الدين بن الاشقر نائب كاتب السر فحلف قراملك أنه لا يتعدى على بلاد السلطان
ولا يحصل منه فساد ثم ان السلطان قصد التوجه الى نحو الديار المصرية قيل ان السلطان
صرف على هذه التجريدة من المال خمسمائة ألف دينار ولم يظفر بطائل فلما رجع عاد
قراملك الى ما كان عليه من العصيان ۞ (ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثمانمائة) فيها 837
عاد الملك الاشرف برسباى الى نحو الديار المصرية فدخل الى القاهرة فى موكب عظيم
وحملت على رأسه القبة والطير وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير حتى طلع
القلعة وهو آخر من جرد من الملوك وخرج بنفسه الى البلاد الشامية فلما وصل السلطان
خرج ولده المقر الجمالى يوسف الى تلقيه من العكرشة ۞ (ثم دخلت سنة ثمان
وثلاثين وثمانمائة) فيها خلع على المقر السيفى جقمق العلائى واستقر أمير سلاح
وتوفى الشيخ تقى الدين الحسنى شارح كتاب أبى شجاع على مذهب الامام الشافعى وفيها
خلع على القاضى أمين الدين بن الهيصم واستقر فى الوزارة عوضا عن كريم الدين بن
كاتب المناخات ۞ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فيها استقر المقر السيفى

جقمق العلائى أتابك العساكر بالديار المصرية وفيها تزايدت عظمة الملك الاشرف برسباى حتى صارت مماليكه المشتروات خمسة آلاف وفيها عمر السلطان الملك الاشرف تربته التى فى الصحراء عند تربة الظاهر برقوق وجعل فيها مدرسة وفيها نزل السلطان الى الرماية وشق فى القاهرة وزينت له وفيها توفى الشيخ صلاح الدين الاقفهسى وكان من أعيان العلماء ❁ ثم دخلت سنة أربعين وثمانمائة فيها شوش السلطان على أولاد الناس من أجناد الحلقة وصادرهم بسبب اقطاعاتهم وأخذ منهم على العبرة القديمة فحصل لهم الضرر الشامل وكان المتكلم فى ذلك المقر السيفى أركماس الظاهرى أمير دوادار كبير فجار عليهم وحصل لهم منه غاية الضرر وكان سبب ذلك انه بلغ السلطان ان شاه رخ بن تمرلنك تحرك على البلاد فقصد السلطان أن يجرد اليه بنفسه ثانيا فصادر اجناد الحلقة بسبب ذلك وفيها توفى الشيخ بدر الدين بن الدمامينى المالكى المخزومى وكان من أهل العلم والفضل وله شعر جيد فمن ذلك قوله فى قاضى القضاة ناصر الدين التونسى المالكى لما ولاه أمر العقود فى مبادى عمره

يا قاضيا ليس يلقى * نظيره فى الوجود
قد زدت فى الفضل حتى * قلدتنى بالعقود

وفيها كانت وفاة الشيخ زين الدين الخراط الاديب الفاضل وله شعر جيد ❁ ثم دخلت سنة احدى وأربعين وثمانمائة فيها وقع الطاعون بالديار المصرية وهو الطاعون الثانى الذى جاء فى آخر دولته وكان خفيفا بالنسبة الى الطاعون الذى كان قبله فمات فى هذا الفصل ما لا يحصى عددهم من مماليك وأطفال وجوار وعبيد وغير ذلك وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

تغير فى مصر الهواء باهلها * بدا وعليه صفرة وتحول
وصح بها موت النسيم وكيف لا * وقد جاءه الطاعون وهو عليل

ثم ان الملك الاشرف برسباى مرض عقيب ذلك وسلسل فى المرض فحصل له مالينخوليا وخفة عقل ونزق فرسم بنفى الكلاب الى برالجيزة فصار كل من أمسك كلبا يأخذ له نصف فضة من صير فى باب السلسلة فأمسك العياق من الكلاب نحو ألف كلب فنفوهم الى برالجيزة ثم انه نادى بان امرأة لا تخرج من بيتها مطلقا فكانت الغاسلة اذا أرادت التوجه الى ميتة تأخذ ورقة من المحتسب وتجعلها فى رأسها حتى تمشى فى السوق ثم انه نادى فى القاهرة بان فلاحا لا يلبس زمطا مطلقا لا من كبير ولا صغير فامتثل الناس ذلك ثم انه رسم بتوسيط الحكماء فوسط الرئيس خضر ووسط الرئيس شمس الدين بن العفيف واستمر على

هذه الخرافات الى ان مات فكانت وفاته فى يوم السبت بعد العصر فبات بالقلعة وأخرجوه فى يوم الاحد ثالث عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة ودفن بتربته التى أنشاها عند البرقوقية بالصحراء وصلى عليه العلامة ابن حجر ومات وله من العمر نحو خمس وسبعين سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ست عشرة سنة وثمانية اشهر وخمسة أيام فكثر عليه الحزن والاسف من الناس فان مصر كانت هادية فى أيامه من الفتن والحروب التى كانت فى الدول الماضية وقد قال القائل

والمرء كالظل ولابد أن * يزول ذاك الظل بعد امتداد

قيل ان الملك الاشرف لما ثقل فى المرض احضر الخليفة الى داره والقضاة الاربعة وسائر الجند والامراء وحلف المماليك ثم أنفق عليهم لكل واحد ثلاثون أشرفيا وعهد الى ولده يوسف بالسلطنة وجعل الاتابكى جقمق العلائى وصيا عليه ونظام المملكة ثم انه رسم بان يعاد الى أجناد الحلقة من أولاد الناس ما أخذ منهم بسبب الاقطاعات كما تقدم فرسم للامير اركماس الظاهرى بان يعاد الى كل واحد ما أخذ منه بالتمام والكمال ويكتب عليه شهادة بذلك فأعادوا الى أجناد الحلقة ما كان أخذ منهم وكان الملك الاشرف برسباى ملكا جليلا مبجلا فى موكبه وكان منقادا الى الشريعة ويحب أهل العلم ويقربهم وكانت معاملته أحسن المعاملات من أجود الذهب والفضة ولاسيما الاشرفية البرسبيهية فانها من خالص الذهب والى الآن يرغب اليها الناس فى المعاملة وكانت صفة الملك الاشرف برسباى انه عربى الوجه طويل القامة أبيض اللون مستدير اللحية شائب الذقن حسن الشكل صبيح الوجه عليه سكينة ووقار ومهابة مع لين جانب وكان عنده معرفة بأحوال السلطنة كفأ للملك كثير البر والصدقات وله معروف وآثار لكنه كان عنده طمع زائد فى تحصيل الاموال محبا لجمع الاموال من المباشرين وغيرهم ومما أنشأه من العمائر فى أيامه المدرسة التى عند سوق الوراقين والمدرسة التى فى الصحراء التى دفن فيها والمدرسة التى فى خانقاه سرياقوس وعمر الوكالة التى فى الصليبة والربعين اللذين بها وله انشاآت كثيرة بالديار المصرية وغيرها وكان الامير جاسول شادا على عمائره وخلف من الاولاد صبيين وهما يوسف وأحمد وكان من أزواجه خوند جلبان وهى أم ولده يوسف وخوند فاطمة بنت الظاهر ططر وخوند بنت الاتابكى يشبك الاعرج وأرسل فأحضر بنت ابن عثمان ملك الروم لكنه لم يدخل عليها وكان خيار مماليك الجراكسة كما قيل فى المعنى

قالوا فهل جاد الزمان بمثله * قلت الزمان بمثله لشحيح

وأما من توفى فى أيامه من الاعيان فهم قاضى القضاة الهروى وقاضى القضاة غلاء

الدين بن مغنى الحنبلى وقاضى القضاة التفهنى الحنفى والشيخ ناصر الدين الديرى الحنفى وابن النقاش من أعيان علماء الشافعية والشيخ شهاب الدين المقريزى المؤرخ والاتابكى بيبغا المظفرى وغير ذلك من الاعيان انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك الاشرف برسباى الدقاقى الظاهرى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنه الملك العزيز أبى المحاسن جمال الدين يوسف ابن الملك الاشرف برسباى الدقاقى الظاهرى

وهو الثالث والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو التاسع من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد بويع بالسلطنة بعد موت أبيه الملك الاشرف فى يوم السبت ثالث عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وتسلطن وله من العمر نحو أربع عشرة سنة وتلقب بالملك العزيز وأمه أم ولد جركسية تسمى جلبان فلما بايعه الناس بالسلطنة جلس على سرير الملك وحمل الاتابكى چقمق القبة والطير على رأسه من باب الستارة الى القصر الكبير فلما جلس باس له الامراء الارض فاستقر بالاتابكى چقمق العلائى نظام المملكة وصاحب الحل والعقد ۞ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة فيها دبت عقارب الفتنة بين الاتابكى چقمق وبين الامراء الاشرفية وصاروا يعاكسون الاتابكى چقمق فيما يفعله من الامور وصار الملك العزيز مع چقمق مثل اللولب يدوره كيف شاء فليس له فى السلطنة غير مجرد الاسم فقط لاجل كتب العلامة على المراسيم وكان الاتابكى چقمق مع الامراء الاشرفية فى غاية الضنك وقصدوا قتله فى القصر عدة مرار ولولا أن فى أجله فسحة لقتل من يوم مات الاشرف ثم ان جماعة من الامراء المؤيدية والناصرية التفوا على چقمق وتعصبوا له فوثبوا على الملك العزيز والتف عليهم جماعة كثيرة من المماليك السيفية فاوقعوا مع المماليك الاشرفية فلم تكن الاساعة من النهار حتى انكسر المماليك الاشرفية وأحاط بهم كل رزية فتشتتوا وتفرقوا بيد النوى وتمزقوا فلما انكسروا وقع الاتفاق وتحقق على سلطنة الاتابكى چقمق فاحضروا الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة فخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا الاتابكى چقمق فكان الذى خلع الملك العزيز قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر فلما تولى الاتابكى چقمق رسم بأن العزيز يدخل الى دور الحرم ولم يسجنه بثغر الاسكندرية كعادة أولاد الملوك فاخلى له قاعة البربرية وأقام بها وكان قصد السلطان

842

چقمق بان يزوج الملك العزيز ويستمر ساكنا بالقلعة فاصبر الملك العزيز ووقع منه ماسيأتى ذكره فى موضعه فكان كما قيل فى المعنى

قد يدرك المتأنى جل مقصده * وقد يكون مع المستعجل الزلل

فكانت مدة سلطنة الملك العزيز يوسف بن الاشرف برسباى بالديار المصرية ثلاثة أشهر وخمسة أيام كأنها أضغاث أحلام انتهى ما أوردناه من أخبار الملك العزيز يوسف ابن الاشرف برسباى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين أبى سعيد چقمق العلائى الظاهرى

وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو العاشر من ملوك الجراكسة وأولادهم يوبع فى السلطنة بعد خلع الملك العزيز يوسف ابن الاشرف برسباى فى يوم الاربعاء تاسع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة فحضر الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة فخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا چقمق ولقبوه بالملك الظاهر ثم أحضرت له خلعة السلطنة فلبسها من باب السلسلة وركب فرس النوبة وحمل القبة والطير على رأسه المقر السيفى قرقماس الشعبانى أمير سلاح وقد تقدم انه حضر مع العسكر الذين كانوا فى التجريدة فلما ركب من المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير جلس على سرير الملك ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعاء ودقت له البشائر فى ذلك اليوم بالقلعة وفرح غالب الناس بتوليته لكونه كان رجلا دينا خيرا قليل الاذى (أقول) كان أصل الملك الظاهر چقمق چركسى الجنس جلبه الخواجا كزل فاشتراه منه العلائى على بن الاتابكى اينال اليوسفى وقدمه الى الملك الظاهر برقوق فصار من جملة المماليك السلطانية ثم بقى خاصكيا ثم بقى ساقيا ثم أمسك وحبس فى دولة الملك الناصر فرج ثم أطلق وصار أمير طبلخاناه خازندار فى دولة الملك المؤيد شيخ ثم مقدم ألف فى دولة الملك الظاهر ططر ثم بقى حاجب الحجاب فى دولة الملك الاشرف برسباى ثم بقى أمير اخور كبير ثم بقى أمير سلاح ثم بقى أتابك العساكر كل ذلك فى دولة الملك الاشرف برسباى فلما مات الاشرف وتولى ابنه العزيز يوسف بقى چقمق نظام المملكة ومشيرها فبقى مع المماليك الاشرفية فى غاية الضنك وأقام على ذلك مدة يسيرة ثم تعصب له جماعة من الامراء المؤيدية والناصرية وخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا چقمق فلما جلس على سرير الملك وتم أمره فى السلطنة وباس له الامراء الارض قبض فى ذلك اليوم على الامير جوهر الزمام اللالا وسجنه فى

البرج بالقلعة ثم قرر فى وظيفة الزمامية فيروز الساقى ثم توفى جوهر اللالا فى أثناء ذلك من الرجفة ثم عمل الموكب فى القصر الكبير وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفى قرقماس الشعبانى واستقر به أتابك العساكر بمصر عوضا عن نفسه وقرره فى اقطاعه وهو نظام المملكة وزاد عليه امريه اربعين بدمشق وخلع على المقر السيفى أقبغا التمرازى واستقر به أمير سلاح عوضا عن قرقماس الشعبانى وخلع على المقر السيفى يشبك السودونى واستقر به أمير مجلس عوضا عن أقبغا التمرازى وخلع على المقر السيفى تمرازا القرمشى واستقر به أمير اخور كبير عوضا عن الامير جانم الاشرفى وخلع على المقر السيفى قراجا الحسنى واستقر به رأس نوبة النوب عوضا عن تمرازا القرمشى وخلع على المقر السيفى تغرى بردى البكلمشى الشهير بالمؤذى واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن يشبك السودونى وأقر المقر السيفى ارکماس الظاهرى دوادارا كبيرا على عادته كما كان فى دولة الملك الاشرف برسباى فهذا كان ترتيب الامراء المقدمين أرباب الوظائف فى مبتدا دولته ثم انتقلت الوظائف من بعد ذلك الى جماعة من الامراء حسبما يأتى ذكر ذلك فى مواضعه عند انتقال الوظائف ثم ان الملك الظاهر أنعم بتقادم ألوف على جماعة من الامراء وأنعم على جماعة بامريات طبلخانات وعلى جماعة بامريات عشرة وأرضى جماعة المؤيدية والناصرية بكل ما يمكن من ذلك ثم انه أنفق على العسكر نفقة السلطنة وفرق الاقطاعات على المماليك السلطانية والمماليك السيفية الذين كانوا سببا لسلطنته فأقام فى السلطنة مدة يسيرة والامر ساكن ثم بات الناس وأصبحوا وقد أشيع فى ليلة عيد الفطر والناس فى اضطراب أن الملك يوسف قد تسحب من القلعة ونزل بعد المغرب فى صفة صبى طباخ وعليه ثياب رثة وعلى رأسه دست طعام وقد لوث وجهه بسواد الدست فكان ذلك فألا عليه فلما وصل الى باب القلعة ضربه الطباخ الذى وراءه واستخفه فى المشى فلما نزل من القلعة اضطربت الاحوال وكان مماليك أبيه أوقعوه فى هذه البلية فلما وقع تخلوا عنه وتبرأ كل أحد منه فكان كما قيل فى المعنى

لقاء أكثر من يلقاك أوزار * فلا تبالى أغابوا عنك أو زاروا
أخلاقهم حين تبلوهن أوعار * وفعلهم مأثم للمرء أوعار
لهم لديك اذا جاؤك أوطار * اذا قضوها تنحوا عنك أو طاروا

ثم ان الملك العزيز استمر مختفيا نحو شهر والوالى فى كل ليلة يكبس البيوت والحارات بسبب الملك العزيز وصار كل من كان له عدو يكذب عليه فيكبسون بيته واستمر الناس فى جمرة نار مطلوقة الى أن توجه الملك العزيز الى بعض الامراء فنم عليه فلما بلغ بلباى المؤيدى ذلك وكان ساكنا فى زقاق حلب جاء ماشيا وقبض على الملك العزيز وتوجه به الى باب السلسلة فانعم عليه السلطان بخمسمائة دينار وجعله أمير أربعين وقيد العزيز ودقت الكؤسات

تحت الليل بسبب ذلك فلما أصبح الصباح ونزلوا بالملك العزيز من القلعة توجهوا به الى البحر ومضى الى الاسكندرية فسجن بها وآخر الطب الكي وكم عجلة أعقبت ندامة وكان قصد الملك الظاهر أن يزوج الملك العزيز ويبقى ساكنا في القلعة فاسلم من مماليك أبيه وحسنوا له الهروب حتى هرب وقد دخلوا في خطيئته برأيهم المعكوس وفي هذه الواقعة يقول بعض الشعراء من أبيات

ولم يدخلوه السجن الا مخافة * من العين أن تطرا على ذلك الحسن
وقلنا له شاركت في الاسم يوسفا * فشاركه أيضا في الدخول الى السجن

واستمر الملك العزيز في السجن مدة دولة الملك الظاهر جقمق كلها فلما كانت دولة الملك الاشرف اينال رسم للملك العزيز بالافراج وان يسكن في بعض دور الحرم بثغر الاسكندرية وان يركب الى الجامع وقت صلاة الجمعة واستمر على ذلك الى دولة الملك الظاهر خشقدم فتوفي بثغر الاسكندرية كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه ومن هنا نرجع الى أخبار دولة الملك الظاهر جقمق فانه لما رجع العسكر الذي كان قد توجه الى البلاد الشامية وحضر صحبة العسكر المقر السيفي قرقماس الشعباني فوجد الملك العزيز قد تسلطن وكان قرقماس في نفسه من السلطنة شيء فلما تسلطن جقمق جعله أميرا كبيرا فاستمر على ذلك أياما ثم لعب الاكرة مع السلطان فقصد الاتابكي قرقماس أن يقبض على السلطان وهو يلعب الاكرة فدنا منه وأراد أن يقبض عليه وهو راكب على الفرس فانجذب منه السلطان وساق الى الدهيشة فلما انقضت الاكرة ونزل الامراء الى بيوتهم لبس الاتابكي قرقماس آلة الحرب وطلع الى الرميلة فالتفت عليه جماعة من الامراء والمماليك السلطانية ولكن كان أكثر الامراء والعسكر مع الملك الظاهر جقمق فلما ركب قرقماس وطلع الى الرميلة وقف بسوق الخيل فنزل السلطان الى باب السلسلة وجلس في المقعد المطل على الرميلة فلما تسامعت الامراء الذين من عصبة السلطان طلع الى الرميلة تسعة أمراء مقدمون منهم الامير بيغا الطيار والامير تمربای والامير قراقجا الحسني والامير يشبك السودوني الامير تمراز القرمشي والامير تغري بردي المؤذي وغير ذلك من الامراء المقدمين وغيرهم فأوقعوا مع قرقماس واقعة قوية فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد كسر الاتابكي قرقماس وهرب واختفى في غيطه الذي عند الجزيرة الوسطى وسبب ذلك ان مملوكا يسمى بلبان كان في باب السلسلة فحمل على قرقماس وضربه بسهم نشاب فجاء في يده فخرقها من وسط كفه فتألم لذلك قرقماس وهرب من وقته وانكسر فلما بلغ ذلك السلطان أنعم على بلبان المذكور باقطاع ثقيل وجعله خاصكيا ثم ان قرقماس أقام في غيطه ثلاثة أيام وأرسل يطلب من السلطان

الامان فأرسل اليه بعض الامراء فطلع به الى القلعة فقيده السلطان وأرسله الى السجن بثغر الاسكندرية وخمدت الفتنة ولم ينل قرقماس مقصوده فكان كما قيل فى المعنى

ياخاطب الدنيا الى نفسه * تنح عن خطبتها تسلم
ان التى تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

ثم ان السلطان خلع على المقر السيفى أقبغا التمرازى واستقر به أتابك العساكر عوضا عن قرقماس الشعبانى وجعله أيضا نائب السلطنة وصار يحكم بين الناس وعلى بابه رأس نوبة ونقباء وهو آخر من تولى نيابة السلطنة بالديار المصرية وكانت هذه الوظيفة قد بطلت من أيام محمد بن قلاون وكانت أكبر من الاتابكية ويخرج النائب الاقطاعات الخفيفة من غير مشورة السلطان وفيها توفى قاضى القضاة المالكى شمس الدين البساطى وولى القضاء
843 البدر التونسى عوضه ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة ﴾ فيها جاءت الاخبار من البلاد الشامية بان اينال الجكمى نائب الشام قد خرج عن الطاعة وأظهر العصيان وكذلك تغرى برمش نائب حلب فعين السلطان لهم تجريدة ثم خلع على المقر السيفى اقبغا التمرازى واستقر به نائب الشام عوضا عن اينال الجكمى وخلع على المقر السيفى يشبك السودونى واستقر به أتابك العساكر عوضا عن اقبغا التمرازى فلما توجه العسكر الى البلاد الشامية أوقعوا مع النواب فانكسر النواب وأسروهم وقطعوا رؤسهم وأرسلوها الى القاهرة فعلقوها على باب زويلة وقد وقع للملك الظاهر فى أوائل دولته محن عظيمة منها تسحب الملك العزيز من القلعة ومنها ثوب الاتابكى قرقماس عليه ومنها عصيان النواب وحصل له غاية الاضطراب ثم انه أثبت على الاتابكى قرقماس كفرا وحكم به قاضى القضاة المالكى شمس الدين البساطى ومن النوادر ما حكاه بعض المؤرخين ان الاتابكى قرقماس هذا لما أرادوا ضرب عنقه وهو فى السجن أحضروا له المشاعلى فضربه ثلاث ضربات بالسيف فلم يؤثر فيه ذلك ففتشوه فوجدوا فى فمه خاتم فضة وكان قرقماس أصله من مماليك الظاهر برقوق وكان ضرب عنقه وهو بثغر الاسكندرية فى السجن ثم ان الملك الظاهر صفا له الوقت من بعد ذلك وعاش فى أرغد عيش ودام فى السلطنة الى أن مات على فراشه كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه فكان كما قيل فى المعنى

لاتسأل الدهر فى بأساء يكشفها * فلو أردت دوام البؤس لم يدم

844 ﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثمانمائة ﴾ فيها خلع السلطان على القاضى جمال الدين بن البارزى واستقر به كاتب السر الشريف بالديار المصرية وكان القاضى جمال الدين بن البارزى صهر الملك الظاهر چقمق زوج أخته فرقى فى تلك الايام الى الغاية وخلع على القاضى جمال الدين يوسف بن كاتب جكم واستقر به ناظر الخواص الشريفة على

عادته ثم قبض على القاضى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة وصادره واستصفى أمواله فاخذ منه نحو مائتى ألف دينار ثم نفاه الى مكة ثم نقله الى الشام ولما انفصل القاضى عبد الباسط من نظارة الجيش استقر بها القاضى محب الدين بن الاشقر عوضا عن القاضى عبد الباسط وفيها عزل السلطان قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر من القضاء وولى القاضى علم الدين صالح البلقينى فقال القاضى شهاب الدين بن حجر

يا أيها السلطان لا تستمع * فى أمر قاضيك كلام الوشاه
والله لم نسمع بان امرأ * أهدى له قط ولا قد رشاه

فأقام القاضى علم الدين البلقينى فى قضاء القضاة مدة يسيرة وعزل عنها ثم أعيد ابن حجر الى القضاء ثانى مرة ﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثمانمائة ﴾ فيها كانت وفاة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبى الفتح داود بن المتوكل وكانت خلافته ثمانيا وعشرين سنة وشهرين وقد بايع فى أيامه من السلاطين ستة وهم المظفر أحمد بن المؤيد شيخ والظاهر ططر وابنه والاشرف برسباى وابنه والملك الظاهر جقمق ولما مات الخليفة داود نزل السلطان وصلى عليه وكان كثير البر والصدقات وكانت وفاته فى يوم الاحد رابع ربيع الاول من هذه السنة وفى هذه السنة كان وفاء النيل فى رابع عشر أبيب وقد وقع مثل ذلك فى أيامه مرتين وفيها عزل البدر العينى عن الحسبة وتولى الشيخ على العجمى الخراسانى وفيها توفى الشيخ تقى الدين المقريزى المؤرخ والاصح انه توفى سنة ست وأربعين لا فى السنة المذكورة ولما مات المعتضد تولى من بعده أخاه سليمان بن المتوكل ولقب بالمستكفى بالله فقال الناس ورث سليمان داود ﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين وثمانمائة ﴾ فيها من الحوادث ان طائفة من العبيد السود خامروا على استاذهم وعدوا بالجيزة فأقاموا هناك وأظهروا العصيان وجعلوا لهم سلطانا ووزيرا وأميرا كبيرا ودواداروا وصار سلطانهم يركب وعلى رأسه صنجق أصفر وحوله جماعة من العبيد نحو من خمسمائة عبد فصاروا يفسدون هناك وينهبون ما يمر عليهم من غلال وغير ذلك فحصل للناس منهم غاية الاذى فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم بعض الامراء ومعه جماعة من المماليك السلطانية فعدوا اليهم وأوقعوا معهم فانكسر العبيد وأسر سلطانهم ومسك منهم جماعة وهرب الباقون ورجعوا الى القاهرة فرسم السلطان ونادى فى القاهرة بان كل من كان له عبد كبير يطلع به الى باب السلسلة ويقبض ثمنه اثنى عشر دينارا فامتثل الناس ذلك فاشترى منهم السلطان جماعة وأرسلهم الى بلاد ابن عثمان ورسم ببيعهم هناك فتوجهوا بهم فى مركب وهم فى الخشب وباعوهم هناك وقطع جادرة العبيد الشناترة من مصر وخمدت تلك الفتنة التى كانت بين العبيد انتهى وفيها كان قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى محتسب

845

846

القاهرة فكان يعزر السوقة بذهاب المال فمن وجد فى بضاعته غشا يرسلها الى الحبوس
847 فيأكلها المحبوسون فكان يعزر بذلك ﴿ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثمانمائة﴾ فيها
تزايدت عظمة القاضى زين الدين أبى الخير بن النحاس حتى صار وكيل بيت المال وناظر
الكسوة وناظر الجوالى فانفرد بالسلطان حتى قيل كان السلطان قصد ان يزوجه باحدى
بناته وقد صار عزيز مصر فى أيامه وأبطل كلمة جميع المباشرين واجتمعت فيه الكلمة وصار
صاحب الحل والعقد بمصر كما قيل فى المعنى

يقول بيت المال لما رأى * تدبيره ذاك الجلى الجليل
الله أعطانى وكيلا رضا * فحسبى الله ونعم الوكيل

848 ﴿ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثمانمائة﴾ فيها أرسل السلطان خلف القاضى عبد الباسط
وكان منفيا بمكة فلما حضر أكرمه السلطان وأقام فى بيته بطالا وهو فى غاية العز والعظمة
وكان يطلع الى السلطان فى رأس كل شهر ويهنى به فيكرمه السلطان ويعظمه واستمر على
ذلك حتى مات وفيها وثب مماليك الامير تغرى بردى المؤذى عليه وهو فى بيته فرموا عليه
بالنشاب وهو جالس فى المقعد فهرب ودخل الى البيت وأغلق عليه الباب فاستمروا
يحاصرونه من أول النهار الى العصر واستمر من الطربة مريضا الى ان مات فلما مات خلع
849 السلطان على الامير اينال العلائى واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عنه ﴿ثم دخلت سنة
تسع وأربعين وثمانمائة﴾ فيها وقع الطاعون بالديار المصرية ومات فيه من الناس مالا
يحصى عددهم لكنه كان خفيفا بالنسبة الى الطاعون الذى جاء فى أيام الاشرف برسباى
وفيه يقول الشيخ شمس الدين النواجى

يا الها أهدى الى الخلق رحمى * بوباء جم الثواب العظيم
قد شريت النفوس منا فخذها * بالرضا فى قضائك والتسليم

وفيها كان مولد الشيخ جلال الدين بن الشيخ كمال الدين الاسيوطى وذلك فى جمادى الآخرة
من تلك السنة وفيها توفى الاتابكى يشبك السودونى واستقر فى الاتابكية اينال العلائى
الاجرود وكان دوادارا كبيرا واستقر بالامير قاتباى الجركسى دوادارا كبيرا عوضا عن
الامير اينال المعلائى وفيها تولى الشيخ شمس الدين محمد القاياتى قاضى القضاة الشافعية
عوضا عن ابن حجر فقال الشهاب المنصورى فى القاياتى تعصبا لابن حجر

ان كان شمس الدين قاياتيكم * مستثقل الحركات والسكنات
لا غرو أن أضحى جبانا فى الورى * فالجبن منسوب الى القايات

وفيها تزايدت عظمة الامير زين الدين الحبى استادار العالية ورقى فى أيام الملك الظاهر
هذا الى الغاية وهو صاحب الجامع الذى بالحبانية والجامع الذى فى بولاق والجامع الذى

بين السورين وله عدة جوامع بمصر وغيرها وكان له حرمة وافرة وكلمة نافذة وكان الملك الظاهر
منقاد اله لا يسمع فيه مرافعة ولم يجئ بعده من يناطيه في الاستدارية بل كان آخرهم
﴿ثم دخلت سنة خمسين وثمانمائة﴾ فيها تغير خاطر السلطان على الامير جانى بك الظاهرى 850
حاجب الحجاب بسبب عبد قاسم الكاشف الذى كان قد اشتهر بالصلاح فنفى الامير جانى بك
الى ثغر دمياط لامر أوجب ذلك وفيها رسم السلطان باعادة مولد سيدى أحمد البدوى بعد
ما كان بطل وفيها هجم الفيل الكبير على سايسه وقتله فلما بلغ السلطان رسم بقتل الفيل
وفيها أحضر السلطان الامير خشقدم الناصرى من الشام فلما حضر أنعم عليه بتقدمة
ألف ﴿ثم دخلت سنة احدى وخمسين وثمانمائة﴾ فيها تغير خاطر السلطان على الشيخ 851
برهان الدين البقاعى وقد وقف شخص وشكاه للسلطان فأمر بسجنه بالمقشرة وأخرج عنه
وظيفته فى قراءة الحديث ثم نفاه الى الهند حتى شفع فيه بعض الامراء ﴿ثم دخلت سنة 852
اثنتين وخمسين وثمانمائة﴾ فيها كانت وفاة الشيخ الصالح السيد الشريف الحسيب
النسيب شمس الدين محمد الطباطبى أعاد الله علينا من بركاته ودفن بالقرافة الكبرى عند
الشيخ فضل الله بن فضالة وفى هذه السنة كان مولدى وذلك فى يوم السبت سادس ربيع
الآخر من السنة المذكورة هكذا نقلته من خط والدى رحمة الله عليه وفيها من الحوادث
ان السلطان رسم بسد خوخة الجسر التى ببركة الرطلى لامر أوجب ذلك فحصل عند الناس
اضطراب زائد بسبب ذلك ثم تكلم فى ذلك الجمالى يوسف ناظر الخاص فرسم باعادة كل
شئ على حاله وفيها تولى قاضى القضاة الشافعية الشيخ شرف الدين يحيى المناوى وكان
قاضيا على القدر دينا خيرا من أهل العلم والصلاح وفيها من الحوادث ان شخصا أعجميا
يسمى الشيخ أسد الدين كان يدعى انه شريف فجاء الى الشيخ على المحتسب وقال له أجمعنى
على السلطان فانى أعرف صنعة الكيمياء فجمعه عليه فأوحى اليه انه يطبخ له كيمياء وان هذا
وجه حل فانطاع السلطان الى كلامه وأجرى عليه ما يحتاج اليه من اسباب ذلك وصرف
عليه جملة مال نحو من عشرة آلاف دينار ولم تصح معه الكيمياء فكان يأخذ الحرير الاحمر
بالارطال ويوقده فى النار ولا يأكل شيأ فيه روح فاتلف على الملك الظاهر جملة مال ولم يفد
ذلك شيأ فكان كما قيل فى المعنى

كاف الكنوز وكاف الكيمياء معا * لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا
وقد تحدث قوم باجتماعهما * وما أظنهما كانا ولا اجتمعا

فأوحوا الى السلطان ان هذا يعبد النار وتحدثوا فى حقه بكلمات كثيرة فارسله السلطان
الى المدرسة الصالحية فحكم فيه بعض نواب القاضى المالكى بدر الدين التونسى بانه كفر
فضربوا عنقه تحت شباك الصالحية وكان له يوم مشهود ﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين 853

وثمانمائة ﴿ فيها توقف النيل عن الوفاء ثلاثة أصابع وقيل أربعة وأقام على ذلك أياما لم يزد شيأ فرسم السلطان بأن يخرج الناس للاستسقاء فخرج القضاة الاربعة وأمير المؤمنين المستكفي بالله سليمان ومشايخ العلم والصلحاء وأعيان الناس ولم ينزل السلطان فعز ذلك على الناس وقد تقدم ان الملك المؤيد شيخ نزل بنفسه واستسقى مع الناس وكان عليه جبة صوف أبيض فلم يوافق الملك الظاهر على ذلك ثم خرج أطفال المكاتب وعلى رؤسهم المصاحف وخرج طائفة اليهود وعلى رؤسهم التوراة وخرج طائفة النصارى وعلى رؤسهم الانجيل وأخرجوا معهم بعض أبقار وأغنام وخرج معهم السواد الاعظم من رجال ونساء وأطفال رضع والخلق يستغيثون يا الله ارحمنا وكان يوما تسكب فيه العبرات فتوجهوا نحو الصحراء عند الجبل الاحمر وأحضروا هناك منبرا وكان قاضي القضاة الشافعية يومئذ القاضي شرف الدين يحيي المناوي فصعد المنبر وخطب خطبة الاستسقاء على جاري العادة فلما أراد ان يحول رداءه كما جرت به العادة في خطبة الاستسقاء سقط الرداء الى الارض فتطير الناس من ذلك فلما رجعوا من الاستسقاء طلع ابن أبي الرداد ومعه رايات زعفران ونادى بزيادة أصبع ففرح الناس بذلك وأنعم السلطان على ابن أبي الرداد بمائة دينار بسبب هذه الزيادة ثم ان البحر نقص في تلك الليلة اصبعين ومن النكت اللطيفة ان بعض العلماء خرج في بغداد ليستسقي بالناس وكان في السماء بعض سحاب وقت خروجه فلما خرج ودعا للناس ورفع يديه بالدعاء تقطع السحاب وصحت السماء من الغيم فجعل ذلك العالم ودفع الى منزله وفي ذلك يقول بعض الشعراء

خرجنا لنستسقي بفضل دعائه * وقد كاد سحب الغيم أن يلحق الارضا
فلما ابتدا يدعو تكشفت السما * فما تم الا والسحاب قد انقضا

فلما نزل البحر وقد بقي على الوفاء ثمانية أصابع رسم السلطان بان يكسروا السد ان زاد البحر أولم يزد فكسروا السد فلم يجر الماء الا قليلا فدخل غالب الماء الى بركة الفيل من البجمون ثم نزل البحر من بعد ذلك ولم يزد شيأ فاضطربت أحوال الديار المصرية وماجت الناس على بعضها وحصل الضرر الشامل وشرقت البلاد وعزت الاقوات وشحط السعر في القمح والشعير والفول وسائر الحبوب وتزايد سعر كل شئ وتناهى سعر القمح الى خمسة أشرفية كل اردب ثم تناهى الى سبعة أشرفية كل اردب وغلا سعر كل شئ من البضائع حتى روايا الماء وعم الغلاء سائر البلاد وشرقت غالب البساتين وماتت الاشجار وماتت البهائم فلما جرى ذلك حول الامراء عشونهم الى بيوتهم ومعهم مما اليكهم ملبسة خوفا من العوام أن ينهبوا القمح ثم ان العوام رجموا القاضي أبا الخير بن النحاس وكيل بيت المال وقد بلغهم عنه انه قال للسلطان ان العوام يأكلون بذهبهم حشيشا ويأكلون

فوقه بار بعة أنصاف حلوى فالذى يأكلون به حلوى يا كلون به خبز افرجموه وهو نازل من القلعة وخطفوا عمامته من على رأسه وأخذوا خواتمه من أصابعه ثم رجموا العلائى على بن القيسى محتسب القاهرة بسبب الخبز فانه وصل سعر كل رطل خبز نصفى فضة وقاسى الصاحب أمين الدين بن الهيصم والامير زين الدين الاستادار فى هذه الغلوة من المماليك مالا خير فيه وصاروا يضربونهم ويرجمونهم وتشحط اللحم والجبن وسائر البضائع حتى الروايا الماء واستمرت هذه الغلوة نحو سنتين وقد رثى بعض الشعراء الخبز لما عز وتشحط بقوله

قسما بلوح الخبز عند خروجه * من فرنه وله الغداة فوار
ورغائف منه تروقك وهى فى * سحب الثفال كأنها أقمار
من كل مصقول السوالف أحمر الـ * ـخدين للشونيز فيه عذار
كالفضة البيضاء لكن يغتدى * ذهبا اذا قويت عليه النار
تلقى عليه فى الخوان جلالة * لا تستطيع تحده الابصار
فكأن باطنه بكفك درهم * وكأن ظاهر لونه دينار
ما كان أجهلنا بواجب حقه * لولم تبينه لنا الاسعار
ان دام هذا السعر فاعلم انه * لاحبة تبقى ولا معيار

ثم وقع الطاعون فى هذه السنة أيضا بالديار المصرية ومات فيه ما لا يحصى عددهم من مماليك وأطفال وجوارى وعبيد وغربا حتى قيل كان يموت فى كل يوم نحو عشرة آلاف انسان وفى ذلك يقول شمس الدين النواجى

رب نج الانام من هول طعن * قد قضى غالب الورى فيه نحبه
رخصت قيمة النفوس فأضحت * كل روح تباع فيه بحبه

وفى أواخر هذه السنة كانت وفاة القاضى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة كان فكانت وفاته فى سادس شوال من السنة المذكورة وكان له بر ومعروف وفعل خير وأنشأ عدة مدارس بمصر ومكة والمدينة وبيت المقدس وكان له سحابة تطلع فى كل سنة برسم الحجاج المنقطعين وقطع من طريق العقبة وأرسل حجارين قطعوا منها ما كان يشوش على الحجاج وكان القاضى عبد الباسط عزيز مصر فى أيامه فلما مات تزوج الملك الظاهر بينته والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثمانمائة ﴾ (١) فيها كانت وفاة شيخ الاسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الكنانى الشافعى رحمة الله تعالى عليه وكانت جنازته مشهودة ولما مات لم يخلفه أحد من العلماء من بعده وقد رثاه الشيخ شهاب الدين المنصورى بقصيدة منها

854

بكاك العلم حتى النحو اضحى * مع التصريف بعدك فى جدال

(١) فى الشذرات وغيرها ان وفاة ابن حجر كانت سنة ٨٥٢

وقد

وقد أضحى البديع بلا بيان * وقد سلفت معانيه الغوالى
وقد درست دروس العلم حزنا * وقد ضل الجواب عن السؤال
تنكرت المعارف فى عيانى * وتميزى غدا فى سوء حال
وما عوضت من بدل وعطف * سوى توكيد سقمى واعتلالى
وكم جنت المنون على كرام * وجندلت الكمى بلا قتال
فيا قبرا ثوى فيه تهنى * فقد حوت الجميل مع الجمال
سقاك الله عينا سلسبيلا * وأسبغ ما عليك من الظلال

855 ﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثمانمائة﴾ فيها وفاة أمير المؤمنين المستكفى بالله سليمان ابن المتوكل على الله محمد وكانت وفاته فى يوم الجمعة ثانى المحرم من السنة المذكورة فكانت مدة خلافته نحو عشر سنين ولما مات نزل السلطان وصلى عليه ومشى فى جنازته حتى دفن عند أقاربه بالمشهد النفيسى ومات ولم يعهد لأحد من اخوته فلما كان يوم الاثنين خامس المحرم عقد السلطان مجلسا بالقصر الكبير وجمع فيه القضاة الاربعة وهم قاضى القضاة الشافعية شرف الدين يحيى المناوى وقاضى قضاة الحنفية سعد الدين الديرى وقاضى القضاة الحنابلة عز الدين الحنبلى وقاضى القضاة المالكية شمس الدين البساطى وكان المتكلم فى ذلك المجلس القاضى كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر الشريف فلما تكامل المجلس وقع الاختيار على تولية حمزة بن المتوكل وكان أسن اخوته فولاه السلطان ثم ان القاضى كمال الدين بن المبارك البارزى استرعى السلطان مبايعة الخليفة حمزة ولقبوه بالقائم بأمر الله ثم أحضروا له التشريف فالبسوه له ونزل من القلعة فى موكب عظيم وقدامه القضاة الاربعة وأعيان الناس حتى وصل الى بيته وهو فى غاية العظمة فكان أحق بقول القائل

كل يهنيك بالتشريف محتفلا * يا من بأيامه المعروف معروف
لكننى بك أختار الهناء له * فان قدرك للتشريف تشريف

ومن الحوادث ان السلطان رسم بحرق شخوص خيال الظل جميعها وأبطلها ورسم بابطال نوبة خاتون التى كانت تعزف بالقلعة بعد العشاء وفيها توفى العلامة قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى صاحب التاريخ البدرى

856 ﴿ثم دخلت سنة ست وخمسين وثمانمائة﴾ فيها توفى القاضى كمال الدين ابن القاضى ناصر الدين البارزى كاتب السر الشريف بالديار المصرية فلما أن توفى القاضى كمال الدين بن البارزى خلع الملك الظاهر على القاضى محب الدين بن الاشقر واستقر به كاتب السر الشريف بالديار المصرية عوضا عن القاضى كمال الدين بن البارزى وخلع على القاضى جمال الدين يوسف واستقر به ناظر الجيوش المنصورة مع ما بيده من نظارة الخاص (أقول) كان القاضى كمال الدين بن البارزى

من أهل الفضل والعلم وله خط جيد وعبارة حسنة وكان له نظم رقيق وقد فاق والده القاضي ناصر الدين البارزي ❁ ومن النكت اللطيفة قيل كتب القاضي ناصر الدين البارزي تقريظا وقد استوفى الى آخر الورقة فلما فرغ قالوا له لابد من كتابة ولدك القاضي كمال الدين على هذا التقريظ فأمره بأن يكتب تحت خطه ولم يبق من الورقة الا قدر اصبعين فكتب القاضي كمال الدين تحت خط والده

مرت على فهمي وحلو لفظها * مكررفا عسى أن أصنعا
ووالدي دام بقاء سوددة * لم يبق فيها للكمال موضعا

فانظر الى حسن أدبه مع بلوغ القصد وحسن ما وقع له بالتورية مع تضمين اسمه وعدم الحشو وحسن المقابلة بين الحلو والمر وهذا في غاية الرقة انتهى ذلك ❁ ومن الحوادث في أيام الملك الظاهر حقمق أن البلاد لما شرقت رسم للمقطعين بان البلاد التي رويت من ماء النيل في تلك السنة يأخذون عنها من الفلاحين القطيعة قطيعتين ففعلوا ذلك ومشى هذا الامر ❁ ومن الحوادث في أيامه أن بركات أمير مكة كان قد أظهر العصيان فتوجه اليه القاضي شرف الدين الانصاري فحضر صحبته فلما وصل نزل اليه السلطان ولاقاه من المطعم فدخل صحبته وطلع الى القلعة فخلع عليه وأكرمه وزالت تلك الوحشة التي كانت بينهما ❁ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثمانمائة فيها توعك جسد السلطان ولزم الفراش وسلسل في المرض فلما ثقل عليه الضعف أرسل خلف أمير المؤمنين القائم بالله حمزة والقضاة الاربعة فلما حضروا عهد بالملك الى ولده المقر الفخري عثمان وخلع نفسه من السلطنة واستمر عليلا ملازم الفراش الى أن توفي في ليلة الثلاثاء رابع شهر صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة فغسلوه وكفنوه وصلى عليه الخليفة حمزة بالقلعة ونزلوا به من باب المدرج وتوجهوا به الى تربة قانباى الجركسي التي عند دار الضيافة فدفن هناك وكثر عليه الحزن والاسف من الناس وقيل مات وله من العمر نحو احدى وثمانين سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ومامع ذلك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ويوما وقيل يومين وكان ملكا عظيما جليلا ديناخيرا متواضعا كريما يحب فعل الخير وكان عنده لين جانب يحب العلماء وينقاد الى الشريعة ويقوم الى العلماء اذا دخلوا عليه وكان يحب الايتام ويكتب لهم الجوامك ولا يخرج اقطاع من له ولدا الا الى ولده وكانت الدنيا في أيامه هادئة من الفتن والتجاريد وكان يحسن للامراء التراكمة ويعطيهم العطايا الجزيلة فكانوا تحت طاعته في مدة ولايته وكان الملك الظاهر طاهر الذيل عفيفا عن الزنا واللواط وكانت صفته معتدل القامة غليظ الجسد دري اللون مستدير الوجه مستدير اللحية حسن الشكل عليه وقار وسكينة مهيبا في العيون وكان فصيح اللسان بالعربية متفقها وله مسائل في الفقه عويصة

857

ترجع له فيها العلماء لكنه كان صاحب ودينة ماشيا على قاعدة الاترالذ عنده الدعوى لمن سبق وكان عنده حدة زائدة وبادرة فى الامر ومن مساويه أنه كان عنده خرق فى حق العلماء منها أنه سجن قاضى القضاة ولى الدين السقطى فى المقشرة ومنها أنه عزر الشيخ شمس الدين الكاتب فى وسط الصالحية وكان يكره جماعة الاشرف برسباى ونفى منهم جماعة ونفى أبا الخير بن النحاس الذى ما كان عنده أعظم منه وسجنه بالديلم أياما وسجن جماعة كثيرة من العلماء بالمقشرة وصادر القاضى عبد الباسط وأخذ أمواله وأثبت على الاتابكى قرقماس الشعبانى كفرا وأرسل بضرب عنقه بثغر الاسكندرية وأثبت على الامير يخشباى كفرا وضرب عنقه وكان اذا سمع بأن أحدا يسكر ينفيه ويقطع جامكيته ويخرج اقطاعه وغضب فى وقت على النصارى فهدم جانبا من كنائسهم وحجر على بيع النبيذ وكتب على اليهود والنصارى قسائم أن لا يعصروا خمرا ثم كبس البيوت والحارات بسبب ذلك وأراق من الخمور أشياء كثيرة ثم أمر بسد خوخة باب الجسر التى عند بركة الرطلى فأقام مسدودا أياما ثم رسم بفتحه وكان له أشياء كثيرة من هذا النمط بحسب الوسائط السوء وبالجملة كانت محاسنه أكثر من مساويه وكان خيار ملوك الترك من الجراكسة بالنسبة الى غيره من الملوك كما قيل فى المعنى

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء فضلا أن تعد معايبه

ولما مات الملك الظاهر خلف من الاولاد ثلاثة صبيا وبنتين وهم الملك المنصور عثمان الذى تسلطن بعده وأما البنتان فاحداهما من خوند التى هى بنت البارزى تزوجت بالاتابكى أزبك والاخرى تزوجت بالامير جانبك الظريف أولا ثم تزوجت بالاتابكى أزبك بعد موت أختها وأما نساؤه فخوند بنت البارزى أولا وخوند بنت الامير جرباش الكريمى قاشق أمير سلاح وخوند بنت ابن عثمان وخوند الجركسية وتزوج بنت عبد الباسط ناظر الجيش وكانت دولته ثابتة القواعد وأما أمراؤه الاتابكية فالامير قرقماس الشعبانى أولا ثم الامير اقبغا التمرازى ثم الامير يشبك السودونى ثم الامير اينال العلائى وأما دواداريانه فالامير اركماس الظاهرى أولا ثم الامير تغرى بردى المؤذى ثم الامير اينال العلائى ثم قانباى الجركسى ثم الامير دولاتباى المؤيدى وأما قضاته الشافعية فالقاضى شهاب الدين بن حجر أولا ثم القاضى علم الدين صالح البلقينى والقاضى شمس الدين القاياتى والقاضى ولى الدين السقطى والقاضى شرف الدين يحيى المناوى وأما قضاته الحنفية فالقاضى سعد الدين بن الديرى وأما قضاته المالكية فالقاضى شمس الدين محمد البساطى أولا ثم القاضى بدر الدين بن التونسى ثم القاضى ولى الدين الاموى وأما قضاته الحنابلة فالقاضى محب الدين العسقلانى أولا ثم القاضى بدر الدين البغدادى والقاضى عز الدين الحنبلى وأما كتاب سره فالقاضى

بدر الدين بن مزهر أولا والقاضي كمال الدين بن البارزي والقاضي محب الدين بن الاشقر من بعده وأما نظار جيوشه فالقاضي عبد الباسط أولا ثم القاضي محب الدين بن الاشقر والقاضي جمال الدين يوسف بن كاتب جكم وأما نظار الخواص الشريفة فالقاضي جمال الدين يوسف بن كاتب جكم المذكور وأما وزراؤه فالصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخات والصاحب أمين الدين بن الهيصم وأما استدارياته فالامير عبد الرحمن بن الكويز والامير زين الدين يحيى وتولى غير هؤلاء جماعة لم تطل مدتهم بها فلم نذكرهم ههنا وأما من تولى الحسبة في أيامه فالقاضي محمود العيني والشيخ علي العجمي والعلائي علي بن القيسي وعبد العزيز بن محمد الصغير أيضا وأما ولاة القاهرة في أيامه فمنصور بن الطبلاوي وجاني بك وقراجا وعلي بن القيسي وغير ذلك من الاتراك وغيرهم وأما من توفي في أيامه من الاعيان فهم الخليفة داود والخليفة سليمان وقاضي القضاة شمس الدين البساطي المالكي وقاضي القضاة ولي الدين السقطي الشافعي وقاضي القضاة محب الدين العسقلاني الحنبلي وقاضي القضاة بدر الدين البغدادي الحنبلي وقاضي القضاة بدر الدين التونسي المالكي وقاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي وهو صاحب التاريخ البدري وكان العيني من أهل الفضل وله عدة مصنفات في علوم جليلة وكان له شعر جيد وفيه يقول بعض الموالة هذه الابيات المواليا وقد جمع فيها الفنون السبعة وهو قوله

قوما لدو بيت قاضي قد زجل شيني * بكان وكان امتدح بين الورى زيني
وانقل موشح مواليا بلا مين * فابحر الشعر مجراها من العيني

وتوفي في أيام الملك الظاهر ولده المقر الناصري محمد وتوفي القاضي الوفائي وابن الجزري شيخ القراآت وتوفي الحافظ عبد الرحيم الحموي المحدث وتوفي شيخ الزهاد محمد بن سلطان والشيخ كمال الدين المجذوب والشيخ عبادة المالكي والشيخ شمس الدين الحنفي والشيخ أبو الفتح بن أبي الوفاء والامير جوهر اللالا الزمام القنقبائي الخازندار وتوفي في أيامه جماعة كثيرة من الامراء المقدمين وأعيان الناس من الاكابر وتوفي في أيامه من الشعراء الشيخ تقي الدين بن حجة صاحب شرح البديعية توفي بحماه وتوفي الشيخ شهاب الدين بن مبارك شاه وكان من أعيان الشعراء وتوفي الشيخ شمس الدين بن كميل وكان له شعر جيد وتوفي البدر البشتكي من أعيان الشعراء وتوفي الشيخ شمس الدين النواجي صاحب حلبة الكميت وكان من أعيان الشعراء وقد رثاه الشهاب المنصوري حيث قال

رحم الله النواجي فقد * فقد الدنيا وأبقى ماروى
وانطوى في شقة البين فيا * حسرة العشاق من بعد النوا جي

انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك الظاهر جقمق العلائي الظاهري وذلك على سبيل الاختصار والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر سلطنة الملك المنصور أبى السعادات فخر الدين عثمان ابن الملك الظاهر جقمق العلائى

وهو الخامس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الحادى عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد وبويع بالسلطنة بعد خلع أبيه من السلطنة فى يوم الخميس حادى عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة تسلطن وله من العمر نحو تسع عشرة سنة وكانت أمه أم ولد رومية الجنس فلبس خلعة السلطنة من الدهيشة وركب وتوجه الى القصر الكبير والاتابكى اينال العلائى حامل القبة والطير على رأسه فلما جلس على سرير الملك باست له الامراء الارض ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وضج له الناس بالدعاء هذا كله ووالده الظاهر فى قيد الحياة فاقام اثنى عشر يوما حتى توفى والده فلما تم أمره فى السلطنة خلع على الامير تمربغا واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عن الامير دولاتباى المؤيدى ثم انه قبض على الامير زين الدين استادار وكان بينه وبينه حظ نفسى من أيام والده فلما قبض عليه لم يرث له وسلمه الى الامير فيروز الزمام ثم خلع على الامير جانى بك نائب جدة واستقر به استادارا عوضا عن زين الدين ثم نقل زين الدين من عند فيروز الزمام وسلمه الى الامير جانى بك نائب جدة فعاقبه وأحضر اليه المعاصير وعصره فى أركابه حتى كسرها واستخرج منه نحو أربعين ألف دينار واستمر فى العقوبة اياما وفيه يقول بعض الشعراء

أخبار زين الدين قد شاعت بها * أعداؤه بين الورى تتعهد

لا غروان هم بالغوا فى عصره * فالكرم يعصر والجواد يقيد

ثم ان الملك المنصور أخذ فى أسباب نفقته على العسكر ولم يكن فى الخزائن شئ من المال قيل خلف الملك الظاهر جقمق فى الخزائن من المال ثلاثين ألف دينار لا غير فشكا ذلك الى القاضى جمال الدين يوسف ناظر الخاص فقال على ذلك ثم ضرب دنانير ذهب ينقص كل دينار عن الاشرفى قيراطين وسماها المناصرة فضرب منها جملة كثيرة وأراد أن ينفق ذلك على العسكر ولما كان يوم الاثنين مستهل ربيع الاول من سنة سبع وخمسين وثمانمائة وثب المماليك الاشرفية والمؤيدية والتف عليهم جماعة من المماليك السيفية فلما وثبوا توجهوا الى بيت الاتابكى اينال العلائى فاركبوه غصبا وأتوا به الى البيت الكبير الذى عند حدرة البقر فلما استقر به أرسل خلف أمير المؤمنين حمزة فلما حضر أخذ فى أسباب خلع الملك المنصور عثمان فكتبوا محضرا وشهد فيه جماعة

الخاصكية بما يوجب خلعه فخلع من السلطنة وبويع الاتابكى اينال بالسلطنة واستمر الحرب ثائرا بين الفريقين من يوم الاثنين الى يوم الاحد سابع ربيع الاول فانكسر الملك المنصور عثمان فى ذلك اليوم وكان الملك المنصور أرسل يحضر عربانا من الشرقية وعربانا من البحيرة فمنعه من ذلك الامير قانباى الجركسى وما مكنه من ذلك وقال تطمع العرب فى الترك ولا زال اينال يحاصر الملك المنصور وهو بالقلعة وقطع عنه الماء ومنع عنه الاكل حتى ضجروا نكسر فلك اينال باب القلعة وولوا الظاهرية منهزمين كانهم لم يكونوا فلما تسلطن اينال قبض على الملك المنصور وقيده وسجنه بالبحيرة وهو مقيد فاقام بها الى يوم الاحد ثامن عشرى ربيع الاول فأنزلوه من القلعة من باب القرافة وهو مقيد الى أن وصلوا به البحر فأنزلوه فى الحراقة وتوجهوا به الى السجن بثغر الاسكندرية وكان المتسفر عليه الامير خير بك الاشقر اميراخور ثانى فلما وصل الى الاسكندرية سجن بها ورجع الامير خير بك فكانت مدة سلطنة الملك المنصور عثمان ثلاثة وأربعين يوما وكانت كسنة من النوم أو يوم أو بعض يوم كما قيل فى المعنى

فلم يقسم الابقداران * قلت له أهلا أخى مرحبا

واستمر الملك المنصور بثغر الاسكندرية الى دولة الملك الظاهر خشقدم فرسم له بالاطلاق وأن يسكن فى بعض دور الاسكندرية وأن يركب الى صلاة الجمعة واستمر على ذلك الى دولة الاشرف قايتباى فنقله الى ثغر دمياط وكان يركب ويتصيد ثم طلب من السلطان اذنا بان يحج فانعم له بذلك فحضر الى القاهرة وطلع الى القلعة فاكرمه السلطان وخلع عليه ثم أقام له بركا وسنيحا وتوجه الى الحجاز فحج وعاد الى القاهرة وأقام بها نحوا من شهرين ففى هذه المدة كان يطلع القلعة ويضرب الاكرة مع السلطان ورسم له السلطان بان يتوشح بيند أصفر حين يلعب الاكرة فكان فى غاية العز والعظم وكان الملك الاشرف قايتباى مملوك أبيه الظاهر جقمق والاتابكى مملوك أبيه وصهر زوج أخته وسائر الامراء الظاهرية مماليك أبيه وكان الاتابكى تمراز الشمسى متزوجا ببنت الملك المنصور فساعدته الاقدار من كل جانب ثم رسم له السلطان بالعود الى ثغر دمياط وأقام فيها حتى توفى بها اثناء دولة الملك الاشرف قايتباى ونقل بعد موته من دمياط ودفن فى تربة أبيه الملك الظاهر ومات الملك المنصور وله من العمر أربع وخمسون سنة وكان كريما سخيا لين الجانب انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق العلائى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف ابى النصر سيف الدين اينال العلائى الظاهرى

وهو السادس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثانى عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم يويع بالسلطنة بعد خلع الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق وذلك فى يوم الاثنين ثامن ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وتلقب بالملك الاشرف وقد تقدم أن جماعة من الاشرفية والمؤيدية والمماليك السيفية لما وثبوا على الملك المنصور توجهوا الى بيت الاتابكى اينال وأركبوه غصبا وأتوا به الى حدرة البقر فى بيت قوصون فجلس به وأرسل خلف أمير المؤمنين جزة فلما حضر قام فى سلطنة الاتابكى اينال غاية القيام وخلع الملك المنصور من السلطنة قبل أن ينكسر وبايع الاتابكى اينال ونودى باسمه فى القاهرة واستمر الحرب ثائرا بينهم سبعة أيام وقتل فى هذه المدة من الناس مالا يحصى وآخر الامر انكسر الملك المنصور وملك اينال باب السلسلة فلما استقر بباب السلسلة بعث جماعة من الاشرفية قبضوا على الملك المنصور وقيدوه وأدخلوه البحرة وقبضوا على جماعة من الظاهرية فباتت ليلة الاثنين فى باب السلسلة فلما كان يوم الاثنين أحضر اليه شعار الملك وأفيض عليه وقدمت له فرس النوبة فركب من سلم الحراقة وحملت القبة والطير على رأسه وولده الشهابى أحمد ومشت قدامه الامراء حتى طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباس له الامراء الارض ودقت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت الاصوات بالدعاء له من الخاص والعام (أقول) وكان أصل الملك الاشرف اينال جركسى الجنس جلبه الخواجا علاء الدين على فاشتراه منه الملك الظاهر برقوق وصار من جملة مماليكه فلما توفى الملك الظاهر برقوق وتولى بعده ابنه الناصر فرج أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وبقى جمدارا ثم بقى أمير عشرة فى دولة الملك المظفر أحمد ابن المؤيد شيخ ثم بقى أمير طبلخاناه رأس نوبة ثانى فى دولة الملك الاشرف برسباى ثم بقى نائب غزة مع الاشرف برسباى ولما توجه الى آمد جعله نائب الرها وذلك فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة ثم أحضره الاشرف برسباى الى القاهرة وأنعم عليه بتقدمة ألف واستمرت نيابة الرها بيده زيادة عن التقدمة ثم نقله الاشرف الى نيابة صفد وخرج اليها فى سنة أربعين وثمانمائة واستمر بصفد الى دولة الظاهر جقمق فبعث خلفه فلما أحضره قرره فى تقدمة تغرى بردى المؤذى فلما توفى الاتابكى يشبك السودونى قرر فى الاتابكية عوضا عن يشبك السودونى وذلك فى سنة تسع وأربعين وثمانمائة واستمر على

ذلك حتى توفى الظاهر جقمق وتولى ابنه الملك المنصور عثمان فوثب عليه العسكر
وتوجهوا الى بيت الاتابكى اينال فاركبوه غصبا وأقام الحرب ثائرا بينهم سبعة أيام فلما
انكسر المنصور وقع الاتفاق على سلطنته فسلطنوه وتلقب بالملك الاشرف فلما تم أمره
فى السلطنة وجلس على سرير الملك أخذ فى تدبير أمره واصلاح شأنه ثم انه عين الاتابكية
لولده المقر الشهابى أحمد فعز ذلك على الامراء فقرر فيها ثانى بك البردبكى وخلع عليه وأقره
فى الاتابكية عوضا عن ولده وأنعم على ولده الشهابى أحمد بتقدمة ألف ثم عمل الموكب وخلع
على الامير خشقدم وقرره أمير سلاح عوضا عن تنم بن عبد الرزاق وخلع على طوخ
بوبتى بازق وقرره أمير مجلس وخلع على قرقماس الجلب وقرره رأس نوبة النوب عوضا
عن اسنبغا الطيار وخلع على جرباش كرت وقرره أمير اخور كبير عوضا عن قانى باى
الجركسى وخلع على يونس الاقباى المؤيدى وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن
تمربغا الظاهرى وخلع على جان بك القرمانى وقرره حاجب الحجاب عوضا عن خشقدم
الناصرى وخلع على تمراز الاينالى الاشرفى وقرره فى الدوادارية الثانية عوضا عن اسباى
وخلع على جانى بك القجماسى الاشرفى وقرره فى شادية الشراب خانه عوضا عن لاجين
الظاهرى وخلع على خيربك الاشقر وقرره أمير اخور ثانى وخلع على جانبك نائب جدة
واستمر متحدثا فى الاستادارية وخلع على قانى باى الاعمش وقرره فى نيابة القلعة وخلع على
يونس العلائى وقرره فى نيابة الاسكندرية وخلع على يشبك الناصرى وقرره رأس نوبة ثانى
وأنعم على جماعة من الامراء بتقادم ألوف منهم ازبغا اليونسى وبرسباى البجاسى وغير ذلك
من الامراء ثم أنعم بامرية طبلخانات وعشراوات على جماعة كثيرة من الامراء منهم جانبك
الظريف وقرره فى الخاندارية الكبرى عوضا عن ازبك بن طوخ وأنعم على بردبك زوج
ابنته بامرية عشرة وقرر يشبك الاشقر فى استدارية الصحبة عوضا عن سنقر أحد الامراء
الظاهرية ثم انه شرع فى ارسال الملك المنصور الى ثغر الاسكندرية فنزل به من باب الدرفيل
وهو مقيد فتوجهوا به الى الاسكندرية فسجن بها بعد ان أنزلوه الى البحر فى الحراقة وتوجهوا
به وكان المتسفر عليه خيربك الاشقر أمير اخور ثانى فسجنه ورجع ثم أنزل من قبض
عليه من الامراء وهم تنم بن عبد الرزاق أمير سلاح وقانى باى الجركسى أمير اخور كبير
وتمربغا الدوادار الكبير ولاجين شاد الشراب خاناه وازبك بن طوخ خازندار كبير
وسنقر العايق وجانم الساقى وجانى بك البواب وسودون الافرم فتوجهوا بالجميع الى ثغر
الاسكندرية فسجنوا بها وهم فى قيود حديد وفى ربيع الاول ابتدأ السلطان بتفرقة
النفقة وهى نفقة البيعة على الجند وكانت قد ضربت قبل ذلك وهى الدنانير المناصرة
تنقص عن وزن الاشرفى قيراطين من ذهب وكان القائم فى ذلك ناظر الخاص يوسف

فلما

فلما تسلطن اينال ضربت باسمه وأنفقها على الجند وجلس السلطان للتفرقة على الجند فأنفق على جماعة من الجند مائة وعلى جماعة منهم خمسين دينارا وعلى جماعة منهم خمسة وعشرين دينارا وعلى جماعة عشرة دنانير وهو أول من شح فى نفقة البيعة وميز الجند بعضا على بعض فكلمه بعض الامراء فى ذلك فاجاب بان الامير تمربغا الدوادار رتب ذلك فى قوائم فى دولة المنصور وقد مضى ذلك على هذا الحكم فما تنبغى الزيادة على ذلك والخزائن مشحونة من المال وان هذا القدر ما تحصل الا من المصادرات من ناظر الخاص يوسف وزين الدين الاستادار وغير ذلك من المباشرين وهذا أول تصرفات اينال فى أحوال أمور المملكة فى الولاية والعزل وفيه توفى جقمق اليشبكى الخاصكى أحد معلمى الرمح وكان ترشح أمره الى نيابة القلعة بمصر وكان شجاعا مقداما فى الحرب جرح فى هذه الواقعة واستمر ملازما للفراش حتى مات وتوفى الشيخ على الرفاعى شيخ المدرسة الاشرفية أشرفية برسباى التى بالصحراء وتوفى شمس الدين الابح كاتب المماليك وتوفى الامير أرنبغا اليونسى الناصرى الذى تقرر فى تقدمة الالف وتوفى جانبك الوالى الزردكاش الكبير وكان من مماليك يشبك الجكمى فلما مات خلع السلطان على نور كار الحاجب الثانى وقرر فى الزردكاشية الكبرى عوضا عن جانبك الوالى وقرر فى الجوبية الثانية سمام الحسنى وقد قرر السلطان جماعة كثيرة من الاشرفية البرسبيهية فى عدة وظائف سنية وقرر منهم جماعة كثيرة رؤس نوب حتى بلغ عدتهم فى أيام دولته فوق الخمسة والعشرين أميرا رأس نوبة وقرر عدة دوادارية فوق عشرة آنفار وعدة سقاة وبوابين وفرق الاقطاعات على غالب المماليك الاشرفية وقبض على جماعة كثيرة من مماليك الظاهر ونفى منهم جماعة من أعيانهم الى بلاد الشام ونفى منهم جماعة الى الوجه القبلى نحو قوص فاستقامت أموره فى السلطنة وثبتت قواعد دولته واستمر فى السلطنة الى أن مات على فراشه كما سيأتى ذكر ذلك وفى ربيع الآخر قدم جانم الاشرفى الذى كان أميرا خور كبير ونفى الى صفد وحضر جانى بك قلقسير الاشرفى الذى كان نفى الى طرابلس فحضر من غير اذن فانعم عليه السلطان بامرية عشرة وفيه جلت نفقات الامراء اليهم على جارى العادة وفيه رسم السلطان بتوسيط شخص من مماليك القاضى عبد الباسط يقال له لبان فوسطه ومعه اثنان من أصحابه وسبب ذلك أنهم كانوا يحضرون عندهم بنات الخطا فاذا بتن عندهم يقتلونهن ويأخذون ما عليهن من القماش ففعلوا ذلك غير مرة حتى غمز عليهم فاشهروهم فى القاهرة وقدامهم أقفاص جالين فيها عظام الاموات التى كانوا يقتلونها من النساء وكان لهم يوم مشهود وفيه قرر فى قضاء الشافعية بحلب القاضى تاج الدين عبد الوهاب وصرف عنها الزهرى وفيه عقد السلطان لولده المقر الشهابى أحمد على بنت الامير دولات باى الدوادار الكبير وفى جمادى الاولى توفى

الشيخ سراج الدين عمر التبانى الحنفى وكان عارفا بفن علم الرمل وله فى ذلك يد طائلة وكان من خواص المؤيد شيخ وكان رئيسا حشما وله شهرة زائدة وفيه قبض السلطان على قراجا الخازندار وكان من المقدمين الالوف ورسم باخراجه الى القدس بطالا ولم يكن له ذنب غير انه أخذ وامنه التقدمة وقرروا فيها جانم الاشرفى وفيه قرئ تقليد السلطان بالقصر على العادة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة فلما انتهى المجلس خلع السلطان على الخليفة والقضاة ونزلوا الى بيوتهم وفيه توفى قاضى القضاة الحنبلى بدر الدين عبد المنعم بن محمد بن محمد بن عبد المنعم البغدادى وكان عالما فاضلا معظما عند الناس وأرباب الدولة وله حرمة وافرة ومولده سنة احدى وثمانمائة وكان أعور باحدى عينيه ولكنه كان من أعيان علماء الحنابلة من أهل الفضل وقد قال فيه بعض الشعراء يداعبه

ورب أعمى قال فى مجلس * ياقوم ما أصعب فقد البصر
أجابه الاعور من خلفه * عندى من دعواك نصف الخبر

فلما مات خلع السلطان على الشيخ عز الدين الكنانى ابن قاضى القضاة برهان الدين ابن قاضى القضاة مجد الدين بن نصر الله وقرر فى قضاء الحنابلة بمصر عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين البغدادى بحكم وفاته وفيه جاءت الاخبار بقتل سونجبغا اليونسى وتغرى بردى القلاوى وكان كاشف الوجه القبلى وكان قرر فى الوزارة فى أواخر دولة الظاهر جقمق أخذ الوزارة عن أمين الدين بن الهيصم وكان فرج بن النحال ناظر الدولة يومئذ وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق فتوجه سونجبغا للقبض عليه فتخانقا وهما على الخيل فقتل كل منهما صاحبه بالخناجر فماتا معا فى يوم واحد وكان سونجبغا من مماليك الناصر فرج بن برقوق وكان من جملة أمراء الطبلخانات وسافر أمير الحاج غير مرة وكان لا بأس به وفيه أنعم السلطان على برسباى المؤيدى باقطاع تغرى بردى القلاوى وقرر بلباى الاينالى فى امرية سونجبغا وفيه توفى الشيخ محب الدين أبو القاسم محمد النويرى المالكى وكان من أعيان علماء المالكية وكان ذكر للقضاء غير مامرة ولم يتم له ذلك ومولده سنة احدى وثمانمائة وفيه قرر فى تقدمة المماليك الطواشى لؤلؤ الرومى الاشرفى وصرف عنها مرجان العادلى وفيه قرر فى كشف الوجه القبلى قراجا العمرى عوضا عن القلاوى وفيه توفى الشيخ عز الدين التكرورى المالكى وكان عالما فاضلا أديبا بارعا وكان له خط جيد وشعر رقيق فمن ذلك قوله

لما شغفت بناسخ ناديته * فى ميم ثغرك تنشد الاشعار
نادى فلام الخد قلت محققا * ريحان خدك ما عليه غبار

وكان مولده سنة احدى وستين وسبعمائة وفيه قدم القاضى محب الدين بن الشحنة الى القاهرة من غير طلب فاراد السلطان أن يردّه الى حلب فأوعد بمال فاذن له بالدخول الى

مصر فدخل على كرم من الجمالى يوسف ناظر الخاص وفيه توفى الامير قانصوه النوروزى وكان من أعيان الرماة بالتشاب مشهورا بالفروسية بين الاتراك ❁ وفى جمادى الآخرة توفى الامير دولات باى المحمودى المؤيدى أمير دوادار كبير كان وكان أصله من مماليك المؤيد شيخ وكان حج فى تلك السنة فلما عاد قبض عليه الملك المنصور وبعث به الى السجن بثغر الاسكندرية فلما تسلطن الاشرف اينال رسم بالافراج عنه فحضر الى القاهرة وقرر فى تقدمة ألف فأقام مدة يسيرة وتوفى وكان أميرا جليلا عارفا باحوال المملكة سيوسا فى أفعاله ومات وله من العمر نحو ستين سنة وكان منهمكا فى لذات نفسه يميل الى شرب الراح وحب الملاح وهو والد السيدى عمر وكان لا بأس به ولما مات قرر فى تقدمته خير بك المؤيدى المعروف بالاجرود وقرر قايتباى المحمودى فى تقدمة ألف بدمشق وهى تقدمة قانصوه النوروزى وفيه خرجت تجريدة الى البحيرة بسبب فساد العربان وكان باش العسكر طوخ بانى بازق أمير مجلس وفى رجب رسم السلطان بدوران المحمل ونودى فى القاهرة بالزينة وكان له مدة وهو بطال فساقوا الرماحة فى تلك السنة وكان جانى بك الظريف هو باش الرماحة وفيه قرر القاضى زين الدين أبو بكر بن مزهر فى نظر الاصطبل وقرر القاضى محب الدين بن الشحنة باستمراره فى قضاء حلب وتوجه الى حلب وفيه تزوج الامير جانى بك الظريف بنت الملك الظاهر جقمق وهى أخت زوجة الامير أزبك بن طط وفيه جاءت الاخبار بقتل قشم المحمودى الناصرى كاشف البحيرة قتله عربان البحيرة غدرا فلما قتل قشم قرر عوضه فى كشف البحيرة حسن الدنكرى وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى ثالث عشرى مسرى فنزل لكسره المقر الشهابى أحمد ابن السلطان وكان له يوم مشهود وهو أول فتحة للسد وفى شعبان كانت وليمة عرس خوند فاطمة بنت السلطان على الامير يونس البواب أمير دوادار كبير وكان مهما حافلا بالقلعة وأقام ثلاثة أيام متوالية ثم نزلت فى محفة الى دار زوجها وكانت ليلة حافلة عند نزولها من القلعة وفيه جاءت الاخبار بوفاة نائب صفد يبغوت بن صفر بخجا المؤيدى المعروف بالاعرج وكان أميرا جليلا ولى نيابة حماه ونيابة صفد ثم سجن ثم عاد الى صفد ومات بها وفيه ثارت فتنة كبيرة وركب المماليك وطلعوا الى الرميلة واضطربت الاحوال وسبب ذلك ان المماليك طلبوا من السلطان نفقة البيعة وقالوا ان التى قد أنفقها السلطان انما هى نفقة الملك المنصور ونحن نطلب منك نفقة ثانية فبعث يعتذر اليهم ويقول لهم ان الخزائن خالية من المال وهذه النفقة من المصادرات لجماعة من المباشرين فسكنت الفتنة قليلا وكانت هذه تعلمة من المماليك السيفية وفى رمضان جاءت الاخبار بوفاة جغموس الناصرى نائب بيروت وفيه اختفى الصاحب أمين الدين بن الهيصم فلما

اختفى خلع السلطان على سعد الدين فرج بن النحال كاتب المماليك وقرره فى الوزارة عوضا
عن ابن الهيصم وكان عين للوزارة ناظر الخاص يوسف فاستعفى من ذلك فقرر بها سعد
الدين فرج وقرر عوضه فى كتابة المماليك ابن عمه عبد الرحمن وفيه خلع السلطان على
اياس الطويل وقرره فى نيابة صفد عوضا عن بيغوت الناصرى وكان اياس الطويل أتابك
العساكر بطرابلس وكان خشداش السلطان وقرر فى أتابكية طرابلس حط الناصرى
وكان من العشراوات بطرابلس وقرر فى امرية حط جانى بك المحمودى المؤيدى وكان
منفيا بطرابلس وفيه توجه القاضى عبد الكافى بن الذهبى كاتب السر بدمشق وكان من
أعيان الدماشقة حسن الخط والعبارة وفى شوال كان العيد يوم الجمعة وخطب مرتين
فلهج الكثير من الناس بزوال السلطان فلم يصح ذلك وفيه قرر جانى بك فى نيابة جدة
على عادته وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل جانى بك الظريف وأمير
ركب الاول عبد العزيز بن محمد الصغير وكان لهما يوم مشهود وفيه اختفى زين الدين
الاستادار وكان الاشرف اينال لما استعفى منها جانى بك نائب جدة خلع السلطان على زين
الدين وولاه الاستادارية على كره منه فلما اختفى خلع السلطان على العلائى على بن محمد
الاهناسى وكان بردداريا المفرد عند زين الدين الاستادار ثم كان استادارا عند المقر الشهابى
أحمد بن الملك الاشرف اينال فلما غيب زين الدين سعى فى الاستادارية الكبرى فخلع
عليه السلطان وولاه الاستادارية عوضا عن زين الدين وهذه أول عظمة العلائى على بن
الاهناسى وفيه وصل قاصد ملك الروم محمد بن عثمان يخبر السلطان بفتح القسطنطينية
العظمى وقد صنع المكايد فى فتحها وكان الفتح فى يوم الثلاثاء العشرين من جمادى
الاولى من هذه السنة فلما بلغ ذلك دقت البشائر بالقلعة ونودى فى القاهرة بالزينة ثم ان
السلطان عين برسباى أميرا خور ثانى رسولا الى ابن عثمان يهنئه بهذا الفتح العظيم فخرج
برسباى وتوجه الى بلاد ابن عثمان وفى ذى القعدة لبس السلطان الصوف فى سادس هاتور
القبطى وقد عجل السلطان بلبسه وفيه خلع السلطان على محب الدين بن الشحنة وقرره
فى كتابة السر بمصر وصرف عنها محب الدين بن الاشقر وهذا أول عظمة ابن الشحنة بمصر
وكان قرر فى قضاء الحنفية بحلب فتكاسل عن التوجه الى حلب وسعى فى كتابة السر حتى
قرر بها وفيه خرج المقر الشهابى أحمد ابن السلطان الى الرماية وصحبته خشقدم أمير سلاح
وبرسباى البجاسى فلما عاد زينت القاهرة وكان له يوم مشهود وفيه توفى الشيخ الصالح
المعتقد سيدى درويش الرومى الاقصرائى نزيل الخانكه وكان من الصالحين وظهرت له
كرامات خارقة وفيه توفى القاضى ضياء الدين بن النفيسى الشافعى الحلبى كاتب السر
بحلب وكان من أعيان الناس الرؤساء بحلب وفيه قرر شمس الدين محمد بن أصيل فى نظر

الجوالى عوضا عن شرف الدين الانصارى وفيه طلع شخص الى السلطان وأخبره بان فى زيادة جامع الحاكم صندوقا من البلور فيه أوراق تدل على خبيئة فى الجامع من أعظم الخبايا فامر السلطان القاضى ناظر الخاص يوسف أن يتوجه الى هنالك فتوجه وحضر قاضى القضاة علم الدين الباغينى واجتمع الجم الغفير من الناس وحفروا ذلك المكان الى أن كاد أن ينبع الماء من أرضه فلم يجدوا فيه شيأ وانفض ذلك الجمع من غير طائل ولم يظفروا بشئ مما قالوه وفيه قبض السلطان على المحتسب على المجمى وصادره وقرر عليه مالا وأقام فى الترسيم عند الزمام حتى يورد المال وقرر عوضه فى الحسبة على بن أحمد الكاشف المعروف بابن ارم وفى ذى الحجة قرر فى نيابة اسكندرية جانى بك النوروزى نائب بعلبك عوضا عن يونس العلائى وقدم يونس العلائى الى القاهرة وقرر فى امرية طبلخاناه وفيه توفى حطط الناصرى وكان ولى نيابة غزة وأتابكية طرابلس وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بان قد ظهر شخص يقال له ابن الفلاح المشعشع وقد حصل منه غاية الفساد وقتل من الناس مالا يحصى ونهب الركب العراقى وقد أعيا أمره نائب الشام فانزعج السلطان لهذا الخبر وفيه ظهر زين الدين الاستادار وطلع الى القلعة وقابل السلطان فامره بملازمة داره وأن لا

858 يجتمع باحد من الناس ۞ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثمانمائة فى المحرم قرر فى كتابة السر بدمشق الحافظ قطب الدين الخضيرى عوضا عن صلاح الدين بن السابق وهذه أول ولاية الخضيرى لهذه الوظيفة ثم بعد مدة جمع بين قضاء الشافعية بدمشق وكتابة سرها وفيه قرر أقبردى الظاهرى الساقى فى أتابكية حلب عوضا عن على باى المجمى وقرر فى نيابة حلب عوضا عن أقبردى قاسم بن القشاشى وفيه وصل قاصد على باى الجزاوى نائب حلب وعلى يده تقدمة حافلة الى السلطان وكان قد أشيع عنه العصيان والمخامرة فبطل ذلك وفيه خلع السلطان على الشيخ محيى الدين الكافيجى وقرر فى مشيخة الخانقاه الشيخونية عوضا عن العلائى كمال الدين بن الهمام الحنفى بحكم رغبته عنها ومجاورته بمكة المشرفة وفى صفر رسم السلطان بنفى زين الدين الاستادار الى القدس ويقيم به فلما خرج الى سبيل ابن قايماز بعث السلطان اليه من فتشه فلم يجد معه شيأ غير ثلثمائة دينار وبعض فضة وقد كان وشى به عند السلطان بان معه مالا ثم رسم باعادته الى القاهرة وطلع الى القلعة فادخلوه البحرة وأحضر اليه السلطان فى يومه المعاصير وعصره فلم يقر بشئ من المال فاجاب بان يبيع أوقافه ويرضى السلطان فتكلم ناظر الخاص يوسف فى أمره وأحضره بين يدى السلطان وهو محمول بين أربعة وقيل ان السلطان لم يعصره فى هذه المرة بل ضربه فى الدهيشة نحو من خمسمائة عصا فلما حضر بين يديه تكلم له تمراز الدوادار الثانى فخلع عليه السلطان وأعاده الى الاستادارية وصرف عنها على بن الاهناسى ثم ان السلطان

خلع على زين الدين وقرره كاشف الكشاف بالوجهين القبلى والبحرى مضافا الى الاستادارية فراج أمره قليلا وفيه رسم السلطان بالافراج عن أبى الخير بن النحاس من السجن وأن يقيم بطرابلس بطالا ❁ وفى ربيع الاول قرر حمزة بن البشيرى فى نظر الدولة عوضا عن التاج الخطيرى وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو الصحراء بسبب تربته التى أنشأها هناك فلما عاد شق من القاهرة وصعد الى القلعة وهذا أول ركوبه فى سلطنته وكان له يوم مشهود وفيه عمل السلطان المولد الشريف على العادة وكان حافلا وفيه انتهت عمارة جامع بردبك صهر السلطان الذى أنشاه بخط قناطر السباع المطل على الخليج ❁ وفى ربيع الآخر توفى الناصرى محمد ابن المخلطة وكان فاضلا مالكى المذهب ولى نظر البيمارستان وكان محمود السيرة وفيه قدم جلبان نائب الشام على السلطان وكان أشيع عنه العصيان وفيه توفى تقى الدين الاذرعى الشافعى وكان عالما فاضلا نائبا فى الحكم بدمشق وكان لا بأس به ❁ وفى جمادى الاولى عزل تمراز عن الدوادارية الثانية وكان ذلك من تلقاء نفسه وفيه جاءت الاخبار من ثغر دمياط بوفاة سيدى خليل ابن الملك الناصر فرج بن برقوق وكان دينا خيرا رئيسا حشما ومولده سنة أربع عشرة وثمانمائة فلما مات رسم السلطان بنقل جثته الى القاهرة فنقل ودفن فى تربة جده الظاهر برقوق وأظهرت عليه أخته خوند شقرا غاية الحزن وعملت له نعيا بالمغانى تعزف بالطارات نحو سبعة أيام حتى عد ذلك من النوادر وفيه قرر فى الوزارة الصاحب أمين الدين بن الهيصم على عادته وصرف عنها سعد الدين فرج ابن النحال وفيه طلعت تقدمة جلبان نائب الشام الى السلطان وكانت تقدمة حافلة ومثلها للمقر الشهابى أحمد ثم بعد أيام أضافه السلطان وخلع عليه ورسم له بالعود الى الشام على عادته وفيه خلع السلطان على الامير بردبك صهره وكان من أعيان مماليكه وقرره فى الدوادارية الثانية عوضا عن تمراز الاشرفى ورسم الى تمراز أن يتوجه الى القدس بطالا وكان تمراز رجلا أحمق سيئ الخلق غير محبب للناس ❁ وفى جمادى الآخرة توفى قاضى ثغر اسكندرية شمس الدين محمد بن عامر المالكى وكان من الافاضل فى مذهبه وفيه قرر قانى باى الموساوى فى نيابة ملطية وقرر فى نيابة البيره الناصرى محمد والى الحجر عوضا عن قانى باى الموساوى وفيه خلع على القاضى تاج الدين بن المقسى وقرر فى كتابة المماليك عوضا عن عبد الرحمن بن النحال ابن عم الصاحب سعد الدين فرج وفيه خرجت تجريدة الى نحو البحيرة وكان باش العسكر جانم الاشرفى وبرسباى البجاسى وجماعة من الجند وخرجوا لاجل عرب البيد وفيه عزل محب الدين بن الشحنة عن كتابة السر وأعيد اليها محب الدين بن الاشقر وفى رجب أدير المحمل على العادة وفيه سافر الامير بردبك صهر السلطان والقاضى شرف الدين الانصارى وتوجها الى القدس وسبب ذلك أن السلطان صنع كسوة الى ضريح سيدنا الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وكان لخروجهما يوم مشهود وفيه توفى جانى بك مملوك

القاضى

القاضى عبد الباسط الذى كان ولى الاستادارية فى أيام الاشرف برسباى وكان لا بأس به
وفيه أعيد الشيخ على العجمى الى الحسبة وصرف عنها عبد العزيز بن محمد الصغير وفيه قدم
برسباى الذى توجه قاصدا الى محمد بن عثمان وخلع عليه وفى شعبان عرض السلطان جماعة
من العسكر وقطع جوامك أولاد الناس ممن تجدد فى أيام الظاهر جقمق وقد انشجت
الديوان من كسوة العسكر وشكا الاستادار من ذلك ثم ان بعد ذلك شفع فيهم الامير يونس
الدوادار الكبير فابقاهم على حالهم وردّ اليهم جوامكهم التى قطعت عنهم ولله الحمد وفيه
سمر السلطان شخصا من العربان يقال له الفضل وقد كان مشتهرا بالشجاعة وقتل النفس
فأشهره فى القاهرة هو وأولاد عمه ثم سلخوهم وبعثوا بهم الى بلاد الشرقية وكانوا من المفسدين
وفيه توفى قاضى قضاة الحنفية بمكة المشرفة وهو رضى الدين أبو حامد بن الضياء وكان من
أعيان العلماء الحنفية بمكة وله نظم جيد ومولده سنة احدى وتسعين وسبعمائة وفيه فى
ثالث عشر مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل المقر الشهابى أحمد ابن السلطان وفتح السدّ
على العادة وكان له يوم مشهود وفى رمضان جاءت الاخبار بوفاة صاحب الابلستين وهو
سليمان بن محمد بن قراجا بن دلغادر التركمانى وكان من خيار التراكمة لم تتحرك فى أيامه فتنة
وكان مثقلا بالشحم جدا وفيه قدم جان بك نائب جدة من الحجاز فخلع عليه السلطان خلعة
سنية وفى شوّال وصل ركب من المغرب من عند صاحب تونس وصحبته هدية حافلة وخرج
صحبة الحاج الى مكة وفيه قرر فى الاستادارية الناصرى محمد بن أبى الفرج نقيب الجيش وقرر
سعد الدين فرج بن النحال فى الوزارة عوضا عن أمين الدين ابن الهيصم بحكم اختفائه ثم أعاد
كتابة المماليك الى سعد الدين فرج وصرف عنها تاج الدين بن المقسى فصار سعد الدين فرج
بعده معه الوزارة وكتابة المماليك وفى ذى القعدة تغير خاطر السلطان على زين الدين
الاستادار وضربه ضربا مبرحا وتسلمه الجمالى يوسف ناظر الخاص على مال يورده وفيه جاءت
الاخبار بأن أصلان بن سليمان بن دلغادر تملك الابلستين عوضا عن أبيه بحكم وفاته وفى
ذى الحجة استقر تقى الدين ابن نصر الله فى نظر الدولة وكانت شاغرة مدة طويلة وفيه توفى
الناصرى محمد الصغير معلم النشاب وكان استاذا فى هذا الفن وقد جاوز الثمانين سنة من العمر
وهو والد عبد العزيز الذى ولى الحسبة وفيه ثارت جماعة من المماليك الجلبان ونزلوا الى
بيت ابن أبى الفرج الاستادار على حين غفلة ونهبوا ما فيه عن آخره واختفى هو ثم طلع الى
السلطان واستعفى من الاستادارية فأعفاه السلطان من ذلك وقرر فيها قاسم الكاشف وبقى
ابن أبى الفرج فى نقابة الجيش على عادته وفيه قدم نجاب ببشارة الحاج وأخبر بأن المبشر قد
عوّقه العربان فى الطريق فلم يحضر أحد من الجند بالبشارة على العادة ۞ ثم دخلت سنة تسع
859 وخمسين وثمانمائة فيها فى المحرم قدم قاصد من عند الامير ابراهيم بن قرمان أمير التركمان

وعلى يده مكاتبة مضمونها أنه أرسل يشكو فيها من ملك الروم محمد بن عثمان فما اكترث السلطان لذلك ثم انه أرسل اليه بجواب هين وما أكرم قاصده فمضى غير راض وكان هذا سبب العصيان ابن قرمان كما يأتي الكلام على ذلك وفيه تغير ماء النيل المبارك تغيرا فاحشا وغلبت عليه الخضرة جدا حتى تعجب الناس من ذلك وفيه نودي في القاهرة بخروج المماليك البطالة من القاهرة وهدد من تأخر منهم بعد سماع المناداة وفيه دخل الحاج الى القاهرة وأخبر بما قاساه من شدة السيول وموت الجمال وقطع الطريق من العربان وقد أخذ ركب المغاربة وكانت سنة صعبة مهولة وقد جاء عليهم السيل في وادي عفان فاحتمل الجمال باحمالها وقذفها في البحر الملح وفيه توفي الشيخ شرف الدين أبو الفتح محمد الراعي الشافعي المدني العثماني وكان من أعيان العلماء الشافعية وله سند في الحديث وفيه وقع أمر عجيب وهو أن جماعة من مماليك الامير دربك صهر السلطان ماتوا بالطاعون وقد ظهر ذلك بداره فقط ولم يظهر ذلك بغير بيت دربك وفيه ارتفع سعر الذهب حتى بلغ الدينار الاشرفي ثلثمائة وسبعين درهما وفي صفر جاءت الاخبار بموت جلبان نائب الشام وكان جلبان هذا دينا خيرا وأصله من أتباع الملك المؤيد شيخ وهو جركسي الجنس وقيل غير جركسي ويقال انه مسلم الاصل ومات وقد جاوز الثمانين سنة من العمر وتولى عدة ولايات منها ولاية نيابة حماة ونيابة طرابلس ونيابة حلب ونيابة الشام وقد طالت أيامه في السعادة فلما توفي عين السلطان نيابة الشام الى قاني باي الحزاوي نائب حلب وخرج الى تقليده يونس العلائي ثم ان السلطان خلع على جانم الاشرفي وقرره في نيابة حلب عوضا عن قاني باي الحزاوي وعين الامير بردبك الدوادار الثاني صهر السلطان لتقليده ثم يعود الى دمشق لضبط موجود جلبان نائب الشام ثم ان السلطان أنعم على يونس العلائي بتقدمة ألف وهي تقدمة جانم الاشرفي بحكم انتقاله الى نيابة حلب وفيه توفي يشبك الناصري رأس نوبة ثاني فلما مات قرر في رأس نوبة الثانية سودون قراقاش المؤيدي وقرر في امرية سودون قراقاش مغلباي طاز وقرر النوروزي في امرية عشرة وفي ربيع الاول عمل السلطان المولد الشريف على العادة وكان مولدا حافلا وفيه حصلت زلزلة خفيفة بمصر واستمرت تعاود الناس أياما وفيه وصلت تقدمة من عند الملك أصلان صاحب الاباستين وكانت تقدمة حافلة ما بين خيول وبغال وجمال بختاتي وقماش حرير وغير ذلك وفيه خلع السلطان على شمس الدين نصر الله بن النجار الكاتب القبطي وقرره في الوزارة عوضا عن سعد الدين فرج فلم يقم بها ابن النجار الا قليلا واختفى وفي ربيع الآخر خلع السلطان على سعد الدين فرج وأعاده الى الوزارة كما كان وقرر حمزة بن الشيري في نظر الدولة وصرف ابن كاتب الشعير عنها وفيه توفي الصاحب أمين الدين بن الهيصم وهو ابراهيم بن عبد الغني بن ابراهيم القبطي وقيل

كان ينسب الى المقوقس صاحب مصر وكان حشما رئيسا ميل الى أهل العلم وله اشتغال بالفقه على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ولم يكن شافعيا وولى الوزارة غير مامرة وكان مولده سنة ثمانمائة وكان نادرة فى أبناء جنسه مسددا فى أمر الوزارة فى الغلوة التى وقعت فى أيام الظاهر جقمق لما شرقت البلاد وكان لا بأس به فى المباشرين وفيه خرج جانم الاشرفى الذى قرر فى نيابة حلب وكان له يوم مشهود وتجمل عظيم وفيه أنزلت خوند زينب الخاصكية زوجة السلطان الى بولاق فاقامت فى القطينية التى ببولاق وكان قد حصل لها توعك شديد فى جسدها فنزلت لترى البحر حتى يذهب عنها الوخم فنزل اليها السلطان وعادها فلما حصل لها الشفاء أحرقوا فى بولاق حراقة نفط هائلة حافلة وخرجت البنت من خدرها بسبب الفرجة وكانت تلك الليلة فى بولاق من الليالى المشهورة فلما عوفيت طلعت الى القلعة فى محفة وحولها الخوندات والستات وأعيان نساء الامراء والمباشرين حتى طلعت الى القلعة وكان لهامهم حافل بالقلعة وفيه توفى الامير خاير بك الاجرود المؤيدى أحد الامراء المقدمين بمصر فلما مات أنعم السلطان بتقدمته على الامير قانم التاجر بن صفر بخا المؤيدى وهذه أول تقدمته بمصر وفى جمادى الاولى تزايد شر المماليك الجلبان وتوجهوا الى بولاق ونهبوا شون الامراء لاجل الشعير فانه كان مشحوتا وصاروا ينزلون الفقهاء والمباشرين عن خيولهم وبغالهم ويأخذونها من تحتهم وحصل منهم فى حق الناس غاية الضرر ولا سيما التجار فى الاسواق فكان المماليك يخطفون القماش من الدكاكين وسائر البضائع واستمروا على ذلك حتى وقع فيهم الطاعون كما يأتى ذكر ذلك (١) وفيه توفى الاديب البارع شاعر العصر شمس الدين محمد بن حسن بن على بن عثمان النواجى الشافعى ومولده سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وكان عالما فاضلا أديبا بارعا وله شعر جيد فمن ذلك قوله من نوع الاكتفاء

خليلى هذا ربع عزة فاسعيا * اليه وان سالت به أدمعى طوفا ن
فجفنى جفا طيب المنام وجفنها * جفانى فيالله من شرك الاجفا ن

﴿ مثله ﴾

ياضيف بيت الله نلت المنى * منذ تحصنت بام القرا ن
لب بحج واعتمر وقل * لله ما أسعد هذا القرا ن

﴿ وله ﴾

فتنت بحسن عواد بديع * مليح الشكل معشوق الشمايل
يحرك عوده فينا بلطف * فيقتلنا باطراف الانامل

وقوله ملغزا فى اسم سعيد

(١) تقدمت وفاة النواجى فى حوادث سنة ٨٥٧ والصواب ماهنا

ما اسم لعبد ان تزل عينه * يعود فى الحال لناسيدا
عليه فرض الصوم لكنه * اذا مضى الربع له عيدا

ومن مصنفاته البديعة حلبة الكميت فى وصف الخمرة وما قيل فيها وتأهيل الغريب فى الادبيات المطولة ومراتع الغزلان فى وصف الحسان من الغلمان والشفا وله غير ذلك من المصنفات الغريبة ولما مات رثاه الشهاب المنصورى بقوله

رحم الله النواجى فقد * فقد الدنيا وأبقى ما روى
وانطوى فى شقة البين فيا * حسرة العشاق من بعد النوا جى

وفى جمادى الآخرة توفى الشيخ الصالح سيدى محمد المغربى المجذوب رحمة الله عليه ولما مات أخذه السلطان اينال ودفنه بجوار تربته تبركا به وفيه خلع السلطان على عبد العزيز بن محمد الصغير وقرر فى الحسبة مضافا لما فى يده من نقابة الجيش وكان قد تغير خاطر السلطان على الشيخ على العجمى وصرفه من الحسبة وقرر بها عبد العزيز بن محمد الصغير وفيه تغير خاطر السلطان على فخر الدين بن السكرى اللمبون ناظر ديوان المفرد وضربه بين يديه بسبب تأخر جوامك الجند وكان الديوان فى غاية الشحتة وفيه توفى القاضى صلاح الدين خليل بن السابق وكان فاضلا رئيسا حشما ولى كتابة سر حلب وكتابة سر دمشق ونظر جيشهما وغير ذلك من الوظائف وكان حسن السيرة وفيه ثارت فتنة عظيمة وسبب ذلك أن طائفة من المماليك الظاهرية استمالوا بعض جلبان السلطان وكان السلطان عين تجريدة قبل ذلك للبحيرة وكتب غالب الجند فيها من المماليك الظاهرية وعين الباش عليهم الامير خشقدم أمير سلاح فلما جرى ذلك وقفوا فى الرميلة حتى نزل الامير يونس الدوادار الكبير فلاقوه بالدبابيس وجرح فى ذلك اليوم شخص من المماليك وقطعت أصابعه ثم ان الامير يونس الدوادار تحيل فى صعوده الى القلعة وأعلم السلطان بذلك فطلب السلطان جانى بك المرتد ومرجان مقدم المماليك وبعث بهما لكشف الاخبار وما سبب وثوب المماليك على الامير يونس الدوادار ثم ان نوكار الزردكاش أتى الى المماليك الجلبان الذين وثبوا مع طائفة من المماليك الظاهرية ليستميلهم عن ذلك ويسترضيهم فعادا لجواب الاول بان يسلمهم الامير يونس الدوادار وقد صمموا على ذلك وكانت هذه الحركة فى سلخ جمادى الآخرة فلما استهل رجب بدأ السلطان بضرب الاكرة فلم يطلع غالب الامراء الى القلعة ثم ان المماليك أصبحوا لابسين آلة الحرب ووقفوا بسوق الخيل وقد اشتد الامر ومنعوا الامراء من الصعود الى القلعة فبعث السلطان يقول للخليفة غيب من بيتك حتى تسكن هذه الفتنة فلم يغب من بيته فتوجه اليه المماليك وأركبوه من بيته وأتوا به الى البيت الكبير الذى عند حدرة البقر فاقام به واشتد القتال فلما بلغ السلطان ذلك نزل الى باب السلسلة

وجلس بالمقعد المطل على الرميلة وعلق الصنجق السلطانى على رأسه ودقت الكؤسات حربيا فوقع فى ذلك اليوم قتال هين فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد انفض ذلك الجمع وفر المماليك شيأ بعد شئ فلما رأوا ذلك المماليك الظاهرية تسحبوا من الرميلة وقد اشتد الحر وتوجه كل أحد من المماليك الى داره وكان رأس الفتنة من المماليك الظاهرية يشبك بن مهدى وكان يومئذ جنديا من جملة المماليك السلطانية فلما انفض الجمع قام السلطان من المقعد وطلع الى القلعة وقام الخليفة أيضا وتوجه الى داره وخمدت هذه الفتنة وكان الخليفة يظن أن هذه الحركة يحصل له فيها نفع كما حصل له فى حركة الملك المنصور مع الاشرف اينال فانه لما تسلطن أنعم على الخليفة حمزة باقطاع ثقيل ومال وخلع وخيول وغير ذلك فظن الخليفة أن هذه الحركة مثل الاولى فجاء الامر بخلاف ذلك وكم من عجلة أعقبت ندامة فكان كما قيل فى المعنى

اذا ما أراد الله خير العبده * يناله وما للعبد ما يتخير

وقد يهلك الانسان من باب أمنه * وينجو بعون الله من حيث يحذر

وكان الخليفة قام فى سلطنة الاشرف اينال قياما عظيما وخلع الملك المنصور قبل أن ينكسر وأمر بحرق سبيل المؤمنين حتى أخذوا الميدان فظن الخليفة أن تكون هذه الفتنة يحصل له فيها مثل تلك المرة فلما توجه الخليفة الى بيته أرسل السلطان خلفه وقد بقى له ذنب اذ أرسل السلطان يقول له غيب من بيتك حتى تخمد هذه الفتنة فاستمر فى بيته حتى أركبوه المماليك برضاه وجاء الى البيت الكبير كما تقدم ذكر ذلك فلما طلبه السلطان وحضر بين يديه وبخه بالكلام فلم ينطق بالجواب وأمسك لسانه عن ذلك وكان به بعض صمم فكان كما قيل

اذا كان وجه العذر ليس بواضح * فان اطراح العذر خير من العذر

ثم ان السلطان أمر بادخاله الى البحرة فدخل اليها وأقام بها أياما وهو فى الترسيم ثم ان السلطان رسم باخراجه الى السجن بثغر الاسكندرية فنزل من القلعة بعد المغرب فى سابع رجب وصحبته جانى بك القرمانى حاجب الحجاب فاوصله الى البحر حتى نزل فى الحراقة وسار الى الاسكندرية فسجن بها الى أن مات فى أواخر دولته ودفن بثغر الاسكندرية على شقيقه العباس الذى ولى السلطنة بعد قتلة الناصر فرج بن برقوق فكانت مدة الخليفة حمزة فى الخلافة أربع سنين وستة أشهر وأياما وكان رئيسا حشما كفوا للخلافة وكان له حرمة وافرة وشهامة زائدة بايع الملك المنصور عثمان والاشرف اينال (ومن النكت الغريبة اللطيفة) قيل لما أرادوا خلع الخليفة حمزة من الخلافة قال اشهدوا على أنى قد خلعت نفسى من الخلافة وخلعت السلطان اينال من السلطنة فاضطرب المجلس لذلك فقال قاضى

859

القضاة علم الدين صالح البلقيني ان خلعه للسلطان لا يصح وقد بدأ بخلع نفسه أولا ثم ثنى بخلع السلطان وهو غير مولى للخلافة فلم يصح منه عزله للسلطان فعدّت هذه من النوادر فلما عزل الخليفة حمزة من الخلافة تكلموا فيمن يلي بعده الخلافة فوقع الاتفاق على ولاية أخيه الجمالي يوسف بن محمد المتوكل

ذكر خلافة المستنجد بالله أبي المحاسن يوسف بن محمد المتوكل على الله

وهو الثالث عشر من خلفاء بني العباس بمصر بويع بالخلافة بعد خلع أخيه حمزة في يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة تسع وخمسين وثمانمائة وكانت صفة ولايته أن عمل موكب بالقصر وطلع القضاة الاربعة وهم علم الدين صالح البلقيني الشافعي وسعد الدين الحنفي وولي الدين السنباطي المالكي وعز الدين الحنبلي فلما تكامل المجلس سكت القضاة ساعة لم يتكلم منهم أحد في شئ فقال قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني نقل بعض علماء مذهبي أن السلطان له أن يعزل الخليفة ويولي غيره فهذا كان حاصل المسئلة في خلع الخليفة حمزة وولاية أخيه الجمالي يوسف فعند ذلك قام القاضي كاتب السر محب الدين بن الاشقر وقال في المجلس نشهد عليك يا مولانا السلطان أنك عزلت الخليفة حمزة من الخلافة ووليت أخاه الجمالي يوسف فقال نعم فاحضروا له التشريف وأفيض عليه وتلقب بالمستنجد بالله ونزل من القلعة في موكب حافل والقضاة الاربعة قدامه وأعيان الناس حتى أوصلوه الى بيته وهو في غاية العظمة وقد طالت أيامه في الخلافة جدا ثم ان السلطان قبض على جماعة من المماليك الظاهرية ممن كان سببا لاقامة هذه الفتنة وسجنهم بالبرج واختفى منهم جماعة كثيرة ونفى منهم جماعة الى البلاد الشامية وفيه قدم الامير بردبك صهر السلطان وكان قد توجه الى القدس كما تقدم فلما حضر أتى صحبته زين الدين الاستادار وكان السلطان نفاه الى القدس فلما عاد خلع عليه السلطان وأعاده الى الاستادارية وصرف عنها قاسم الكاشف وفيه أدير المحمل على العادة وساق الرماحة أحسن سوق وفيه توفيت خوندزاده بنت أورخان بن محمد بن عثمان ملك الروم وهي زوجة الظاهر جقمق وتزوجت أيضا بالاشرف برسباى ومات في عصمة برسباى اليجاسي حاجب الحجاب وفيه قبض السلطان على يشبك النوروزي نائب طرابلس وحمل الى قلعة المرقب فسجن بها وفي شعبان جاءت الاخبار بوفاة السيد الشريف بركات سلطان مكة وهو بركات بن عجلان بن رميثة الحسني وكان من خيار أمراء مكة ومولده سنة اثنتين وثمانمائة وفيه في خامس عشر مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل المقر الشهابي أحمد ابن السلطان

وفتح السد على العادة وفيه خلع السلطان على اينال اليشبكى وقرر فى نيابة طرابلس عوضا
عن يشبك النوروزى وقرر فى نيابة صفد جانى بك التاجى عوضا عن اياس الطويل وقرر فى
نيابة غزة خاير بك النوروزى أحد الامراء بصفد وقرر فى نيابة ملطية أقبردى الساقى أتابك
العسكر بحلب عوضا عن قايتباى الناصرى وقرر فى أتابكية حلب سودون الناصرى أتابك
طرابلس وكان هذا كله بتدبير الجمالى يوسف ناظر الخاص وفيه زاد النيل زيادة مفرطة حتى
قطع الجسور وغرق غالب البلدان فبعد ما جرى ذلك هبط النيل بسرعة وشرق جانب من
البلاد وارتفع سعر الغلال بسبب ذلك وفى رمضان قرر ابن الوجيه فى نظر الجيش بحلب
عوضا عن ابن السفاح وفيه قرر فى قضاء الشافعية بمكة محب الدين الطبرى وصرف عنها أبو
السعادات بن ظهيرة وقرر فى نظر الحرم الشريف برهان الدين بن ظهيرة الذى عظم أمره
فيما بعد وانتهت اليه رياسة مكة وفيه قدم جانى بك نائب جدة وسعى الى السيد الشريف
محمد بن بركات المتوفى فى امرية مكة عوضا عن أبيه بخمسين ألف دينار فولاه السلطان
وأقام بها حتى توفى فى صفر سنة ثلاث وتسعمائة وكان من خيار أمراء مكة وفى شوال رسم
السلطان بعمل كسوة للحجرة الشريفة فلما انتهى العمل منها عرضها ناظر الخاص يوسف على
السلطان فالبسه كاملية حافلة وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل بيبرس
الاشرفى وفيه تغير خاطر السلطان على نقيب الجيش بن محمد الصغير وهو عبد العزيز فضربه
بين يديه ضربا مبرحا وأمر بنفيه الى دمياط لامر أوجب ذلك ثم ان السلطان خلع على العلائى
على بن القيسى وقرره فى نقابة الجيش عوضا عن عبد العزيز بن محمد الصغير وكان السلطان
عينها الى خشكلدى الزردكاش فوقع الاختيار بعد ذلك على ابن القيسى وفى ذى القعدة
قرر جمال الدين الباعونى فى قضاء الشافعية بدمشق وصرف عنها سراج الدين الحمصى وأمر
أن يخرج الى حمص ويقيم بها وفيه شرع الجمالى ناظر الخاص فى بناء مدرسة بالصحراء فجاءت
مدرسة حافلة لم يعمر فى الصحراء مثلها وكان مصروف ذلك من مال ناظر الخاص يوسف دون
مال السلطان فقيل انه صرف عليها اثنى عشر ألف دينار وزيادة على ذلك وأنشأ زاوية تجاه
المدرسة وحوش الدفن جماعة السلطان وفى ذى الحجة قرر فى الحسبة الشيخ على العجمى على
عادته وكان يعرف بيار على وفيه توفى العلامة محب الدين محمد بن أحمد بن أبى يزيد الاقصرائى
الحنفى وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم وكان امام الاشرف برسباى ومولده سنة احدى
وتسعين وسبعمائة وهو الشيخ أمين الدين الاقصرائى وفيه توفى أقبردى الساقى الظاهرى
نائب ملطية وكان لا بأس به وفيه توفى الشهاب أحمد الحاضرى الحنفى وكان عارفا بالقراآت
السبع وتعبير الرؤيا وفيه توفى خليفة سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه وكان مالكى
المذهب وله اشتغال بالعلم ويعرف بسنان الابودرى وفيه صلى السلطان صلاة عيد النحر

وخرج من الجامع مسرعا وتوجه الى الحوش ونحر به وخالف العادة وسبب ذلك أنه
قويت الاشاعات بوقوع فتنة فى ذلك اليوم من المماليك الجلبان فبادر السلطان وتوجه
الى الحوش ونحر به فسكن الاضطراب قليلا ۞ ثم دخلت سنة ستين وثمانمائة فيها فى المحرم 860
قرر أقباى الجكمى فى نيابة ملطية عوضا عن أقبردى الساقى وقرر فى نيابة طرسوس أقباى
السيفى جارقطلو عوضا عن أقباى الجكمى وتوفى الناصرى محمد بن الحلبى والى الحجرة وفيه
وصل الحاج وأخبر بانه لم يحج فى هذه السنة أحد من العراق خوفا من المشعشع الذى ظهر
منه الفساد وقد شاع خبره فيما تقدم وكان فى تلك السنة الامير بردبك البجمقدار أمير الحاج
هو والامير بيبرس الاشرفى وكانت سنة صعبة على الحاج وفى صفر ثار المماليك الجلبان على
ناظر الخاص يوسف وضربوه وأخذوا عمامته من فوق رأسه وصار مكشوف الرأس ولولا
انه هرب لقتلوه لا محالة وكانت المماليك تزايد شرهم جدا وفيه ثارت الغلمان والعبيد على
الوزير ونزلوا من القلعة وتوجهوا الى بيت الوزير وصاروا ينهبون بعض دكاكين
القاهرة وخطفوا عمائم الناس حتى وصلوا الى دار سعد الدين فرج فاختفى من داره فنهبوا
ما وجدوه فى الدار وسبب ذلك انشحات اللحم المقرر للجند وفيه خرج يونس العلائى أحد
الامراء المقدمين الى بر الجيزة لحفظ الخيول التى فى الربيع وكانت عربان البيد قد أفسدوا فى
بر الجيزة وأخذوا خيول الامراء والجند من مراعيها وفى ربيع الاول أمطرت السماء
مطرا غزيرا حتى قيل امطرت فى قليوب بردا وزن كل بردة خمسون درهما وهلك به بعض
مواش وأفسد الزرع وفيه ظهر الصاحب فرج بعدما كان مختفيا فخلع عليه بالاستمرار
وخلع على فخر الدين بن السكر واللمون وقرر فى نظر الدولة وكانت شاغرة وفى ربيع الآخر
عمر السلطان الربع والحمام وما بينهما الذى بين القصرين وفيه خرج جماعة من الامراء
والجند الى نحو الجون على العادة لاحضار الاخشاب وفى جمادى الاولى توفى المسند جمال
الدين عبد الله بن محمد بن أحمد التسترى وكان عالى السند من أهل الفضل والعلم وفيه وصل
الخواجا جمال الدين عبد الله القابونى رسولا من عند ابن عثمان ملك الروم محمد وعلى يده
مكاتبة تتضمن ما فتحه من الفتوحات السنية فأكرمه السلطان غاية الاكرام ولما أراد
التوجه الى ابن عثمان عين معه السلطان قانى باى اليوسفى المهمندار وعلى يده هدية من
عند السلطان الى ابن عثمان وأخذ قانى باى اليوسفى فى أسباب تعلق السفر الذى عين فيه
وفى أثناء هذا الشهر ظهر فى السماء نجم بذنب طويل جدا وكان يظهر من جهة الشرق
ودام يطلع نحو امن شهرين وكان من نوادر الكواكب فتكلم فيما يدل عليه من الامر وزاد
الكلام بسببه ثم اختفى ذلك النجم وأقام مدة طويلة نحو امن ثلاث سنين حتى وقع بمصر
الطاعون ووقع بمصر أيضا الحريق كما سيأتى ذلك فى موضعه قال صاحب مرآة الزمان ان

أول ماظهر نجم الذنب عند ماقتل قابيل أخاه هابيل وظهر عند وقوع الطوفان وعند وقود نارابراهيم الخليل عليه السلام وظهر عند هلاك قوم عاد وثمود وظهر عند هلاك فرعون وظهر عند قتل الامام عثمان بن عفان وظهر عند قتل الامام على كرم الله وجهه وظهر عند قتل جماعة كثيرة من الخلفاء وفى الغالب يحدث عند ظهور نجم الذنب حادث عظيم وقد جرب ذلك وصح من فناء وقتل وفتن وخسف وزلازل وغير ذلك وفى جمادى الآخرة توفى القاضى الذى بالاسكندرية شهاب الدين أحمد المحلى الشافعى وكان فاضلا فى سعة من المال وكان تاجرا فى البهار وسعى فى قضاء الاسكندرية على خلاف ماجرت به العادة من ولاية المالكية وقد سعى بمال حتى تولى ومات وقد جاوز السبعين من العمر وفيه قبض السلطان على زين الدين الاستادار وضربه بين يديه علقة قوية بسبب تأخيره للعامكية ورسم عليه فى طبقة الزمام وهو فى الحديد ثم انه خلع على سعد الدين فرج بن النحال ونقله من الوزارة الى الاستادارية وخلع على العلائى على بن محمد الاهناسى وقرره فى الوزارة عوضا عن سعد الدين فرج وهذه أول عظمة علاء الدين على فى الوزارة وهو على بن الاهناسى وفى رجب كانت نهاية عمارة مدرسة السلطان التى أنشأها فى الصحراء وخطب بها وعمل السلطان هنالك وليمة حافلة وحضرها القضاة الاربعة وسائر الامراء وأعيان الناس ومدبها الاسمطة الحافلة وكان يوما مشهودا وفيه طلع الامير يونس الدوادار الكبير الى القلعة وكان مريضا وشفى فخلع عليه السلطان خلعة حافلة ونزل الى داره فى موكب حافل وقدامه الامراء وأرباب الدولة من المباشرين وغيرهم وفيه أفرج السلطان عن زين الدين الاستادار وتسلمه ناظر الخاص يوسف على مال وفيه أدير المحمل على العادة وساقوا الرماحة بحضرة قاصد ملك الروم محمد بن عثمان وفيه ماتت مملك باى الجركسية سرية الملك الاشرف برسباى أم ولده سيدى احمد وكان تزوج بها قرقماس الجلب وماتت معه وهو الذى ربى سيدى أحمد ابن الاشرف برسباى وفى شعبان رسم السلطان بنفى زين الدين الاستادار الى المدينة المشرفة بعد ان أخذ منه عشرة آلاف دينار وتوجه من البحر الى المدينة الشريفة وفيه سافر الخواجا ابن القابونى قاصدا ابن عثمان وخرج صحبته قانى باى اليوسفى المهمندار وكان أشيع موت ابن عثمان قبل خروج القاصد ثم جاءت الاخبار بان ابن عثمان قد شفى وهو فى قيد الحياة فرسم السلطان بدق الكؤسات بالقلعة ثلاثة أيام وفيه توفى الامير اسباى الجمالى الظاهرى من مماليك الظاهر جقمق وكان ولى الدوادارية الثانية ثم نفى الى القدس فمات به وكان لا بأس به لين الجانب متواضعا وكان معروفا موصوفا بالشجاعة وبالفروسية وفيه جاءت الاخبار بان الامير ابراهيم بن قرمان أمير التركمان قد زحف على بلاد السلطان وقد أظهر العصيان واستولى على طرسوس وأدنه وكولك فلما سمع السلطان ذلك تشوش لهذا الخبر وعين تجريدة الى ابن قرمان وجعل باش العسكر خشقدم الناصرى أمير

سلاح ومعه جماعة من الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات وعين من الجند نحوا من أربعمائة مملوك وعين سنقر قرق شبق الزردكاش بان يتوجه قبل خروج العسكر لكشف الاخبار عن ذلك وفيه كان وفاء النيل المبارك فى سادس مسرى وفيه نزل المقر الشهابى أحمد ابن السلطان وفتح السد على العادة وفى رمضان تزايد أذى المماليك الجلبان فى حق الناس وصاروا ينهبون حواصل البطيخ الصيفى وسائر البضائع حتى امتنعت السوقة من البيع وارتفع سعر كل شئ من المأكول وغير ذلك وفيه قبض السلطان على عشرة أنفار من الزغلية وجدوهم يضربون الزغل فأمر بتوسيطهم أجمعين وفى شوال خرج الحاج من القاهرة على العادة وكان أمير ركب المحمل قانم التاجر أحد المقدمين وأمير الاول عبد العزيز بن محمد الصغير وكان السلطان قد رضى عليه وقرره من جملة الحجاب بالقاهرة وفيه ضرب السلطان خاربك الوالى بين يديه ضربا مبرحا لامر أوجب ذلك وفيه حصل للقاضى ناظر الخاص يوسف توعك فى جسده فانقطع عن طلوع القلعة أياما ثم شفى بعد ذلك وطلع الى القلعة فخلع عليه السلطان خلعة حافلة ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدامه أرباب الدولة وأعيان الناس فزينت له القاهرة من داره الى القلعة وقعدت له جوق المغانى على الدكاكين وتخلقت الناس بالزعفران وأوقدوا له الشموع على الدكاكين وكان له يوم مشهود وفيه يقول الشهاب المنصورى

ياجوهر الفرد الذى * عن جسمه زال العرض
أجفان من أحببته * تحملت عنك المرض

وفى ذى القعدة توفى قانى باى الاعمش الناصرى نائب القلعة فلما مات قرر فى نيابة القلعة عوضه النوروزى سودون وأنعم السلطان بامرية قانى باى الاعمش على ولده الناصر محمد وهو أصغر أولاده وكان أمير عشرة وفيه قرر فى نظر الجوالى القاضى زين الدين أبو بكر بن مزهر وصرف عنها ابن أصيل وفى ذى الحجة قدم قاصد جهان شاه وصحبته هدية للسلطان وعلى يده مكاتبة تتضمن أنه بعث يشكو الى السلطان من حسن بك الطويل بانه جائر عليه وقد زحف على بلاده فأرسل اليه السلطان الجواب عن ذلك وفيه نزل السلطان الى المطعم الذى بالريدانية وألبس الامراء الصوف وشق من القاهرة فى موكب عظيم وكان يوما مشهودا وفيه توفى الشيخ برهان الدين الرفاعى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل مولده بعد الثمانين والسبعمائة وتوفى اركماس اليشبكى أحد الامراء العشروات ورؤس النوب وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب اليمن وهو الملك أبو الفتح عمر بن على بن رسول التركمانى وكانت دولة بنى رسول أقامت باليمن نحوا من مائتين وثلاثين سنة وكان سبب تسمية جدهم برسول أن الخلفاء كانت تبعثه رسولا الى البلاد الشامية وغيرها من البلاد فسمى رسولا ومازال يرتقى

861

حتى ملك بلاد اليمن وانفرد بها ومعرفته مشهورة فى التواريخ القديمة ۞ ثم دخلت سنة احدى وستين وثمانمائة فيها فى المحرم قرر العلائى على بن القيسى فى ولاية القاهرة عوضا عن خاربك القصروى وقد تغير خاطر السلطان على خاربك وضربه وسجنه بالقلعة وقرر عليه مالاله صورة وخلع على الناصرى محمد بن أبى الفرج وقرر فى نقابة الجيش عوضا عن على بن القيسى وفيه نودى على الدينار بثلثمائة درهم وكان قد زاد سعره حتى بلغ ثلثمائة وسبعين درهما وكان قد كثر الغش فيه وفى الفضة وفيه قرر كسباى السمين وثانى بك الصغير قرر كل منهما رأس نوبة عصاة وفيه جاءت الاخبار بان سنقر الزردكاش لما وصل الى حلب توجه من هناك الى طرسوس فتحارب مع نائبها الذى أقامه ابن قرمان فقتله وأرسل رأسه الى السلطان فطيف بها وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام وقد تقدم ان السلطان أرسل لكشف أخبار ابن قرمان وفيه توفى الامير جرباش الكريمى صهر الملك الظاهر چقمق وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق وتولى عدة وظائف سنية منها حاجبية الحجاب وامرية مجلس وامرية سلاح ولما كبر سنه لزم داره ورتب له ما يكفيه حتى مات وقد تجاوز التسعين سنة من العمر وفى صفر ثارت فتنة كبيرة بالقلعة من المماليك الجلبان وكان السلطان فى الدهيشة فلما تزايد الامر منهم خرج اليهم السلطان وهو ماش من الدهيشة وقد هموا أن يهجموا عليه فلما عاينوه رجوه بالحجارة فولى وهو مستعجل حتى وقعت احدى نعليه من رجله فلم يلتفت اليها ومر حافيا ويقال انه أصابته طوبة من الرجم فى ظهره وانعطب بعض الخاصكية من الرجم فى وجهه وكانت حادثة شنيعة قل ان يقع فى الحودث أشنع منها فلما دخل السلطان الدهيشة أغلقوا عليه الباب وكان عنده بعض الامراء واستمر الحال على ذلك الى العصر والامراء والخاصكية قد تعوقوا بالقلعة فترددت الرسل بين السلطان وبين المماليك الجلبان فى هذه الواقعة فآل الامر فيها بان زاد هم ألف درهم فى الكسوة فصارت من يومئذ ثلاثة آلاف درهم لكل مملوك وزاد هم فى الاضحية رأسا من الغنم فى كل سنة فسكنت الفتنة قليلا وقد استطالوا بعد ذلك على الناس ووقع منهم أمور شنيعة يطول الامر فى شرحها وعظم أذاهم بالناس جدا ووقع منهم أمور ما وقعت من مماليك السلاطين قبلهم قط وفيه عقد مجلس بين يدى السلطان وحضر القضاة الاربعة ومشايخ العلم فلما تكامل المجلس تكلم الجمالى يوسف مع القضاة بسبب غش الفضة فى المعاملة وأحضروا نقود الدول القديمة من أيام المؤيد شيخ الى دولة الظاهر چقمق فسبكت فلم يوجد أكثر غشا وفسادا من ضرب فضة دولة الاشرف اينال فأمر السلطان باشهار المناداة فى القاهرة بابطال المعاملة الحلبية والدمشقية فوقف حال الناس وأشيع بين الناس أن العامة ترجم الجمالى يوسف ناظر الخاص واضطربت الاحوال فنودى فى القاهرة بأن كل شئ على حاله فى المعاملة الحلبية وغيرها

ثم نقض ذلك بعد مدة وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم من علماء الحجاز يدعى جلال الدين أبو السعادات بن ظهيرة الشافعي وكان علامة ولي قضاء مكة ونظر الحرم والحسبة وكان حسن السيرة وفيه توفي الشيخ سراج الدين الحصي الشافعي قاضي دمشق وكان عالما فاضلا ولي عدة وظائف منها قضاء طرابلس وحلب ودمشق وغير ذلك وكان قد ترشح أمره لقضاء مصر بل وكتابة السر ولم يتم له ذلك وفيه توفي الطواشي عبد اللطيف الرومي المنجكي مقدم المماليك وكان لا بأس به بين الخدام وفي ربيع الاول توفي القاضي شهاب الدين احمد بن محمد الرفتاوي الشافعي نائب الحكم بالديار المصرية وكان من أهل العلم والفضل ومولده سنة تسعين وسبعمائة وفيه عمل السلطان المولد الشريف على العادة وكان يوما حافلا وفيه خلع السلطان على ولده المقر الشهابي احمد وقرره أمير ركب المحمل ورسم لزوجته خوند زينب وأولاده بان يحجوا في تلك السنة وشرع لهم في عمل برق حافل وحجت صحبة ولدها المقر الشهابي أحمد وفي ربيع الآخر أعيد خاربك القصروي الى ولاية القاهرة وصرف عنها علي بن القيسي وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة بان شخصا من الاشراف يقال له الشريف برغوت تسلق الى سطح الحجرة النبوية الشريفة واختلس عدة قناديل ذهب وفضة فأخذها وفر الى الينبع فقبض عليه بعد أيام وأخذ ما معه من القناديل وسجن وكانت هذه الفعلة من أقبح الفعائل وفي جمادى الاولى خرجت التجريدة المعينة الى ابن قرمان وكان باش العسكر خشقدم أمير سلاح ومعه جماعة من الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات ومن المماليك نحو من أربعمائة مملوك وكان خروجهم يوم مشهود وفيه أرسل السلطان زردخانه حافلة على يد نوكار الزردكاش بسبب العسكر المتوجه الى ابن قرمان وكان نوكار مريضا فخرج غصبا على كره منه وفي جمادى الآخرة جاءت الاخبار بوفاة نوكار الزردكاش مات بغزة وكان من مماليك الناصر فرج بن برقوق وكان لا بأس به فلما مات خلع السلطان على سنقر الاشقر المعروف بقرقشبق وقرر في الزردكاشية عوضا عن نوكار الناصري بحكم وفاته وفي رجب طفش جماعة من فرسان العربان ركاب خيول وشرعوا يعرون الناس من الصحراء الى ان وصلوا الى رأس الصوة وكان ذلك وقت القائلة فخطفوا عمائم الفقهاء وسلبوا قماش الناس عنهم ولم يجدوا من يردهم عن ذلك وكانت هذه اباحة صعدت من أولئك العربان وفيه توفي قاضي قضاة المالكية ولي الدين السنباطي وهو محمد بن عبد اللطيف بن اسحق بن احمد بن اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن داود بن عتيق الاموي المالكي وكان عالما فاضلا من اعيان المالكية ومولده سنة ست وثمانين وسبعمائة فلما توفي وقع الكلام على من يلي قضاء المالكية فوقع الاختيار على ولاية السيد الشريف حسام الدين بن حرير فسعى في ذلك بمال جزيل وكان الساعي له في ولاية القضاء

الجمالى يوسف ناظر الخاص وكان يومئذ فى المالكية من هو أعلم منه ولكن ساعدته الاقدار
وولى قضاء المالكية واقام بها مدة طويلة الى ان مات وفيه اديرالمحل على عادته ولكن حصل
فيه من المماليك الجلبان غاية الضرر فى حق الناس من خطف النساء والصبيان وعظم
الفساد وخطف عمائم الناس وغير ذلك وفيه جاءت الاخبار بان حسن بيك الطويل صاحب
ديار بكر تحارب مع جهان شاه صاحب تبريز والعراقين فجرى بينهم من الحروب مايطول
شرحه وآل الامر الى أن حسن الطويل قد انتصر على جهان شاه فلما جاءت الاخبار بذلك
سر السلطان بنصرة حسن الطويل على جهان شاه وفيه عاد قانى باى اليوسفى الذى كان
توجه الى ابن عثمان ملك الروم وأخبر بانه اكرمه غاية الاكرام وفى شعبان جاءت الاخبار
من حلب بان العسكر الذى توجه من مصر صحبة الامير خشقدم أمير سلاح دخل بلاد ابن
قرمان وشن فيها الغارات وأخربوا غالب بلاده وقطعوا الاشجار التى بها وقتلوا جماعة كثيرة
من عسكره فلما بلغ السلطان ذلك سرّ به وفى رمضان أرسل السلطان جماعة من العسكر
الى اللجون بسبب قطع الاخشاب على العادة وكان الباش على العسكر يشبك بن سليمان
المعروف بالفقيه المؤيدى أحد الامراء الطبلخانات يومئذ وهو الذى تولى الدوادارية الكبرى
فيما بعد وفيه توفى عالم الحنفية وشيخهم بالديار المصرية الاستاذ الشيخ كمال الدين محمد بن
الهمام الحنفى وهو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسى المصرى الحنفى
شيخ الشيوخ بالخانقاه الشيخونية وكان فريد عصره فى علماء الحنفية عالما ملا فاضلا رحمة
الله عليه وكان مولده سنة تسع وثمانين وسبعمائة وكان معظما عند الملوك وأرباب الدولة
ولى مشيخة الاشرفية والشيخونية وغير ذلك من الوظائف السنية وفيه وصل سودون
القصروى أحد الدوادارية وأخبر بنصرة العسكر المتوجه الى ابن قرمان وقد استولى العسكر
على غالب بلاده وأخربها وأحرق أشجارها فلما تحقق السلطان ذلك أمر بضرب البشائر
بسبب هذه النصرة فدقت الكؤسات بالقلعة ثلاثة أيام وفيه كان وفاء النيل المبارك ونزل
المقر الشهابى أحمد ولد السلطان وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا ولكن كان فى
شهر رمضان فقيل أفطر فى ذلك اليوم جماعة كثيرة من العياق الاوباش وكان يوما شديدا الحر
وفيه عمل السلطان مسايرة حافلة وركب معه أرباب الدولة من المباشرين وغيرهم وفى
شوال توفى الامير جانى بك القرمانى حاجب الحجاب وكان لا بأس به وقد جاوز الثمانين سنة
من العمر وكان لين الجانب متواضعا مات فى التجريدة التى أرسلت الى ابن قرمان وفيه وصل
العسكر الذى توجه الى بلاد ابن قرمان ودخل باش العسكر الامير خشقدم أمير سلاح وكان
يوم دخولهم يوما مشهودا بالقاهرة ولكن حصل للعسكر بعد خروجهم من غزة وباء فمات منهم
مالا يحصى ودخل الباقون وهم متوعكون حتى الامراء واكثر الجند وفيه قرر فى تقدمة

جانى بك القرمانى أبا يزيد التمربغاوى وقرر فى امرية ابى يزيد برسباى المؤيدى وفيه خرج المحمل من القاهرة فى تجمل زائد وخرج ابن السلطان فى موكب حافل وخرجت والدته خوند زينب فى محفة زركش هى وأولاد خوند زوجة الامير بردبك وزوجة الامير يونس البواب أمير داودار كبير وخرج ولد السلطان سيدى محمد صحبة أخيه المقر الشهابى أحمد وكان لهم يوم مشهود وحج فى تلك السنة جماعة كثيرة من أعيان المباشرين منهم القاضى محب الدين بن الاشقر كاتب السر والقاضى علم الدين شاكر بن الجيعان وجماعة من أولاده والقاضى أبو بكر بن مزهر ناظر الاصطبل وغير ذلك من الاعيان وفيه حضر جانى بك نائب جدة وحضر صحبته زين الدين الاستادار وقد تقدم ان السلطان نفاه الى المدينة الشريفة ثم رضى عليه وأحضره الى القاهرة وفيه أنعم السلطان على جانى بك الاسماعيلى المعروف بكوهية بامرية عشرة وفيه خلع السلطان على برسباى البجاسى وقرر فى حجوبية الحجاب عوضا عن جانى بك القرمانى بحكم وفاته وفى ذى القعدة قدم قاصد صاحب بغداد بهدية للسلطان ومكاتبة أنه كسر الخارجى الذى يقال له المشعشع وقتل غالب عسكره وأن الحاج العراقى تجهز فى تلك السنة بعدما كان له مدة وهو منقطع بسبب أمر المشعشع فأكرم السلطان ذلك القاصد وأقام أياما وسافر وفيه توفى الشيخ سراج الدين عمر الوردى الشافعى وكان من أهل العلم وفيه خلع السلطان على القاضى صلاح الدين المكينى وقرره فى الحسبة وفى ذى الحجة ثار المماليك الجلبان بالقلعة ومنعوا الامراء من الطلوع الى القلعة وذلك بسبب زيادة رأس غنم فى كل سنة فشح السلطان فى ذلك ثم رسم لكل واحد بزيادة رأس غنم فى الاضحية وخمدت الفتنة قليلا وفيه فى ثامن عشريه قدم مبشر الحاج وهو مرداش الطويل وأخبر بأن الحاج قاسى عطشة عظيمة فى أثناء الطريق ومات من الناس ما لا يحصى وأخبر بسلامة خوند وأولاد السلطان فضربت البشائر بالقلعة لهذا الخبر وفيه توفى أزبك الشمسمانى أحد الامراء بمصر وفيه أخرج السلطان تقدمة طوخ بونى بازق بحكم عجزه عنها وكان مريضا وقرر فى تقدمته برسباى البجاسى وقرر فى تقدمة برسباى البجاسى بيبرس خال الملك العزيز وقرر فى امرية مجلس جرباش المعروف بكرت عوضا عن طوخ بونى بازق وقرر يونس العلائى أمير اخور كبير عوضا عن جرباش كرت بحكم انتقاله الى امرية مجلس

862 ثم دخلت سنة اثنتين وستين وثمانمائة فيها فى المحرم أنعم السلطان على قايتباى المحمودى بامرية عشرة وكان أحد الدوادارية وقايتباى هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وكان بين تأميره وسلطنته تسع سنين وبعض شهور وفيه قرر فى نيابة ملطية تغرى بردى وفيه توفى القاضى شهاب الدين السيرجى أحد نواب الحكم بالديار المصرية وكان من أهل العلم والفضل وكان مولده سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وفيه دخل الحاج الى القاهرة ووصل ابن

السلطان ووالدته واخوته وكان لهم يوم مشهود وموكب حافل ولاقاهم الامراء وأرباب الدولة من البويب ومشت الامراء قدام محفة خوند حتى طلعت الى القلعة والامراء مشاة قدامها من البويب ثم طلعت هى وأولادها وحمل الامير فيروز الزمام على رأسها القبة والطير وفرشت لها الشقق الحرير من باب الستارة الى أن جلست على المرتبة بقاعة العواميد ونثر على رأسها خفايف الذهب والفضة ثم دخلت اليهم التقادم من الامراء والمباشرين لخوند وأولادها وكان ما أهداه الجمالى يوسف ناظر الخاص قندوره لخوند الكبرى مثلث ذهب ولؤلؤ وريش فكان مصروفها ما يزيد على اثنى عشر ألف دينار وهذا خارج عن بقية التقادم لها ولاولادها لكل منهم تقدمة على انفراده ولاسيما ما أهداه للمقر الشهابى أحمد ولد السلطان وأخيه الناصرى محمد حتى قيل انه صرف فى هذه الحركة نحو مائة ألف دينار ما بين تقادم وأسمطة وغير ذلك وهذا من ماله دون مال غيره وأفعال ناظر الخاص يوسف فى أخباره تقارب أخبار جعفر البرمكى وهذا الامر مشهور بين الناس وفيه وصلت تقدمة من عند قانى باى الحمزاوى نائب الشام ومن جملتها خيول نحو ثمانين فرسا أحدها مسروج بسرج بلور من نوادر السروج وفى صفر رسم السلطان باحضار أزبك بن ططخ الظاهرى وكان مقيما بطالا فلما طلع الى السلطان بالقلعة ألبسه سلاريا من ملابسه ونزل الى بيته فأنعم عليه بامرية عشرة وفيه مات الشيخ عبد الكريم خليفة سيدى أحمد البدوى رحمة الله عليه مات قتيلا ولا يعلم من قتله وكان غير مشكور فى سيرته ولى خلافة سيدى أحمد البدوى مدة طويلة فلما مات ولى بعده صبى من أقاربه اسمه عبد المجيد وفيه توفى القاضى علاء الدين على بن أقبرس التركى الاصل وكان عالما فاضلا على مذهب الشافعى وكان رئيسا حشما ولى عدة وظائف سنية منها الحسبة ونظر الاوقاف وناب فى القضاء وكان من أعيان نواب الشافعية ومولده سنة احدى وثمانمائة وفى ربيع الاول نودى فى القاهرة بتسعير الذهب والفضة وضرب السلطان فضة جديدة فسعر الدينار الذهب بثلثمائة والفضة الجديدة كل أشرفى بخمسة وعشرين نصفا عددية جيدة من خالص الفضة وأبطل سائر المعاملات من تلك الفضة المغشوشة التى كان وصل الدينار منها الى أربعمائة وستين درهما فخسر الناس فى هذه الحركة ثلث أموالهم ولكن انصلح أمر المعاملة بعد ما كانت فسدت ففرح طائفة من الناس بذلك واغتم آخرون وكان القائم فى ذلك الجمالى يوسف ناظر الخاص فاضطربت الاحوال لذلك مدة ثم مشت تلك المعاملة الجديدة وسكن الاضطراب قليلا قليلا وصار كل من قبض عليه السلطان من الزغلية يوسطه أو يقطع يده فوقع الرعب فى قلوب الزغلية وكان ذلك سببا لاصلاح المعاملة وقد انصلحت بعد جهد كبير وقال الشهاب المنصورى فيمن أهدى اليه دينارا عند المناداة على الذهب

أمولاى قد آثرتنى متفضلا * وأهديت دينارا قد استغرق الوصفا
ولكنه قد خاف أمر مليكه * ألم تره من خوفه نقص النصفا

وفيه توفى الشيخ الصالح المسلك المعتقد سيدى مدين وكان من الاولياء وللناس فيه اعتقاد وفيه توفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن مبارك شاه وهو أحمد بن محمد بن حسين بن ابراهيم بن سليمان القاهرى الحنفى وكان عالما فاضلا شاعرا ماهرا وله نظم جيد وألف الكتب النفيسة فى الادبيات وغير ذلك منها كتاب يقال له السفينة كله محاسن وفوائد ومولده سنة ست وثمانمائة ومن شعره عشرة مقابلة بعشرة قوله

فرع جبين محيا قامة كفل * صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل هلال صباح بانة ونقا * آس أقاح شقيق نرجس درر

وفى ربيع الآخر توفى جانم البهلوان الاشرفى أحد الامراء العشراوات رؤس النوب وكان رئيسا حشما شجاعا بطلا بارعا فى فنون الفروسية وفيه حصل للسلطان توعك فى جسده ثم شفى فضربت البشائر بالقلعة بسبب ذلك وبابواب الامراء وفيه توفى الامير طوخ بن تمراز الناصرى المعروف ببونى بازق وكان اصله من مماليك الناصر فرج ابن الظاهر برقوق ومات بطالا بعدما كان أمير مجلس وكان كبر سنه وعجز عن الحركة وفيه توفى القاضى شهاب الدين أحمد المعروف بقرقاس وهو أحمد بن على بن محمد بن مكى بن محمد بن عبيد بن عبد الرحيم الانصارى الدماصى الحنفى وكان عالما فاضلا وناب فى القضاء بخط بولاق وكان مولده سنة تسعين وسبعمائة وفيه توفى سودون النوروزى نائب القلعة فلما مات قرر بعده فى نيابة القلعة كمشباى السمين وقرر جانى بك كوهية أحد رؤس النوب عن كمشباى السمين وفيه توفى الناصرى محمد بن لاجين الجندى الحنفى وكان من أعيان الحنفية وفى جمادى الاولى خلع السلطان على الطواشى مرجان العادلى وقرره فى تقدمة المماليك وفيه قرر فى نظر الدولة منصور بن الصيفى وهذا أول ظهوره فى الرياسة وفيه توفى المغنى الاستاذ فى فن النشيد فريد عصره ووحيد دهره ناصر الدين محمد المازونى القاهرى وكان بارعا فى فن الغناء وكان يضرب به المثل فى حسن النغم ومعرفة الفن ولم يجئ بعده من هو فى طبقته الى يومنا هذا وقد رثاه الشهاب المنصورى بهذه الابيات

يا نزهة السمع سكنت الثرى * فللملاهى أيما لهفى
كم لطمة من قدم أويد * فى خدى الدوكة والدف

وقوله أيضا

كانت به لذاتنا موصولة * فانقطعت بموته اللذات
وكانت الاصوات تزهو بهجة * فارتفعت لموته الاصوات

وكان حصل للماز ونى خلط فالج فاقام به مدة طويلة حتى مات فكان يقول ارحموا من سكت
حسه وبطل نصفه وفيه نزل السلطان من القلعة وصحبته الامراء وأرباب الوظائف
من الدولة فساروا الى نحو جزيرة اروى ثم توجه الى بولاق وكان له يوم مشهود فلما شق
من بولاق أمر بهدم ما كان بها من الاخصاص وكانت تضيق الطريق على السالك فهدمت
من يومها وفيه مات الشيخ شهاب الدين أحمد بن الاوجاقى الشافعى وكان عالما فاضلا ذكيا
وفيه صرف القاضى صلاح الدين المكينى عن الحسبة وقرر بها قانى باى اليوسفى المهمندار
وكان جماعة من الجلبان ثاروا على المحتسب فكان هذا سببا لصرفه عن الحسبة وفيه قدم
قاصد من عند ابن قرمان وعلى يده مكاتبة يعتذر فيها عما حصل منه من الخروج عن
الطاعة وأرسل يسأل السلطان فى العفو عنه والصلح معه فاجابه السلطان الى ذلك وفيها
نزلت صاعقة عظيمة ببولاق حتى كادت تحرق عن آخرها وكان ذلك يوم الجمعة من شهر رجب
واستمر فى كل ليلة يحترق فى مصر والقاهرة حريق وأقام على ذلك نحو سنة حتى ضج الناس
863 من ذلك ❁ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثمانمائة فيها توفى القاضى محب الدين بن الاشقر
كاتب السر الشريف فلما توفى خلع السلطان على القاضى محب الدين بن الشحنة واستقر
به كاتب السر الشريف عوضا عن ابن الاشقر وكانت وفاته فى رجب وفيها توفى الشيخ على
البجمى المحتسب وفيها توفى قانباى الحمزاوى نائب الشام واستقر بها جانم الاشرفى وفيها ظهر
فى السماء نجم له ذنب طويل نحو سبعة أذرع فكان يطلع من جهة الشرق ثم صار يظهر من
جهة الغرب فأقام على ذلك مدة ثم اختفى ❁ ومن الحوادث فى أيامه أن حضر الى الابواب
الشريفة جاكم ابن ملك قبرس وطلب من السلطان نجدة فعين السلطان معه تجريدة وكان
باش العسكر الامير يونس الدوادار ثم ان السلطان شرع فى عمارة مراكب أغربة بالجزيرة
الوسطى وكان الشاد على عمارة هذه الاغربة الامير سنقر قرق شبق الزردكاش فحصل منه غاية
الظلم لارباب الغيطان بسبب الاخشاب فلما كملت عمارة تلك الاغربة نزل السلطان بنفسه
وكشف على عمارة الاغربة وكان له يوم مشهود ونزل من القلعة فى موكب عظيم وتوجه الى
الجزيرة الوسطى فرموا قدامه الاغربة فى البحر والنفط والطبل عمال حتى انتهى ذلك ثم
رجع الى القلعة فلما خرجت التجريدة وتوجهوا الى بلاد الافرنج لم يحصل من العسكر
الذى توجه نتيجة ورجع الامير يونس الدوادار من التجريدة بسرعة وترك بقية العسكر فى
قبرس ورجع الى القاهرة فناشكره أحد من العسكر على ذلك وبقى ممقوتا عندهم الى أن
مات وفيها توفى الامير يونس العلائى الناصرى أميرا خور كبير فخلع السلطان على الامير
برسباى البجاسى واستقر به أميرا خور كبير عوضا عن يونس العلائى وخلع على الامير
سودون قراقاش واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن برسباى البجاسى وأنعم على الامير جانى

بك نائب جدة بتقدمة ألف ❁ ثم دخلت سنة أربع وستين وثمانمائة فيها وقع الطاعون بالديار المصرية وكان مبدؤه من الشام وكان طاعونا عظيما جدا مات فيه ثلث المماليك والاطفال والجوارى والعبيد والغرباء واستمر عمالا نحو خمسة أشهر وكان الورد فى تلك السنة كثيرا فصاروا يعملون على التوابيت قواصير جريد يغرزون فيها الورد وقد انتهت الجنائز فى كل يوم الى اثنى عشر ألف جنازة وقد قال القائل

أسفى على سكان مصر اذ غدا * للطعن فيها ذات وخز سارى

الموت أرخص ما يكون بجبة * لكن هذا صار بالقنطار

وفيها توفى العلامة الشيخ جلال الدين المحلى الشافعى وفيها توفى الزينى أبو الخير بن النحاس وفى هذه السنة كانت وفاة القاضى برهان الدين ابراهيم بن الجيعان كاتب الخزائن الشريفة ومستوفى ديوان الجيش 865 ❁ ثم دخلت سنة خمس وستين وثمانمائة فيها توجه الاتابكى أحمد ابن المقام الشريف الى السرحة فلما عاد زينت له القاهرة وكان يوم دخوله يوما مشهودا وطلع الى القلعة فى موكب عظيم وفيها توفى الناصر محمد بن يتمش الخضيرى ابن أخت خوند بنت خاصبك توفى يوم دخول الاتابكى أحمد الى القاهرة فكدر عليهم ذلك اليوم واستمر الملك الاشرف اينال قائما فى ملكه وهو فى أرغد عيش وأولاده حوله وكان غالب الامراء اصهاره والعسكر فى قبضة يده واستمر على ذلك حتى مرض بألم المحاشم وسلسل فى المرض حتى مات وكانت وفاته يوم الخميس بعد العصر خامس عشر جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة ودفن من يومه فى تربته التى أنشأها له القاضى ناظر الخاص يوسف بالقرب من تربة القاضى عبد الباسط التى فى الصحراء فكثر عليه الحزن والاسف كما قيل فى المعنى

هى الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت

ونفعل بالذين بقوا * كما فيمن مضى فعلت

وتوفى الملك الاشرف اينال وله من العمر احدى وثمانون سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ثمان سنين وشهرين وستة أيام وخلف من الاولاد أربعة وهم الاتابكى أحمد الذى تسلطن بعده والمقر الناصر محمد أخوه الصغير وابنته خوند بدرية زوجة بردبك وابنته خوند فاطمة زوجة يونس البواب الدوادار الكبير ولم يتزوج اينال غير أم أولاده خوند زينب بنت خاصبك ولما ثقل فى المرض عهد بالملك الى ولده الاتابكى أحمد فتسلطن ووالده فى قيد الحياة وكانت صفة الملك الاشرف اينال طويل القامة أسمر اللون عربى الوجه خفيف العوارض وكان يعرف باينال الاجرود وكان ملكا هينا لينا قليل الاذى ولولا جور مماليكه فى حق الناس لكان خيار ملوك الجراكسة وكان كل من يقع له من الزغلية يوسطه وكانت أيامه كلها لهو وانشراح وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب فكانوا يخطون له

على المراسيم حتى يمشى عليها بالقلم وقيل انه فى مدة سلطنته لم يسفك دما قط بغير وجه شرعى فعد ذلك من النوادر ومن الحوادث فى أيامه أنه كان يقع بالقاهرة فى كل ليلة حريق فى عدة أماكن حتى ضج الناس من ذلك ولم يعلم سبب هذه النازلة ولا من كان يفعل ذلك فاستمر الامر على ذلك مدة ثم بطل وفى أيامه تحرك ابن قرمان على بلاد السلطان فأخرج اليه تجريدة وكان باش العساكر المقر السيفى خشقدم أمير سلاح فلما توجهوا الى بلاد ابن قرمان لم يقاتلهم ولم يقع بينهم قتال فرجع العسكر الى الديار المصرية وهم سالمون ومن الحوادث فى أيامه ان خوند زوجة السلطان مرضت فنزلت الى بولاق وأقامت فى القطبية فنزل السلطان وسلم عليها فلما حصل لها الشفاء أحرقوا فى بولاق حراقة نفط فخرجت فى تلك الليلة البنت من خدرها بسبب الفرجة على ذلك وكانت من الليالى المعدودة فى القصف والفرجة وكانت دولة الملك الاشرف اينال ثابتة القواعد فأما أتابكيته فالمقر السيفى ثانى بك الظاهرى وولده المقر الشهابى أحمد وأما دواداريته فالمقر السيفى يونس البواب صهره والامير بردبك الدوادار الثانى مملوكه وصهره أيضا وأما قضاة الشافعية فالقاضى علم الدين صالح البلقينى وأما قضاة الحنفية فشيخ الاسلام سعد الدين الديرى وأما قضاة المالكية فالقاضى ولى الدين السنباطى ثم السيد الشريف حسام الدين بن حريز وأما قضاة الحنابلة فالقاضى عز الدين أحمد بن نصر الله الحنبلى وكان الجمالى يوسف ناظر الخاص مدبر مملكته كما كان القاضى عبد الباسط فى دولة الاشرف برسباى وكان ينقاد الى الشريعة ويحب العلماء قليل العزل للقضاة وأرباب الوظائف وكان معظم مساويه مماليكه الجلبان وبالجملة كان الاشرف اينال من خيار ملوك الجراكسة انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الاشرف اينال العلائى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المؤيد أبى الفتح شهاب الدين أحمد ابن الملك الاشرف اينال العلائى الناصرى

وهو السابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثالث عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد بويع بالسلطنة فى حياة والده وكانت صفة مبايعته بالسلطنة ان أباه لما أشرف على الموت طلع الامير بردبك صهر السلطان واجتمع بخوند زوجة السلطان وذكر لها أن الاحوال فاسدة والامور فى اضطراب ومن الرأى أن السلطان يعهد الى ولده بالسلطنة فدخلت خوند على السلطان وذكرت له ذلك فأمر باحضار الخليفة والقضاة الاربعة فحضر الخليفة الجمالى يوسف والقضاة الاربعة وهم علم الدين صالح البلقينى

الشافعي وسعد الدين الديري الحنفي وحسام الدين بن حريز المالكي وعز الدين الحنبلي وحضر أرباب الدولة من أرباب الحل والعقد فلما تكامل المجلس دخل بعض الشهود على السلطان وشهدوا عليه بخلع نفسه من السلطنة وتولية ولده ثم ان الخليفة بايع الاتابكي أحمد بن اينال بالسلطنة عوضا عن أبيه وتلقب بالملك المؤيد فلما تمت له البيعة أحضر له شعار الملك وهو العمامة السوداء والجبة والسيف البداوي وأفيض عليه الشعار وقدمت اليه فرس النوبة وركب من باب الدهيشة وحمل الامير خشقدم أمير سلاح على رأسه القبة والطير وقد ترشح أمره لان يلي الاتابكية فلما ركب من الدهيشة مشت قدامه الامراء قاطبة والخليفة عن يمينه حتى دخل القصر الكبير ونزل عن فرسه وجلس على سرير الملك وباس له الامراء الارض من كبير وصغير ودقت له البشائر بالقلعة ثم نزل الوالي ونادى في القاهرة بالامان والاطمئنان والدعاء للملك المؤيد فارتفعت الاصوات بالدعاء وكان محببا للناس قليل الاذى ثم خلع على الخليفة والامير خشقدم ونزلا الى دورهما وكان له من العمر لما تولى السلطنة نحو من ثمان وثلاثين سنة أو زيادة على ذلك وكانت أمه خوند زينب بنت خاصبك وكان كامل الهيبة حسن الشكل أبيض اللون مستدير اللحية أسود الشعر طويل القامة غليظ الجسد وكان كفؤا للسلطنة ولكن لم يساعده الزمان وجنى عليه وخان كما قيل

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك في اعتدال

فلما تم أمره في السلطنة عمل الموكب وجلس على سرير الملك وقال فيه القائل

بهجتي أفدي مليكا غدا * مؤيدا بالنصر كالشمس

فلو تراه فوق كرسيه * لقلت هذا آية الكرسي

ثم أخذ في تدبير ملكه وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفي خشقدم الناصري أمير سلاح فقرره في الاتابكية عوضا عن نفسه وأخرج له مكتوبا باقطاعه الذي كان بيده وخلع على جرباش المحمدي المعروف بكرت وقرره في امرية سلاح وخلع على قرقماس الجلب وقرره في أمرية مجلس عوضا عن جرباش كرت وخلع على قانم التاجر وقرره رأس نوبة النوب عوضا عن قرقماس الجلب وقرر في تقدمة جرباش كرت يبرس خال الملك العزيز ثم شغرت تقدمة فاراد أن ينعم بها على صهره الامير بردبك الدوادار الثاني فوقف اليه جاني بك الظريف وباس الارض وطلب التقدمة التي شغرت فابى السلطان من ذلك وحصل بين جاني بك الظريف وبين الامير يونس الدوادار الكبير في ذلك اليوم تشاجر بسبب ذلك ونزل جاني بك الظريف من عند السلطان غير راض وكان ذلك سببا في سرعة زوال الملك المؤيد أحمد عن قريب ثم ان السلطان نادى في الحوش للعسكر بان نفقة البيعة في يوم الثلاثاء عشري هذا الشهر لكل مملوك عشرون دينارا فسر الجند بذلك وارتفعت له

الاصوات

الاصوات بالدعاء هذا كله جرى ووالده الاشرف فى قيد الحياة الى أن مات فى يوم الخميس بعد العصر وذلك فى خامس عشر جمادى الاولى من تلك السنة فلما مات شرعوا فى تجهيزه وأخرجوه عند باب الستارة وصلى عليه الخليفة وولده الملك المؤيد أحمد ثم نزلت جنازته من سلم المدرج وتوجهوا به الى تربته التى أنشأها بالصحراء كما تقدم ثم ان السلطان بعث نفقات الامراء فحمل للاتابكى خشقدم أربعة آلاف دينار ولارباب الوظائف من الامراء والمقدمين لكل واحد منهم ألفان وخمسمائة دينار ولبقية المقدمين لكل منهم ألفا دينار وحمل للامراء الطبلخانات لكل واحد منهم خمسمائة دينار وحمل للامراء العشراوات لكل واحد منهم مائتا دينار ثم أنفق على الجند على العادة القديمة من مائة دينار الى مادون ذلك الى عشرة دنانير ثم أنعم السلطان على يشبك البجاسى الاشرفى ويشبك هذا كان من مماليك الاشرف اينال وكان فى أيام أستاذه مقدم ألف بحلب ثم حضر الى القاهرة فبقى مقدم ألف بمصر وفى جمادى الآخرة عين السلطان جماعة من خواصه من الامراء والخاصكية بالتوجه الى البلاد الشامية وغيرها ببشارة السلطنة الى النواب وغيرهم وفيه جاءت الاخبار من قبرس بان جانى بك الابلق الذى كان مقيما بقبرس مع جماعة من المماليك السلطانية أرسل يخبر بان أخت جاكم صاحب قبرس فرت الى رودس لتستنجد بصاحبها ليمدها بعسكر حتى تحارب أخاها وتأخذ منه مدينة شيرينه فارسل جانى بك الابلق يستحث السلطان فى ارسال تجريدة تنجده سريعا وكان يظن ان الاشرف اينال فى قيد الحياة وفيه خلع السلطان على مجد الدين بن البقرى وقرره فى الاستادارية عوضا عن منصور بن الصفى بحكم صرفه عنها وهذه أوّل ولاية مجد الدين للوظائف السنية وفيه توفى الطواشى مرجان العادلى مقدم المماليك وكان حبشى الجنس وكان عنده شدة بأس وعسوفة زائدة فلما مات قرر فى تقدمته جوهر النوروزى وفيه توفى جميل بن أحمد بن عميرة شيخ العرب بالكفور بالغربية وكان ظالما عسوفا وكان فى سعة من المال وهو بخيل جدّا وفيه توفى الصاحب سعد الدين فرج بن ماجد النحال وكان أصله من الاقباط ولى عدة وظائف سنية منها الوزارة والاستادارية غير مامرة وولى أيضا كتابة المماليك وغير ذلك من الوظائف وكان رئيسا حشما دينا خيرا مشكورا فى مباشرته وكان عنده حدة مزاج فى ذاته ومولده فى سنة احدى وثمانمائة وفيه كان قراءة تقليد السلطان بالقصر الكبير وحضر الخليفة والقضاة الاربعة وأرباب الدولة وجلس القاضى كاتب السر محب الدين بن الشحنة على كرسى وقرأ التقليد على العادة ثم ان السلطان خلع على الخليفة والقضاة الاربعة ونزلوا من القلعة فى موكب حافل وفيه ثارت عربان لبيد ووصلوا الى البحيرة وشنوا بها الغارات ونهبوا الغلال فلما بلغ السلطان ذلك بادر وأرسل خلفهم تجريدة ولم يرسل من المماليك الجلبان أحدا

فعز ذلك على المماليك القرانصة وأضمروا له السوء وفى رجب ظهر فى القاهرة وضواحيها الامن والعدل والرخاء وأحب الرعية السلطان حبا شديدا ومالت اليه النفوس قاطبة كما قيل

دولته للأنام عيد * باق وأيامه مواسم
قد أظهر العدل فى الرعايا * وأبطل الجور والمظالم
وصير الشاة فى حماه * تمشى مع الذئب والضياغم
لو نطقت مصرنا لقالت * يا ملك العصر والأقالم
ملأت قلب الملوك رعبا * أغنى عن السمر والصوارم

وفيه هجم المنسر على المتفرجين بجزيرة بولاق وكان فى الظلمة نصف الليل فنهبوا من الناس شيأ كثيرا وكان الناس قد خرجوا عن الحد فى الفتك والقصف بسبب الفرجة ونصبوا هناك الخيام حتى سدوا رؤية البحر وصاروا يقيمون فى الرمل ليلا ونهارا من نساء ورجال وهم فى غاية التزخرف فهجم عليهم المنسر على حين غفلة ونهب ما قدر عليه ولم يتطلع فى ذلك شاتان وفيه قدم الاشرفى الذى كان دوادارا ثانيا بمصر ونفى فى دولة الاشرف اينال فلما مات اينال قدم الى القاهرة من غير اذن السلطان فلما حضر نزل عند الاتابكى خشقدم فلما بلغ السلطان ذلك شق عليه وأمر باخراجه من حيث جاء فخرج من يومه وأمر بسجنه فشفع فيه بعض الامراء فانعم عليه السلطان بتقدمة ألف بدمشق وألبسه كاملية سمور وخرج من مصر سريعا فشق ذلك على جماعة الاشرفية وكثر القيل والقال بين الناس ولهجوا بوقوع فتنة عن قريب وفيه وصل الطواشى شاهين غزالى الذى توجه الى دمشق لضبط تركة زوجة قانى بك الحزاوى نائب الشام واشتملت تركتها على أشياء غريبة من تحف ومعادن نفيسة وأقمشة مثمنة وأوانى فضة وبلور مما لا يسمع بمثله فكان هذا الموجود أعظم من موجود الخوندات فامر السلطان ببيعه فى كل يوم ثلاثاء فاقاموا نحوا من شهر وهم يبيعون فى ذلك الموجود وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو القرافة وعاد سريعا وهذا أول ركوبه فى السلطنة وكان آخر ركوبه وفيه أمطرت السماء بردا كبارا كل حصوة قدر بيضة الحمامة وكان غالب ذلك ببلاد الشرقية وتلف بها أكثر الزرع وهلك بها بعض بهائم وفيه توفى الامير فيروز الزمام الخازندار الكبير وكان أصله من خدام فيروز الحافظى وكان رئيسا احتشما وولى عدة وظائف منها الزمامية والخازندارية الكبرى وغير ذلك من الوظائف وكان سيئ الاخلاق حاد المزاج وكان فى سعة من المال ووجد له من الاصناف والمال ما يزيد على مائة ألف دينار قيل انه بيع له حاصل فيه نحو بألف دينار ومات

وله من العمر مايزيد على ثمانين سنة ولم يجئ بعده مثله من الخدام وفى رمضان أشيع بين الناس أن السلطان عول على امساك جماعة من الامراء الاشرفية ثم انه أمر نقيب الجيش بأن يدور على الامراء ويأمرهم بالصعود الى القلعة وما عرف السبب لذلك فأخذوا حذرهم وباتوا على وجل ولم يطلع اليه أحد فلما كان ليلة السبت سابع عشر رمضان وثب جماعة من المماليك الاشرفية والظاهرية واستمالوا معهم غالب المماليك الاينالية ولعبوا بهم وأفسدوا عقولهم وضحكوا عليهم فلبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة فلما عظم الامر نزل السلطان الى باب السلسلة وجلس بالمقعد المطل على الرميلة فاشتد الحرب فى ذلك اليوم واستمروا على ذلك حتى حال بينهما الليل فلما أصبح يوم الاحد ثامن عشر رمضان نزل السلطان الى المقعد المطل على الرميلة وثبت للقتال فلما رأى مماليك ابيه قد وثبوا عليه تحقق انه مكسور لا محالة فكان كما قيل

كنت من كربتى أفر اليهم * فهموكربتى فأين المفر

ثم كانت الكسرة على أحمد فطلع من باب السلسلة وتوجه الى قاعة البحرة ثم طلب أخاه الناصرى محمدا وأمرهم أن يغلقوا عليهما الباب فلما بلغ العسكر ان الملك المؤيد قد اختفى توجهوا الى بيت الاتابكى خشقدم فأركبوه غصبا حتى طلعوا الى باب السلسلة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة فخلعوا الملك المؤيد أحمد من السلطنة وبايعوا الاتابكى خشقدم فكانت مدة الملك المؤيد فى السلطنة أربعة أشهر وثلاثة أيام وكان المماليك كاتبوا جانم نائب الشام أن يحضر الى مصر ليلى السلطنة وأرسلوا اليه صورة حلف وكتب فيه الامراء الاشرفية خطوط أيديهم بأنهم ارتضوا بجانم أن يكون هو السلطان عليهم وأرسلوا يستحثونه فى الحضور فأبطأ عليهم فاصبروا الى أن يحضر فوثبوا على المؤيد فى رمضان وحاربوه ثلاثة أيام فلما انكسر التفوا على الاتابكى خشقدم وولوه السلطنة عارية الى أن يحضر جانم نائب الشام فصار الهزل جدا وكان كما قيل فى المعنى

وان صبابتى كانت مزاحا * فصيرها الهوى حقا يقينا

وكان الملك المؤيد أحمد كفؤا للسلطنة ذا عقل ورأى كامل الهيبة ساس الناس فى أيامه أحسن سياسة وقمع مماليك أبيه عما كانوا يفعلونه من تلك الافعال الشنيعة وكان بصيرا بمصالح الرعية ولو أقام فى السلطنة لحصل للناس به غاية النفع ولكن خانه الزمان وأخذ من حيث كان يرجو الامان كما قيل

واذا جفاك الدهر وهو أبو الورى * طرا فلا تعتب على أولاده

انتهى ما أوردناه من أخبار الملك المؤيد أحمد وذلك على سبيل الاختصار

865

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد سيف الدين

خشقدم الناصري المؤيدي وهو الثامن والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو أول ملوك الروم بمصر ان لم يكن ايبك التركماني من الروم ولا لاجين من الروم فخشقدم أول ملوك الروم بمصر (أقول) وكان الظاهر خشقدم أصله رومي الجنس جلبه الخواجا ناصر الدين وبه يعرف بالناصري فاشتراه منه الملك المؤيد شيخ ثم أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقي خاصكيا في دولة الملك المظفر أحمد ابن الملك المؤيد شيخ ودام على ذلك دهرا طويلا الى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق فانعم عليه بامرية عشرة وذلك في سنة ست وأربعين وثمانمائة وصار رأس نوبة واستمر على ذلك الى سنة خمسين وثمانمائة فانعم عليه السلطان بتقدمة ألف بدمشق فتوجه اليها ودام بدمشق الى أن تغير خاطر السلطان على الامير قانى بك الظاهري حاجب الحجاب بسبب عبد قاسم الكاشف الذي كان قد اشتهر بالصلاح فعند ذلك نفى السلطان الامير قانى بك الى ثغر دمياط فلما جرى ذلك سعى القاضي أبو الخير بن النحاس وكيل بيت المال هو والامير تمربغا الدوادار الثاني للامير خشقدم فأحضره السلطان من دمشق وأنعم عليه باقطاع الامير قانى بك حاجب الحجاب وذلك في صفر سنة أربع وخمسين وثمانمائة فاقام على ذلك الى أن مات الملك الظاهر جقمق وتسلطن الملك الاشرف اينال فبقي الامير خشقدم أمير سلاح في دولة الاشرف اينال وسافر في أيامه باش العسكر في التجريدة التي توجهت الى حلب بسبب ابن قرمان فلما رجع من التجريدة أقام أمير سلاح الى أن توفي الملك الاشرف اينال وتسلطن ولده الملك المؤيد احمد فاستقر بالامير خشقدم أتابك العساكر عوضا عن نفسه وذلك في سنة خمس وستين وثمانمائة فلما وثب المماليك على الملك المؤيد في شهر رمضان كما تقدم ذكر ذلك اتفق رأي الأمراء على سلطنة الأتابكي خشقدم الى أن يحضر المقر السيفي جانم نائب الشام فيسلطنوه فلما أبطأ عليهم الامير جانم سلطنوا الاتابكي خشقدم نيابة عن جانم فكانت سلطنة خشقدم فلتة كما قيل في المعنى

وان صبابتي كانت مزاحا * فصيرها الهوى حقا يقينا

وكانت سلطنة الأتابكي خشقدم في يوم السبت سابع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة فصلى الظهر وجلس في المقعد الذي في باب السلسلة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة وهم على الوصف المقدم ذكره فخلعوا الملك المؤيد أحمد من السلطنة وبايعوا الاتابكي خشقدم فاحضروا له خلعة السلطنة فلبسها من المقعد الذي في باب السلسلة وركب من

هنالك فرس النوبة وطلع الى باب القصر الكبير وحمل على رأسه القبة والطير المقر السيفى جرباش كرت أمير سلاح فلما جلس على سرير الملك باس له الامراء الارض وتلقب بالملك الظاهر ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالادعية الفاخرة ثم انه أرسل قيد الملك المؤيد وأخاه فى البحرة ثم نزل بهما وقت الظهر من القلعة وخلفهما أوجاقية بخناجر وأرسلهما الى السجن بثغر مدينة الاسكندرية وأرسل معهما الامير قراجا الطويل الاينالى وكان المتسفر عليهما الامير خير بك المصارع فتوجه بهما الى ثغر الاسكندرية وسجنهما بها ثم ان السلطان رسم على خوند الخاصبكية ام الملك المؤيد وجعل عليها عشرة من الخدام منهم خشقدم اللالا فصار يقسو عليها ثم انه أخذ للسلطان من خوند المذكورة جملة كثيرة من المال نحو مائة ألف دينار ثم انه فى أواخر شهر رمضان توفى الامير يونس البواب الدوادار الكبير وكان صهر الملك الاشرف اينال فكثر عليه الحزن والاسف ثم ان السلطان عمل الموكب فى القصر الكبير وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفى جرباش المحمدى المعروف بكرت فخلع عليه واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه وخلع على المقر السيفى قرقماس الجلب واستقر به أمير سلاح عوضا عن جرباش وخلع على المقر السيفى قانم التاجر المؤيدى واستقر به أمير مجلس وخلع على المقر السيفى بلباى المؤيدى واستقر به حاجب الحجاب وخلع على المقر السيفى جانى بك نائب جدة واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عن الامير يونس البواب بحكم وفاته كما تقدم ثم انه نقل المقر السيفى بردبك الجمقدار واستقر به حاجب الحجاب وخلع على المقر السيفى بيبرس خال العزيز واستقر به رأس نوبة النوب ثم خلفه تمربغا لما جاء من مكة حين أمسك الامير بيبرس ونفى كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه وكان تمربغا بمكة فلما حضر لمصر استقر به رأس نوبة النوب وخلع على المقر السيفى جانى بك الظريف واستقر به دوادارا ثانيا وأنعم عليه بتقدمة ألف مع الدوادارية وخلع على المقر السيفى جانى بك الاشرفى واستقر به شاد الشربخاناه وأنعم عليه بتقدمة ألف مع الشادية وخلع على الامير اينال الاشقر واستقر به والى القاهرة وخلع على الامير تمرباى رصاص واستقر به محتسب القاهرة وأنعم على جماعة كثيرة من الامراء الاشرفية بامريات عشرة ولم تكن ولاية هؤلاء الامراء فى موكب واحد بل كانت فى مواكب متعددة حسبما يأتى ذكر ذلك فى موضعه ثم ان الامير جانى بك نائب جدة قرب جماعة من الاينالية ولم يمكن السلطان من التشويش عليهم منهم أزدمر الطويل وثانى بك قراوجانى بك الخشن وشادبك أبانطة وقانصوه المؤيدى وغير ذلك من الاينالية جماعة كثيرة فصار هؤلاء من عصبة جانى بك نائب جدة وكان متخيلا من جماعة الاشرفية والمؤيدية فقويت شوكته وتعصبت له الاينالية واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل

والعقد فى تلك الايام والسلطان خشقدم فى قبضة يده يدوره كيف شاء وكان السلطان خشقدم متخيلا أيضا باطنا وظاهرا فلم يزل الملك الظاهر خشقدم ينسبل الى جانى بك نائب جدة ويداريه حتى انتهز الفرصة فى قتله وقتله كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه فكان لسان حال جانى بك نائب جدة يقول

لا تأمنن عدوا * ولو دنا للمنيه فحية السم تدعى * فى حالة الموت حيه

ثم ان الملك الظاهر خشقدم أنفق على العسكر نفقة كاملة وفرق الاقطاعات الثقال على المماليك وأرضى جميع الجند بكل ما يمكن فاستقامت أحواله فى السلطنة وزال عنه الشك فلما كان يوم التاسع والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة جاءت الاخبار بان المقر السيفى جانم نائب الشام قد وصل الى خانقاه سرياقوس وقد تقدم أن الامراء الاشرفية أرسلوا كاتبوه بان يحضر الى القاهرة بسرعة حتى يسلطنوه عوضا عن الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال فلما ابطأ عليهم وثبوا على الملك المؤيد وخلعوه من السلطنة وولوا الاتابكى خشقدم سلطانا واستقر المقر السيفى جرباش كرت أتابك العسكر بمصر فلما حضر جانم من الشام وجد القاعدة قد انخرمت والوظائف قد انقسمت وفاته الشنب وعز الطلب فكان كما قيل فى المعنى

وثب الثعلب يوما وثبة * شغفا منه بعنقود العنب
لم ينله قال هذا حامض * حصرم ليس لنا فيه أرب

فلما بلغ الظاهر خشقدم حضور جانم نائب الشام اضطربت أحواله وتزايدت أوجاله فاجتمع بالأمراء وضربوا فى ذلك مشورة فوقع الاتفاق بان جانم يرجع الى الشام ولا يدخل الى مصر وأن يكون نائب الشام على عادته فتوجه اليه الصاحب علاء الدين بن الاهناسى وصحبته خلعة الى الامير جانم بان يكون نائبا على عادته فتوجه اليه فى ليلة عيد الفطر ومد له فى الخانقاه يوم العيد مدة عظيمة ولم يمكن السلطان أحدا من الامراء المقدمين بان يتوجه اليه فتوجه اليه بعض أمراء عشراوات من الاشرفية منهم تمراز الشمسى وغير ذلك ثم ان السلطان أرسل الى الامير جانم عشرة آلاف دينار وأنعم عليه ببرلك الامير يونس الدوادار جميعه وصار يرضيه بكل ما يمكن فرجع الامير جانم الى الشام وهو يخفى حنين وكان ذلك ترتيبا من الامير جانى بك نائب جدة فانه كان كثير الحيل والخداع فلما رجع الامير جانم الى الشام أرسل السلطان الى نائب قلعة الشام مراسيم فى الدس بان يقبض على جانم نائب الشام فرمى عليه بالمدافع وهو جالس فى دار السعادة فهرب وقام من وقته وأخذ عياله وأولاده وخرج من الشام هاربا فلما خرج نهبوا دار السعادة وأخذوا جميع بركه وقماشه فلما خرج من الشام توجه الى نحو مدينة الرها واستقر فى هجاج وعصيان فلما

جاءت الاخبار الى القاهرة بذلك عين له السلطان تجريدة وعين الامير جانى بك نائب جدّة أمير العسكر فأخذ فى أسباب ذلك ثم ان السلطان خلع على خشداشيه المقر السيفى تنم المؤيدى واستقر به نائب الشام عوضا عن جانم الاشرفى لما انسحب من الشام فأقام الامير تنم فى نيابة الشام الى أن مات هنالك ودفن بالشام والله سبحانه وتعالى أعلم

866 ﴿ثم دخلت سنة ست وستين وثمانمائة﴾ فيها عمل السلطان الموكب فى القصر الكبير فلما طلع الامراء واجتمعوا بالقصر عوّل فى تلك الليلة على مسك جماعة من الامراء الاشرفية فلما كان بعد العشاء غلقوا أبواب القلعة ودخل على الامراء وهم فى القصر جماعة من المماليك الظاهرية وهم لابسون الزرديات والخود وبايديهم سيوف مسلولة ومع بعضهم قسى ونشاب فقبضوا على الامير جانى بك الظريف والامير جانى بك المشد والامير بيبرس خال العزيز وغيرهم من الامراء الاشرفية نحو من اثنى عشر انسانا فلما قبضوا عليهم قيدوا الامراء المقدمين ونزلوا بهم من القلعة وهم الامير جانى بك الظريف والامير بيبرس خال العزيز والامير جانى بك المشد وغير ذلك من الامراء العشراوات فلما نزلوا بهم توجهوا بهم الى السجن بثغر الاسكندرية فلما جرى ذلك وثب جماعة الاشرفية على الملك الظاهر خشقدم ولبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة فنزل اليهم جماعة من المماليك الظاهرية فوقعوا معهم ثم ان المماليك الاشرفية توجهوا الى الاتابكى جرباش كرت وكان فى تربة الظاهر برقوق بسبب موت ابنته التى ماتت نفساء وهى زوجة الامير اقبردى اليوسفى فلما توجهوا اليه اختفى الامير جرباش منهم فى فسقية الموتى ولم يقابلهم فلم يزالوا عليه حتى طلعوا به من فسقية الموتى وسلوا عليه السيوف وأركبوه غصبا وشالوا على رأسه صنجقا ودخلوا به من باب النصر وشقوا به من القاهرة ولقبوه بالملك الناصر فصار العوام يضجون له بالدعاء حتى وصل الى البيت الكبير الذى عند حدرة البقر فأقام هنالك ثم ان الاشرفية قاتلوا قتالا هينا وكان رأس هذه الفتنة الامير سنقر قرق شبق الزردكاش وكان من شرار جماعة الاشرفية فلم يطبوا طبة وصارت أحوالهم سبة ثم ان الملك الظاهر خشقدم أرسل الى الاتابكى جرباش بعض الخاصكية فتلطف به وأخذه وطلع به الى القلعة فلما طلع تحيل عليه الامير جانى بك نائب جدّة وقال له خشكلدى ملك ناصر فلم يردّ عليه جوابا فلما طلع الاتابكى جرباش الى القلعة نزل المماليك الظاهرية وأوقعوا مع المماليك الاشرفية واقعة قويه فلم تكن الا ساعة غير بطية حتى انكسر المماليك الاشرفية كسرة قوية وأحاطت بهم كل رزية فولوا مدبرين ورجعوا خائبين فعند ذلك توجه جماعة من المماليك الظاهرية الى بيت الامير سنقر الزردكاش ونهبوا ما فيه وأحرقوه ثم قبضوا على الامير سنقر الزردكاش وعلى جماعة كثيرة من الاشرفية ونفوهم فى أماكن شتى وخمدت هذه

الفتنة كأنها لم تكن ثم ان السلطان قبض على جماعة من الاينالية ونفاهم ثم نفى الامير بردبك صهر الملك الاشرف اينال الى مكة وفيها خلع السلطان على خشداشيه الامير جانى بك كوهيه واستقر به دوادارا ثانيا عوضا عن الامير جانى بك الظريف وفيها خلع السلطان على الامير اينال الاشقر والى القاهرة ثم استقر به نائب ملطية وخلع على الامير تمر الظاهرى واستقر به والى القاهرة عوضا عن اينال الاشقر وفيها عزل السلطان ناظر الخاص عبد الرحمن بن الكويز واستقر بالقاضى شرف الدين الانصارى ناظر الخواص الشريفة عوضا عن عبد الرحمن بن الكويز وفيها فصل السلطان قاضى القضاة علم الدين صالح من القضاء وأعاد القاضى شرف الدين يحيى المناوى وقيل بل عزل القاضى علم الدين وتولى المناوى فى دولة المؤيد أحمد بن اينال وهذه ثالث ولاية للمناوى وكذلك فصل القاضى سعد الدين الديرى من القضاء وولى ابن الصواف عوضا عنه وفيها عزل السلطان الصاحب علاء الدين بن الاهناسى وخلع على الصاحب بن الصنيعة واستقر به وزيرا وفيها عزل السلطان الامير زين الدين يحيى الاستادار وولى مجد الدين بن البقرى استادارا عوضا عنه ومن الحوادث فى هذه السنة أن النيل المبارك توقف فى أبيب عند مبتدا الزيادة وأقام فى ذلك التوقف نحو خمسة عشر يوما ولم يزد شيأ فضج الناس من ذلك وتشحطت الغلال وشطح سعر القمح الى ألف درهم كل اردب وحصل للناس الضرر الشامل لقلة الزيادة وقد دخلت مسرى وقد قيل فى المعنى

ولقد عهدت النيل سنيارى * عمرا ويتبع أمره تسديدا
والآن أضحى فى الورى متشيعا * متوقفا ما إن يحب يزيدا

فلما استقر الامر على ذلك رسم السلطان للقضاة الاربعة والمشايخ والعلماء بان يتوجهوا الى المقياس ويبيتوا به ويتلوا هناك القرآن والحديث الشريف ويدعوا الله تعالى بزيادة النيل فتوجه القاضى يحيى المناوى والسيد الشريف ابن حرير المالكى وجماعة من العلماء فأقاموا فى المقياس أياما ورجعوا ولم يزد النيل شيأ فأرسل السلطان الى الشيخ أمين الدين يحيى الاقصرائى يستفتيه فى ذلك فقال الشيخ أمين الدين اجمعوا بنى العباس من الرجال والنساء من صغارهم لكبارهم ثم يضعون فى أفواههم شيأ من الماء ويمجونه فى اناء ثم يصبونه فى فسقية المقياس ففعلوا ذلك فكان فيه البركة ثم ان القاضى علم الدين صالحا البلقينى توجه الى المقياس وأقام هناك ثلاثة أيام ففى اليوم الرابع زاد ثلاثة أصابع ففرح الناس بذلك ورجع القاضى علم الدين وشق من القاهرة وقدامه رايات زعفران وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ثم وفى النيل فى تلك السنة وثبت ثباتا عظيما الى أواخر توت وتوجه المقر السيفى قانم التاجر وكسر السد وقد قال القائل

سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
البحر سلطان فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

ثم فى عقيب ذلك عزل السلطان القاضى يحيى المناوى وأعاد القاضى علم الدين صالحا البلقينى

867 ثم دخلت سنة سبع وستين وثمانمائه فيها جاءت الاخبار من حلب بان جانم نائب الشام قد قتل وقيل ان مماليكه قد قتلوه وهو فى قلعة الرها فلما صح هذا الخبر دقت الكؤسات ثلاثة أيام وبطلت التجريدة التى كانت تعينت اليه ثم ان السلطان أرسل قبض على الامير تمراز الاشرفى وسجنه بالمرقب وأشيع عنه انه قتل قتيلا فاثبت عليه السلطان كفرا وأرسل اليه شخصا من المالكية يقال له الشارعى فضرب عنقه على باب السجن الذى بالمرقب وكان تمراز هذا سيئ الخلق مر اللسان مستحقا لكل سوء وكان منفيا فى البلاد الشامية من أول دولة الملك الاشرف اينال وآخر الامر قتل هنالك ومضى أمره وفيها أرسل السلطان تجريدة الى نحو بلاد الافرنج برودس وكان باش العسكر الامير بردبك البجمقدار وفيها كسفت الشمس كسوفا فاحشا من بعد الضحى الى قرب العصر حتى أظلمت الدنيا فى أعين الناس وفيها خلع السلطان على القاضى برهان الدين ابراهيم بن الديرى واستقر به كاتب السر الشريف عوضا عن القاضى محب الدين بن الشحنة واستقر القاضى محب الدين بن الشحنة قاضى قضاة الحنفية عوضا عن ابن الصواف وفيها توفيت والدة المقر الشهابى أحمد بن العينى وكانت وفاتها فى يوم السبت فتوجه معها الى التربة الامير جانى بك نائب جدة والقاضى كاتب السر ابراهيم بن الديرى فلما رجعوا من التربة خلط ابن الديرى مع الامير جانى بك فى الكلام فقال له جانى بك ان هذه الميتة نزلت من القلعة فى يوم السبت ولا بد أن يعقبها أحد كبير وأظنه السلطان فأخذ جانى بك منه الكلام ونقله للسلطان فتغير خاطر السلطان على ابن الديرى فلما طلع الى الموكب قال له يا قاضى فى أى حديث ورد ان الميت اذا خرج فى يوم السبت لا بد أن يتبعه أحد كبير ثم قال له الزم بيتك فكان كما قيل

العقل زين والسكوت سلامة * فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
فلئن ندمت على سكوتى مرة * فلقد ندمت على الكلام مرارا

ثم ان السلطان عزل ابراهيم بن الديرى من كتابة السر بسبب ذلك وخلع على القاضى زين الدين أبى بكر بن مزهر واستقر به كاتب السر الشريف عوضا عن ابن الديرى فكانت مدة ولاية القاضى برهان الدين بن الديرى دون الشهرين وقد سعى فيها بخمسة آلاف دينار وفيها أخرج السلطان تقدمة الامير جانى بك المرتد الناصرى وجعل له طرخانا ورتب له ما يكفيه واستمر على ذلك الى أن مات فى أثناء دولته وفيها قبض السلطان على المهتار على فطيس

مهتار الاشرف اينال وسلمه الى الامير جانبك نائب جدة فضربه علقة قوية وأخذ منه خمسة آلاف دينار فباع أملاكه وجميع ما يملكه حتى سدد ذلك وفيها استعفى القاضى شرف الدين الانصارى من نظارة الخاص فخلع عليه السلطان واستقر به وكيل بيت المال وخلع على عبد الرحمن بن الكويز وأعاده الى نظارة الخاص وفيها استقر مثقال البرهانى مقدم المماليك عوضا عن صندل الهندى وفيها استقر القاضى تاج الدين بن المقدسى فى نظارة الجيش عوضا عن الزين بن مزهر وفيها توفى شيخ الاسلام قاضى القضاة الحنفى سعد الدين ابن الديرى ودفن بتربة الظاهر خشقدم وقد تولى القضاء نحو ثلاثين سنة وكان من عظماء الحنفية وكانت وفاته فى شهر ربيع الاول من سنة سبع وستين ومات وهو منفصل عن القضاء

868 ❁ ثم دخلت سنة ثمان وستين وثمانمائة فيها عزل عبد الرحمن بن الكويز من نظارة الخاص واستقر بها الصاحب علاء الدين بن الاهناسى واستقر ناظر الخاص ووزيرا فأقام على ذلك مدة ثم اختفى وغيب فخلع السلطان على مجد الدين بن البقرى واستقر به وزيرا عوضا عن ابن الاهناسى وخلع على القاضى تاج الدين بن المقدسى واستقر به ناظر الخاص ثم ان مجد الدين بن البقرى قبض على الصاحب علاء الدين بن الاهناسى فسجنه السلطان فى البرج الذى فى القلعة واحتاط على موجوده فأخذ منه مائة ألف دينار ورسم بنفيه الى مكة فخرج وسافر من البحر الملح وفى هذه السنة عظم أمر الامير جانى بك نائب جدة والتفت عليه جماعة الظاهرية من خشداشينه فكان ينزل من القلعة وعسكر مصر قدامه أولهم عند قناطر السباع وآخرهم فى الرميلة وسائر المباشرين قدامه مستمرا ذلك فى كل يوم وهو أول من اتخذ السعاة يمشون قدامه كلما ركب ونزل زيادة فى العظمة فثقل أمره على الملك الظاهر خشقدم وكان الظاهر خشقدم أنشأ له مماليك كثيرة وثبتت قواعده فى السلطنة وصارت خشداشينه المؤيدية غالبهم أمراء فعول على قتل جانى بك نائب جدة فى الباطن وأضمر له السوء ثم ان الامير جانى بك لما كملت عمارة القبة التى أنشأها فى منشية المهرانى عمل هنالك وقدة عظيمة وأحضر سوارى طوالا على البر وعلق فيها قناديل وعزم على جماعة من الامراء ومدّ مدة عظيمة وكانت ليلة لم يسمع بمثلها وحضر هنالك ابن رحاب المغنى وابراهيم بن الجندى وجمع بين قراء البلد والوعاظ وكان ذلك فى ليلة الجمعة فلما كان يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجة سنة سبع وستين وثمانمائة طلع الامير جانبك نائب جدة الى القلعة على جارى العادة وكان معه الامير تمربغا المحتسب وكان السلطان قرر مع جانبك انه فى ذلك اليوم يمسك الامير قانم التاجر والامير قايتباى المحمودى المؤيدى فطلع فى ذلك اليوم بدرى وكانت المعمولية والطبخة له كما قيل فى المعنى

وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

فلما طلع الى القلعة ودخل من بابها ووصل الى الجامع خرج اليه كمين من المماليك الاجلاب من مماليك الظاهر خشقدم فقتلوه هنالك هو والامير تنم رصاص ورموا على رؤسهما فص حجر بعد أن طعنوهما بالرماح حتى وقعا الى الارض موتى فلما أصبح الصباح غسلوهما وكفنوهما وصلوا عليهما بالقلعة ونزلوا بهما فدفن الامير جانى بك فى تربته التى أنشأها خارجا من باب القرافة فلما سمع مماليكه لبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة فرموا عليهم بالنشاب من باب السلسلة فولوا مدبرين وراحت على من راحت ولم تنقطع فى ذلك شاتان وكان الامير جانى بك نائب جدة أميرا عظيما صاحب حرمة وافرة وكلمة نافذة وكان صاحب حيل وخداع وهو الذى رتب للملك الظاهر خشقدم فى مسك الامراء الاشرفية ورجوع جانب نائب الشام الى الشام بعد ما ترشح أمره الى السلطنة فكان حال جانى بك مع الظاهر خشقدم كما قيل فى المعنى

أعلمه الرماية كل يوم * فلما استد ساعده رمانى

وكان الامير جانى بك مولعا بغرس الاشجار وأنشأ عدة غيطان بالمنشية وهى منشية المهرانى وكان كثير التنزه وكانت صفته أخضر اللون قصير القامة جدا مستدير اللحية شائب الذقن عارفا بأحوال المملكة فصيح اللسان بالعربى أصله من مماليك أسنبغا الطيارى وقدمه الى الملك الظاهر چقمق فهو معتوق الملك الظاهر چقمق من جملة مماليكه انتهى ذلك

869 ثم دخلت سنة تسع وستين وثمانمائة فيها خلع السلطان على خشداشيه الامير يشبك الفقيه واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عن الامير جانبك نائب جدة وفيها أنعم السلطان على خشداشيه الامير جانبك كوهيه بتقدمة ألف وخلع على مملوكه الامير خير بك واستقر به دوادارا ثانيا عوضا عن جانبك كوهيه وفيها أنعم السلطان على سبطه المقر الشهابى أحمد ابن العينى بتقدمة ألف وقرره فى امريه الحاج وقرر فى امرية الركب الشرفى يحيى ابن الامير يشبك الفقيه وفيه اختفى زين الدين الاستادار فصرف السلطان مجد الدين بن البقرى من الوزاره وقرره فى الاستدارية واستمرت الوزارة شاغرة أياما حتى خلع السلطان على الشمس محمد البباوى ناظر الدولة وقرره فى الوزارة عوضا عن ابن البقرى فلما قرر البباوى فى الوزارة عد ذلك من مساوى خشقدم وقالت الناس الزفر تولى الوزارة بمصر ومن يومئذ انحط قدر الوزارة جدا وتبهدل هذا المنصب الى الغاية قال الامام أبو شامه المؤرخ كانت الوزارة على عهد الخلفاء وظيفة عظيمة جليلة وكان الوزير يجلس بحضرة الخلفاء على مقدار خمسة أذرع وكان هو المتصرف فى أمر المملكة بما يختار فلما جاءت دولة الاتراك قدموا نيابة السلطنة على الوزارة فتلاشى أمر الوزارة من يومئذ وصارت الوزارة تنقسم الى أربع

جهات منها كتابة السر والاستادارية ونظر الخاص وشاد الدواوين وكانت خلعة الوزارة فى قديم الزمان عمامة بيضا برقمات ذهب شغل تنيس وطيلسان أبيض برقمات ذهب وجبة صوف بيضا بطرز ذهب وفى عنقه عقد جوهر بعشرة آلاف دينار وسيف مقلد به مسقط بالذهب ويركب حجرة بخمسمائة دينار وفى قوائمها أربع جوهرات وفى عنقها جوهرة كبيرة بالف دينار وترفع على رأسه أعلام بيض ويحمل على رأسه منشور الولاية وهو مكتوب فى حرير أبيض فبطل ذلك كله فلما تولى البباوى شق ذلك على الناس لكونه لم يكن من أهل ذلك وكان البباوى طباخا وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب وفى كلامه غرغلة وكان اسود اللحية عنده عترسة ويبس وكان أصله معاملا فى اللحم من جملة المعاملين ولكن وعده الله بذلك من القدم وفيه يقول بعض الشعراء

قالوا البباوى قد وزر * فقلت كلا لا وزر
الدهر كالدولاب لا * يدور الا بالبقر

وقال آخر

تجنب العلم والفضائل * ومل الى الجهل ميل هائم
وكن حمارا مثل البباوى * فالسعد فى طالع البهائم

فلما تولى الوزارة جاء فيها على الوضع وسكن فى بيت الوزارة التى فى بركة الرطل ودقت على بابه الكؤسات ولبس الخلف والمهاميز وكان الظاهر خشقدم قائما معه فهابه جميع المباشرين وخافوا منه وكان يكبس البيوت على من يجده يسكر ويغرمه جملة مال تحت الليل حتى ضجت منه الناس وكانت له حرمة وافرة وكلمة نافذة وجاء على الناس مجيء وحش فكان لا يقبل رسائل أحد من الامراء وصادر فى مدة ولايته جماعة من أعيان الناس والتجار وكان يكره من يسكر ثم ان السلطان سلمه الامير زين الدين الاستادار فاحضر له المعاصير وقصد عصره فترامى عليه الامير زين الدين وصار يقبل رجليه حتى عفا عنه من العصير وكذلك جماعة كثيرة غير زين الدين صار واتحت أمره وأخذ أموالهم وكان كما قيل

ومن أعظم البلوى كريم أصابه * قضاء وأضحى تحت ذل لئيم

وفيها توفى قاضى القضاة الشافعى علم الدين صالح البلقينى فلما توفى خلع السلطان على القاضى يحيى المناوى وأعاده الى القضاء فلم يقم الا مدة يسيرة وسعى عليها القاضى صلاح الدين أحمد بن بركوت المكينى الشافعى فعزل السلطان القاضى يحيى المناوى وولى صلاح الدين المكينى وفى ذلك اليوم عزل السلطان القاضى محب الدين بن الشحنة الحنفى وولى القاضى برهان الدين ابراهيم بن الديرى قاضى قضاة الحنفية فتولى القاضيان فى يوم واحد

ونزلا من القلعة فى موكب واحد وعليهما التشاريف وفيها خلع السلطان على القاضى كمال الدين ابن القاضى جمال الدين ناظر الخاص واستقر به ناظرا لجيش وكان الساعى له الامير خير بك الدوادار فانه كان صهره زوج أخته وفيها أرسل السلطان تجريدة الى البحيرة وكان فيها خمسة أمراء مقدمين منهم الامير قرقماس الحلب أمير سلاح والامير جانى بك قلقسير وغير ذلك من الامراء وفيها حجت خوند الاحمدية زوجة السلطان خشقدم وكان المقر الشهابى أحمد بن العينى أمير المحمل وكان الشرف يحيى ابن الامير يشبك الفقيه أمير أول وحج الامير يشبك الفقيه مع ولده فى تلك السنة (أقول) وقد أظهر المقر الشهابى أحمد بن العينى فى هذه الحجة من الكبرياء والعظمة مالم يظهره غيره من ابناء الملوك فصنع اكوارا من الذهب مرصعة بفصوص ياقوت وبلخش وفيروز وصنع كنابيش مثلث بذهب ولؤلؤ وريش وخرج من القاهرة فى موكب عظيم وسائر الامراء والمباشرين قدامه وخوند الاحمدية فى محفة زركش فكان له يوم مشهود وفيها توفى الامير جانبك المرتد الناصرى ومات وهو طرخان وكان السلطان أخرج عنه التقدمة وفيها أمطرت السماء وجاء رعد وبرق وهبت رياح باردة وذلك فى أواخر بشنس بعد أن قلع السلطان الصوف فلبس الصوف بعد ذلك أياما

870 ثم دخلت سنة سبعين وثمانمائة فيها عاد المقر الشهابى أحمد بن العينى من الحجاز الشريف وخوند الاحمدية فكان لهم يوم مشهود وفيها كانت وفاة المقر الصاحبى العلائى على بن الاهناسى توفى بمكة المشرفة ودفن هنالك وكذلك الامير بردبك صهر الملك الاشرف اينال توفى بمكة ودفن هنالك قيل مات قتيلا من العرب فى رابغ ثم نقل من رابغ الى مكة ودفن بها وفيها كانت وفاة الشيخ شهاب الدين بن أبى السعود أحد شعراء العصر وهو من السبعة الشهب وفيها عزل السلطان قاضى القضاة صلاح الدين المكينى وولى القاضى أبا السعادات البلقينى فاقام فى قضاء القضاة أربعة أشهر ثم سعى عليه القاضى ولى الدين الاسيوطى وكان الساعى له الامير خير بك الدوادار الثانى فتولى الاسيوطى وعزل القاضى أبو السعادات وفيها أعاد السلطان القاضى محب الدين بن الشحنة الى قضاء الحنفية وفيها أخرج السلطان تجريدة الى برالجيزة بسبب فساد العربان وكان باش العسكر الامير بلباى المؤيدى أميرا خور كبير والامير بردبك هجين فطردوا من هنالك العربان وأقاموا مدة ورجعوا وقتل من المماليك السلطانية هنالك ستة لما وقعوا مع العربان وفيها نزل السلطان الى الرماية وشق من المدينة وزينت له وكان له موكب عظيم وفيها عزم المقر الاتابكى قانم على السلطان فى الربيع فنزل اليه هو وسائر الامراء والعسكر فقدله الاتابكى قانم هنالك سماطا عظيما قيل كان مصروفه ألف دينار ففرق الاكل على جميع العسكر وأحضر للسلطان هنالك أرباب الملاعيب من المشعبذين وغير ذلك فانشرح السلطان فى ذلك اليوم الى الغاية هو والامراء

ولما رجع السلطان دخل الى بيت منصور الاستادار ثم توجه الى بيت الصاحب شمس الدين البباوى فاقام السلطان عنده قائم الى مابعد العصر ثم طلع الى القلعة فى موكب عظيم وفيها نزل السلطان وخلق المقياس وكسر السد وهذا لم يرمن بعد الملك المؤيد شيخ بان سلطانا نزل وكسر السد بنفسه وفيها خلع السلطان على منصور القبطى واستقر به استادارا فاقام بها مدة ثم قبض عليه وسجنه بالمقشرة ثم خلع على شرف الدين ابن كاتب غريب واستقر به استادارا ثم أثبتوا على منصور القبطى كفرا وضربوا عنقه تحت شباك المدرسة الصالحية وفيها توفيت خوند الاحدية زوجة الظاهر خشقدم وهى جدة المقر الشهابى أحمد بن العينى فلما ماتت تزوج السلطان بسريته خوند سوار باى أم ولديه وفيها فى أواخر هذه السنة فى يوم الاربعاء ثامن عشرى ذى الحجة نزل الصاحب شمس الدين البباوى من بيته الذى سكن فيه على بركة الرطلى فنزل فى مركب وتوجه الى نحو قناطر بنى منجا فلما رجع ووصل الى فم خليج الزريبة انقلبت به المركب هناك فغرق قريب السبر فأطلعوا جميع ما غرق معه حتى حق الدقاق وهو لم يظهر له خبر ولا وقف له على أثر حتى ولا فى شطنوف التى هى محط رحال الغرقى فكان من بقية قوم نوح أغرقوا فادخلوا نارا وقد قال القائل

لا تكرهوا الموت ان فيه * حصاد من طاب مع خبيث
فستريح ومستراح * منه كما جاء فى الحديث

فلما غرق البباوى خلع السلطان على يحيى بن صنيعة ثم قاسم وهو قاسم المعروف بشنيعة وعبد القادر واشتركا فى التكلم فى الوزارة ثم انفرد بها الزينى قاسم واستمر على ذلك مدة طويلة ۞ ثم دخلت سنة احدى وسبعين وثمانمائة فيها توفى الاتابكى قانم بن صفر خجا المؤيدى التاجر وقد مات فجاة فى ليلة واحدة فلما مات خلع السلطان على المقر السيفى بلباى المؤيدى واستقر به أتابك العساكر عوضا عن قانم التاجر ثم خلع على المقر الشهابى أحمد بن العينى واستقر به أميرا خور كبير عوضا عن بلباى المؤيدى فتزايدت عظمة المقر الشهابى أحمد ابن العينى فى تلك الايام وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية وصار له حرمة وافرة وكلمة نافذة وهو الذى أنشأ القصر العظيم المطل على البحر بمنشية المهرانى ولما كملت عمارة هذا القصر نزل السلطان اليه وأقام هناك الى مابعد العصر وتفرج فى ذلك اليوم على البحر وانشرح وكان يوما سلطانيا وفيها توفى قاضى القضاة شرف الدين يحيى المناوى وكان من أعيان خيار علماء الشافعية وتوفى وهو منفصل عن منصب القضاء وفيها تغير خاطر السلطان على الرئيس علاء الدين بن رحاب فشكه فى الحديد ورسم بنفيه الى الشام فخرج وتوجه الى قطيا وأقام بها أياما ثم شفع فيه كاتب المماليك بن جلود فرسم السلطان بعوده وكان سبب نفى ابن

871

رحاب أنه كان اذا عمل سماعا فى مكان يقوم فى ذلك المكان عريدة فعمل سماعا فى باب الوزير فقتل فى تلك الليلة قتيل فنفى السلطان ابن رحاب بسبب ذلك وفيها نزل السلطان للرماية وشق من القاهرة وزينت له وفيها نزل السلطان وكسر السد بنفسه وفيها غرق السلطان خازندار الامير جانى بك نائب جدة المسمى يرش وكان شابا صغيرا فتأسف عليه الناس وفيها توفيت بنت السلطان التى من خوندسوربای وكانت مستحقة للزواج وفيها حضر الى الابواب الشريفة قاصد ابن عثمان ملك الروم فاكرمه السلطان الى أن عاد الى بلاده وفيها نزل السلطان الى المطعم بالمطرية ولبس الصوف هناك وشق من المدينة وزينت له وكان له موكب عظيم

872 ۞ ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فيها تزايدت عظمة السلطان خشقدم وبلغت عدة مماليكه نحو أربعة آلاف مملوك وصار غالب خشداشينه مقدمى ألف منهم الامير يشبك الفقيه والامير مغلباى طاز والامير قنباك المحمودى والامير جانى بك كوهية وغير ذلك جماعة كثيرة أمراء طبلخانات وعشراوات ثم أمر جماعة كثيرة من مماليكه منهم الامير خير بك الدوادار الثانى ومنهم الامير خشكلدى اليستى ومنهم الامير كنباى والامير مغلباى المحتسب والمقر الشهابى أحمد بن العينى وغير ذلك جماعة كثيرة من مماليكه وفيها جاءت الاخبار من حلب بان خارجيا تحرك على البلاد يقال له شاه سوار فرسم السلطان للامير بردبك الجمقدار نائب حلب بان يخرج اليه فخرج اليه ثم جاءت الاخبار من بعد ذلك بان بردبك نائب حلب لما خرج الى سوار التف عليه وأظهر العصيان على السلطان وقصدوا التوجه الى الشام فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت أحواله وعين الى سوار تجريدة وبها من الامراء خمسة مقدموا ألوف ثم ان السلطان دور المحمل الرجبى فى تلك السنة على جارى العادة فلما كان ليلة حراقة النفط فى الرميلة احترق بالنفط فى تلك الليلة سقف الاسطبل السلطانى فكان ذلك فالا على السلطان ولم ينجح أمره من بعد ذلك ثم ان النيل المبارك وفى فى أثناء تلك السنة فنزل لكسر السد السلطان بنفسه على جارى العادة فكان له موكب عظيم وكان ذلك آخر مواكبه فلما كسر السد وطلع الى القلعة حم من يومه ولزم الفراش ثم ثقل فى المرض وسلسل وكان القائم بتدبير أمور المملكة الامير خير بك والمقر الشهابى أحمد بن العينى فعينوا الامير أزبك بن ططخ رأس نوبة النوب بان يخرج الى العقبة بسبب فساد العربان فخرج وتوجه الى العقبة ووصل الى الازلم ثم عينوا الامير قرقماس الجلب أمير سلاح والامير يشبك الفقيه أمير دوادار كبير بان يتوجهوا الى نحو الصعيد بسبب فساد العربان وكل ذلك عن لسان السلطان وهو ملازم الفراش على غير استواء فخرج هؤلاء مسرعين من غير تأخير وكان الامير خير بك متخيلا من هؤلاء الامراء فاخرجهم بسرعة حتى يصفو له الوقت ويبلغ

قصده فكان كما قيل

وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

ولما ثقل السلطان خشقدم فى المرض نزل بفرس من الاسطبل من الخيول الخاص وعرضه على الامراء للبيع فاشتراه ابن العينى بخمسمائة دينار وقيل بالف دينار فلما أرسل ثمنه للسلطان تصدق بثمنه كله على الفقراء وكانت هذه عادة قديمة عند الملوك اذا حصل لهم توعك يفعلون ذلك انتهى وفى مدة توعك السلطان اضطربت أحوال الديار المصرية وصار الامير قرا الوالى يطوف فى كل ليلة فى المدينة معه مماليك ملبسة والمشاعلية تنادى كل من يمشى فى الليل يقطع أنفه وآذانه واستمر السلطان مريضا نحو أربعين يوما فلما كان يوم السبت بعد الظهر عاشر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة توفى السلطان الملك الظاهر خشقدم ودفن فى تربته التى أنشأها فى الصحراء ومات وله من العمر نحو خمس وسبعين سنة ومات بحمى كبدية وخلف من الاولاد صبيين وهما سيدى منصور وأخوه فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية ست سنين وخمسة أشهر وعشرين يوما عافيها من مدة توعكه وانقطاعه وكان ملكا جليلا مهيبا كفؤا للسلطنة عارفا باحوال المملكة وكان حسن الشكل معتدل القامة مترك الوجه أحمر اللون مستدير اللحية ضخم الجسم شائب الذقن فصيح اللسان بالعربى وكان ماشيا على النظام القديم تابعا الطريقة الملوك السالفة فى عمل المواكب فى القصر الكبير والمبيت به فى كل ليلة اثنين وخميس وكان ماشيا على طريقة استاذه الملك المؤيد شيخ فى كسر السد بنفسه ولبس الصوف فى المطعم وكان كثير الرمايات فى كل سنة ويشق من القاهرة فى المواكب الجليلة وكان يدور فى كل سنة المحمل فى رجب وتسوق الرماحة على جارى العادة أربعين يوما ثم يلبسوا الاحمر وتزين القاهرة ثلاثة أيام ويخرج الناس فى ذلك عن الحد فى القصف والفرجة وكانت أيامه كلها لهو وانشراح ولم يجىء فى أيامه الطاعون بمصر ولا جرد تجريدة الى البلاد الشامية وكان ترفا فى ملبسه فصنع له ركابا من ذهب ومهاميز من ذهب وكان يلبس السمور الاسود الذى على لون الحبر لا يوجد الآن وكان يلبس القباء الصوف الفاخر ويبطنه بالمخمل الاحمر الكفوى وكان اذا ركب وساق لا ينفرد ذيله من تحت فخذه ولو ساق سوقا قويا وكان كريما على من يستحق الكرم بخيلا على من يستحق البخل لكن كان من مساويه جور مماليكه فى حق الناس ومن مساويه أنه كان غير عفيف عن الزنا واللواط ومن مساويه أنه كان سريع العزل للقضاة والمباشرين ويأخذ أموالهم ويعزلهم بسرعة ومن مساويه قتل جانى بك نائب جدة من غير ذنب وأخذ أموال ابن الاهناسى حتى رخام بيته بغير حق ولم يترك لاولاده شيأ وقتل جماعة من الامراء بغير ذنب وبالجملة انه كان

قليل الاذى بالنسبة الى من جاء بعده من الملوك وكان يحب العلماء والصلحاء وينقاد الى الشريعة وكانت البلاد على أيامه هادية من الفتن وهو آخر من مشى من الملوك على النظام القديم فأما أتابكيته فالمقر السيفي جرباش كرت أولا ثم قانم التاجر ثم بلباى وأما دواداريته فالامير جانى بك نائب جدة والامير يشبك الفقيه وأما قضاته الشافعية فالقاضى يحيى المناوى تولى فى أيامه مرتين والقاضى علم الدين صالح البلقينى والقاضى صلاح الدين المكينى وأبو السعادات البلقينى والقاضى ولى الدين الاسيوطى وأما قضاته الحنفية فالقاضى سعد الدين الديرى أولا ثم ابن الصواف ومحب الدين بن الشحنة تولى فى أيامه مرتين والقاضى برهان الدين الديرى وأما قضاته المالكية فالسيد الشريف القاضى حسام الدين بن حرين وأما قضاته الحنابلة فالقاضى عز الدين الحنبلى وأما كتاب السر فالقاضى محب الدين بن الشحنة أولا ثم ابراهيم بن الديرى ثم أبو بكر بن مزهر وأما نظار جيوشه فتاج الدين بن المقسى والقاضى كمال الدين بن ناظر الخاص يوسف وأما نظار خواصه فعبد الرحمن بن الكويز أولا ثم شرف الدين الانصارى والعلائى بن الاهناسى وتاج الدين بن المقسى وأما وزراؤه فعلاء الدين بن الاهناسى أولا وقد تولى الوزارة فى أيامه ثلاث مرات ثم ابن صنيعة ثم مجد الدين بن البقرى ثم الشرفى يوسف ثم البباوى ثم قاسم وشريكه عبد القادر وأما استاداريته فزين الدين أولا ثم مجد الدين بن البقرى ثم منصور ثم قاسم الكاشف ثم ابن كاتب غريب فهذه جملة من تولى فى أيامه من أرباب الوظائف من القضاة والمباشرين ﴿ذكر من توفى فى أيامه﴾ وهم قاضى القضاة سعد الدين الديرى الحنفى وصالح البلقينى ويحيى المناوى وشمس الدين القرافى من أعيان نواب المالكية والاتابكى قانم التاجر وسيدى محمد بن الاشرف اينال توفى بثغر الاسكندرية وتوفى الامير تنم نائب الشام بدمشق وتوفى تمربغا طر أحد المقدمين وتوفى الامير جانى بك الظريف بسجن المرقب ونقل بعد موته الى مصر ودفن بالصحراء فى القبة التى عمرت له بعد موته وتوفى الامير خشكلدى القوامى أحد الامراء الطبلخانات وكان من أعيان المؤيدية وقيل من الناصرية وتوفى من العلماء أيضا الشيخ جلال الدين المحلى وكان من أعيان علماء الشافعية والاصح انه توفى فى دولة الاشرف اينال كما تقدم وتوفى من المشايخ الشيخ عمر الكردى والشيخ محمد الشريفى الشاذلى والشيخ على الطيبى وتوفى فى أيامه من الشعراء شهاب الدين بن أبى السعود توفى بمكة وسيدى على بن بردبك والشيخ شهاب الدين ابن صالح وكان من فحول الشعراء ومن شعره فيمن أهدى اليه بطيخا وقطرا وقاله ارتجالا

بعثت الى بطيخا وقطرا * يشابه ذا لذا هذا فى الصفات
هما نوعان عند الذوق كل * تولد فى الحقيقة من نبات

انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر خشقدم وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبى النصر سيف الدين بلباى المؤيدى

وهو التاسع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد بمصر ويع بالسلطنة بعد موت الملك الظاهر خشقدم تسلطن فى يوم السبت بعد العصر وهو اليوم العاشر من ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة (أقول) وكان أصله جركسى الجنس جلبه الامير اينال ضضع من بلاد الجراكسة فاشتراه منه الملك المؤيد شيخ فى سنة عشرين وثمانمائة فأقام فى الطبقة مدة ثم أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقى خاصكيا ثم بقى ساقيا فى دولة الملك الظاهر جقمق ثم بقى أمير عشرة ثم بقى أمير أربعين ثم بقى مقدم ألف فى دولة الملك الاشرف اينال ثم بقى حاجب الحجاب فى دولة الملك الظاهر خشقدم ثم بقى أمير اخور كبير ثم بقى أتابك العساكر بمصر بعد موت قانم التاجر فى سنة سبعين وثمانمائة فلما توفى الظاهر خشقدم وقع الاتفاق على سلطنته دون الامراء فحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة الاربعة فاستجمعوا فى المقعد الذى فى باب السلسلة فبايعوه بالسلطنة ثم أحضروا له خلعة السلطنة فلبسها وركب من المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباس له الامراء الارض وتلقب بالملك الظاهر ودقت له البشائر ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالادعية الفاخرة فلما تم أمره فى السلطنة عمل الموكب بالقصر الكبير وخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفى تمربغا أمير مجلس خلع عليه واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه وخلع على المقر الشهابى أحمد بن العينى واستقر به أمير مجلس عوضا عن تمربغا فنزل ابن العينى من باب السلسلة وسكن فى بيت جانى بك نائب جدة المطل على الخليج ثم خلع السلطان على المقر السيفى قنبك المحمودى واستقر به أمير سلاح عوضا عن الامير قرقماس الجلب وخلع على المقر السيفى بردبك هجين واستقر به أمير اخور كبير عوضا عن ابن العينى فلما فعل ذلك لم يتم أمره فى السلطنة وبان عليه العجز وكان خشنا قليل المعرفة لانه كان يدعى بلباى المجنون فصار منقادا مع الامير خير بك الدوادار بشعرة ولا يتصرف فى شئ من أمور المملكة الا برأيه وصار مع المماليك الخشقدمية فى غاية البلية ثم ان الامير خير بك أشار على السلطان بلباى بأن يمسك الامير قرقماس الجلب والامير أرغون شاه استادار الصحبة والامير قلمطاى الاسحاقى فأرسل بالقبض عليهم وكان الملك الظاهر خشقدم

ارسلهم

أرسلهم الى نحو الصعيد مع الامير يشبك الفقيه كما تقدم فأرسل للقبض عليهم من هنالك وأرسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية فلما وقع ذلك نفرت منه قلوب الرعية وكان تدميره فى تدبيره ثم لما أنفق على العسكر قطع نفقة أولاد الناس والخدام فكثر عليه الدعاء ثم ان النفقة تشحطت فشكا ذلك الى الامير خير بك فقال له يا مولانا السلطان ان كان فى حاصلك شئ من المال فأنفقه على العسكر وقد صارت الخزائن بيدك خذ منها ما شئت فسمع له وطلع بماله جميعه جملة واحدة فأنفقه على العسكر وقد نفد منه ما كان حصله من حين كان جنديا ثم بعد أيام حضر الامير أزبك بن ططخ رأس نوبة النوب والامير جانى بك والامير قلقسير حاجب الحجاب وكان السلطان خشقدم أرسلهم الى العقبة بسبب فساد العربان فلما حضروا كان صحبتهم جماعة كثيرة من العربان نحو ستين انسانا وكان الامير أزبك انتهى فى هذا السفر الى الازلم فلما عرض العربان على السلطان بلباى أمر بتوسيطهم أجمعين ولم يعرف الظالم من المظلوم فصاروا فى ذمته وكان فيهم صغار دون البلوغ ثم لما رجع الامير أزبك من العقبة أشار خير بك على السلطان بلباى بأن يستقربه نائب الشام فلما طلع أزبك فى يوم الجمعة الى القلعة خلع عليه السلطان بعد صلاة الجمعة وهو فى باب الستارة خلعة واستقربه نائب الشام ورسم له بأن يتوجه الى الشام بعد ثلاثة أيام فخرج الى الشام فى يوم الاثنين فى أواخر ربيع الاول من سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فلما توجه الامير أزبك الى الشام عمل السلطان الموكب وخلع على الامير قايتباى المحمودى واستقربه رأس نوبة النوب عوضا عن الامير أزبك لما بقى نائب الشام ثم ان الامير يشبك الفقيه حضر من الصعيد فأقره على حاله دوادارا كبيرا كما كان وكل ذلك ترتيب الامير خير بك الدوادار ثم ان الامير يشبك الفقيه قصد الوثوب على الامراء الخشقدمية وان يقبض على جماعة منهم فجمع خشداشينه وهم قنبك المحمودى أمير سلاح والامير جانى بك كوهية والامير مغلباى طاز والامير طوخ الزردكاش وجماعة المؤيدية كلهم فلبسوا آلة الحرب وركبوا فى يوم الخميس فلما تحقق العسكر ذلك التف عليهم جماعة من الاينالية وجماعة من الاشرفية والمماليك السيفية فتوجهوا الى بيت الامير يشبك الفقيه فعند ذلك طلع الامير يشبك الفقيه الى المدرسة التى تسمى الجاولية فقعد هنالك وحفر خندقا عند المدرسة الصرغتمشية وواحدا عند رأس الكبش وواحدا عند قناطر السباع ثم ركبوا بمكحلة فى شباك المدرسة الجاولية واستمروا فى ذلك اليوم كله يقعون مع المماليك الخشقدمية فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة نزل الامير قايتباى رأس نوبة النوب من القلعة ومعه جماعة من المماليك الاينالية والظاهرية فتوجهوا الى الامير يشبك الفقيه وأوقعوا معه فكان بينهم واقعة عظيمة وقتل فى ذلك اليوم ثلاثة

من المماليك السلطانية فلما كانت ليلة السبت هرب الامير يشبك الفقيه وهرب بقية الامراء المؤيدية وانكسروا كسرة قوية فنهب العوام بيوتهم وولى سعدهم وأنت عكوسهم فخابت آمالهم ولم ينفع اجتهادهم كما قيل فى المعنى

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فلما كان يوم السبت سابع جمادى الاولى من سنة اثنتين وسبعين اجتمع الامراء بالقلعة وأحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وخلعوا الظاهر بلباى من السلطنة ووقع الاتفاق من الامراء على سلطنة الاتابكى تمربغا كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه ثم دخلوا بالظاهر بلباى الى البحرة وقيدوه ثم قبضوا على الامير قنبك المحمودى أمير سلاح وقيدوه وأدخلوه الى البحرة ثم ان الامير يشبك الفقيه توجه الى الامير قايتباى ثم قبضوا على الامير جانى بك كوهية ومغلباى طاز وطوخ الزردكاش وبقية المؤيدية من كبير وصغير ولم يتركوا منهم أحدا فأما الملك الظاهر بلباى فانه أقام فى البحرة يومين ثم نزلوا به هو والامير قنبك المحمودى فتوجهوا بهما الى السجن بثغر الاسكندرية وأما الامير يشبك الفقيه وطوخ الزردكاش فتوجهوا بهما الى ثغر دمياط وأما جانبك كوهية ومغلباى طاز فما أدرى فى أى مكان توجهوا بهم أفى ثغر دمياط مع الامير يشبك الفقيه أولا فكانت مدة سلطنة الظاهر بلباى بالديار المصرية شهرين الا أربعة أيام وكانت كأنها سنة من النوم أو يوم أو بعض يوم كما قيل فى المعنى

ركب الاهوال فى زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

وبه زالت دولة المؤيدية كأنها لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وكان الظاهر بلباى من عمره أرشل قليل المعرفة وكان يعرف ببلباى المجنون وكان عمره كله فى غلاسة هو ومماليكه وكان ملبسه مغلسا من عمره وشكله سمج وتدبيره سيئ فجمع بين قبح الفعل والشكل وسوء الطباع ومقت اللسان كما قيل

وفظ غليظ الطبع لا ود عنده * وليس لديه للاخلاء تأنيس
تواضعه كبر وتقريبه جفا * وترحيبه مقت وبشراه تعبيس

وقد زال سعده جملة واحدة فكانت أيامه أشر أيام مع قصرها وخرج ماله على أنحس وجه وكان مع خير بك الدوادار فى غاية الضنك ليس له فى السلطنة الا مجرد الاسم فقط ولا يتصرف فى شئ من أمور المملكة الا بشورة الامير خير بك فكان اذا سئل فى شئ يقول ايش كنت أنا قل له يعنى قل لخير بك حتى سمته العوام قل له وكان خير بك جعل السلطان بلباى آلة وهو يمهد لنفسه فى الباطن وقد طمعت آماله فى السلطنة وحدثته نفسه بذلك والله غالب على أمره انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك الظاهر بلباى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبى سعيد تمربغا الظاهرى

وهو الاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثانى من ملوك الروم بمصر فى العدد (أقول) كان أصله رومى الجنس من مشتروات الملك الظاهر چقمق ورباه صغيرا فلما تسلطن چقمق جعله خاصكيا ثم بقى من جملة السلحدارية ثم بقى خازندارا ثم بقى أمير أربعين ثم دوادارا ثانيا فى اثناء دولة الملك الظاهر چقمق وسافر الى الحجاز أميرا فى سنة تسع وأربعين وثمانمائة ثم بقى مقدم ألف فى دولة الملك المنصور عثمان بن چقمق ثم نفى الى ثغر الاسكندرية وسجن بها نحو ست سنين ثم نقله الملك الاشرف اينال الى مكة فأقام بها نحو ثلاث سنين فلما تسلطن الظاهر خشقدم رسم باحضاره من مكة فلما حضر خلع عليه واستقر به رأس نوبة النوب عوضا عن قرقماس الجلب فاقام على ذلك مدة ثم نفاه الظاهر خشقدم الى ثغر الاسكندرية فاقام فى السجن ثلاثة أيام هو والامير ازبك ططخ فشفع فيهم الاتابكى قانم التاجر فرسم السلطان باحضارهم فلما حضروا أقام على ذلك مدة ثم بقى أمير مجلس لما نفى الاتابكى جرباش كرت الى ثغر دمياط عندما بقى قانم التاجر أتابك العساكر ثم بقى أتابك العساكر فى دولة الملك الظاهر بلباى عندما تسلطن فلما ركب المؤيدية وانكسر الامير يشبك الفقيه خلعوا الظاهر بلباى من السلطنة ثم وقع الاتفاق من الامراء على سلطنة الاتابكى تمربغا فاحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وبايعوا الاتابكى تمربغا بالسلطنة وذلك فى يوم السبت سابع جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من الحراقة التى فى باب السلسلة وركب من سلم المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير وحمل القبة والطير على رأسه المقر السيفى قايتباى رأس نوبة النوب فلما جلس على سرير الملك باس له الامراء الارض وتلقب بالملك الظاهر أيضا ودقت له الكؤسات بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالادعية الفاخرة وفرح غالب الناس بولايته لانه كان رجلا عاقلا عارفا باحوال المملكة وكان كفؤا للسلطنة وقد اشتمل على جملة من المحاسن فى علم الفروسية وغير ذلك من سائر الفنون حتى كان يزن بيده فى القبان وكان يعقد البركاوات الحرير بيده وله غير ذلك محاسن كثيرة فى فنون لعب الرمح والنشاب ولكن لم يساعده الزمان وجنى عليه وخان فلم تكن حركاته سعيدة ولم تكن أيامه مديدة فكان كما قيل فى المعنى

انى تأملت الزمان وفعله * فى خفض ذى شرف ورفع الارذل
كطبائع الميزان فى أفعاله * تضع الرواجح والنواقص تعتلى

فلما تم أمره فى السلطنة عمل الموكب بالقصر الكبير وخلع على من يذكر من الامراء وهم

المقر السيفى قايتباى المحمودى واستقر به أتابك العساكر عوضا عن نفسه وخلع على المقر السيفى جانبك قلقسير واستقر به أمير سلاح عوضا عن قنبك المحموى وخلع على المقر السيفى خيربك واستقر به دوادارا كبيرا عوضا عن يشبك الفقيه وخلع على المقر السيفى خشكلدى اليسقى واستقر به رأس نوبه النوب عوضا عن قايتباى المحمودى وخلع على المقر السيفى تمر الوالى واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن بردبك هجين لما بقى أميرا خور كبير وخلع على الامير كسباى الخشقدمى واستقر به دوادارا ثانيا عوضا عن الامير خيربك وفى تلك الايام كتب الامير كسباى كتابه على خوند بنت الملك الاشرف اينال ولكنه لم يدخل عليها ثم ان السلطان تمربغا رسم بالافراج عن الامير قرقماس الحلب فاحضره من ثغر الاسكندرية ثم رسم بالافراج عن الامير تمراز الشمسى فاحضره من ثغر دمياط وكذلك الامير دولات باى النجمى وهؤلاء من مماليك الاشرف برسباى ثم أنعم على الامير مغلباى الخشقدمى بتقدمة ألف وأنعم على جماعة كثيرة من الخشقدمية بامريات عشرة وامريات أربعين ثم انه رسم بتدوير المحمل الرجبى فى تلك السنة فساقوا الرماحة على العادة فى القرافة ومن الحوادث فى أيامه أنه قبض على الشرفى يحيى بن الامير يشبك الفقيه وصادره وأخذ منه نحو عشرة آلاف دينار وكان قصده يصادر أعيان الناس بسبب النفقة وقد صار مع المماليك الخشقدمية تحت الضنك والقهر فى كل يوم فلما كان ليلة الاثنين سادس رجب عمل السلطان الموكب فى القصر الكبير وطلع الامراء على جارى العادة الى القلعة فطلع الامير خيربك ودخل الى القصر فلما كان وقت المغرب غلقت أبواب القلعة ودخل جماعة من المماليك الخشقدمية ومعهم سيوف مسلولة فقبضوا على السلطان تمربغا وهو جالس فى الخرجاة المطلة على الرميلة وقبضوا على جماعة من الامراء وحبسوهم تحت الخرجاة التى يجلس فيها السلطان وكان الامير خيربك اتفق مع المماليك الاينالية فى الباطن بانه يمسك السلطان والامراء الظاهرية وتصير الاينالية والخشقدمية شيأ واحدا وأنه اذا مسك السلطان من فوق تركب الاينالية من أسفل فيمسكوا بقية الامراء وان خيربك يتسلطن فانخرم معهم الحساب وضلوا عن الصواب كما قيل

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا

فلما مسك السلطان تمربغا ومعه جماعة من الامراء الذين طلعوا الى القلعة فى تلك الليلة ظن خيربك أنه قد تسلطن ووصل الى ذلك فجلس على سرير الملك وتلقب بالملك الظاهر مثل استاذه خشقدم وباس له الارض المماليك الخشقدمية وأنعم على جماعة منهم بوظائف سنية وتصرف فى تلك الليلة بما يقتضيه له الاختيار ولسان الحال يناديه كلام الليل يمحوه النهار وكان الاتابكى قايتباى غائبا فى الربيع لم يطلع فى تلك الليلة الى القلعة مع الامراء فلما بلغه خبر مسك السلطان والامراء ركب تحت الليل ودار على جماعة الظاهرية من

خشداشينه ثم داروا على الاينالية واستمالوهم على خير بك وقالوا لهم نحن نرضيكم فوقع الاتفاق فى تلك الليلة على خلع السلطان تمربغا وان الاتابكى قايتباى هو السلطان وان يقبضوا على الخشقدمية كلهم فلما وقع القرار على ذلك باس الارض تحت الليل للاتابكى قايتباى أعيان الاينالية وأركبوه وطلعوا به الى الرميلة فلما بلغ خير بك ماجرى اضطربت أحواله وضاق به الأمر وأدركه طلوع النهار فأخرج السلطان تمربغا من تحت الخرجاة و الامراء الذين سجنوا معه واجلس السلطان على مرتبته وباس له الارض ثم انسطح بين يديه وقال له وسطنى فانى كنت باغيا عليك فقال له السلطان يا أمير دوادار لا أنت ولا أنا بقى لنا بقاء فلما طلع النهار ملك الظاهرية والاينالية باب السلسلة وانكسر الخشقدمية فطلع الاتابكى قايتباى الى باب السلسلة وجلس فى المقعد الذى يطل على الرميلة وحضر الخليفة والقضاة الاربعة ثم خلعوا الظاهر تمربغا من السلطنة وولوا الاتابكى قايتباى كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه فلما طلع السلطان قايتباى الى القلعة قبض على المقر السيفى خير بك وعلى المقر السيفى الشهابى أحمد بن العينى وعلى الامير كسباى الدوادار وعلى الامير خشكلدى المعروف بالبيسق وعلى الامير مغلباى وعلى جماعة كثيرة من الامراء الخشقدمية فقيدوا الامير خير بك وابن العينى وسجنوا فى مكان بالقلعة ومعهم المهتار عبد الكريم وأما الملك الظاهر تمربغا فادخلوه الى البحرة من غير قيد وهو فى غاية العز والعظمة وأكرمه السلطان قايتباى غاية الاكرام فانه كان أعاتب جميع ظاهرية چقمق فالكل جاؤا من بعده ثم ان السلطان رسم للملك الظاهر تمربغا بان يتوجه الى ثغر دمياط من غير قيد ولا سجن ورسم له بان يركب الى صلاة الجمعة ويتنزه فى غيطان دمياط فنزلوا به تحت الليل وتوجهوا به فى مركب الى ثغر دمياط فاقام بها فكانت مدة سلطنته بمصر ثمانية وخمسين يوما لا غير فكان كما قيل فى المعنى

لم أستتم عناقه لقدومه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

ولم يعلم باحد من ملوك الترك أنه خلع من السلطنة فى أقل من هذه المدة ولم تفد معرفة الملك الظاهر تمربغا شيأ وعارضه الزمان كما قيل فى المعنى

واذا جفاك الدهر وهو أبو الورى * طرا فلا تعتب على ابنائه

وكيف كان تمربغا يمكث فى السلطنة والقسمة كانت من القدم لقايتباى وقد قال القائل فى المعنى

الرزق فى الوجوه * للمرء ملتزم
ماهو لمن سمى * الا لمن قسم

واستقر الملك الظاهر تمربغا فى أرغد عيش بثغر دمياط حتى حسن له الشيطان أن يتسحب

من ثغر دمياط فتسحب من هنالك كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه انتهى ما أوردناه من أخبار الملك الظاهر تمربغا وذلك على سبيل الاختصار والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبي النصر سيف الدين قايتباى المحمودى الظاهرى

وهو الحادى والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر (أقول) كان أصله جركسى الجنس جلبه الى مصر الخواجا محمود فى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة فاشتراه منه الملك الاشرف برسباى هو وعدة مماليك صغار ضريبة كل مملوك خمسون دينارا فلما اشتراه أنزله بالطبقة وصار من جملة المماليك الكتابية واستمر على ذلك حتى توفى الاشرف برسباى وتسلطن الظاهر جقمق فاشتراه من بيت المال على يد حاسوك وصى الملك الاشرف برسباى هو وعدة مماليك كتابية واستمر فى رق الظاهر جقمق حتى أعتقه ثم أخرج له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقى خاصكيا ثم بقى دوادارا كبيرا فلما توفى الظاهر جقمق وتسلطن الظاهر بلباى جعله رأس نوبة النوب عوضا عن أزبك بن ططخ لما بقى نائب الشام ثم لما توفى الظاهر تمربغا جعله أتابك العساكر عوضا عن نفسه فلما وثب خير بك على الظاهر تمربغا ووقع له ما تقدم ذكره وقع الاتفاق من العسكر على سلطنته وخلع الظاهر تمربغا وكان القائم فى ذلك طائفة الاينالية والظاهرية فلما انكسر خاير بك وطائفة الخشقدمية حطم الامير يشبك بن مهدى كاشف الوجه القبلى مع جماعة من العسكر فملكوا باب السلسلة وقبضوا على خاير بك فتقلب العسكر على الظاهر تمربغا وأشرف على الخلع فعند ذلك طلع الاتابكى قايتباى الى باب السلسلة وجلس بالمقعد الذى به واشتوروا فيما يكون من الامر فى الظاهر تمربغا فلم يوافق العسكر على ابقاء الظاهر تمربغا فى السلطنة فأرسلوا خلف أمير المؤمنين المستجد بالله يوسف فحضر وحضر القضاة الاربعة وهم ولى الدين الاسيوطى الشافعى ومحب الدين بن الشحنة الحنفى وحسام الدين بن حريز المالكى وعز الدين الحنبلى وحضر جماعة من الامراء فلما تكامل المجلس عملت صورة شرعية فى خلع الظاهر تمربغا من السلطنة فخلعه الخليفة فى الحال وبايع الاتابكى قايتباى وتلقب بالملك الاشرف ثم أحضروا له شعار الملك وهى العمامة السوداء والجبة السوداء التى بالطراز الذهب والسيف البداوى فلما أرادوا أن يفيضوا عليه شعار الملك تمنع من ذلك وبكى فالبسوه ذلك الشعار غصبا وهو يمتنع غاية الامتناع ثم قدمت اليه فرس النوبة فركب من سلم الحراقة وأذن للامير جانى بك قلقسير أمير سلاح بان يفرد الصنجق السلطانى

على

على رأسه لعدم حضور القبة والطير من الزردخاناه فرفع الصنجق على رأسه وقد ترشح أمره للأتابكية فلما ركب سار ومشت قدامه الامراء بالشاش والقماش وركب الخليفة عن يمينه وسار حتى طلع من باب سر القصر الكبير فلما طلع جلس على سرير الملك وقبلت له الامراء الارض وذلك يوم الاثنين سادس رجب من السنة المذكورة فلما تمت بيعته وراج أمره خلع على الخليفة ونزل الى داره ثم خلع على المقر السيفي جانى بك قلقسير الاشرفي برسباى وقرره فى الاتابكية عوضا عن نفسه ونزل الى داره فى موكب حافل وقيل تولى الملك الاشرف قايتباى الملك وله من العمر نحو من خمس وخمسين سنة وقد وكره الشيب قليلا ثم دخل يشبك بن مهدى وتمراز الشمسى على الظاهر تمربغا وأقاموه من فوق مرتبته وأدخلوه الى قاعة البحرة وهو فى غاية الاكرام ثم أخذوا منه النمجاه والترس والدواة وأحضروها بين يدى الاشرف قايتباى ثم ان الاشرف قايتباى رسم بتقييد خاربك فقيد هو وابن العينى وأدخلوهما الى مكان بالقرب من القصر الكبير وأدخلوا معهما عبد الكريم مهتار الملك الظاهر خشقدم وهو أول حكم وقع للاشرف قايتباى ثم ضربت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء من الخاص والعام وفيه يقول الشهاب المنصورى

سلطاننا الاشرف فى بذله * وعدله قد جمع الفضلا
تقبل الله الذى عزه * بالنصر منه الصرف والعدلا

وكان لما أراد أن يلبس شعار الملك شرط على العسكر أنه لا ينفق عليهم نفقة البيعة فرضوا بذلك فلما تسلطن لم ينفق على العسكر شيأ ثم أخذ السلطان فى أسباب القبض على أعيان الخشقدمية فقبض على كسباى الدوادار الثانى وقد ظهر من بيت يشبك بن مهدى وقبض على مغلباى ورسم باخراجه الى القدس يقيم به بطالا ورسم باخراج كسباى الى حلب واختفى خشكلدى البيسقى ثم صار فى كل يوم يقبض على جماعة من الخشقدمية وبثت شملهم ويسجنهم بالقلعة ما بين أمراء وخاصكية ثم ان السلطان رسم باحضار قرقماس الحلبى من دمياط واحضار جماعة من الاشرفية منهم بيبرس خال العزيز ومنهم جانى بك المشد وبيبرس الطويل وكانوا بالقدس ثم أشار بعض الظاهرية على السلطان بعود هذه الجماعة الاشرفية الى القدس على عادتهم فخرج الامر من السلطان بان يعادوا بعدما كانوا قد وصلوا الى قطيا فعادوا الى القدس وفى ثامن هذا الشهر رسم السلطان باخراج الظاهر تمربغا الى ثغر دمياط فخرج وهو فى غاية العز والاكرام من غير تقييد وقد رفق به وكان السلطان يرسل اليه فى كل يوم أسمطة حافلة وهو بالبحرة وعند ما خرج للسفر اجتمع به السلطان واعتذر اليه فى أمر السلطنة وأن ذلك لم يكن باختياره وكان على كره منه وكان

872

بين تمربغاوبين قايتباى أيمان عظيمة بانه لا يغدر ولا يتسلطن فلم تتم هذه الايمان ثم ان السلطان ودع الظاهر تمربغاونزل من القلعة وهو راكب على فرس من مركب السلطان ونزل من باب القرافة بعد العشاء وتوجه الى ساحل البحر ونزل فى الحراقة وتوجه الى ثغر دمياط فلما وصل الى دمياط نزل فى أحسن دورها وكان يركب الى صلاة الجمعة واستمر بدمياط الى ان كان من أمره ماسنذكره وفيه اشار بعض الظاهرية على السلطان بان يطلق من كان سجنه من الخشقدمية ثم ان السلطان أخذ فى أسباب مصادرة خاربك الذى تسلطن هو وابن العينى فطلب السلطان من خاربك نحو امن ستين ألف دينار خارجا عن بركه وخيوله وسلاحه وغير ذلك وعلى ابن العينى نحو امن مائتى ألف دينار وذلك خارج عن بركه وسلاحه وغير ذلك وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على من يذكر من الامراء وهم بردبك هجين وقرره فى امرية سلاح عوضا عن قانى بك المحمودى وخلع على يشبك بن مهدى وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن خاربك ولما حضر قرقاس الجلب من دمياط خلع عليه وقرره فى امرية مجلس عوضا عن ابن العينى وكان قرقاس الجلب لما نفى الى الاسكندرية أمير سلاح فنزل درجة الى أسفل وقرر فى الدوادارية الثانية قان بردى الابراهيمى الاينالى عوضا عن كسباى الخشقدمى وقرر فى ولاية القاهرة قانى باى الحسنى الاينالى عوضا عن اصباى البواب الخشقدمى وأنعم على قراجا الطويل الاينالى بتقدمة ألف ثم ان بعض الامراء شفع فى الناصرى محمد ابن الاتابكى جرباش كرت وكان مقيما بدمياط من حين نفاه الظاهر خشقدم فى واقعة يرش مملوك جانى بك نائب جدة وقد تقدم ذكر ذلك فلما حضر خلع عليه كاملية بسمور ونزل الى داره وفيه أخذ السلطان فى أسباب تعيين تجريدة الى شاه سوار بن دلغادر وقد تقدم ما وقع منه فى أيام الظاهر خشقدم وقد قويت شوكته والتف عليه عسكر ثقيل من التركمان وغيرهم وقد أظهر العصيان والمخامرة فخشى السلطان من أمره وأراد ان يأخذ أموره بالقوة وكان يمكنه أن يرسل الى سوار خلعة وهدية وتخمد هذه الفتنة فلم يوافق على ذلك وأخذ الاشياء بالعترسة فعين له تجريدة ثقيلة وعين بها الامير قلقسير الاتابكى وبردبك هجين أمير سلاح ونائق رأس نوبة النوب وتمر حاجب الحجاب وعدة أمراء طبلخانات وعشراوات وعدة وافرة من الجند والغالب فيهم من المماليك الخشقدمية وجعل السلطان ذلك عوضا عن نفيهم وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على من يذكر من الامراء وهم جانى بك الفقيه الظاهرى وقرره فى الامير اخورية الكبرى عوضا عن بردبك هجين وقرر فى الامير اخورية الثانية يشبك حسن عوضا عن جانى بك الفقيه بحكم انتقاله وقرر فى حسبة القاهرة قانصوه الخفيف تاجر المماليك وأنعم عليه بامرية عشرة وفيه رسم السلطان باخراج خاربك الذى تسلطن وقد سمته العوام سلطان ليلة فخرج تحت الليل وهو مقيد

راكب فرساوالاوجاقى يردفه على جارى العادة فلما وصل الى شاطئ البحر نزل فى الحراقة وانحدر حتى وصل الى ثغر اسكندرية فسجن بها ورجع من كان معه من الاينالية وبه زالت دولة الخشقدمية كانهم لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وفيه نودى من قبل السلطان بابطال المشاهرة التى تتعلق بالمحتسب وهى نحو ألف دينار فى كل شهر فبطل ذلك مدة يسيرة ثم عاد بعد ذلك كل شئ على عادته وفيه ابتدأ السلطان بتفرقة الاقاطيع على الجند وكان أكثرهم اينالية وأمر منهم جماعة كثيرة حتى رضوا وكان قصدهم اثارة فتنة واتفقوا مع الخشقدمية على ذلك ثم غلب سعد الاشرف قايتباى على ما قصدوه وخمدت تلك الفتنة وفيه قرر فى أتابكية دمشق شادى بك الجلبانى عوضا عن سرامرد العثمانى بحكم القبض عليه وفيه وصل سودون البرقى من دمشق من غير اذن السلطان وكان عين من جملة المقدمين بمصر فلما حضر أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف وعين للتجريدة وكان مريضا فاعفى من السفر وأقام بمصر مدة ومات وفيه أحضر أزدمر الابراهيمى الطويل وكان مسجونا بقلعة دمشق فلما حضر أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف وقد صار يدارى الاينالية مداراة وفيه عرض السلطان العساكر بسبب التجريدة لسوار راستمر جالسا على الدكة وهو يعرض ويكتب الى ما بعد العصر ثم ضيق على أولاد الناس والزمهم بالسفر الى سوار أو يقيموا لهم بدلا فصار يأخذ من كل واحد ان كان لا يسافر مائة دينار عوضا عن البديل الى السفر وقرر على جماعة من المباشرين جملة مال وأمرهم باحضاره بسرعة ليستعين به على نفقة العسكر فهذه أول شدة وقعت منه فى حق الناس واستمر الامر منه يتزايد فى كل يوم حتى جاوز الحد فى ذلك وكان ما سنذكره فى موضعه فلما تكامل حضور المال حملت النفقات للامراء المعينين للسفر فحمل للاتابكى جانى بك قلقسير أربعة آلاف دينار ثم حمل لبقية الامراء المقدمين لكل واحد ثلاثة آلاف دينار وللامراء الطبلخاتات لكل واحد خمسمائة دينار وللامراء العشراوات لكل واحد مائتا دينار وأنفق على الجند لكل واحد من المماليك مائة دينار وهذا على العادة القديمة الجارية بها العوائد فلما تزايد أمر التجاريد تضاعفت النفقات جدا حتى بلغت نفقة الاتابكى ازبك بن ططخ نحو امن ثلاثين ألف دينار فى كل سفرة على ما سيأتى ذكر ذلك فى محله وفى شعبان خلع السلطان على يشبك السيفى على باى وقرره فى نيابة قلعة دمشق وقرر فى حجوبية الحجاب بدمشق ابراهيم بن بيغوت وقرر فى نيابة قلعة حلب تمربای أخو الماس وفيه أحضر السلطان الشهابى أحمد بن العينى بين يديه فى الدهيشة ووبخه بالكلام بسبب ما قرر عليه من المال الذى لم يورد منه شيأ فسطحه على الارض بالدهيشة وقام وضربه بيده نحو امن عشرين عصا حتى شق كعبه وأدماه وأغمى عليه فشفع فيه بعض الامراء

وتوجهوا به الى طبقة الزمام فأقام بها أياما ثم تسلمه يشبك بن مهدى أمير دوادار كبير فنزل به الى داره ليورد ما قرر عليه من المال وكان ابن العينى لما قرر فى امرية مجلس ونزل من باب السلسلة سكن فى بيت جانى بك نائب جدة المشهور فلما انكسر خاير بك وزال أمر الخشقدمية نهبوا بيت ابن العينى عن آخره حتى قيل نهب له من البرك والقماش شئ بنحو من خمسين ألف دينار وكان ابن العينى ماشيا على طريقة أولاد السلاطين حتى أطلق عليه عزيز مصر ورماتعصب له بعض جماعة من الخشقدمية بانه يتسلطن بعد خلع الظاهر بلباى من السلطنة ولم يتم له ذلك وقد لطف الله تعالى به حيث لم يتسلطن فكان يقضى عمره كله فى القيد والسجن الى أن يموت وفيه فى يوم الاثنين ثانى عشره خرج الامراء والعسكر المعينون للتجريدة وكان لهم يوم مشهود وهذه أول تجريدة خرجت من مصر الى شاه سوار فكانوا نحو عشرين أميرا ما بين مقدمى ألوف وطبلخانات وعشراوات ومن الجند فوق ألف مملوك ثم فى ليالى السفر أنفق السلطان جامكية أربعة أشهر معجلا وصرف لهم الكسوة وأعطى لكل واحد منهم جملا وأرضى العسكر بكل ما يمكن وفيه ركب السلطان ودار على الميدان حول القلعة فلما عاد طلع من باب السلسلة وكان نزل الى الميدان وهو أول ركوبه ونزوله من القلعة وهو سلطان ثم تكرر ركوبه من بعد ذلك ليلا ونهارا حتى خرج ذلك عن الحد فترك بعض المؤرخين ضبط ركوبه ونزوله من القلعة اذ لم يحص ذلك بعدان كان ركوب السلطان نادرة مما يؤرخ فى التواريخ القديمة وفيه اختفى الوزير قاسم شغيته فلما اختفى خلع السلطان على عبد القادر ناظر الدولة بالتحدث فى الوزارة حتى يقرر بها من يختار وفيه قرر دمرداش العثمانى فى نيابة القدس عوضا عن محمد بن حسن بن أيوب وقرر فى نظر القدس بردبك التاجى عوضا عن حسن التميمى وفيه خلع السلطان على شاهين الجمالى وقرره فى نيابة جدة وقرر أبو الفتح المنوفى موقع السلطان وهو أمير فى نظر جدة مستوفيا على شاهين وفيه أفرج السلطان عن الشهابى أحمد بن العينى وخلع عليه كاملية بسمور ونزل الى داره وقد تحفظ أمره بواسطة الامير يشبك الدوادار والتزم ابن العينى بأن يورد فى كل شهر عشرين ألف دينار من الذهب النقد فكان جملة ما أورده للخزائن الشريفة مائة آلف دينار وتسعة وثلاثين ألف دينار وذلك خارج عن تعلقاته وجهاته وهذه من النوادر الغريبة حيث جمع ابن العينى هذه الاموال الجزيلة فى دون الاربع سنين منذ قرر فى التقدمة الى أن قبض عليه فعد ذلك من النوادر وفيه ركب السلطان ونزل الى القرافة وزار الاولياء وعاد من طريق قناطر السباع ودخل الى دار سودون البرقى وعاده فى مرضه وأقام عنده ساعة ثم ركب وطلع الى القلعة وفيه أخرج السلطان جماعة من الخشقدمية الى جهة الوجه القبلى مع

الكشاف وغيرهم كما كانت عادة المماليك الاينالية وفيه قرر بيبرس الاشقر في أتابكية صفد وفيه توفي سودون البرقي وكان يعرف بالتمشي وكان أصله من مماليك الظاهر چقمق وقاسى محنا وشدائد ونفي واختفى وكان انسانا حسنا وعندما بقي مقدم ألف مات في سنته وفيه خلع السلطان على الصاحب شمس الدين محمد والد الصاحب علاء الدين الاهناسي وقرره في الوزارة عوضا عن قاسم شغيته وقرر ولده محمدا في نظر الدولة عوضا عن عبد القادر وفيه أشيع انه فقد من الخزينة السلطانية نحو عشرين ألف دينار فظهر ان خوند سوارباى وسراى الظاهر خشقدم قد سرقوا ذلك فرسم السلطان على خوند سوارباى وأقامت في الترسيم مدة حتى أرضت السلطان وفيه وصل الى الابواب الشريفة السيد علي بن بركات الحسني وقد غضب من أخيه محمد سلطان مكة فلما طلع الى القلعة أكرمه السلطان وخلع عليه واستمر مقيما بمصر ورتب له ما يكفيه الى ان مات بعد مدة طويلة وكان السيد محمد سلطان مكة أرسل للسلطان ستين ألف دينار على انه يعوقه عنده بمصر حتى لا يقيم فتنة بمكة شرفها الله وعظمها وفيه ركب السلطان ونزل الى القرافة وزار الامام الشافعي والامام الليث رضي الله عنهما ورحمهما ثم سار الى بركة الحبش ولعب بالكرة ثم عاد الى القلعة وخلع على تاني بك المعلم كاملية بسمور وقد أعجبه ضربه للكرة وفيه كان ختم البخاري بالقلعة وهو أول بخاري ختم للسلطان وكان يوما مشهودا وحضر القضاة الاربعة وأعيان العلماء وفرقت الصرر على من له عادة وكذلك الخلع فرقت على أعيان العلماء وكان ختما حافلا وفي شوال وقعت غلوة خفيفة بالقاهرة وتشحطت الغلال وارتفع سعرها فاشتكت الناس للسلطان وصاروا ذا شق من القاهرة يسمعوه الكلام المنكي وفيه توعك السلطان وانقطع من الموكب أياما ثم شفي فأقيمت الخدمة بالقصر لاجل خروج الحاج وفيه قدم جاني بك حبيب من بلاد الروم وكان هاربا من أيام الظاهر خشقدم فتوجه الى بلاد ابن عثمان فلما حضر أكرمه السلطان وخلع عليه وبعث اليه الامير يشبك الدوادار بألف دينار ليرقع أحواله وفيه جاءت الاخبار بوفاة نظام الدين بن مفلح قاضي القضاة الحنبلي بدمشق وكان من أهل العلم وفيه صعدت الى القلعة خوند فاطمة بنت العلائي علي بن خاصبك فكان لها يوم مشهود وكانت مقيمة بدار السلطان التي بسوق الغنم الى ان طلعت القلعة في ذلك اليوم وفي ذي القعدة جاءت الاخبار بأن العسكر الذي توجه الى شاه سوار قد انكسر كسرة شنيعة وأسر الاتابكي قلقسير وقتل جماعة من الامراء والجند وقتل منهم ما لا يحصى وكان غالب العسكر من الخشقدمية وقتل من الامراء المقدمين الامير بردبك هجين المحمودي الظاهري أمير سلاح وأصله من مماليك الظاهر چقمق وكان لا بأس به وجرح الامير تمرجا جب الحجاب في

وجهه وأمامن قتل من الامراء العشراوات فنهم أيدكُ الاشرفى واسنبغابن صفرخجا المؤيدى نائب باب القلعة وتمربای الساقى الاشرفى وقانصوه النوروزى وتمربای قزل الظاهرى وتانى بك السيفى وجانى بك النور وجانى بك البواب المؤيدى وقطلوبای المحمودى الاشرفى العزيزى ومغلبای الخليلى الاشرفى ويشبك الغزى الظاهرى ويشبك الاشقر قيل انه فوجر على سوار فضرب عنقه بين يديه وأمامن قتل من الخاصكية والمماليك السلطانية فاضبطوا وقدنهب برك الامراء والعسكر قاطبة والذى سلم دخل الى حلب فى أسواحال من العرى والمشى وقدقوى أمر سوار وتوجه الى عينتاب وحاصر قلعتها وملك البلد وأشيع بين الناس أن ابن عثمان ملك الروم أرسل نجدة من عسكره الى سوار وفيه جاءت الاخبار من البحيرة بأن العربان قد تحالفوا على الخروج عن طاعة السلطان فوثبوا هنالك وأحرقوا الجرون ونهبوا بلاد المقطعين فلما بلغ السلطان ذلك عين تجريدة بها عدة من الامراء وعين تجريدة الى الشرقية وتجريدة الى الوجه القبلى بسبب أولاد ابن عمر ثم خلع على شيخ العرب صقر وقرره فى مشيخة عربان البحيرة ثم عزل خشقدم كاشف البحيرة وولاها لمحمد الصغير فلما وردت أخبار كسرة العسكر على يد سوار اشتغل السلطان بذلك عن كل شئ ودهمته هذه الامور الشنيعة عن التجاريد التى عينها وفيه ابتدأ السلطان بوقوع المساوى منه فاخرج قرية انبابه عن الخليفة المستنجد بالله يوسف وكانت بيده من حين تسلطن المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال وكان أقطعها له لما تسلطن فأخرجها السلطان عنه باسم جانى بك حبيب ثم بعد مدة يسيرة أخرج عنه جزيرة ابن الصابونى وأقطعها البعض مماليكه فعند ذلك من مساويه وفيه وصل قانصوه الجيلانى الحاجب بدمشق وعلى يده مكاتيب أزبك نائب الشام يخبر فيها بكسر العسكر ودخولهم الى حلب وهم فى أسواحال وان أزبك نائب الشام دخل الى حلب وهو مجروح فى وجهه وليس له برك ولا قماش ولا مماليك ودخل نائب حلب ونائب طرابلس على هذا الوجه ودخل غالب العسكر عرايا مشاة وكانت هذه الواقعة فى يوم الاثنين سابع ذى القعدة من السنة المذكورة فلما وردت هذه الاخبار ماجت القاهرة وحار السلطان فى أمره وما يظن ان سوارا يقوى على العسكر لكثرته وفيه جاءت الاخبار عقيب ذلك بأن سوارا سجن الاتابكى جانى بك قلقسير فى جب وان عسكر سوار قد قوى بما نهبه من العسكر من خيول وسلاح وبرك وقد عزم سوار بأن يزحف على حلب فلما تحقق السلطان ذلك أمر بعقد مجلس بالقلعة فحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة الاربعة وهم ولى الدين الاسيوطى الشافعى ومحب الدين بن الشحنة الحنفى وحسام الدين بن حريز المالكى وعز الدين الحنبلى وحضر شيخ الاسلام أمين الدين يحيى الاقصرائى ومشايخ من العلماء وحضر سائر الامراء وكان هذا المجلس بالحوش السلطانى فلما تكامل المجلس قام القاضى

كاتب السر أبو بكر بن مزهر وتكلم عن لسان السلطان ووجه الخطاب الى الخليفة والقضاة ومشايخ العلم بما معناه من كلام طويل بأن بيت المال مشحوت من المال وان سوار الباغى قد استطال على البلاد وقتل العباد ولا بد من خروج تجريدة عسكر لتحمى بلاد السلطان وأن العسكر يحتاج الى نفقة وليس فى بيت المال شئ وان كثيرا من الناس معهم زيادة فى أرزاقهم ووظائفهم وأن الاوقاف قد كثرت على الجوامع والمساجد وان قصد السلطان يبقى لهم ما يقوم بالشعائر فقط ويدخل الفائض الى الذخيرة فقال الخليفة وقضاة الجاه الى شئ من معنى الاجابة الى ذلك فبينما هم على ذلك اذ حضر شيخ الاسلام أمين الدين الاقصرائى الحنفى وكان قد تأخر عن الحضور فأرسل خلفه السلطان فلما حضر أعاد اليه كاتب السر الكلام الذى وقع فى أول المجلس فلما سمع هذا الكلام أنكره غاية الانكار وقال فى الملا العام من ذلك المجلس لا يحل للسلطان أن يأخذ أموال الناس الا بوجه شرعى واذا نفد جميع ما فى بيت المال ينظر الى ما فى أيدى الامراء والجند وحلى النساء فيأخذ منه ما يحتاج اليه واذا لم يوف بالحاجة ففى ذلك ينظر فى المهم ان كان ضروريا فى المنع عن المسلمين حل ذلك بشرائط متعددة وهذا هو دين الله تعالى ان سمعت آجرك الله على ذلك وان لم تسمع فافعل ما شئت فانا نخشى من الله تعالى أن يسألنا يوم القيامة ويقول لنا لم لا نهيتموه عن ذلك وأوضحتم له الحق ولكن السلطان ان أراد أن يفعل شيأ يخالف الشرع فلا يجمعنا ولكن بدعوة فقير صادق يكفيكم الله مؤنة هذا الامر كله ثم قام فانجبه منه السلطان وانفض المجلس من غير طائل وكثر القال والقيل وشكر الامراء الشيخ أمين الدين على ذلك وغالب الناس وكثر الدعاء فى ذلك اليوم للشيخ أمين الدين رحمه الله وعد هذا المجلس من النوادر ثم ان السلطان نادى للجند بالعرض وأخذ فى أسباب خروج تجريدة فلما ان دخل الدهيشة وهو فى غاية الحدة من الشيخ أمين الدين الاقصرائى واذا بالاخبار جاءت اليه من ثغر دمياط بفرار الظاهر تمربغا من دمياط وان شيخ العرب محمد بن عجلان وعيسى بن سيف الدين أنزلوه فى مركب وطلعوا به من الطينة وقصدوا به نواحى حلب فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت أحواله وضاق الامر عليه من كل جانب ونسى ما كان فيه من أمر سوار وعرض العسكر ثم زاد القال والقيل فى هروب الظاهر تمربغا من دمياط فعند ذلك عين السلطان يشبك الدوادار بأن يخرج ويلاقى الظاهر تمربغا من غزة فخرج على جرائد الخيل مسرعا ثم ان السلطان نادى فى القاهرة بأن لا يخرج أحد من بيته بعد صلاة العشاء ولا يحمل سلاحا ولا يحصل كلام وحصل للناس فى تلك الايام غاية القلق وفيه قرر فى قضاء الشافعية بدمشق قطب الدين الخيضرى عوضا عن ابن الصابونى مضافا لما بيده من كتابة السر ثم قرر فى نظر الجيش

البدر ابن المزلق عوضا عن ابن الصابونى أيضا بحكم القبض عليه وفيه جاءت الاخبار بأن سبع وسباع ولدى هجار وثبا على الينابعة وكان قد خرج اليهما على بن بركات أخو صاحب مكة المشرفة فكسروه وهذه أول فتنة الينبع وفيه عين السلطان تجريدة الى سوار وهى التجريدة الثانية فعين بها من الامراء قرقماس الجلب أمير مجلس باش العسكر وسودون القصروى وقراجا الطويل الاينالى وازدمر الطويل الاينالى وعدة أمراء طبلخانات وعشراوات وعين من الجند فوق الالف مملوك وفيه جاءت الاخبار بأن سوار قد أطلق الاتابكى جانى بك قلقسير وقد وصل الى قرب حلب وفيه جاءت الاخبار بقتل سبع وسباع ولدى هجار أمير الينبع وقد وقعت فتنة عظيمة بالينبع بين خناقر وبينهما حتى قتلهما وكان سبع وسباع حصل منهما غاية الضرر الشامل ❁ وفى ذى الحجة توفى شخص يسمى عصام الدين البخارى الحنفى وكان من أهل العلم وكان أكثر اقامته بدمشق واشتغل بدمشق على جماعة على مذهب أبى حنيفة وكان من الافاضل وفيه جاءت الاخبار من غزة بأن أرغون شاه الاشرفى قد قبض على الظاهر تمربغا فلما وصل الامير يشبك الى بلبيس تلقاه وحمله فى محفة وتوجه به من هناك الى ثغر الاسكندرية من غير تقييد ثم ان السلطان رفق به ولم يسجنه وقد رسم له بان يسكن بدار الملك العزيز التى بالاسكندرية وأن يركب الى صلاة الجمعة والعيدين ثم ان الظاهر تمربغا كتب للسلطان كتابا بخط يده وقال فيه المملوك تمربغا يقبل الارض وأرسل يعتذر اليه مما وقع منه بسبب تسحبه من دمياط واعتذر بأنه قصد التوجه الى شاه سوار ليصلح بينه وبين السلطان وتخمد هذه الفتنة كما قيل

اذا كان وجه العذر ليس بواضح * فان اطراح العذر خير من العذر

وكان الظاهر تمربغا أرشل قليل الحظ معكوس الحركات فى أفعاله ليس له سعد ولا قسيم له كما قيل

دع التعرض ان الامر مقدور * وليس للسعى فى الادراك تأثير

والمرء يعجز عن تحصيل خردلة * بالسعى ان لم تساعده المقادير

وفيه أيضا وصل أرغون شاه وعلى يده محضر بأنه سلم الظاهر تمربغا الى الامير يشبك الدوادار الكبير وتوجه من بلبيس الى الاسكندرية وكان أرغون شاه قبض على تمربغا لما خرج من الطينة فلما حضر أرغون شاه بين يدى السلطان شكره على ذلك وخلع عليه خلعة حافلة وأركبه على فرس بسرج ذهب وكنبوش فعز ذلك على جميع الظاهرية لكونه قبض على تمربغا ولم يكن هذا قصدهم وفيه تزايد سعر القمح وانتهى الى سبعمائة درهم كل اردب ففتح

السلطان شونه وباع منها بأقل من سبعمائة فحصل للناس بذلك بعض رفق وفيه ثارت المماليك بالقلعة ومنعوا الامراء من الطلوع اليها وكادت أن تكون فتنة كبيرة وسبب ذلك تأخر الوزير عن حمل اللحم المرتب والخبز وفيه قبض السلطان على الصاحب شمس الدين محمد والد الصاحب علاء الدين الاهناسى ووكل به فى طبقة الزمام وفيه توقف النيل عن الزيادة ثلاثة أيام فقلق الناس لذلك وزاد سعر القمح ثم بعث الله تعالى بالزيادة حتى حصل الوفاء ۞ وفيه توفى الشيخ تقى الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن على الشمنى القسطينى ثم السكندرى الحنفى وكان اماما عالما فاضلا خيرا دينا عارفا بالفقه والاصول وله تصانيف وتآليف فى فنون العلم أجازه البلقينى وابن الملقن والعراقى وغير ذلك من العلماء وكان عين للقضاء الاكبر غير مرة وهو يمتنع من ذلك وفيه قبض على شخص سرق ستر الامام الليث بن سعد رضى الله عنه فرسم السلطان بقطع يده فشهر وقطعت يده وفيه توفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن أسد بن عبد الواحد السيوطى ثم السكندرى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى العلم عارفا بالقرا آت بالروايات السبع ومولده سنة ثمانمائة وفيه أفرج عن الصاحب شمس الدين الاهناسى وخلع عليه باعادة الوزارة وصرف ولده محمد عن نظر الدولة وفيه جاءت الاخبار بوفاة أبى القاسم بن چهان شاه صاحب كرمان وكان لا بأس به ولى على كرمان بعد أبيه وجرى عليه أمور شتى وآخر الامر قتل وتوفى الشيخ أبو عبد الله محمد التونسى الموصلى المالكى رحمه الله تعالى وكان عالما فاضلا من أكابر علماء تونس وعاش نحو من سبعين سنة وتوفى قانصوه خوتى الاشرفى أحد مقدمى الالوف بدمشق رحمه الله تعالى وتوفى قراكير العثمانى المعروف بجماز الخاصكى وكان لا بأس به رحمه الله تعالى وتوفى طوغان ميق العمرى المؤيدى أحد الامراء العشراوات وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب طرابلس الغرب وفيه توفى القاضى علم الدين أبو الفضل بن جلود كاتب المماليك وكان أصله من الاقباط يسمى ابن اسحق وكان من أعيان المباشرين ورأى من العز والعظمة غاية وخرجت هذه السنة وقد وقع فيها من الفتن والشرور والانكاد ما لا يكاد أن يضبط وقتل فيها من العسكر والامراء ما لا يحصى وتولى فيها ثلاثة سلاطين بل أربعة بخاربك سلطان ليلة وتوفى فيها الظاهر خشقدم وتبدد شمل جماعة الخشقدمية وزالت دولتهم ووقع فيها غاية الفساد فى البلاد الحلبية بسبب عصيان شاه سوار وقد تقدم ما جرى من الضرر فى حق العسكر

۞ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم صعد القضاة الى القلعة للتهنئة بالعام الجديد فأمر السلطان بعقد مجلس بسبب مشترى مماليك الظاهر خشقدم فاشترى

873

من المماليك الكتابية نحو امن خمسمائة مملوك ضريبة كل مملوك عشرة آلاف درهم وقد
طمع فى حق أولاد الظاهر خشقدم وفيه خلع السلطان على عبد الكريم بن علم الدين بن
جلود وقرره فى كتابة المماليك عوضا عن أبيه بحكم وفاته وكان شابا لم يلتح بعد وفيه عينت
الاتابكية لازبك بن طط نائب الشام عوضا عن الاتابكى جانى بك قلقسير بحكم أسره
عند سوار فخرجت اليه البشارة بذلك وطلب الى مصر سريعا ليلى الاتابكية وفيه أرسل
السلطان بالقبض على تانى بك المعلم الذى توجه أمير ركب المحمل فقبض عليه من العقبة
وحمل للقدس بطالا وفيه جاءت الاخبار بوفاة الخواجا شهاب الدين بن المزلق الدمشقى وكان
من أعيان التجار بدمشق ولم يكن بلى شيأ من الوظائف كأخيه وفيه توفى جانى بك قجا
التمشى المؤيدى مات بطالا وكان بيده امرية عشرة وفيه فى ليلة خامس عشره خسف
جميع جرم القمر حتى أظلمت الدنيا ودام على ذلك الى قرب آخر الليل حتى انجلى وفيه
توفى شادبك شبق الاشرفى نائب ملطية أولا ثم بقى مقدم ألف بدمشق وفيه كان وفاء النيل
المبارك فلما وفى توجه الامير قرقماس الجلب أمير مجلس وفتح السد على العادة وفيه توفى
أصيل الحصرى وهو ابن محمد بن ابراهيم بن على بن عثمان بن يوسف بن عبد الرزاق بن
عبد الله المغربى كان مالكى المذهب وكان عشيرا الناس كثير المداعبات والنوادر لطيف
الذات محببا الارباب الدولة وعاش مدة من العمر طويلة وكان مولده سنة ثمان وثمانين
وسبعمائة وفيه حضر الزينى عبد الرحمن بن الكويز الذى كان ناظر الخاص وقرر فى دولة
الظاهر خشقدم فوجه الى ابن عثمان ملك الروم فأقام عنده حتى توفى الظاهر خشقدم
فحضر الى القاهرة فلما مثل بين يدى السلطان خلع عليه ونزل الى داره وفيه حضر قاصد
حسن الطويل وعلى يده مكاتبة بالتهنئة للسلطان بالملك وصحبته هدية حافلة وفى مستهل
صفر توفى العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم الشروانى الشافعى وكان اماما عالما فاضلا
نادرة عصره بارعا فى فنون العلم خضعت له الناس من أهل زمانه وشهرته تغنى عن مزيد ذكره
ومولده سنة ثمانين وسبعمائة وفيه ركب السلطان ونزل من القلعة وتوجه الى نحو طرا
والعدوية على سبيل التنزه فأقام هناك الى آخر النهار ومد هناك أسمطة حافلة ثم عاد الى القلعة
وفيه توقف النيل عن الزيادة وقلق الناس لذلك وارتفع سعر الغلال وتكالب الناس على
مشترى القمح ثم بعث الله بالزيادة وفيه خلع السلطان على بلباى الظاهرى أحد العشراوات
وقرر فى نيابة الاسكندرية عوضا عن قانصوه اليحياوى وقرر قانصوه اليحياوى نائب طرابلس
عوضا عن اينال الاشقر وقرر اينال الاشقر فى نيابة حلب عوضا عن بردبك البجمقدار
بحكم انتقاله الى نيابة الشام عوضا عن أزبك بن طط بحكم انتقاله الى الاتابكية عوضا عن

جانى بك قلقسير بحكم أسره عند شاه سوار وفيه نودى على الفلوس الجدد بار بعة وعشرين
الرطل وكانت بستة وثلاثين فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل وفيه جاءت الاخبار
من ثغر دمياط بوفاة الامير مغلباى طاز الابوبكرى المؤيدى أحد مقدمى الألوف بمصر
مات بدمياط بطالا وكان خيرا دينا موصوفا بالشجاعة وهو صاحب الجامع الذى أنشأه
بدرب الخازن ومات وقد ناف على الثمانين سنة من العمر رحمه الله تعالى ونقل بعد موته الى
القاهرة ودفن بتربته التى أنشأها وفيه وصل المقر السيفى أزبك نائب الشام فلما صعد الى
القلعة أكرمه السلطان وخلع عليه وقرره فى الاتابكية عوضا عن جانى بك قلقسير بحكم
أسره عند سوار فنزل الى داره فى موكب حافل وكان له يوم مشهود وفيه جاءت الاخبار
من ثغر الاسكندرية بوفاة خوند فاطمة بنت الاشرف اينال وكانت توجهت الى
الاسكندرية بسبب ختان أولاد أخيها الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال فطعنت هناك
وماتت وكان الطعن عما لا بالاسكندرية فحملت الى القاهرة ودفنت بتربة أبيها الاشرف
اينال وكان تزوج بها كسباى الدوادار الثانى الخشقدمى ولم يدخل عليها وكانت قبل
ذلك تزوجت بالامير يونس البواب الدوادار الكبير ومات وهى فى عصمة كسباى وكانت
شابة جميلة لها من العمر نحو من سبع وعشرين سنة فكثر عليها من الناس الاسف
والحزن والبكاء وكانت من الاخيار وفيه توقف السلطان عن صرف جوامك أولاد
الناس وجماعة من الفقهاء والمتعممين وأحضر قوسا ثقيلا وبه سهم نشاب طومار وصار
يدفعه لاولاد الناس فكل من لا يقدر على سحبه يقطع جامكيته فحصل لاولاد الناس
فى ذلك اليوم كسر خاطر وافتضح منهم جماعة ووبخهم بالكلام ونزلوا من القلعة
وهم فى غاية الفكر وقطع فى ذلك اليوم عدة جوامك فكثر الدعاء عليه بسبب ذلك وفيه
توفى الطواشى سرور الطلايبى شيخ الخدام بالحرم النبوى وكان قد طعن فى السن جدا
وتوفى القاضى شرف الدين عيسى العطولى الشافعى أحد نواب الشافعية وكان
لا بأس به وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة وكان يوما حافلا مشهودا
وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بوفاة السلطان الملك الظاهر بلباى المؤيدى مات
وهو بالسجن بالطاعون وقد قاسى شدائد ومحنا وآخر الامر مات قهرا وقد تقدم ذكره وفيه
هبط النيل سريعا فى أثناء توت فتزايد أمر الغلال وشطح سعر القمح وابتدأ وقوع
الطاعون بالقاهرة وفيه عين السلطان الامير ازدمر الطويل الاينالى بان يخرج ومعه
خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية الى حفظ البلاد الحلبية ويقيم بحلب الى أن تحضر
التجريدة ويخرج عقيب ذلك وكان بلغ السلطان بان عسكر سوار نزل على قلعة دربه

Death of Maternal daughter of al Ashraf Aynal

وحاصرها فبادر الامير ازدمر وخرج فى قلب الشتاء ليحفظ حلب وكان ذلك عين الصواب
وفيه جاءت الاخبار بوفاة قانم طاز الاشرفى أحد مقدمى الالوف بحلب مات وهو فى أسر
سوار وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية ومات وقد جاوز الستين من العمر وفيه نزل
السلطان من القلعة وتوجه الى خانقاه سرياقوس ونصب هنالك الخيام وأقام بها يومين
وعمل هنالك أسمطة حافلة وحضر هنالك مع السلطان قاصد حسن الطويل وقاصد ملك
الهند فكانت اقامتهم هنا مشهورة وحصل للسلطان بذلك انشراح ثم عاد الى القلعة وفيه
قبض السلطان على الصاحب شمس الدين الاهناسى والد الصاحب علاء الدين وسلمه الى
الامير يشبك الدوادار فعاقبه وسجنه عنده أياما ثم قرر عليه ألفى دينار وأطلقه وفيه
جلس السلطان على الدكة بالحوش لتفرقة الجامكية ففقطع عدة جوامك لاولاد الناس
والمتعممين وأحضر عنده ثلاثة أقواس بعضها أقوى من بعض وصار كلما دعا باسم شخص من
أولاد الناس يدفع اليه من الاقواس قوسا ويأمره بجذبه فان أوفى جذبه كتبه للتجريدة أو
يحمل مائة دينار عن بدل السفر وان لم يجذبه قطع جامكيته وصار بعض الامراء يشفع فيمن
له ألف جامكية بان يبقى على حاله ومنهم من ألزمه بخمسين دينارا لمن له ألف جامكية فحصل
لاولاد الناس الضرر الشامل بسبب هذه المصادرة وهان عليهم ترك الجامكية من كثرة
توبيخ السلطان لهم وفيه أنعم السلطان على برقوق شاد الشراب خاناه بتقدمة ألف وعلى
قنبردى الدوادار الثانى بتقدمة ألف ثم فى آخر الجوامك قطع عدة جوامك للفقهاء والمتعممين
وفعل بهم كما فعل باولاد الناس فى مصادراتهم وفيه أمر السلطان باحضار علاء الدين
ابن الصابونى فى الدهيشة فلما حضر أمر بضربه بين يديه فضرب ضربا مبرحا على رجليه
وألزمه بحمل مائة ألف دينار فأذعن الى ذلك ثم حمل الى طبقة الزمام فى الترسيم ووكل به
جماعة من الخاصكية الى أن يورد ما قرر عليه من المال وفيه خلع السلطان على يشبك
الدوادار خلعة حافلة كخلعة الاتابكى وقرره فى الوزارة مضافا للدوادارية الكبرى فاخذ
الوزارة عن الصاحب شمس الدين والد الصاحب علاء الدين الاهناسى وقرر قاسم شغيته فى
نظر الدولة عوضا عن محمد بن شمس الدين الاهناسى فلما تم أمر يشبك فى الوزارة أخذ فى
قطع مرتبات اللحم التى كانت للفقهاء والمتعممين قاطبة وكان ذلك باذن السلطان ففتك
يشبك الدوادار غاية الفتك ورسم على جماعة من المتعممين وقصد أن يأخذ منهم ما أكلوه فى
الماضى وكان منهم من له أربع زبادى لحم والخمسة زبادى بل وأكثر من ذلك فرسم على
بدر الدين الدميرى كتكوت حتى شفع فيه بعض الامراء وهرب واختفى حمزة بن البشرى
واستمر مختفيا حتى مات بعد مدة وحصل للفقهاء والمتعممين فى هذه الحركة غاية الضرر

والبهدلة

والبهدلة وما أبقى ممكا فى ذلك وقطع لحوم جماعة كثيرة من أولاد الناس والفقهاء والمتعممين والنساء وكان القائم فى ذلك قاسم شغيته وحسن للسلطان ذلك وهذا أول فتح باب المظالم وصار الامر يتزايد من بعد ذلك وكان فى الزمن القديم تباع الزبادى اللحم وتشترى النساء والفقهاء وغير ذلك من الناس فامتنع هذا الامر فى تلك الدولة وصار اللحم يصرف للمماليك فقط وكان الوزراء المتقدمون يسدون هذا المسد للديوان أحسن السداد مع كثرة اللحوم المرتبة للناس على ذلك الديوان وآخر من كان قائما بسداد هذا الديوان الصاحب علاء الدين ابن الاهناسى ثم ابن البياوى ثم ابن الصنيعة وغيره من الوزراء حتى ولى قاسم شغيته فحسن ليشبك الدوادار ذلك حتى فعل بالناس ما فعل وفيه خرج الاتابكى أزبك بن ططخ الى جهات البحيرة بسبب فساد العربان فاقام هناك مدة ثم عاد وفيه قرر سودون القصروى رأس نوبة النوب عوضا عن نائق الظاهرى بحكم وفاته وفيه قرر تانى بك الاينالى فى الدوادارية الثانية عوضا عن قنبردى الاينالى وقرر قانصوه الخفيف الاينالى فى شادية الشراب خاناه وقرر جانى باى الخفيف الاينالى فى تجارة المماليك وقرر مثقال الحبشى الساقى فى مشيخة الحرم الشريف النبوى عوضا عن سرور الطلايبهى بحكم وفاته وكان مثقال هذا عشير الناس كثير الانهماك على شرب الراح ففقته السلطان وألبسه مشيخة الحرم الشريف لعله يتوب وفيه يقول المنصورى

يمم ندى كف مثقال فراحته * فيها لمن أمه جود وافضال
واعجب له فرعاه الله من رجل * فيه قناطير خير وهو مثقال

وفيه أنفق السلطان على العسكر المعين للتجريدة الى سوار فاعطى لكل مملوك مائة دينار وفيه خلع السلطان على يشبك جن وقرره فى الحاج بركب المحمل وكان قد قرر قبل ذلك فى امرية الاخورية الثانية وخلع على يشبك الجمالى وقرره فى امرية الحاج فى الركب الاول وفيه جاءت الاخبار بان حسن الطويل قد استولى على ممالك العراق وطرد من كان بها من المماليك وقد تزايدت عظمته جدا فخشى السلطان منه فى الباطن وأخذ حذره ولكن شغله عنه أمر سوار وفيه أرسل السلطان نفقات الامراء المعينين الى التجريدة فحمل لازدمر الطويل ستة آلاف دينار وحمل لقجماس الطويل أحد الامراء الطبلخانات خمسمائة دينار وحمل للامراء العشراوات لكل واحد منهم مائتى دينار فكان الذى صرف على هذه التجريدة التى خرج فيها أزدمر الطويل ومن عين معه من الامراء ومن الجند وهم نحو من خمسمائة مملوك ما يزيد على مائتى ألف دينار فخرج ازدمر الطويل ومن عين معه من الامراء ومن الجند فى أوائل الشتاء ليقيم فى حلب وفيه خرج علاء الدين بن الصابونى الى

873

دمشق وخرج معه خاصكي يقال له جانى بك الاشقر ليحضر ما بقى عليه من المال الذى التزم به فخرج الى دمشق فى الترسيم وفى ربيع الآخر طلع القضاة الى التهنئة بالشهر فتكلم السلطان معهم فى المجلس فى قطع جوامك العواجز من الجند والنساء وأخذ يشكو للقضاة من انشحات الديوان وخراب البلاد وصار يدعو على نفسه بالموت حتى يستريح مما هو فيه من التعب فطال الكلام فى ذلك المجلس بسبب ذلك ثم انفض الامر من غير طائل وقام القضاة ونزلوا من القلعة فلما فرق الجامكية فى الشهر الاول المذكور جلس على عادته واستدعى بالجامكية وصار يقطع عدة جوامك للعواجز من الجند والايتام والنساء وصار فى كل شهر على عادته تفرق الجامكية بحضرته ويقطع فى كل شهر للناس بحسب ما يختار منها وهو أول من جلس على تفرقة الجامكية بنفسه من الملوك واستمر ذلك من بعده تفعله الملوك الى يومنا هذا فى كل يوم تفرق فيه الجامكية ولم يعهد هذا من ملك قبله أنه حضر تفرقة الجامكية بنفسه وفيه قرر يشبك البجاسى الذى كان نائب حلب وعزل قرره السلطان فى نيابة حماه عوضا عن محمد بن مبارك فعد هذا من النوادر لكونه قرر فى نيابة حماه بعد نيابة حلب وفيه خلع السلطان على يشبك الجمالى وقرره فى الحسبة عوضا عن قانصوه الخفيف بحكم انتقاله الى شادية الشرابخاناه فجاء يشبك الجمالى فى الحسبة على الاوضاع وصار له حرمة وافرة وفى جمادى الاولى توفى الأمير جوهر التركمانى اليشبكى الخازندار الكبير والزمام وكان هندى الجنس سيئ الخلق غير محمود السيرة وفيه خرج تمراز الشمسى قريب السلطان وتوجه الى الغربية للكشف على الجسور وصار يتوجه اليها فى كل سنة ويقيم بها أشهرا وفيه توفى الغرس خليل والد شيخنا الشيخ عبد الباسط الحنفى وهو خليل بن شاهين الصفوى الاشرفى وكان ذكيا لبيبا عارفا تولى عدة وظائف سنية من الوزارة ونيابة الكرك ونيابة القدس ونيابة ملطية وأنابكية حلب ونيابة الاسكندرية وتقدمة ألف بدمشق وحج بالناس أمير المحمل وكان من أعيان الرؤساء وكان نادرة فى أولاد الناس وكان مولده سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وكان حنفى المذهب اشتغل على جماعة من العلماء وأجازه فى الحديث الحافظ بن حجر وفيه خلع على الطواشى جوهر النوروزى الحبشى وقرره فى الزمامية والخازندارية الكبرى عوضا عن جوهر التركمانى وفيه توفى الشيخ المسلك العارف بالله تعالى حسام الدين حسين بن محمود الاصفهانى الرفاعى الشافعى وكان دينا خيرا لا بأس به وفيه عاد الامير يشبك الدوادار من الوجه القبلى وقد نهب البلاد وأسر نساء العربان وأولادهم حتى قيل أحضر معه نحو من أربعمائة امرأة وقدمات منهن من الجوع عدة كثيرة فلما عاد يشبك حصل من العربان

Expedition against the Arabs of Upper Egypt

بسبب

بسبب ذلك مالا خير فيه من البلاد وسلب المسافرين ووقع منهم غاية الفساد وفيه جاءت الاخبار بوفاة شيخ العرب حسن بن بغداد أحد مشايخ الغربية وكان فى سعة من المال فأحاط السلطان على موجوده قاطبة وفى جمادى الآخرة ارتفع سعر الغلال عما كان واشتد الغلاء على الناس وجاءت الاخبار بافشاء الطاعون باقليم البحيرة وفيه توفى الطواشى شاهين غزالى الظاهرى الرومى وكان بارعا فى الجمال وافتتن به كثير من النساء والرجال وكان حسن الشكل وافر العقل كثير الأدب حشما فى نفسه وكان فى سعة من المال غاويا متجرا وكان منهمكا فى ملاذ نفسه فلما مات نزل السلطان وصلى عليه ثم توجه من الصلاة الى بركة الحبش وأقام بها الى آخر النهار ثم عاد الى القلعة وفى شاهين غزالى يقول الشهاب المنصورى

قد صاغ لك الله من لطف ومن كرم * وزاد حسنك بالاحسان تزيينا
فاخفض جناح الرضا واصطد طيور وغى * من جوّا خلاصنا ان كنت شاهينا

﴿وقال آخر﴾

أيها العشاق اصغوا * واسمعوا حسن مقالى
كل عاشق لو غزال * وأنا شاهين غزالى

وفيه ذكرت أعجوبة نقل شيخنا الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفى فى تاريخه أن شخصا من الجند يقال له يوسف السيفى يشبك الصوفى خرج ليسير نحو الجبل المقطم فرأى حصاة مرمية فى الارض فأخذها فاذا عليها مكتوب بخط جيد قديم قد قرب الوقت فاعتبروا واتقوا الله وهى كتابة بغير نقط ولا شكل فاحضرها بين يدى الشيخ أمين الدين الاقصرائى حتى رآها وتعجب من ذلك ولكن طعن فيها بعض الناس وقال انها مصنوعة والله أعلم بحقيقة ذلك وفيه عرض السلطان العسكر وأخذ فى أسباب خروج العسكر الى سواروهى التجريدة الثانية فعين باش العسكر الاتابكى أزبك بن ططخ وقرقماس الجلب أمير مجلس وسودون القصروى رأس نوبة النوب وتمر حاجب الحجاب وقراجا الطويل الاينالى ومن الامراء الطبلخانات خاير بك بن حديد وجانى بك الزينى ومن الامراء العشراوات زيادة على العشرين أميرا ثم رسم لاولاد الناس من أراد السفر فليسافر ومن لم يسافر يحمل الى بيت المال مائة دينار ويقدمها بدلا عنه وهذا لمن يكون له جامكية وأقطاع ومن لم يكن له أقطاع وله ألف دينار أوله جامكية الف درهم يحمل خمسة وعشرين دينارا وفيه قبض السلطان على الشهابى أحمد بن العينى وسجن بالقلعة ليورد بقية المال الذى كان قرر عليه فأقام بالقلعة أياما حتى حمل ما عليه من المال المقرر فعند ذلك خلع عليه السلطان ونزل الى داره وفيه أنفق السلطان على العسكر لكل مملوك مائة دينار ولكل أمير مقدم ألف ألفا دينار وحمل للامراء الطبلخانات لكل واحد خمسمائة دينار وللامراء العشراوات لكل واحد مائتا دينار فكان

جملة ماصرف على هذه التجريدة نحو من أربعمائة ألف دينار فلما كان يوم الموكب طلع قرقماس الحلب الى القلعة وطلب من السلطان الاعفاء من السفر وأظهر العجز وأن يكون طرخانا في أي مكان يختاره السلطان فلم يجب الى ذلك وخاشنه السلطان في اللفظ وألزمه بالسفر وأكد عليه فلما نزل الى داره كثر القيل والقال بان ستكون فتنة فلما بلغ السلطان ذلك لم يؤثر عنده ونزل الى خليج الزعفران وأقام به الى آخر النهار ثم عاد الى القلعة وبطلت تلك الاشاعة وفي رجب حضر من البحيرة الاتابكي أزبك فلما نزلت له النفقة تمنع من السفر وزعم أنه لا يطيق مماليك السلطان اذا عمل باش العسكر فلا زال يتلطف به حتى أجاب الى السفر وقبل منه النفقة وفيه وصل قاصد حسن الطويل وعلى يده هدية للسلطان ومكاتبة تتضمن ما ملكه من القلاع من ملك العراقين وعلى يده عدة مفاتيح لعدة قلاع وحصون وأرسل يتملق للسلطان بان كل ما يملكه من البلاد هو زيادة في ممالك السلطان وانه النائب عنه فيها فأكرم السلطان قاصده وأضافه وخلع عليه كاملية حافلة وأرسل الى حسن الطويل هدية حسنة سنية وأذن للقاصد بالسفر وكان هذا من حسن الطويل عين الخداع لما يأتي منه بعد ذلك ❁ وفيه توفي القاضي معين الدين ابن الطرابلسي الحنفي وهو محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرابلسي وكان عالما فاضلا ناب في القضاء مدة ثم نزل عن ذلك ولزم العبادة والتصوف حتى مات وفيه أكمل السلطان تفرقة النفقة على العسكر المعين الى تجريدة سوار ثم ابتدأ بتفرقة الجمال ثم عجل لهم جامكية أربعة أشهر وأعطاهم الكسوة أيضا وأرضاهم بكل ما يمكن ووقع في يوم تفرقة الجمال نادرة غريبة وهي أن الهجانة لما أحضروا الجمال وساقوها الى الميدان تزاحمت عند باب الميدان وقت دخولها فمات منها في ساعة واحدة نحو من ثلثمائة بعير فتشاءم الناس لذلك وصرحوا بعدم نصرة العسكر وكذلك جرى وفيه كان ابتداء وقوع الطاعون بالقاهرة وهو أول طاعون وقع في دولة الاشرف قايتباى وفي شعبان توفي قاضي القضاة المالكي حسام الدين بن حريز بن أبي القاسم الهاشمي القرشي العلوي الحسني وكان أصله مغربيا من طربطاى ثم نشأ بمنفلوط وولي القضاء بها مدة طويلة وكان عالما فاضلا جوادا سمحا في سعة من المال سمع على ولي الدين العراقي وغيره من العلماء وآل أمره الى أن ولي القضاء الاكبر بمصر وصفا له الوقت وطالت أيامه بها وعظم أمره في القضاء وكان مولده سنة أربع وثمانمائة وكان يعاب بكثرة القيام في أغراض نفسه ولما مات تولى من بعده أخوه عمر سراج الدين وقرر في قضاء المالكية عوضا عن أخيه وتوفي المسند شمس الدين محمد بن النقاش الوفائي الصوفي الشافعي سمع الحديث من والده الشيخ سراج الدين عمر بن عمر بن حسن وفيه تزايد أمر الطاعون جدا وعمل في الاطفال والمماليك والعبيد

والجواري

والجوارى والغرباء عملا بليغا ذريعا حتى عظم الامر فى ذلك وفيه يقول الشهاب المنصورى

يانعم عيشة مصر * وبئس ماقد دهاها
لما فشا الطعن فيها * حاكى السهام وباها

وفيه خلع السلطان على المقر السيفى يشبك الدوادار وقرره فى الاستدارية مضافا لما بيده من الدوادارية والوزارة وكشوفية الكشاف فعظم أمره جدا وما أظن أن هذه الوظائف قد جمعت لاحد من الامراء قبله فكان الانسان اذا قرب من بابه يستعيذ بالله من هول مايرى من الظلمة التى ببابه فلما ولى يشبك الاستادارية قبض على مجد الدين بن البقرى وشرف الدين ابن كاتب غريب وطلب منهما مالا فحصل من ابن البقرى خمسة آلاف دينار وأما ابن كاتب غريب فانه أظهر العجز وحلف أنه لايملك شيأ وكان متمرضا فرسم السلطان بحمله الى البرج الذى بالقلعة فسجن به وفيه خرج العسكر المعين الى سوار فخرجوا من القاهرة فى تجمل زائد وطلبوا اطلابا حافلة فخرج الاتابكى ازبك ومعه من العسكر والامراء ماتقدم ذكره وخرج قبل ذلك الامير ازدمر الطويل ومعه خمسمائة مملوك فصار الطاعون عمالا والتجريدة خارجة والعسكر فى غاية الضرر على أولادهم وعيالهم ومات فى أثناء الطريق جماعة كثيرة بعد خروجهم من الريدانية وقيل ان السلطان نزل تحت الليل الى الاتابكى أزبك وأقام عنده ساعة وودعه وعاد الى القلعة كل ذلك تحت الليل ولم يشعر به أحد من الناس وفيه توفى الاديب البارع الفاضل الشهاب بن صالح وهو أحمد بن محمد بن صالح بن عثمان بن محمد بن محمد الشافعى وكان عالما فاضلا شاعرا ماهرا من فحول الشعراء وله نظم حسن السبك ومولده سنة عشرين وثمانمائة ومن شعره الرقيق فيمن أهدى اليه بطيخا وقطرا قوله

بعثت الىّ بطيخا وقطرا * يشابه ذاك هذا فى الصفات
هما نوعان عند الذوق كل * تولد فى الحقيقة من نبات

وله فى اسم فرج

شكى فؤادى هم الصد يافرج * وفيك أصبح صدرى ضيقا حرجا
واستيأس القلب حتى رحت أنشده * يامشتكى الهم دعه وانتظر فرجا

والتورية فيه ثلاثية وفيه عظم أمر الطاعون بالقاهرة وصارت الغرباء يموتون فى الطرقات بعضهم على بعض فشرع الامير يشبك الدوادار فى بناء مغسل بالقرب من مدرسة السلطان حسن وصارت تحمل اليه الطرحاء من الموتى فيكفنهم ويخرجهم ويدفنهم ويصرف عليهم من ماله فحصل للناس بذلك غاية الرفق فى تلك الايام وفى رمضان اشتد الغلاء والفناء بمصر والشام وحلب حتى قيل بيعت الغرارة القمح بدمشق بنحو من أربعين دينارا

وزيادة وفيه مات للسلطان ولد اسمه سيدى أحمد وهو أول أولاده من خوند الخاصكية وكان
عمر ابن السلطان نحوا من أربع سنين ثم ماتت له ابنة اسمها ست الجراكسة عمرها نحو من
ست سنين من خوند أيضا وفيه توفى الطواشى لؤلؤ الزمام الاشرفى وكان خازندار كبير زمام
وتوفى يشبك خازندار الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال وكان أمير عشرة ومات مغلباى
الخشقدمى وكان من الامراء العشراوات ومات ابن أخت السلطان وكان شابا حسنا صغير
السن ومات جان بلاط الاينالى أحد الامراء العشراوات ومات جكم المحمدى الخشقدمى
أحد الامراء الطبلخانات وكان حاجب ثانى ومات اينال باى ميق الاشرفى أحد الامراء
العشراوات ومات اقبردى الهوارى الاينالى أحد الامراء العشراوات ومات قانى باى
الحسنى الاينالى رأس النوب ومات آنص باى الاعور الاينالى أمير اخور التبن والدريس
ومات اركماس قرا أحد الامراء العشراوات ومات قانى باى الحسينى الاينالى أحد
العشراوات وكان والى القاهرة وكان غير عسوف فى ولايته وفيه جاءت الاخبار بوفاة بيبرس
خال الملك العزيز مات بالقدس بطالا وكان فى عشر الثمانين وولى عدة وظائف سنية وجرى
عليه شدائد ومحن وكان الخشقدمى لا بأس به فى جماعة الاشرفية وفيه توفى الشيخ جمال
الدين أبو الفضل خطيب مكة وهو محمد بن محمد بن أحمد العقيلى النويرى الشافعى وكان عالما
فاضلا سمع على جماعة من العلماء وولى خطابة مكة ثم قدم الى مصر وأقام بها الى أن مات
وكان معظما عند أرباب الدولة وقد ترشح أمره لان يلى القضاء بمصر فما تم له ذلك وفيه حصل
للامير يشبك الدوادار توعك فى جسده فنزل اليه السلطان وعاده وفى شوال تناقص أمر
الطاعون وأخذ فى الارتفاع بعد ما فتك فى الناس فتكا ذريعا وفيه خلع السلطان على
قانى باى آنص الساقى وقرره فى الحجوبية الثانية عوضا عن جكم ابن أخت السلطان بحكم
وفاته وفيه كان وصول الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وكان بثغر الاسكندرية
فاستأذن السلطان فى الحضور ليحج فأذن له فى ذلك فحضر فلما صعد الى القلعة ووقف بين
يدى السلطان وأراد أن يقبل الارض نهاه السلطان عن ذلك وبالغ فى اكرامه ثم أحضر
اليه كاملية بسمور وفوقانى أخضر بطرز ذهب وقدم اليه فرس بسرج ذهب وكنبوش
فركب من الحوش ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدامه الامراء فتوجه الى دار الاتابكى
ازبك عند أخته زوجة ازبك وكان غائبا فى التجريدة فأقام عندها ثم بعد أيام أضافه
السلطان بالبحرة ثم بعد ذلك ألبسه كاملية بسمور وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش
ونزل فى موكب حافل فعد مجيئه الى مصر وطلوعه الى القلعة من النوادر ثم ان السلطان
أخذ فى أسباب عمل برق للملك المنصور لاجل الحج وفيه خلع السلطان على خشقدم

الاحمدى الطواشى وقرر رأس نوبة السقاة عوضا عن شاهين غزالى وخلع السلطان على مرجان النقوى الحبشى وقرره فى مشيخة الخدام بالمدينة الشريفة وفيه توفى اقباى اليحياوى الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان شابا شجاعا بطلا وفيه أرسل السلطان الى الظاهر تمربغا وهو بالاسكندرية فرسا بسرج ذهب وكنبوش وكاملية بسمور وأذن له فى الركوب الى الصلاة فى الجمعة والعيدين والى حيث شاء من أماكن الاسكندرية وفيه توفى الامير قان بردى الابراهيمى الاينالى أحد المقدمى الألوف بمصر وفيه جاءت الاخبار بقتل السلطان أبى سعيد بن أحمد بن سعيد بن سعدان شاه بن تمرلنك وكان متملكا على سمرقند وبخارى وقتل على يد حسن الطويل وكان من أجل ملوك الشرق قدرا فلما قتل تولى من بعده أحمد وهو باق على ملكه الى يومنا هذا وفيه خلع السلطان على يشبك بن حيدر الاينالى وقرره فى ولاية القاهرة فحسنت أوقاته بها ودام فى الولاية نحو امن عشرين سنة وفيه استقر فى مشيخة المدرسة الصلاحية المجاورة لقبة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الشيخ كمال الدين ابن امام المدرسة الكاملية عوضا عن زين العابدين ابن قاضى القضاة يحيى المناوى بحكم وفاته وفيه خرج الحاج على العادة وخرج صحبتهم الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق فانعم عليه السلطان باشياء كثيرة من برك وسنيج وغير ذلك وفيه لبس السلطان البياض فى يوم الاثنين سادس عشريه الموافق لثالث عشر بشنس فخرج من الدهيشة لابس البياض وقد خالف العادة فى ذلك بعدم لبسه له يوم الجمعة وهى العادة القديمة فعيب ذلك عليه وفيه عاد القاضى شرف الدين الانصارى من جبل نابلس وكان خرج بسبب جمع العشير المتوجه مع التجريدة فقيل انه صرف على جمع العشير من النفقة نحو امن مائتى ألف دينار وفيه نزل السلطان نحو قليوب ثم عرج على جسر أبى المنجا ثم عاد الى تربة يشبك الدوادار فأقام بها الى ما بعد العصر ثم عاد الى القلعة وفى ذى القعدة جاءت الاخبار من حلب بان العسكر لما وصل أخذ باب الملك وانهم فى استظهار على العدو سوار ثم جاءت الاخبار من نائب حلب بقتل مال باى الاقطع أخو سوار وجماعة كثيرة من عسكره وبعث برأس مال باى الاقطع ومعها رأس ان من أمرائه فلما حضرت تلك الرؤس طيف بها فى القاهرة ثم علقت بباب زويلة وباب النصر وفيه جاءت الاخبار بموت خاربك البهلوان وكان أحد الامراء بدمشق قتل هو وجماعة من العسكر فى واقعة مال باى أخى سوار وفيه نزل السلطان وتوجه الى نحو طرافاضاف هناك محمد بن البلاخ فأقام الى آخر النهار وعاد وفيه سافر السلطان الى جهة بحيرة تنيس وكان معه من الامراء المقدمين برقوق الناصرى واستمر فى هذه السفرة أياما وانقطع خبره عن الناس مدة وقد قرب عيد النحر فبعث مرسوما بطلب قاضى القضاة الشافعى ولى الدين

الاسيوطى ليصلى به صلاة عيد النحر بفارسكور فخرج القاضى بسرعة وأخذ معه أشياء من نوع المآكل هدية للسلطان فتوجه الى نحو فارسكور فعيد السلطان هناك وقطع أضحية جماعة من أولاد الناس والفقهاء والنساء حتى الخوندات وجماعة كثيرة من الجند فحصل للناس كسر خاطر بسبب ذلك وكان العسكر فى هذا العيد غائبا فى التجريدة والسلطان مسافر وكان عقيب الفصل وقد فقدت الناس أولادهم وعيالهم وقطعت ضحاياهم المرتبة لهم بالديوان السلطانى من قديم الزمان وفى يوم عيد النحر كانت بشارة النيل المبارك بما جاءت به القاعدة ثم نودى عليه من غد واستمر السلطان فى هذه السرحة غائبا نحو امن أربعين يوما وطاف عدة بلاد من الشرقية والغربية فدخل عليه جملة تقادم من مشايخ العربان والمدركين من خيول ومال وغير ذلك وكان خروجه الى السفر على حين غفلة ولم يكن معه من الامراء المقدمين سوى برقوق وبعض أمراء عشراوات وبعض عسكر ثم جاءت الاخبار بان السلطان قصد العود الى الديار المصرية وقد وصل الى بلبيس فلما وصل الى الخانقاه خرج اليه أرباب الدولة قاطبة ثم نودى فى القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة فلما كان يوم الخميس تاسع عشر الشهر المذكور دخل القاهرة من باب النصر فى موكب حافل وقد حمل القبة والطير على رأسه المقر السيفى برقوق أحد المقدمين وموجب ذلك غياب الاتابكى أزبك بالتجريدة وكان له يوم مشهود ومشت قدامه الجنايب بالارقاب الزركش ولاقاه الاوزان والشعراء والشبابة السلطانيه وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير من عند مدرسة أم السلطان التى بالتبانة الى القلعة ونثر على رأسه خفايف الذهب والفضة ومشت قدامه الامراء الرؤس النوب بالشاش والقماش من بين القصرين الى القلعة واصطفت له المغانى من النساء فى الدكاكين واستمر فى ذلك اليوم موكب حافل حتى طلع الى القلعة وهذا أول مواكبه الحافلة وصادف أن قاصد حسن الطويل كان حاضرا وصار متعجبا من حسن هذا الموكب وكان قد حضر وعلى يده رأس أبى سعيد ملك سمرقند وقد تقدم انه قتل على يد حسن الطويل فلما طلع السلطان الى القلعة وجلس على الدكة بالحوش حضر قاصد حسن الطويل ورأس أبى سعيد معه فى علبة وكان العسكر بالشاش والقماش وكان الموكب عاما فلما انفض الموكب أقام السلطان بعد ذلك أياما ثم حضر تانى بك الطاهرى أحد رؤس النوب وكان من جملة من خرج فى التجريدة فاخبر بكسر العسكر ورجوعه من حلب وهذه ثانى كسرة وقعت لعسكر مصر مع سوار فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت أحواله وماجت القاهرة بمن فيها وكان سبب انكسار العسكر أن سوار تحيل عليهم حتى دخلوا فى مواضع ضيقة بين أشجار فخرج عليهم السواد الاعظم من التركمان بالقسى والنشاب والسيوف والاطبار فقتلوا من العسكر ما لا يحصى عددهم وأخبر تانى بك بقتل

الامير قرقماس الحلب وكان يعرف بقرقماس بن يشبك بخا الاشرفى وكان أميرا جليلا حشما رئيسا يقرب للاشرف برسباى وولى عدة وظائف سنية منها رأس نوبة النوب وامرية مجلس وامرية السلاح ثم جرى عليه فى دولة الظاهر بلباى ما تقدم ذكره وسجن ثم أطلق وتوجه الى دمياط ثم عاد الى مصر فى دولة الاشرف قايتباى وأعيد الى امرية مجلس وخرج الى التجريدة وقتل فى المعركة وأخبر بموت جماعة من الامراء وغيرهم منهم سودون القصروى رأس نوبة النوب مات بحلب وكان مجروحا فحمل الى حلب ومات بها وكان قد طعن فى السن وناف على الثمانين سنة فى العمر وكان انسانا حسنا ديناخيرا وهو صاحب المدرسة التى بخط الباطلية بجوار داره وولى عدة وظائف سنية منها نيابة قلعة مصر ثم بقى مقدم ألف ثم بقى راس نوبة النوب ومات بحلب وكان أصله من مماليك قصروه نائب الشام وكان دواداره وتوفى برسباى أميرا خور ثانى وكان يعرف ببرسباى الابو بكرى وكان أمير عشرة وراس نوبة وتوفى اينال باى بن مبق الاينالى وكان أمير عشرة وتوفى تغرى بردى الارمنى المنصورى وتوفى طقطمش المحمدى الاشرفى برسباى قيل رماه سوار من أعلى السور فمات لوقته وكان شجاعا بطلا ونوروز الدوادار وفارس البكتمرى أحد العشراوات وقجماس الطويل الحسنى الظاهرى أحد الامراء الطبلخانات ونوروز شكال ابن تغرى بردى الارمنى المنصورى أحد العشراوات ونوروز تمر العلائى الاشرفى برسباى قيل رماه سوار من أعلى السور فمات لوقته وكان شجاعا بطلا ونوروز الدوادار بن عينى الاشرفى أحد العشراوات وكان أمير خازندار وقانم بيضا اليوسفى الظاهرى أحد العشراوات وقتل أيضا من أمراء دمشق الشرفى يحيى بن جانم نائب الشام أحد مقدمى الالوف بدمشق وكان يوصف بالشجاعة وقتل محمد بن تنم بن عبد الرزاق نائب الشام أحد الامراء الطبلخانات بدمشق وحاجب ثانى بدمشق وفارس الشهمى أحد الامراء بدمشق وشادبك آمر الاينالى أتابك دمشق وتمربای الجلبانى أحد الامراء بدمشق وابراهيم بيغوت نائب حماه وكان حاجب الحجاب بدمشق وجانى بك السيفى تغرى برمش دوادار السلطان بدمشق وشادبك الحسنى الشعبانى أحد أمراء دمشق وعبد الرحمن الحمزاوى أحد الامراء الطبلخانات بدمشق وأما من قتل من الجند والمماليك السلطانية ومشايخ عربان جبل نابلس والعشير والتركمان والغلمان فما أمكن ضبطه وكانت هذه من الواقعات المشهورة التى لم يسمع بمثلها فلما شاع بين الناس ذكر من قتل من الامراء والعسكر صار بالقاهرة فى كل حارة نعى ليلا ونهارا مثل أيام الوباء فزاد قلق الناس من سوار ودخل الوهم فى قلوب العسكر مثل أيام تمرلنك وصاروا يرعدون من ذكره وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

يارب ان سواراقـــــد بغى وبه * قد أصبح الناس فى ضيق وفى قلق
فاكسر سواراودعه فى السلاسل فى * خواتم الامر يستعطى من الحلق

﴿وقال آخر﴾

ان سواراقد غـدا مخلخلا * عسكره قد حل فى دار البوار
يارب شتت شمله حتى نرى * خواتم الامر له كسر سوار

وصار العسكر بعـد ذلك يدخلون الى القاهرة فى أنحس حال من العرى والجوع وبعضهم مجروح وبعضهم ضعيف وكان يدخل بعضهم وهو راكب على حمار أو جمل أو يدخل ماشيا وهو عريان ولم يلاقوا فى هذه التجريدة خيرا فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وفى ذى الحجة خلع السلطان على الامير برقوق الناصرى وقرره كاشف التراب بالشرقية وحصل به نفع لقمع العربان المفسدين وعمارة الجسور وفيه توفى القاضى فتح الدين ابن وجيه الدين ابن سويد المالكى المصرى وهو محمد بن عبد الرحمن بن حسن وكان عالما فاضلا فى مذهبه وناب فى القضاء وهو والد جلال الدين وكان لا بأس به وفيه توفى من الاتراك جانم المجنون الخشقدمى وكان أحد الامراء العشراوات وتوفى جقمق المؤيدى وكان أحد الامراء العشراوات وتوفى اياس البجاسى نائب القدس وكان لا بأس به وتوفى العلائى على ابن القيسى وهو على ابن اسكندر بن تمار تمرمات مع السلطان لما أن خرج الى السرحة مرض فى أثناء الطريق ومات ثم نقل الى القاهرة على جمل ودفن فى تربته التى بباب الوزير وكان رئيسا حشما ولى عدة وظائف منها الحسبة وولاية القاهرة وحاجب الحجاب بمصر وكان عنده بعض خفة ووهج مع عسوفة وبطش وكان مولده سنة ثلاثين وثمانمائة وفيه توفى الواعظ البارع المنشد عبد القادر بن محمد الوفائى وكان ممن له ذكر وشهرة فى فنه وكان لا بأس به وقد خرجت هذه السنة عن الناس وهم فى أمر مريج وقد وقع فيها أمور شتى الغلاء والفناء والفتن ببلاد الشرق وقتل أمراء وعسكر ممن تقدم ذكرهم ووقع فيها مصادرات بسبب التجاريد وقطع أرزاق الناس من جوامك وغيرها وفقدت الناس فيها أولادهم وعيالهم ومالاقى أحد فيها خيرا ﴿ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم خلع السلطان على الزينى أبى بكر ابن القاضى عبد الباسط وقرره فى نظر الجوالى عوضا عن الشهابى أحمد بن ناظر الخاص يوسف وفيه أخرج السلطان خرجا من جلبانه نحو المائتى مملوك وهذا أول خرج أخرجه فى سلطنته وسماهم الاشرفية وفيه خرج الامير يشبك الدوادار الى الوجه القبلى بسبب جمع المغل من البلاد القبلية وفيه جاءت الاخبار بوفاة تمربغا السيفى اخو ألماس نائب قلعة حلب وكان شابا حسنا جميل الصورة وأصله من الاينالية وفيه دخل الحاج الى القاهرة ودخل صحبتهم الملك المنصور عثمان ابن الظاهر جقمق فجع وعاد فلما طلع الى القلعة أجله

874

السلطان

السلطان وأكرمه وخلع عليه كاملية بسمور وفوقها فوقانية أخضر بطرز زركش عريض حافل ونزل فى موكب حافل الى ان أتى دار الاتابكى أزبك وفيه عقد الامير يشبك الدوادار على خوند فاطمة بنت الملك المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال وكان العقد بالجامع الذى بالقلعة بين يدى السلطان والقضاة الاربعة حاضرون وسائر الامراء وفى صفر كان وفاء النيل المبارك ووافق ذلك الرابع والعشرين من مسرى فلما وفى نزل الامير لاجين الظاهرى أحد مقدمى الالوف وفتح السد على العادة وفيه أضاف السلطان الملك المنصور عثمان بالبحرة وخلع عليه وأذن له بالتوجه الى ثغر دمياط فخرج وانحدر من يومه وقد وقع له أمور لم تقع لاحد من أبناء السلاطين قبله وكان لما حضر أذن له السلطان بان يلعب معه الاكرة فكان يلعب مع السلطان والامراء المقدمين وهو يبندأ صفر مثل السلطان وقد بالغ السلطان فى تعظيمه جدا وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن قرقماس الصغير نائب ملطية تقاتل مع عسكر سوار فكان بينهما واقعة عظيمة وقتل فيها من عسكر سوار فوق خمسمائة انسان وأسر جماعة كثيرة من أمرائه وأقاربه وكان ذلك بمكيدة صعدت بيد قرقماس حتى بلغ فيها ذلك وفيه توفى طومان باى المحمدى المعروف بدش سز الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفيه توفيت خوند فاطمة ابنة الظاهر ططر وأخت الملك الصالح محمد بن ططر وزوجة الملك الاشرف برسباى وماتت وعليها جملة ديون وفى ربيع الاول أنعم السلطان على يشبك جن بتقدمة ألف وأنعم على قانصوه الاحمدى المعروف بالخفيف بتقدمة ألف وقرر فى شادية الشربخاناه دولات باى حمام الاشرفى عوضا عن قانصوه الخفيف وقرر فى رأس النوبة الثانية بردبك المشطوب اليشبكى عوضا عن دولات باى حمام وفيه عمل السلطان المولد النبوى على العادة وكان حافلا وفيه توفى بنجاص العثمانى الظاهرى أحد العشراوات وكان حاجبا ثانيا وفيه خلع السلطان على جانى بك حبيب العلائى الاينالى وقرره فى الامير اخورية الثانية عوضا عن يشبك جن ودام فى هذه الوظيفة عدة سنين وفيه توفى الشيخ نور الدين على البطيمى الضرير وكان من أعيان أهل العلم والفضل وكف بصره فى سابع سنة من عمره بجدرى أصابه فى عينه وكان يعرف بابن شاور البرلسى ومولده سنة ست أو سبع وثمانمائة وكان له نظم جيد وفيه خلع السلطان على يشبك الجمالى المحتسب وقرره فى امرية سلاح بركب المحمل وقرر فى امرية أول أقبردى بن أصباى الاشرفى برسباى وفيه توفى مغلباى لزن سقل الظاهرى الخشقدمى وكان من أحد المقدمى الالوف بمصر ثم أخرج الى القدس بطالا فمات به وكان أمير ادينا خيرا ولى عدة وظائف سنية منها شادية الشون وحسبة القاهرة ثم بقى مقدم ألف بمصر ثم نفى الى القدس ومات به وفيه أرسل السلطان وقبض على زين الدين الاستادار وكان بطالا

مقيما فى داره فلما قبض عليه أحضره بين يديه ووبخه بالكلام ثم أمر بضربه بين يديه فضرب ضربا مبرحا حتى كاد أن يهلك ثم سجنه بالبرج الذى بالقلعة وصار يحضره بين يديه كل يوم بعد يوم ويضربه أشد الضرب فمات وهو فى البرج فلما أعلموا السلطان بذلك لم يصدق بموته وأمر باحضاره بين يديه وهو ميت فكشف عن وجهه ورفسه برجله ثم أمر بحمله الى داره ليغسلوه ويدفنوه فحمل من القلعة الى داره وكان بين السلطان وبين زين الدين الاستادار عداوة قديمة من حين كان السلطان جنديا الى أن تسلطن فأخذ بثأره منه وقتله وكان يظن أن مع زين الدين الاستادار مالا فعاقبه وطلب منه من المال مالا يقدر عليه فمات تحت العقوبة وكان أصل زين الدين من الارمن وكان اسمه يحيى بن عبد الرزاق الارمنى وكان يعرف بالاشقر ابن كاتب علوان وكان يقرب لابن أبى الفرج وقد رأى فى دولة الظاهر جقمق من العز والعظمة مالم يره أحد بعده من الاستادارية وعظم أمره جدا وأنشأ بالقاهرة وغيرها عدة جوامع يخطب فيها وعدة مدارس وولى الاستادارية غير مامرة وغيرها من الوظائف وباشر الاستادارية أحسن مباشرة وأنشأ فيها من المظالم مالم يسمع بمثله وجرى عليه من الشدائد والمحن والانكاد مالا يعبر عنه وصودر غير مامرة وغرم الاموال الجزيلة وعصر فى أكعابه وضرب غير مامرة وغرم الاموال فى دول غير أيام قايتباى ونفى الى المدينة المنورة الشريفة والى القدس الشريف وغير ذلك من الاماكن وكان مولده قبل قرن الثمانمائة ولم يلق فى آخر عمره خيرا وله أخبار يطول شرحها رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه وفيه توفى شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن عبد القادر بن نفيس الاذرعى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل سمع على جماعة من العلماء رضى الله عنهم وكان لابأس به وفى ربيع الآخر توفى القاضى شهاب الدين احمد بن سعيد بن السوسى المالكى المغربى قاضى قضاة المالكية بدمشق وولى قضاء الاسكندرية وكان من أهل العلم والفضل وجرت عليه أمور شتى وأذهب أمواله جة على وظيفة القضاء وتوفى السيد الشريف أبو هاشم حمزة بن أحمد بن على الحسنى الدمشقى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل وفيه أرسل السلطان خلعة الى قانصوه اليحياوى باستقراره فى نيابة حلب عوضا عن اينال الاشقر وكتب الى اينال الاشقر بالحضور الى القاهرة على تقدمة ألفيها وفيه أرسل السلطان الى يشبك البجاسى نائب حماه باستقراره فى نيابة طرابلس وقرر موضعه فى نيابة حماه بلاط اليشبكى أحد مقدمى الالوف بدمشق وقرر فى تقدمة بلاط بدمشق تمراز أتابك حلب وقرر فى أتابكية حلب تغرى بردى بن يونس وقرر فى حجوبية الحجاب بدمشق محمد بن مبارك عوضا عن يغموث الماضى خبر موته فى واقعة سوار وفيه

قرر لاجين الظاهرى فى كشف الجسور بالبهنساوية وفيه قرر يشبك جن فى كشف الجسور بالبحيرة وفيه توفى قانصوه الساقى التمشى الاشرفى أحد الامراء العشراوات وكان متمرضا من حين عاد من التجريدة وفيه جاءت الاخبار بان ابن رمضان أمير التركمان أخذ جماعة من التركمان وكبس على أعوان سوار وأخذ منهم قلعة سيس فسر السلطان بهذا الخبر وأرسل الى ابن رمضان خلعة سنية وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بوفاة قانى بك المحمودى المؤيدى الذى كان أمير سلاح بمصر ونفى الى الاسكندرية فى دولة الظاهر تمربغا فأقام بالبرج الى ان مات وكان قد جاوز الثمانين سنة من العمر وكان فى أوائل عمره شجاعا بطلا وولى عدة وظائف سنية منها أمير مجلس وامرية سلاح وقاسى شدائد ومحنا فى آخر عمره الى ان مات وفى جمادى الاولى حضر الى القاهرة قراجا السيفى جانى بك نائب جدة أحد الامراء العشراوات وأخبر بان شاه سوار أطلق الاتابكى جانى بك قلقسير وبعث به الى حلب وقد أكرمه غاية الاكرام وقصد بذلك أن يرضى خاطر السلطان وقرر مع الاتابكى جانى بك قلقسير بأن يكون سفيرا بينه وبين السلطان فى أمر الصلح وفيه نزل السلطان الى الزمامية ببركة الحاج وعاد من يومه وطلع من بين الترب وفيه ارتفع سعر الغلال حتى بلغ كل اردب قمح أربعة أشرفية وبلغ سعر كل اردب فول أو شعير سبعمائة درهم وبلغ ثمن الحمل التبن نحو أشرفى ذهب وعمت هذه الغلوة سائر البلاد حتى البلاد الشامية وغيرها وفى جمادى الآخرة نزل السلطان وتوجه الى خليج الزعفران على سبيل التنزه وأقام هناك ثلاثة أيام ثم عاد الى القلعة وفيه وصل اينال الاشقر الذى تقدم ذكره فأكرمه السلطان وخلع عليه ونزل الى دار اعدت له ثم انه بعد أيام خلع السلطان عليه وأقره فى رأس نوبة النوب الكبرى عوضا عن سودون القصروى بحكم وفاته بسبب تجريدة سوار كما تقدم وكانت هذه الوظيفة شاغرة من يومئذ وفيه توفى خشكلدى القوامى الناصرى وكان أحد الامراء الطبلخانات وكان جركسى الجنس من مشتروات الناصر فرج بن برقوق وكان دينا خيرا متواضعا وكان قد جاوز الثمانين سنة من العمر وفيه توفى قاضى قضاة المالكية بدمشق محيى الدين عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد الوارث البكرى المصرى المالكى وكان من أعيان علماء المالكية وناب فى الحكم بمصر مدة ثم ولى قضاء دمشق وتوفى تمربغا التمرازى أحد أمراء العشراوات وكان ولى المهمندارية وأقام بها مدة وفيه قرر أبو الفتح المنوفى كاتب السلطان وهو أمير فى نظر الاوقاف والبيمارستان بالقاهرة وأشيع بين الناس أن سبب ذلك تحكير الامير يشبك الدوادار الكبير على الغلال بالوجه القبلى ومنع المراكب من حمله وفيه يقول الشهاب المنصورى

وظالم منه أتانا الغلا * ياويله فى الحشر من ربه

فادعوا وقولوا ربنا اطمس على * أمواله واشدد على قلبه

وفيه خلع السلطان على لاجين وقرره أمير مجلس عوضا عن قرقماس الجلب وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين قتل قرقماس الجلب فى واقعة سوار ثم بعد أيام وصل الاتابكى قلقسير وصعد الى القلعة فقام له السلطان واعتنقه ثم خلع عليه كاملية بسمور وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش وركب من باب البحرة ونزل من القلعة فى موكب حافل ثم بعد أيام خلع عليه السلطان وقرره فى امرية سلاح عوضا عن بردبك هجين بحكم وفاته فى واقعة سوار وكانت الوظيفة شاغرة ومن العجائب ان السلطان بعث برسوم بمنع جانى بك قلقسير من الدخول الى مصر وان يقيم بحلب فقدم جانى بك قبل وصول المرسوم الى حلب بسبعة أيام فلما حضر قرره فى امرية سلاح بعدما كان أميرا كبيرا وفيه قرر جقمق الظاهرى فى نيابة دمياط وفى شعبان كانت نهاية بناء السبيل الذى أنشأه السلطان بخط القشاشين من تحت الربع فجاء السبيل والمكتب فوقه نهاية فى الحسن ولا سيما فى ذلك المكان وفيه عاد الامير يشبك الدوادار من الوجه القبلى وكانت مدة غيبته نحوا من سبعة أشهر ففعل ببلاد الصعيد من المظالم ما لا يسمع بمثله حتى انه شوى بالنار محمودا شيخ بنى عدى وخوزق من العربان جماعة وسلخ جلد جماعة ودفن جماعة فى التراب وهم أحياء وفعل بالعربان من أنواع هذا العذاب ما لم يفعله أحد قبله فدخل الرعب فى قلوبهم فلما صعد الامير يشبك الى القلعة خلع عليه السلطان خلعة سنية ونزل الى داره فى موكب حافل ثم بعد ذلك قدم للسلطان تقدمة سنية مما ينيف على مائة آلف دينار ما بين ذهب عين وخيول وقماش ورقيق وغلال وسكر وعسل وغير ذلك وفيه توفى سنطباى بن قصروه الاشقر الاشرفى أحد الامراء العشراوات وكان مريضا من حين عاد من التجريدة وفى رمضان أمر السلطان بفتح شونتين وبيع القمح منهما سعر ألف درهم الاردب وكان وصل سعره الى أربعة أشرفية كل اردب فحصل للناس بعض رفق وكثر الخبز على الدكاكين وفيه نودى من قبل السلطان بان من أخذ منه شئ من أولاد الناس وغيرهم بسبب بعث البدل الى التجريدة فليصعد الى القلعة فى ثامن هذا الشهر ليرد اليه ما أخذ منه من المبلغ فلما صعد أولاد الناس الى القلعة رد اليهم ما أخذ منهم بحكم النصف فتعجب الناس لذلك وما السبب فيه فعد ذلك من النوادر وفيه توفى القاضى حسام الدين بن بريطع الحنفى الدمشقى قاضى قضاة الحنفية بدمشق وكان من أعيان الحنفية ولى قضاء غزة وصفد وطرابلس ودمشق غير مامرة وكان رئيسا حشما وله نظم ونثر جيد وخط جيد وألف الكتب الجليلة وفيه حضر الاتابكى أزبك وكان مقيما بحلب من حين كسر العسكر فدخل القاهرة هو ومن بقى معه من الامراء والعسكر وصحبته شاه بضاع أخو سوار الذى أخذ منه سوار البلاد فلما

صعد

صعد الاتابكى أزبك الى القلعة خلع عليه السلطان وعلى من معه من الامراء وعلى شاه بضاع وكان معه يحيى كاور أخو سوار أيضا وكان مسك قبل ذلك فلما مثل بين يدى السلطان أمر بسجنه فى البرج الذى بالقلعة وفيه اختفى القاضى تاج الدين بن المقسى ناظر الجيش فلما اختفى خلع السلطان على الزينى عبد الرحمن بن الكويز واعاده الى نظر الخاص وفيه صعد قاصد سوار الى القلعة وصحبته هدية للسلطان فلم يؤذن له فى صعودها معه وحضر بمكاتبة سوار فكان مضمونها انه يطلب الصلح من السلطان لكن على شروط منه لم يقبلها السلطان منها ان يكتب له السلطان تقليدا بامرية الابلستين وان ينعم عليه بتقدمة ألف بحلب وان فعل ذلك يسلم عينتاب للسلطان فطال الكلام من القاصد والسلطان ولم ينتظم الامر بينهما فى شئ من الصلح ونزل القاصد بغير خلعة وفيه خلع السلطان على الجمالى يوسف بن فطيس وقرره فى نيابة القدس عوضا عن دمرطاش العثمانى بحكم انتقاله الى نيابة سيس وفيه جاءت الأخبار بوفاة عالم دمشق الشيخ بدر الدين ابن قاضى شهبة وهو محمد بن أبى بكر بن أحمد الاسدى الشهبى الدمشقى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى الفقه عارفا بمذهب الشافعية عالم الشام على الاطلاق وترشح أمره لقضاء دمشق غير مرة ومولده فى سنة ست وثمانمائة وفى شوال خلع السلطان على البدرى بدر الدين محمد بن الكويز وقرره فى معلمة المعلمين عوضا عن البدرى حسن بن الطولونى وفيه خرج الحاج من مصر فى تجمل زائد عن العادة وخرج صحبتهم الشيخ كمال الدين ابن امام المدرسة الكاملية وكان متوعكا فى جسده فلما وصل الى ثغرة حامدمات هناك وكان عالما فاضلا بارعا سمع على جماعة من العلماء منهم ولى الدين العراقى وابن الجزرى والحافظ بن حجر وغيرهم من العلماء وولى عدة تداريس جليلة وكان من أعيان علماء الشافعية ومولده سنة ثمان وثمانمائة وفيه وقعت كائنة عظيمة لجلال الدين عبد الرحمن بن سويد المالكى وطلب الى بيت اينال الاشقر رأس نوبة النوب بسبب أوقاف باعها كانت موقوفة على مدرسة جده فغرم بسبب ذلك مالا له صورة وحصل له غاية البهدلة من اينال الاشقر وما خلص الا بعد جهد كبير وافتقر حاله عقيب هذه الكائنة وباع جميع ما يملكه حتى سدما جاء عليه من المال وفيه تزايد ظلم اينال الاشقر حتى صار غالب الناس ما تشتكى الامر عنده واشتكى بعض الناس من شخص شاهد فضربه وقطع اكمامه وركبه على ثور واشهره بالقاهرة وفيه ابتدأ السلطان بعمارة تربته التى انشأها بالصحراء وجعل بها جامعا بخطبة وقرر به صوفية وحوضا وصهريجا واشياء كثيرة من وجوه البر والمعروف وفى ذى القعدة قلع السلطان الصوف ولبس البياض وابتدأ بضرب الكرة مع الامراء وفيه جاءت أخبار بقتل ترابای الظاهرى الخشقدمى وكان أميرا بحلب قتله بعض العربان بالبلاد الحلبية وكان شجاعا

وولى حسبة القاهرة وكان من أعيان الحشقدمية وفى ذى الحجة طلب السلطان الشيخ تقى الدين الحصنى وقرره فى مشيخة تدريس قبة الامام الشافعى رضى الله عنه عوضا عن الشيخ كمال الدين الامام بالمدرسة الكاملية الماضى ذكر وفاته بطريق الحجاز وفيه انتهى ضرب الكرة وأضاف السلطان الامراء ثم اشتغل بتفرقة الضحايا على العسكر وفيه كانت وفاة الجمالى يوسف ابن الاتابكى تغرى بردى اليشبغاوى الرومى نائب الشام وكان الجمالى يوسف رئيسا حشما فاضلا حنفى المذهب وله اشتغال بالعلم وكان مشغوفا بكتابة التاريخ وألف فى ذلك عدة تواريخ منها تاريخه الكبير الموسوم بالنجوم الزاهرة والمنهل الصافى ومورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة وله تاريخ آخر فى وقائع الاحوال على حروف الهجاء وله غير ذلك عدة مصنفات وكان نادرة فى أولاد الناس ومولده سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وفيه توفى حذيفة بن أحمد بن الدكارى المنوفى الحنفى وكان فاضلا خيرا دينا له شهرة وذكر وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم سمرقند وهو الشيخ عبد الله بن عبد الواحد وكان من ذرية أبى الليث السمرقندى فضل الله وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم والزهد وله شهرة زائدة ببلاد سمرقند ومولده سنة ست وثمانين وسبعمائة وفيه جاءت الاخبار بوفاة أمير المدينة المشرفة وهو السيد الشريف زهير بن سليمان بن هبة الحسنى وكان ولى امرية المدينة بعد ضيغم والى امرية مكة الى أن مات قتيلا وتوفى من الاتراك بيبرس بن ططخ الاشرفى وكان ولى تقدمة ألف بدمشق وتوفى جانى بك الحسنى الاينالى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب وتوفى دولات باى الاينالى أحد العشراوات وكان متمرضا حين عاد من التجريدة ومات بغزة وفيه من الحوادث أن السلطان طلب مالا من الستسارة والدة القاضى ناظر الخاص يوسف بن كاتب جكم ليتساعد على خروج التجريدة الى سوار فتشكت من ذلك وأظهرت العجز فحلف وحياة رأسه لم يأخذ منها أقل من مائة وخمسين ألف دينار وصمم على ذلك وقرر معها انها لا تبيع ملكا ولا ضيعة ولا بستانا ولم يقدر أحد من الامراء ولا غيرهم يخفض عنها شيأ من ذلك فاستمرت تورد ذلك المال على حكم ما قرر عليها عدة شهور حتى غلقت ذلك القدر بالتمام والكمال ولم تبع لا ضيعة ولا ملكا فلما غلقت المال جميعه أرسل خلفها فلما حضرت قام اليها وعظمها وخلع عليها كاملية مخمل بسمور وأكرمها غاية الاكرام ونزلت الى دارها مكرمة معظمة

875 ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم كانت الاسعار غالية فى جميع أصناف المأكولات من الحبوب وغيرها وعز وجود الارز والدجاج من مصر جدا وتشطط الخبز من الاسواق وصار الناس يستعملون خبز الذرة والدخن وهذا قط ما وقع ولا فى الغلاء الذى جاء فى دولة الملك الظاهر جقمق وتناهى سعر القمح الى سبعة أشرفية الاردب ولم يأكل الناس

الذرة ولا الدخن فى تلك الايام ۞ وفيه كثر القال والقيل بين العلماء بالقاهرة فى أمر الشيخ العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله تعالى به والمسلمين ببركته وقد تعصب عليه جماعة من العلماء بسبب أبيات قالها فى قصيدته التائية واعترضوا عليه فى ذلك وصرحوا بفسقه بل وتكفيره ونسبوه الى من يقول بالحلول والاتحاد وحاشاه أن ينسب اليه هذا المعنى ولكن قصرت افهام جماعة من علماء هذا العصر ولم يفهموا معنى قول الشيخ عمر رضى الله عنه فى هذه الابيات فاخذوا بظاهرها ولم يوجهوا لها معنى فكان كما قال المتنبى

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الاذهان منه * على قدر القرائح والفهوم

وكان رأس من تعصب على الشيخ عمر بن الفارض برهان الدين البقاعى وقاضى القضاة محب الدين بن الشحنة وولده عبد البر ونور الدين المحلى وقاضى القضاة عز الدين المحلى وتبعهم جماعة كثيرة من العلماء يقولون بفسقه وأما من تعصب من العلماء للشيخ فهم الشيخ محيى الدين الكافيجى الحنفى والشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفى والشيخ بدر الدين بن الغرس ونجم الدين يحيى بن حجى وشيخنا الجلال بن الكمال الاسيوطى والشيخ زكريا الانصارى وتاج الدين بن شرف فلما زاد الهرج فى هذه المسئلة كتبت الفتاوى فى أمر ابن الفارض التى ظاهرها الخروج عن قواعد الشريعة فكتب الشيخ محيى الدين الكافيجى على هذا السؤال ماهو أحسن عبارة وأقرب الى الانصاف وألف الجلال السيوطى فى ذلك كتابا سماه قمع المعارض فى الرد عن ابن الفارض وألف البدر بن الغرس فى ذلك كتابا شافيا فى هذا المعنى واضحا فى الرد على من تعرض لابن الفارض وصنف بعض العلماء كتابا سماه درياق الافاعى فى الرد على البقاعى ووقع فى هذه المسئلة مشاحنات بين العلماء يطول شرحها فى هذا المعنى ثم هجوا البقاعى وابن الشحنة وغيرهما من العلماء ممن تعصب على ابن الفارض وصاروا يكتبونها ويلصقونها فى مزاره فمن ذلك قول الشهاب المنصورى فى البقاعى وأجاد

ان البقاعى بما * قد قاله مطالب
لا تحسبوه سالما * فقلبه يعاقب

وقوله من قصيدة مطولة مضمنة لابيات سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه

بين البقاعى وبين التاج من شرف * ما بين معترك الاحداق والمهج
يقول من صح فيه سهم صاحبه * أنا القتيل بلا اثم ولا حرج
كلاهما مدع خوضا بفكرته * فى كل معنى لطيف رائق بهج

يقول هذا الهذا غير مكترث * دع عنك لومى وعد عن نصحك السمج
ماذا تقول ولى فى الشرع أجوبة * عنى تقوم بها عند الهوى حججى
دع التعارض لا تشهر بواتره * فكم أماتت وأحيت فيه من مهج
فلو سلكت سبيلى كنت متبعا * أوفى محب بما يرضيك مبتهج
لو سلم المعتدى للمهتدى لرجا * قول المبشر بعد اليأس بالفرج
فمن يكن منهما ناج فعصبته * هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وهذه مطولة وهذا القدر منها كاف ومن نظم الاقدمين فى سيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنه

جز بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض
أبرزت فى نظم السلوك عجائبا * وكشفت عن سر مصون غامض
وشربت من بحر المحبة والولا * فرويت من بحر محيط فائض

وقال الناصرى محمد بن قانصوه بن صادق

عمر بن الفارض الحبر الذى * قصرت عن فهم مارام الفكر
لم يكن يؤذيه الا جاهل * فارفضوه وترضوا عن عمر

ولبعضهم يهجو ابن الشحنة

أصبحت يا ابن الشحنة الحنفى فى * كل القبائح أوحد الازمان
فى مصر علم أبى حنيفة تدعى * جهلا وأنت معرة النعمان

وقال أبو النجا القمى

أقعدت يا حلبى * بالصفع فى قفاكا
لما ادعيت فسقا * للفارضى ياكا
وما خلصت حتى * أقمت شاهدا كا

فر

ثم ان بعض الامراء تعصب لسيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه وتعصب له السلطان أيضا ورسم لكاتب السر ابن مزهر بان يكتب صفة سؤال الى الشيخ أبى يحيى زكريا الشافعى فكتب السؤال وهو هذا ما يقول الشيخ الامام العالم العلامة البحر الفهامة زكريا الانصارى الشافعى نفع الله المسلمين به عمن قال بكفر سيدنا ومولانا الشيخ العارف بالله سيدى عمر بن الفارض تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه فيمن زعم أن عقيدته فاسدة بناء على ما فهمه من كلامه فى مواضع مرجعها الى اطلاقات معلومة عند السادة الصوفية باصطلاح تخاطبهم لا محذور فيها شرعا فهل يحمل كلام هذا العارف على اصطلاح أهل طريقته أم على اصطلاح أهل ملة غير الاسلام فالجواب عن ذلك أفتونا مأجورين ثم قدم هذا

السؤال

السؤال الى الشيخ زكريا فامتنع عن الكتابة غاية الامتناع فالح عليه أياما حتى كتب فأجاب بقوله يحمل كلام هذا العارف رحمة الله عليه ونفع ببركاته على اصطلاح أهل طريقته بل هو ظاهر فيه عندهم اذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة فى معناه الاصطلاحى مجاز فى غيره كما هو مقرر فى محله ولا يتطرق الى مايوهمه تعبيره فى أبيات فى التائية من القول بالحلول والاتحاد فانه ليس من ذلك فى شئ بقرينتى حاله ومقاله المنظوم فى تائيته بقوله من أبيات القصيدة

ولى من أتم الرؤيتين اشارة * تنزه عن رأى الحلول عقيدتى

وهذا يصدر عن العارف بالله اذا استغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته ويغيب عن كل ماسواه بعبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان حالته التى يرقى اليها كما قاله جماعة من علماء الكلام رضى الله تعالى عنهم ولكن ينبغى كتم تلك العبارات عمن لم يدركها فما كل قلب يصلح للسر ولا كل صدف ينطبق على الدر ولكل قوم مقال وما كل مايعلم يقال وحق لمن لم يدركها عدم الطعن فيها كما قيل

واذا كنت بالمدارك غرا * ثم أبصرت حاذقا لاتمارى

واذا لم تر الهلال فسلم * لاناس رأوه بالابصار

ولو ذاق المنكر ماذاق هذا العارف لما أنكر عليه كما قال القائل

ولو يذوق عاذلى صبابتى * صبا معى لكنه ماذاقها

والحالة هذه والله يمنح بفضله ويمنع من يشاء بعدله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكتبه زكريا بن محمد الانصارى الشافعى فلما كتب الشيخ زكريا على هذا السؤال سكن الاضطراب الذى كان بين الناس بسبب ابن الفارض رضى الله تعالى عنه ونفع به وببركاته المسلمين أجمعين آمين وفيه عقيب ذلك عزل ابن الشحنة عن قضاء الحنفية وحصل له عقيب ذلك فالج وذهل وسلب من العلم وحصل لولده عبد البر مع القلقيلى ماسنذكره فى موضعه وأما البقاعى فكادت العوام أن تقتله وحصل له من الامراء مالا خير فيه فهرب واختفى حتى توجه الى مكة فمات هنالك وأما امام المدرسة الكاملية فخرج وهو مريض الى الحجاز فمات فى اثناء الطريق بعد خروجه من القاهرة بستة أيام وقد جرى على من تعصب على ابن الفارض مالا خير فيه وظهرت بركته فى المتعصبين عليه شيأ فشيأ الى الآن وقد روى فى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب أى أعلمته بأنى محارب له أورده النووى فى الاربعين حديثا وفيه جاءت الاخبار بأن شاه سوار تقاتل مع ابن رمضان أمير التركمان فانكسر ابن رمضان وملك سوار قلعة اياس فانزعج السلطان لهذا الخبر وأخذ فى أسباب

تجريدة الى سوار وفيه بعث الامير يشبك خبرا من البحيرة يطلب نجدة بسبب عربان لبيد فعين السلطان الاتابكى أزبك ومعه عدة من الامراء والجند فخرج الى البحيرة وفيه وقعت أعجوبة غريبة وهى أن امرأة ولدت مولودا وهو جسد بلا رأس ولا له يدان ولا رجلان فسبحان القادر الصانع يخلق ما يشاء فعاش ساعة ومات وفيه جاءت الاخبار بوفاة بردبك البجمقدار نائب الشام وكان يعرف ببردبك الفارسى الظاهرى ويعرف أيضا بالاقرع وكان من أعيان الناس وجماعة الظاهرية وكان أمير عشرة فى دولة استاذه الظاهر جقمق ثم بقى أمير طبلخانات رأس نوبة ثانى فى دولة الاشرف اينال ثم بقى مقدم الف وجع أمير محمل غير ماهرة ثم ولى حاجب الحجاب ثم بقى نائب حلب فى دولة الظاهر خشقدم ثم قبض عليه وحمل الى القدس بطالا ثم اعيد الى نيابة حلب ثم بقى نائب الشام فوليها مرتين ومات بها وكان أسيرا عند سوار وهو نائب حلب واطلق بعد موت الظاهر خشقدم وقاسى شدائد ومحنا وفيه دخل الحاج الى القاهرة وكان الركب الاول والمحمل ركبا واحدا وكان الحاج قاسى فى السنة المذكورة مشقة زائدة من العطش وموت الجمال فارسل يشبك الدوادار شقادف وزادا وماء الى المنقطعين من الحاج فلاقوهم من قريب الينبع وحصل بذلك لهم غاية النفع وفيه توفى أبو بكر بن على دوادار بردبك البجمقدار نائب الشام ويقال انه سم استاذه بردبك فمات أبو بكر قبل استاذه بأيام وكان أبو بكر رقى فى أيام استاذه حتى صار له ذكر وشهرة طائلة بحلب والشام وفيه حضر قاصد حسن بك الطويل وعلى يده مكاتبة يذكر فيها انه قتل جماعة من أولاد قرلنك وملك بلادهم وفيه حضر قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم يخبر انه افتتح عدة بلاد من بلاد الافرنج البنادقة وفيه عين السلطان الامير اينال الاشقر رأس نوبة النوب ومعه عدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات وعدة من الجند بسبب قتال سوار وقد خشى السلطان من سوار ان يكبس حلب على حين غفلة فارسل هذه التجريدة يقيمون بحلب الى ان يرسل تجريدة ثقيلة بعد ذلك فلما عينه بعث اليه النفقة من يومه وقد حمل اليه اثنى عشر ألف دينار ثم أنفق على بقية الامراء والجند وألزمهم الخروج بسرعة فخرجوا عقيب ذلك من غير اطلاب ولا أشلة وقد عز ذلك على اينال الاشقر لكونه خرج فى قلب الشتاء وفى صفر توفى الامير بردبك المشطوب اليشبكى أحد الامراء الطبلخانات ورأس نوبة ثانى وكان لا بأس به وأصله من مماليك يشبك نائب حلب وفيه كان وفاء النيل المبارك وكان الوفاء ثانى عشرى مسرى فلما أوفى توجه قلقسير الاتابكى كان وهو على امرية سلاح ففتح السد على العادة وكان الاتابكى ازبك غائبا فى البحيرة وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على الامير برقوق الناصرى وقرره فى نيابة الشام عوضا عن بردبك البجمقدار بحكم

وفاته وكان برقوق يومئذ أحد مقدمى الألوف بمصر فانتقل الى مدينة الشام فى مدة يسيرة فعد ذلك من النوادر وفيه ظهر القاضى تاج الدين بن المقسى وكان مختفيا فخلع عليه السلطان وأعاده الى نظر الخاص وعزل عنها عبد الرحمن بن الكويز وكان القائم فى عودة ابن المقسى الى نظارة الخاص الامير يشبك الدوادار فنزل من القلعة فى موكب حافل ومعه الامير يشبك الدوادار وأعيان الدولة حتى قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة الحنفى وفى ربيع الاول فى مستهله ركب السلطان وتوجه الى طرا فصعد القضاة للتهنئة بالشهر فلم يجدوا السلطان بالقلعة فأخبرهم نقيب الجيش عن لسان السلطان بان يصعدوا للسلطان اذا حضر بعد العصر وفيه دخل خاربك الظاهرى الخشقدمى الذى كان تسلطن ليلة واحدة فنزل فى بولاق فى بيت صهره ناظر الخاص يوسف وكان السلطان رسم له بان يتوجه الى مكة ويقيم بها وكان الساعى له فى ذلك الامير يشبك الجمالى فأقام ببولاق أياما حتى عمل له برك وخرج الى مكة وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وجلس برقوق الذى قرر فى نيابة الشام رأس الميمنة وفيه نزل السلطان الى جهة المطرية ونصب هنالك الخيام ورسم للامراء بالتوجه معه وأقام هنالك أياما على سبيل التنزه وصنع هنالك الاسمطة الحافلة حتى قيل كان مصروف الاسمطة ألف دينار وفيه خلع السلطان على قاصد حسن الطويل وفيه توفى الامير ثانى بك المعلم المحمدى الاشرفى مات بالقدس بطالا وكان عارفا بفنون لعب الرمح وفى ربيع الآخر صعد القضاة الى القلعة للتهنئة بالشهر فلما أراد والانصراف أخذ السلطان فى الكلام معهم بسبب محراب جامع ابن طولون بان فى أصل وضعه الانحراف عن جهة القبلة فقال كاتب السر هذا الجامع تحت نظر قاضى القضاة الشافعى فقال القاضى ينبغى أن يتغير هذا المحراب ويجدد غيره الى جهة القبلة وانفض المجلس على ذلك ولم يغير فيه شئ الى الآن وفيه خرج برقوق الى محل نيابة الشام وطلب طلبا حافلا وكان له يوم مشهود وفيه جاءت الاخبار من حلب بان حسن الطويل تحرك على أخذ البلاد الحلبية وأنه أظهر العداوة للسلطان وقد طمع فى عسكر مصر بموجب مافعله معهم سوار فثار السلطان لهذا الخبر وقصد أن يخرج الى حلب بنفسه وفيه نادى السلطان فى القاهرة بانه قد أبطل عدة مكوس منها مكس قطيا ومكس الخشب والاطرون بالبحيرة وغير ذلك عدة مكوس أبطلها بمصر وجدة فدعاله الناس بسبب ذلك وفيه عين السلطان القاضى شرف الدين الانصارى وكيل بيت المال بان يخرج الى جبل نابلس لجمع العشير بسبب التجريدة الى سوار فخرج هو ودولات باى الخازندار وفيه عين فى امرية الحاج بالمحمل يشبك الجمالى وفى امرية الاول اقبردى الاشرفى على عادتهما فى العام الماضى وفيه قرر السلطان فى الزرد كاشية الكبرى جانم

السيفى تمربای عوضا عن فارس الذى توجه الى دمشق وفى جمادى الاولى أرسل السلطان
بعزل بلاط اليشبكى عن نيابة حماه وقد أرسل يستعفى من ذلك وفيه عين السلطان
تجريدة ثقيلة الى سوار وعين بها من الامراء المقدمين يشبك دوادار كبير باش العسكر
وتمراز التمشى ابن أخت السلطان أحد المقدمين وخاير بك حديد الاشرفى وازدمر الطويل
الابراهيمى ولم يتم السفر ثم عين قانصوه الخفيف ولم يتم له السفر وعين تمر حاجب الحجاب
ولم يتم له السفر وعين عدة أمراء طبلخانات وعشراوات وعرض الجند وكتب منهم عدة
امراء وأعلمهم بان السفر يكون بعد أن يربع الخيل وفيه أرسل السلطان خلعة الى
خاير بك القصروى بان يستقر نائب حماه عوضا عن بلاط اليشبكى فلما وصلت اليه الخلعة
باستقراره فى نيابة حماه مات فجأة قبل دخوله الى حماه وكان أميرا جليلا تولى عدة وظائف
سنية منها نيابة القلعة بمصر ونيابة غزة ثم نيابة صفد ثم قرر فى تقدمة ألف بدمشق ثم
قرر فى أتابكية طرابلس ثم فى نيابة حماه فمات ولم يدخلها وفيه توفى قاضى القضاة
الشافعى بحلب وهو السيد الشريف تاج الدين عبد الوهاب بن عمر بن حسن بن على بن حمزة
الحسينى الحلبى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل وفيه توفى الامير يشبك جن
الاسحاقى الاشرفى أحد مقدمى الالوف بمصر وكان يعرف بالبهلوان ومات وله من
العمر نحو من سبعين سنة وكان حاد المزاج سيئ الخلق وفيه جاءت الاخبار بوفاة قرقشبق
الاشرفى الذى كان زردكاش بمصر ثم نفى ومات وهو مقدم ألف بدمشق وكان علامة فى لعب
الرمح وفى جمادى الآخرة أنعم السلطان على برسباى قرا المحمدى بتقدمة ألف وهى تقدمة
يشبك جن وقرر فى الخازندارية قجماز الاسحاقى الظاهرى عوضا عن برسباى قرا بحكم
انتقاله الى التقدمة وكان قجماز هذا أغا السلطان قديما وفيه نزل السلطان من القلعة
وتوجه الى الخانقاه ثم سار الى العكرشا وهو راكب الهجن ثم عاد الى القلعة بعد أيام وفيه
توفى چكم الاجرودالاشرفى نائب صفد وفى رجب نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو
قناطر العشرة وأقام هناك سبعة أيام وتوجه الى الاهرام وهو ماش وحوله الامراء وكانت
تلك الايام مشهودة فى القصف والفرجة ونصب له أشاير على رؤس الاهرام وعملت له هناك
أسمطة فاخرة حافلة وصار ابن رحاب المغنى عمال فى كل ليلة وبقية مغانى البلد وابتيع
المجمع الحلوى هناك بنصفين والصحن الطعام الخاص بنصف فضة ثم ان السلطان رحل
من هناك بعد مضى سبعة أيام وتوجه الى الفيوم فلما دخلها زينت له وكان يوم دخوله الى
الفيوم يوما مشهودا ودخل عليه جملة تقادم من الكاشف ومشايخ العربان فكانت مدة
غيبته فى هذه السفرة نحوا من عشرين يوما وكان ذلك فى قلب الشتاء فى زمن الربيع ثم
عاد السلطان الى القلعة وفيه وقع العدل والعطاء بالديار المصرية حتى أبيعت البطة

الدقيق بستة أنصاف والرطل الخبز بدرهم نقرة وبيع الفدان البرسيم المخضر بدينار وكثرت اللحوم والاجبان وانحط سعر سائر البضائع وفيه جاءت الاخبار بأن قانصوه اليحياوى نائب حلب قد وقع بينه وبين نائب قلعة حلب فبعث يشكوه للسلطان فأنصف السلطان نائب حلب على نائب القلعة وفيه خلع السلطان على قجماز الاسحاقى وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن بلباى العلائى بحكم استقراره فى نيابة صفد عوضا عن جكم الاشرفى المعروف بالاجرود وفيه جاءت الاخبار من حلب بان سوارا قد استولى على سيس وقلعتها ففزع السلطان لهذا الخبر وفى شعبان عزل قاسم شغيته عن نظر الدولة ورسم عليه الامير يشبك الدوادار وطلب منه مالا وعين السلطان الامير برسباى قراأحد المقدمين بان يخرج جاليش العسكر الى سوار قبل خروج الامير يشبك فخرج ومعه عدة من الجند وبعث اليه السلطان أربعة الاف دينار وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن السلطان أعاد الى جماعة ما كان أخذه منهم من المال لما صادرهم بسبب التجريدة الاولى فأعاد الى فارس الركنى ألفا وخمسمائة دينار وأعاد الى الشهابى أحمد بن اسنبغا الطيار ألف دينار وأعاد الى فارس السيفى دولات باى ألف دينار وبعث لابن العينى خمسة عشر ألف دينار من بعض ما أخذه منه وأعاد الى جماعة كثيرة ما كان أخذه منهم فى المصادرة فتعجب الناس من ذلك لكونه فعل ذلك من تلقاء نفسه وأشيع بين الناس أنه رأى فى المنام ما أوجب هذا من رد المال على أربابه فكان حال الناس معه كما قال القائل فى هذا المعنى

كنا نؤمل ان تنال بجاهكم * خيرا يكون على الزمان معينا
والآن نقنع بالسلامة منكم * لا تأخذوا منا ولا تعطونا

ولكن فعل بعد ذلك بالناس من المصادرات وأخذ الاموال ما يعجز عنه الواصفون وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بان العين التى أجراها السلطان الى عرفات قد انتهى العمل منها ووصل ماؤها الى عرفات وحصل به غاية النفع لاهل مكة المشرفة وكان لهذه العين نحو من مائة سنة وكسور وهى معطلة عن الجريان وكان حوبان أجرى ماءها فتعطلت من بعده حتى أجراها السلطان وفى رمضان أنفق على الجند الكسوة وأنفق على المماليك المعينين للتجريدة نفقة السفر لكل مملوك عشرون دينارا وكسوة عشرة دنانير واستمر ينفق عليهم ثلاثة أيام متتابعة * وفيه كانت وفاة الاديب البارع الفاضل الشهاب الحجازى أحمد بن محمد بن على بن حسن بن ابراهيم الانصارى الخزرجى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى الادب وله عدة مصنفات فى الآداب منها كتاب روض الآداب والقواعد فى المقامات وشرح المعلقات وقلائد النحور فى جواهر البحور والتذكرة وغير ذلك من الكتب النفيسة وكان ظريفا لطيف الذات كثير النوادر عشير الناس حسن المحاضرة وله

شعر جيد فمن ذلك قوله

فى حندس الليل أتانا فتى * ونادم القوم فبئس النديم
قلت لاصحابى لما أتى * قد جاءنا فى جنح ليل بهيم

﴿ومن قصائده﴾

قصدت رؤيته خصر مذ سمعت به * فقال لى بلسان الحال ينشدنى
انظر الى الردف تستغنى به وأنا * مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

وكان مولده فى أوائل قرن الثمانمائة فلما مرض الشهاب الحجازى بعث اليه الشهاب المنصورى بهذين البيتين

قيل الشهاب سقيم قلت واأسفا * ما بال أحمد لا يخلو من العلل
وزن الرقائق من أضحى يجوزها * ووصفه بفنون العلم والعمل

ولما توفى الشهاب الحجازى رثاه الشهاب المنصورى بهذه الابيات

زادنى فقدا الحجازى شجى * هل يطيب العيش فقدان الحجا
لو درى القمرى أبدى نوحه * أو غراب البين أضحى مسمعا
صار فى زورق نعش قاطعا * منك يا بحر المنايا لججا
وامتطى طرف الردى مستوقرا * طالبا من هم دنياه النجا
ان يكن فى الترب أمسى هابطا * فسيرقى فى الجنان الدرجا
أو يكن ليل الضريح عاكرا * فسيلقاه شهابا أبلجا
فلتطب أرجاء قبر زارها * انها حاكته فى حسن الرجا
فالحجازى مكة تبصره * والشهاب اشتاقه بدر الدجا

قلت كان بالقاهرة سبعة من الشعراء اجتمعوا فى عصر واحد وكل واحد يدعى بشهاب فكان يقال السبعة الشهب وهم الشهاب بن حجر رحمة الله عليه والشهاب ابن الشاب التائب والشهاب بن أبى السعود والشهاب بن مبارك شاه الدمشقى والشهاب بن صالح والشهاب الحجازى والشهاب المنصورى فلما مات الستة رثاهم الشهاب المنصورى بهذه الابيات

خلت سماء المعانى من سنا الشهب * فالآن أظلم أفق الشعر والادب
تقطب العيش وجها بعد رحلة من * تجانبوا بالمعانى مركز القطب
تعطلت خرد الايام من درر * كانت تحلى بها منهم ومن ذهب
لو تعلم الارض ماذا ضمنت بطرت * بهم كما يطر الانسان بالنسب
ولو درى المسك أن الارض قبرهم * لود نشقة عرف من شذى الترب

وهذا

وهذا اختصار من القصيدة التى لهم رحمة الله عليهم أجمعين وفيه توفى كسباى الزينى المؤيدى
الذى كان نائب الاسكندرية وعزل عنها وفى شوال كان خروج العسكر المعين الى سوار
فخرج الامير يشبك الدوادار الكبير وازدمر الاستادار وكاشف الكشاف وباش العسكر
فكان فى غاية العز والعظمة وقد فوّض اليه السلطان أمور البلاد الشامية والحلبية وغير
ذلك من البلاد وجعل له الولاية والعزل فى جميع أحوال المملكة وكتب معه خمسمائة
علامة ويكتب على البياض وجعل له التصرف فى جميع النوّاب والامراء ما خلا نائب
حلب ونائب الشام فقط فكان له لما خرج يوم مشهود وطلب طلبا حافلا بحيث لم يعمل مثله
قط وجر فى طلبه عدة خيول ملبسة بركستونات فولاذ مكفتة بالذهب وبركستونات مخمل
ملون وصنع فى رنكه صفة سبع وقد اقترح أشياء عجيبة غريبة لم يسبق اليها ورسم لمماليكه
بان تخرج فى الطلب باللبس الكامل وخرج صحبته الامراء الذين تقدم ذكرهم ومن الجند
نحو من ألفى مملوك فرجت لهم القاهرة واستمرت الاطلاب تنسحب الى قريب الظهر
فلما كانت ليلة الرحيل نزل السلطان عند يشبك وتكلم معه طويلا ثم أضافه الامير يشبك
وركب من عنده وتوجه الى الخانقاه ثم عاد الى القلعة ثم فى ثانى ليلة نزل الامير يشبك
بعد العشاء ورحل من الريدانية قاصد الشام ثم خرج العسكر أفواجا أفواجا حتى سدّ
الفضاء وكانوا من أعيان الشجعان فتفاءل الناس بان هذا العسكر ينتصر وان سوارا
مأخوذ لا محالة وكذا جرى وقد عيب على السلطان نزوله الى الامير يشبك فى الوطاق
مرتين وهذا بخلاف عادة الملوك وقواعدهم القديمة وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل
زائد وكان لهم يوم مشهود ولكن تأخر الى يوم عشريه بسبب فرار غلمان أمير حاج وفى
ذى القعدة ولد للامير يشبك ولد من زوجته خوند ابنة الملك المؤيد أحمد بن الملك الاشرف
اينال فسموه منصورا وكان له مهم حافل وفيه خلع السلطان على السيد الشريف
سبع بن ظافر وقرره فى امرية الينبوع عوضا عن ظافر وفيه نزل السلطان من القلعة
وتوجه الى نحو صقيل وقد أضافه القاضى كريم الدين بن جلود كاتب المماليك فأقام هناك
الى آخر النهار وعاد الى القلعة وفى ذى الحجة خلع السلطان على شيخ عربان الشرقية صقر
ابن بقر وقرره فى مشيخة الشرقية عوضا عن قريبه عيسى بن بقر وسجن ابن بقر بالمقشرة
بعد ما ضرب بين يدى السلطان ضربا مبرحا وفيه عين السلطان الامير تمر حاجب الحجاب
والامير قانصوه الخفيف الاينالى بان يخرجا الى الشرقية بسبب فساد العربان ورسم
السلطان لهما بان من وجدوه من بنى سعد وبنى وائل يقبضون عليه وفيه كان ابتداء
عمارة الايوان الكبير الذى بالقلعة فأمر السلطان بتجديده واصلاح ما فسد من بنائه
وكان الشاد على عمارته القاضى كاتب السر ابن مزهر والبدرى بدر الدين بن الكويز

ومعلم المعلمين فصرف عليه نحو من عشرين ألف دينار وكان قصد السلطان أن تقام الخدمة على العادة القديمة ويركب منه فلم يتم له ذلك واستمر الامر على حاله الى الآن وفيه توفى الاستاذ المغنى الموسيقى محمد المعروف ببرقوق التونسى وكان بارعا فى الغناء والانشاد وكان له شهرة طائلة قدم من الغرب يروم الحج فتوفى بالقاهرة

876 ❁ ثم دخلت سنة ست وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم فى أول يوم كانت بشارة النيل فتفاءل الناس بأنها سنة مباركة وفيه توفى قاضى القضاة برهان الدين بن الديرى الحنفى وهو ابراهيم ابن محمد بن عبد الله بن سعد بن مصلح العيسى القدسى الحنفى مات وهو منفصل عن القضاء وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وولى عدة وظائف سنية منها نظر الاسطبل ونظر الجيش وكتابة السر وقضاء الحنفية ومشيخة الجامع المؤيدى وغير ذلك من الوظائف وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو شبين القناطر وكان معه الاتابكى ازبك وجماعة من الامراء فبينما هو سائر فى أثناء الطريق اذ شب فرس الاتابكى أزبك على فرس السلطان ورفسه فجاءت الرفسة فى قصبة ساق السلطان فانكسرت فنزل بشبين وهو فى غاية الالم من ساقه وأرسل يطلب محفة حتى يعود فيها الى القاهرة فلما وصل هذا الخبر الى القاهرة كثر بها القال والقيل بسبب عود السلطان فى المحفة فلما عاد طلع الى القلعة وهو فى المحفة حتى نزل على باب البحرة وكانت القاهرة قد زينت لقدومه فلما طلع تحت الليل هدمت الزينة وأشيع أن السلطان على غير استواء حتى نزل المنادى ونادى للناس بالامان والاطمئنان وسلامة السلطان وان تعاد الزينة كما كانت فزينت القاهرة ثانيا ثم ان السلطان خرج وجلس على الدكة وعلم المراسيم وجهز مراسيم الى البلاد الحلبية بسلامته من هذا العارض حتى سكن ذلك الاضطراب وخمدت هذه الاشاعات من البلاد الشامية والحلبية وفيه توفى تغرى بردى بن يونس أتابك حلب وكان لا بأس به وفيه حضر صحبة الحاج القاضى كمال الدين ابن ظهيرة قاضى جدة أخو القاضى برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة قاضى مكة المشرفة ليسعى لاخيه فى عوده الى القضاء وكان قد صرف عنه وفيه جاءت الاخبار بان شاه سوار قتل قرقاس الصغير نائب ملطية وقد تقدم ما فعله قرقاس بجماعة سوار فلما ظفر سوار بقرقاس قتله أشر قتله قيل انه أوقفه فى مكان وبنى عليه حائطا وقيل بل علقه فى شجرة واستمر يرمى عليه بالنشاب حتى مات وكان قرقاس الصغير هذا أصله من مماليك الاشرف اينال وكان شجاعا بطلا مقداما فى الحرب وكان لا بأس به وفيه عين السلطان نيابة ملطية لاينال الحكيم عوضا عن قرقاس الصغير بعد قتله وفيه خلع السلطان على الشيخ سيف الدين الحنفى وقرره فى مشيخة الجامع المؤيدى عوضا عن برهان الدين الديرى بحكم وفاته وكانت هذه الوظيفة مع أولاد الديرى بحكم شرط الواقف الملك المؤيد شيخ فأخرجها السلطان عنهم

للشيخ سيف الدين ولم يلتفت الى شرط الواقف وفى صفر جاءت الاخبار من حلب بان الامير يشبك الدوادار أخذ قلعة عينتاب من جماعة سوار وأن سوارا أخذ أولاده وعياله وماله وأودعهم بقلعة زمنوطو وصار عنده التترمن العسكر بخلاف العادة وفيه عاد الامير حاجب الحجاب من الشرقية وقد قبض على جماعة من العربان المفسدين وفيهم موسى بن عمران وآخر يقال له طاجن وكان من أعيان العربان المفسدين فرسم السلطان بتوسيط موسى ومعه جماعة من بنى سعد و بنى حرام و بنى وائل فلما بلغ العربان قتل هؤلاء أظهروا العصيان وأفسدوا فى البلاد فرسم السلطان للامير تمربای بعوده الى الشرقية فعاد عن قريب وفيه ركب السلطان وصلى صلاة الجمعة بالقلعة وكان له مدة لم يركب بسبب كسر قصبة ساقه فلما ركب كان له يوم مشهود بالقلعة وفيه رسم السلطان لابن الطولونى بان يجدد عمارة الميضأة التى بجامع القلعة فوسعها ورسم بعمارة الجامع فصرف على ذلك ألف دينار وفيه جاءت الاخبار بان الأمير يشبك أخذ من سوار ما كان استولى عليه من أدنه وطرسوس وتحارب مع جماعة سوار أشد المحاربة حتى طردهم من تلك البلاد وملكها وفيه كان وفاء النيل المبارك فى سادس عشرى مسرى فتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وفيه توفى أسنبغا التترى اليشبكى الناصرى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب وكان لا بأس به وفيه ركب السلطان ونزل من القلعة وتوجه الى جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه وكشف عما تهدم من حيطانه وسقوفه وأمر ببنائه من ماله وشرع فى ذلك وفى ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه نودى من قبل السلطان بان لا يشكو احد أحدا للسلطان الا بعد أن يرفع أمره لاحد من الحكام فاذا لم ينصفه يقف بعد ذلك للسلطان وكان قد كثرت شكاوى الناس بين يدى السلطان حتى ان امرأة شكت زوجها لاجل انه وطئ جارية فى ملكه فأطاقت زوجته الغيرة وشكته للسلطان بقصة وفيه خلع السلطان على الامير يشبك الجمالى وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل على عادته وكان السلطان عين برسباى الشرفى فاستعفى من ذلك فعفا عنه وفى ربيع الآخر نزل السلطان الى نحو خليج الزعفران على سبيل التنزه وكان معه الاتابكى أزبك وجماعة من الامراء فاقام هناك الى آخر النهار فلما عاد ووصل الى الحسينية وجد فى طريقه جنازة وهى امرأة غريبة ليس معها أحد من الناس سوى الحمالين فنزل عن فرسه ومن معه من الامراء فصلى عليها فى قارعة الطريق وقدم الجماعة الذين حضروا الصلاة فعد ذلك من النوادر وقد وقع مثل هذه الواقعة للامير أحمد بن طولون واستمر ماشيا قدام الميت حتى واراه التراب وفيه بعث السلطان الى الامير أزبك اليوسفى أحد الامراء المقدمين خلع عليه وقرره فى نيابة عينتاب فنزل الى داره وهو مهموم

وأقام على ذلك أياما حتى شفع فيه الاتابكى أزبك وأعفى من ذلك وفى جمادى الاولى حضر محمد بن نائب بهسنا بمكاتبة يذكر فيها انحلال أمر سوار من الأمير يشبك وان عسكر سوار قد قل عنه وهو خائف من العسكر ثم أرسل الأمير يشبك يطلب من السلطان نفقة للعسكر يتوسع بها فان العليق كان هنالك مشحوتا فبعث السلطان مائة ألف دينار تفرق على العسكر هنالك وفى هذا الشهر كانت وفاة قاضى القضاة عز الدين أحمد الحنبلى وهو أحمد ابن ابراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن هاشم بن اسماعيل بن نصر الله بن أحمد العسقلانى الحنبلى وكان عالما فاضلا متواضعا فكه المحاضرة بقية الناس سمع على جماعة من العلماء وأجازوه وناب فى الحكم مدة ثم ولى القضاء الاكبر بعد وفاة قاضى القضاة بدر الدين البغدادى فى سنة سبع وخمسين وثمانمائة واستمر فى هذه الولاية مدة طويلة نحوا من عشرين سنة وباشر منصب القضاء بعفة ونزاهة وجدت عند الناس سيرته وانتهت اليه رياسة مذهبه وولى عدة تداريس جليلة وعاش من العمر مدة طويلة وقد قارب الثمانين سنة ومولده سنة ثمانمائة فلما مات استمر منصب القضاء شاغرا لم يتول به أحد فأقام نحوا من أربعة أشهر وكان السلطان أرسل خلف برهان الدين بن مفلح من الشام ليلى القضاء وكان السلطان رسم لبدر الدين السعدى تلميذ قاضى القضاة عز الدين الحنبلى بان ينظر فى الاحكام المتعلقة بمذهبه الى أن يحضر البرهان بن مفلح من الشام فلما عاد القاصد الذى توجه الى ابن مفلح أخبر بان ابن مفلح مريض وأرسل يعتذر للسلطان فى عدم الحضور الى القاهرة وتعلل باشياء تدل على عدم قبوله للولاية فلما عاد هذا الجواب على السلطان أخذ القاضى كاتب السر ابن مزهر يسعى للسعدى فى أن يلى القضاء وكان يومئذ فى الحنابلة من هو أفضل من السعدى ولكن الحظوظ تختلف فلما كان ختم البخارى فى رمضان أحضر السلطان خلعة وخلع على بدر الدين السعدى واستمر به قاضى القضاة الحنبلية بمصر عوضا عن القاضى عز الدين بحكم وفاته فنزل من القلعة فى موكب حافل جدا وقد استكثر الناس غالبهم على السعدى ذلك وكان شابا لم يظهر البياض بلمته وقد داعبه بعض الشعراء بهذه المداعبة وهى

قاضيكم ما مثله فى حكمه * عفيف ذيل ليس يدعى زانيا
قد ساس أمر الناس فى أحكامه * فلم ترى أسوس منه قاضيا

﴿وفيه أيضا﴾

حضرت فى الدرس على قاضى * نص على التقليد فى درسه
فيحسن البحث على وجهه * ويوجب الدخل على نفسه

وفيه خرج السلطان الى الرماية ببركة الحبش وكان معه الاتابكى أزبك وبقية الامراء

هنالك

هنالك ثم عاد الى القلعة وشق من القاهرة فى موكب حافل وكان له يوم مشهود واصطاد فى ذلك اليوم ثلاث كراكى وبلشون وفى جمادى الآخرة قدم قاصد من عند صاحب بلاد الهند الملك غياث الدين وأحضر على يده هدية الى السلطان والى الخليفة المستنجد بالله يوسف وأرسل يطلب منه تقليد ابولايته على اقليم الهند عوضا عمن كان قبله من ملوك الهند فاكرمه السلطان وخلع عليه وكتب له الخليفة تقليدا بما سأل وفيه وصل قاصد من عند الامير يشبك الدوادار وعلى يده مكاتبة من يشبك يذكر فيها أنه وقع بينه وبين عسكر سوار واقعة مهولة على نهر جيحون وجرح فيها الامير تمراز التمشى فى يده بسهم نشاب وكان أول من ألقى نفسه فى النهر هو فلما بلغ العسكر رموا أنفسهم فى النهر خلفه فجرح تمراز وأغمى عليه فحملوه ورجعوا به الى الوطاق ثم ان الامير يشبك تثبت وقت الحرب وزحف بالعسكر على عسكر شاه سوار وكان بين الفريقين ساعة تشيب منها النواصى فانكسر عسكر سوار كسرة بليغة وقتل منهم مالا يحصى عده وكان النصر لعسكر مصر على عسكر سوار كما قيل

جيوشنا كالاسود أضحت * تقتحم الحرب بالعزائم
وسيف سلطاننا طويل * له بقوس العدا غنائم
فالنصر بالفتح مذ أتاه * صير قلب الحسود وارم
فيا له فى الورى مليك * لقمع أهل الفساد صارم

فلما رأى سوار الكسرة عليه هرب فى نفر قليل من عسكره وطلع الى قلعة زمنوطو واختفى فلما بلغ الامير يشبك أن سوارا فى قلعة زمنوطو حاصرها أشد المحاصرة ورمى عليها بالمدافع واستمر محاصرا لها حتى كان من أمره ما سنذكره فخلع السلطان على القاصد الذى جاء بهذه الاخبار والبشارة وكذلك الامراء خلعوا عليه وانشرح السلطان بهذا الخبر وفيه نزل الى الرماية وغاب يوما وليلة فلما عاد طلع من الصليبة فى موكب حافل وفيه خسف جرم القمر جميعا وكان خسوفا مهولا فاحشا وفى رجب صار السلطان ينزل الى الاصطبل ويحكم فيه بين الناس يوم السبت والثلاثاء فتكاثرت عليه المحاكمات وتزايدت شكاوى الناس اليه فوقف شخص يقال له محمد القليبى واشتكى من ناظر الخاص تاج الدين أحمد بن المقسى وكان السلطان متحاملا عليه فأمر بضربه بالمقارع بين يديه فضرب نحو عشرين شيبا حتى أدمى وكان يوما شديد البرد جدا وأمر بسجنه فى البرج الذى فى القلعة فطلع وهو ماش من باب السلسلة الى البرج عريانا مكشوف الرأس والدم يسيل من أجنابه فعد ذلك من مساوى قايتباى وفيه ضرب انسان من أولاد الناس امرأة بسكين فى جنبها وهى ماشية بين الناس فى الطريق فماتت فى الحال فلما تحقق موتها هرب ولم يعلم ما سبب ذلك وفيه

نزل السلطان الى نحو المطرية ثم عاد من جهة قنطرة الحاجب فأذن عليه المغرب عند ما وصل الى المدرسة الجيعانية التى بالقرب من بركة الرطلى فنزل وصلى المغرب هنالك خلف من صلى من العوام وكان الامام فى ثانى ركعة فصلى مع الجماعة فلما فرغت الصلاة وجد الامام صبيا أمرد فاعاد الصلاة ثانيا ثم ركب من هنالك وطلع الى القلعة وفيه رسم السلطان ليشبك الجمالى المحتسب بان ينادى فى القاهرة بان امرأة لا تلبس عصابة مقنزعة ولا سراقوس حرير وأن تكون العصابة طولها ثلث ذراع وهى بخت السلطان من الجانبين وكتب بذلك قسائم على من يبيع عصائب النساء وصمم السلطان على يشبك المحتسب فى تكرير المناداة فى ذلك وصارت رسل المحتسب يطوفون فى الاسواق فان وجدوا امرأة بعصابة مقنزعة أو سراقوس يضربونها او يجزسونها والعصابة معلقة فى رقبتها فقلق النساء من ذلك وصارت المرأة اذا خرجت لنحو حاجة خرجت من غير عصابة مكبية رأسها أو تلبس عصابة طويلة فلما طال عليهن الأمر لبسن العصائب الطوال التى رسم بها السلطان وكن يلبسنها اذا خرجن الى الاسواق فقط على كرههن و يلبسن العصائب المقنزعة فى بيوتهن وفى هذه الواقعة يقول الاديب زين الدين بن النحاس الشاعر

أمر الامام مليكنا بعصائب * فى لبسها عسر على النسوان
فقلقن ثم أطعنه ولبسنها * ودخلن تحت عصائب السلطان

واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة ثم رجعن الى ما كن عليه من لبس العصائب المقنزعة والسراقوس ولم يلتفتن الى تحجر السلطان فى ذلك وفيه خلع السلطان على برسباى الشرفى وقرره فى امرية الحاج بالمحمل وكان قد أعفى من ذلك وقرر يشبك الجمالى فى امرية الحاج ثم بطل وقرر فيها برسباى الشرفى وفيه خلع السلطان على البدرى بدر الدين بن مزهر القاضى كاتب السر وقرره فى نظر الخاص عوضا عن تاج الدين بن المقسى بحكم صرفه عنها وكان بدر الدين بن مزهر صغير السن لم يلتح حين قرره فى نظاره الخاص وفى شعبان نزل السلطان الى خليج الزعفران وقد أضافه الزينى أبو بكر بن عبد الباسط فاقام عنده الى آخر النهار وعاد الى القلعة وفيه انتهت مواكب الاسطبل وضبط ما فرقه السلطان على الفقراء وأرباب الديون فى هذه المدة فكان نحو من ثمانمائة دينار وفيه ظهر بالسماء نجم له ذنب مستطيل وكان يظهر من جهة الغرب ثم صار يظهر من الشرق وفيه خرج الامير قانى باى صلق ويوجه الى جهة حلب وعلى يده كوامل الشتاء للنواب وعدة خلع للأمير يشبك الدوادار وبرسم من يرد عليه من التركمان وأرسل على يده نحو من أربعين ألف دينار برسم توسعة للعسكر وفيه عرض السلطان محابيس المقشرة وأطلق منهم جماعة وكان بها شخص له نحو من ثلاثين سنة فعمل مصلحته ووزن عنه للمدينين مبلغ له صورة وأطلقه وفيه نزل

السلطان

السلطان وعدى الى برا لجيزة فاضافه شخص من عرب اليسار يقال له محمد بن برقع فحمله أسمطة حافلة وبات عنده ثم عدّى وتوجه الى شبرى وطلع من هناك وتوجه الى العباسة فاضافه هناك الشيخ بيبرس بن شعبان شيخ العرب وأقام بالعباسة أياما ثم عاد الى القلعة وفيه توفى الامير طوخ الابو بكرى المؤيدى الذى كان زردكاش ونفى الى ثغر دمياط ثم شفع فيه وعاد الى القاهرة ثم مات وهو بطال وكان لا بأس به وفى رمضان رسم السلطان للقاضى عبد المغنى بن الجيعان بان يفرق على الفقهاء والعلماء توسعة فى رمضان لعيالهم واستمر ذلك عملا فى كل شهر رمضان مدة أيام الاشرف فاينبا الى أن مات ثم تناقص ذلك من بعده وفيه رسم السلطان باحضار الاتابكى جرباش كرت وكان مقيما بثغر دمياط وكذلك الامير يشبك المؤيدى الذى كان دوادارا كبيرا فتكلم لهما بعض الامراء بأن يحضرا الى القاهرة ويكونا فى دورهما بطالين الى أن تنقضى أعمارهما فاجاب السلطان الى ذلك وأمر باحضارهما وكان الشرفى يحيى بن يشبك الفقيه متمرضا فلما حضر أبوه أقام مدة يسيرة ومات وكان شابا حسنا حشما رئيسا شجاعا بطلا حوى أنواع الفروسية وساق من جملة الرماحة بالمحل وكان الظاهر خشقدم أنعم عليه بامرية عشرة وكانت أمه خوندبنت المؤيد شيخ وكان نادرة فى أبناء جنسه ومولده سنة ثمان وفيه حضر قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وعلى يده هدية للسلطان وقد حضر يروم الحج وفيه ختم البخارى وخلع فى ذلك اليوم على بدر الدين السعدى وقرره فى قضاء الحنابلة عوضا عن عز الدين الحنبلى وفيه صعد فى يوم عيد الفطر سيدى منصور بن الظاهر خشقدم الى القلعة ليهنئ السلطان بالعيد وكان السلطان جالسا على الكرسى بالقصر الكبير فلما وقف سيدى منصور بين يديه خلع عليه مقرر ثم طلبه وأجلسه معه على الكرسى وكان صغير السن دون البلوغ فعدّ جلوسه مع السلطان على الكرسى من النوادر التى ما وقعت قط وفيه جاءت الاخبار من عند يشبك الدوادار بان شاه سوار قد تلاشى أمره وفل عنه غالب عسكره وأرسل يطلب الصلح من الامير يشبك وأن يكون نائبا عن السلطان فى قلعة درندة وأنه يرسل ولده بمفاتيح القلعة فما وافق السلطان على ذلك الا أن يحضر سوار بنفسه ويقابل السلطان وفيه توفى القاضى نجم الدين العجلونى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الزرعى الدمشقى الشافعى مذهبا وكان عالما فاضلا قدم الى القاهرة بطلب من السلطان ليلى القضاء فتوعك فى جسده فمات ودفن بالقاهرة وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل برسباى الشرفى وأمير ركب الاول الشهابى أحمد بن الاتابكى تانى بك البرديكى الظاهرى برقوق وفيه وقعت حادثة غريبة وهو أن نجارا كان عملا بالقلعة فى بعض طباق المماليك فسقط من مكان فمات لوقته وكان له أولاد وعيال وهو فقير فوقف أولاده وعياله بقصة للسلطان يلتمسون منه شيأ من

الصدقة فأمر لهم بمائة دينار وأمر للميت بثوب بعلبكى وثلاثة أشرفية يجهزونه بها فعند ذلك من محاسن الاشرف قايتباى وفيه رسم السلطان بشنق جارية بيضاء ومعها غلام فشهروهما فى القاهرة على جملين وكان سبب ذلك أن الجارية اتفقت مع الغلام على قتل سيدها وأخذ ماله ويهربا فقتلاه ودفناه فى الاصطبل فلما ظهر أمرهما رسم السلطان بشنقهما فشنقا وفيه توفيت خوند مغل بنت البارزى زوجة الملك الظاهر جقمق وكانت دينة خيرة ولها بر ومعروف وهى التى عمرت جامع الشيخ مدين بالمقس ووقفت عليه أوقافا كثيرة وكانت ناظرة الى فعل الخير وفيه كانت نهاية عمارة الجامع الذى قد أنشأه تمراز أحد الامير اخورية بجوار قنطرة عمر شاه وفى ذى القعدة غرقت مركب بحر النيل وكان فيها بضائع كثيرة لتجار من الاروام ولم ينج منها سوى ثلاثة أنفار فعين السلطان شرف الدين بن كاتب غريب ومعه القاضى جلال الدين بن الامانة أحد نواب الشافعية الى المكان الذى غرقت فيه المركب لضبط ما يظهر من تلك البضائع التى غرقت هناك فلم يظهر من ذلك الا اليسير وغرق الاكثر وفيه قدم قاصد من عند حسن الطويل وعلى يده هدية للسلطان ومكاتبة فيها أشياء سرا فلم ينشرح السلطان لقدوم هذا القاصد ولم يعلم ما فى المكاتبة وفيه توفى يوسف بن مغلطاى نائب ثغر دمياط وكان لا بأس به وفيه وقعت فتنة كبيرة بين بنى حرام وبنى وائل وكثر الفساد من العربان بالشرقية حتى امتنع مرور الناس من الاسفار الى الشرقية من كثرة القتل وقطع الطريق وسلب أثواب المسافرين وفى ذى الحجة وصل قاصد من عند يشبك الدوادار ومعه مكاتبة يخبر فيها أن سوارا أرسل يطلب الامان لنفسه وأنه يقيم بقلعة زمنوطوهو وعياله فقال له الامير يشبك حتى نكاتب السلطان بذلك وفيه قدم اياس الطويل المحمدى الذى كان نائب طرابلس فأكرمه السلطان وخلع عليه وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ورسم له بأن يعود الى طرابلس وأنعم عليه بامرية بطرابلس يأكلها وهو طرخان وكان قد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة وفيه وصل الاتابكى جرباش كرت من ثغر دمياط هو ويشبك الفقيه الذى كان دوادارا كبيرا وشفع فيه بعض الامراء بأن يكون بداره بطالا حتى ينتهى أجله فرسم السلطان باحضاره هو ويشبك الفقيه فلما طلع الاتابكى جرباش الى السلطان عظمه وقام اليه وأجلسه الى جانبه ثم ان الاتابكى جرباش قام وقبل يد السلطان فى ان يشفع فى جانى بك كوهية بأن يحضر هو أيضا الى القاهرة وكان بثغر دمياط فأجابه السلطان الى ذلك ورسم باحضاره ثم خلع على الاتابكى جرباش ويشبك الفقيه ونزلا الى دراهما وفيه أمر السلطان بانشاء البرج العظيم بقرب ثغر رشيد فجاء غاية فى الحسن من البناء والاتقان وفيه تزايد فساد بنى حرام وبنى وائل وفسدت أحوال الشرقية فعين لهم السلطان تجريدة وكان بها من الامراء الاتابكى أزبك وجانى بك قلقسير أمير سلاح وازدمر الطويل أحد المقدمى الالوف وعين معهم

جماعة كثيرة من الجند وأمرهم بالخروج الى الشرقية سريعا وسبب ذلك أن العربان من بنى
وائل وبنى حرام هجموا على القاهرة حتى وصلوا الى رأس خط الحسينية ونهبوا الدكاكين
وسلبوا أثواب الناس واستمر الحال على ذلك من بعد العصر الى ما بعد المغرب فرجعوا حيث
جاؤا فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم هؤلاء الامراء فخرجوا من يومهم سريعا ثم ان الاتابكى
أزبك عاد الى القاهرة بعد أيام ومعه بعض عربان فأودعوهم فى المقشرة وأما بقية الامراء
فرسم لهم السلطان بالاقامة فى الشرقية لرد العربان المفسدين وفيه ولدت امرأة أربعة
أولاد فى بطن واحد وهم صبيان وبنتان وكان أبوهم فقيرا فحملهم الى السلطان فلما وضعوا
بين يديه تعجب منهم ورسم لابيهم بعشرة دنانير وخمسة أرادب قمح وفيه جاءت الاخبار بوفاة
ازدمر الصغير الابراهيمى الظاهرى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب مات قتيلا
على حصار قلعة زمنوطو وكان شجاعا بطلا عارفا بأنواع الفروسية وتوفى حسن التميمى
ابن بيرم بن ططر نائب القدس والخليل وكان لاباس به وفى هذه السنة كانت الفتن المهولة
ببلاد فارس واستمرت الفتن عمالة حتى ملكها بنو أوطاس وكانت الفتن ببلاد الشرق بين
حسن الطويل وبين ملوك هراة وسمرقند وكانت الفتن عمالة بسبب سوار وخرجت السنة
المذكورة عن شرور وفتن فى بلاد الشرق وغيرها

877 ❁ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم وقع بين الاتابكى أزبك وتغرى بردى
ططر بسبب ضرب الكرة وقد زاحم فرس تغرى بردى ططر فرس الاتابكى أزبك فخنق منه
فزاحمه عدة مرار وهو صابر له ثم خنق منه فضربه بالصولجان حتى تكسر على ظهره وتغرى
بردى يسب الاتابكى أزبك ويشتمه شتما فاحشا حتى وقف بينهما الامير جانى بك قلقسير
فثنى الاتابكى عنان فرسه ونزل الى داره كالغضبان فتنكد السلطان غاية النكد بسبب ذلك
وفيه توفى قلمطاى الاشرفى الاسحاقى أحد الامراء العشراوات وكان مشهورا بالشجاعة
والفروسية وفيه حضر قانى باى صلق وعلى يده مكاتبة الامير يشبك الدوادار تتضمن
القبض على شاه سوار ونزوله من قلعة زمنوطو وقد وصل قانى باى صلق من حلب الى مصر فى
ثلاثة عشر يوما فلما صحت الاخبار عند السلطان سر بذلك وخلع على قانى صلق خلعة حافلة
وكذلك سائر الامراء خلعوا عليه حتى المباشرون فحصل له جملة خلع سنية ❁ وكان من ملخص
اخبار القبض على شاه سوار أنه لما طالع الى قلعة زمنوطو واختفى بها حاصره الامير يشبك
الدوادار أشد المحاصرة وقد فل عن سوار عسكره وأراد الله خذلانه فأرسل يطلب الامير تمراز
التمشى قريب السلطان فتلطف الامير يشبك بالامير تمراز حتى وافقه الى طلوعه الى سوار
فطلع الى قلعة زمنوطو وصحبته القاضى شمس الدين بن اجا الحلبى قاضى العسكر وهو والد
القاضى كاتب السر الآن فلما طلع الامير تمراز الى سوار واجتمع به تعلل سوار بانه يلبس خلعة

السلطان و يبوس الارض ولا يقابل الامير يشبك فما وافقه الامير تمراز على ذلك فقال له سوار أنا قتلت من العسكر جماعة كثيرة وأخشى اذا نزلت اليهم يقتلوني فقال الامير تمراز ضمانك على فما يصيبك شئ فما وافق سوار على نزوله من القلعة فقام الامير تمراز والقاضي شمس الدين بن أجا من عنده والمجلس مانع فلما عاد الامير تمراز بالجواب على الامير يشبك لم يوافق على ذلك وحاصر سوارا وضيق عليه ورمى عليه بالمدافع فما أطاق سوار ذلك فأرسل يطلب الامير تمراز والقاضي شمس الدين بن أجا ثانيا على أنه ينزل صحبتهما فطلع اليه الامير تمراز وابن أجا ثانيا فطال بينهما المجلس وقيل ان سوارا أضاف الامير تمراز وابن أجا بقلعة زمنوطو فلما طال جلوس الامير تمراز وابن أجا بقلعة زمنوطو عند سوار ماج العسكر على بعضه وأشيع بأن سوارا قد قبض على الامير تمراز وابن أجا بقلعة زمنوطو فلما مضى من النهار النصف نزل الامير تمراز هو والقاضي بن أجا وصحبتهما شاه سوار وهو في نفر قليل من عسكره فتوجه الى وطاق الامير يشبك الدوادار ونزل عن فرسه ودخل على الامير يشبك في الخيمة فقام اليه ورحب به وأحضر اليه خلعة وألبسها له فلما أراد الانصراف من عنده قال الامير يشبك امض الى نائب الشام وسلم عليه وكان يومئذ برقوق نائب الشام فلما توجه اليه سوار نزل عن فرسه ودخل الى برقوق نائب الشام وصحبته الامير تمراز فلما وقف بين يدى برقوق قال له برقوق من أنت قال له أنا سوار قال أنت سوار قال نعم أنا سوار فجعل يكرر عليه هذا الكلام فيقول له نعم أنا سوار ثم قال له برقوق أنت الذى قتلت الامراء والعسكر فسكت سوار ثم قال برقوق أحضروا له خلعة فأتوا اليه بخلعة وفي ضمنها جنزير فلما ألبسوها له وضعوا الجنزير في عنقه فلما رأى جماعة سوار أنه وضع في جنزير ثاروا على جماعة برقوق وسلوا سيوفهم وكان برقوق أكمن كمينا حول الخيمة وهم لابسون آلة الحرب فهجموا على جماعة سوار وقطعوهم ثم قبضوا على سوار وأدخلوه في بعض الخيام فلما رأى الامير تمراز ذلك شق عليه وقال لبرقوق أنا نزلت بسوار من القلعة وحلفت له انكم لا تشوشوا عليه فكيف يبقى أحد يأمن لكم فاخرق برقوق بالامير تمراز اخراقا فاحشا وربما لكمه فخرج تمراز من عند برقوق وهو غضبان وكان الامير يشبك حلف للامير تمراز أنه اذا قابله سوار لا يقبض عليه ولا يشوش عليه فلما نزل اليه سوار ندب برقوق الى ما فعله بسوار وكان هذا عين الصواب ودع الامير تمراز يغضب فلما تحقق العسكر القبض على سوار قاموا على حمية وقصدوا التوجه الى الديار المصرية وهذا ملخص ما وقع في أمر القبض على سوار واستمر الامير تمراز غضبان من الامراء حتى دخل الى القاهرة فلما قبض على سوار خلع الامير يشبك على شاه بضاع أخى سوار وقرره عوضا عن أخيه في امرية الابلستين وفي صفر جاءت الاخبار بأن تانى بك السيفى الماس الاشرفى نائب البيرة وفيه توجه الاتابكى أزبك الى نحو البحيرة فغاب أياما ثم

عاد من هنالك ومعه جماعة من العربان المفسدين وهم فى الحديد فرسم السلطان بسجنهم فى المقشرة وفيه عرض السلطان أولاد الناس وأمرهم بان يلعبوا بالرمح بين يديه حتى يمتحنهم فى ذلك ويعلم من يلعب بالرمح ومن لا يلعب فحصل لهم غاية المشقة لاجل ذلك ووبخهم بالكلام وربما قصد الاخراق بهم وفيه عزل السلطان قاضى القضاة سراج الدين ابن حريز المالكى ووكل به بالطبقه ثم خلع على برهان الدين اللقانى أحد نواب الحكم وقرره فى قضاء المالكية عوضا عن ابن حريز واستمر ابن حريز فى الترسيم وفيه كتب السلطان عدة فتاوى وأخذ عليها خطوط مشايخ العلم والقضاة فى أمر سوار فافتوه بانه خارجى وانه لا يبقى فى قيد الحياة وفيه ضرب السلطان ثلاثة من مماليكه الجلبان ومعهم آخر من المماليك الخشقدمية فضربهم ضربا مبرحا وقد بلغه بانهم سكروا وعربدوا على الناس ثم نفى المملوك الخشقدمى الى البلاد الشامية وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه نحو دمياط ورشيد وغير ذلك من البلاد فسار فى البحر فى عدة مراكب وكان صحبته الاتابكى أزبك والامير أزبك اليوسفى وغير ذلك من الامراء واستمر السلطان غائبا فى هذه السفرة نحوا من ثلاثة عشر يوما وقد تنزه فى هذه السفرة وطاف عدة بلاد ثم عاد الى القلعة وفيه أحضر الى القاهرة جماعة من الافرنج قبض عليهم نائب ثغر الاسكندرية وكانوا يعبثون بسواحل البحر الملح فلما عرضوا على السلطان رسم بسجنهم فى المقشرة فأسلم منهم جماعة وجماعة سجنوا بالمقشرة وفيه حضر الشيخ علاء الدين الحصنى وكان خرج بصحبة الامير يشبك الدوادار فغضب عليه وحصلت له كائنة عظيمة مع يشبك فهرب منه وأتى الى القاهرة واختفى بها وفى ربيع الاول جاءت الاخبار بان الامير يشبك دخل الى الشام وصحبته سوار فزينت له الشام زينة حافلة وكان له يوم مشهود فأقام بالشام ثلاثة أيام ورحل عنها الى غزة فلما سمع السلطان بهذا الخبر أمر بتبييض باب النصر وباب زويلة وضرب عليها الرنوك الذهب ثم أخذ فى أسباب ملاقاة الامراء فكسا الامراء المقدمين كل واحد أربعة بدلات وجهز لهم ملاقاة الى الصالحية وفيه كان وفاء النيل المبارك حادى عشرى مسرى فنزل الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان له يوم مشهود وفيه دخل الامير يشبك وبقية الامراء والعسكر الى الخانقاه السريا قوسية وصحبتهم سوار واخوته وهم فى زناجير فلما وصل الامير يشبك الى الخانقاه خرج الامراء وأرباب الدولة الى ملاقاته ثم رحل من الخانقاه ونزل الى الريدانية فخرج القضاة الاربعة وأعيان مشايخ العلماء ثم ان السلطان نادى فى القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة ورجت القاهرة لدخول سوار حتى بلغ أجرة كل بيت على الشارع أربعة أشرفية وأجرة كل دكان أشرفى ذهب بسبب الفرجة على سوار فخرجت البنت من خدرها تنظر الى سوار الذى قتل العباد ويتم الاطفال ونهب الاموال فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر

ربيع الاول سنة سبع وسبعين وثمانمائة دخل الامير يشبك الدوادار الى القاهرة وصحبته
شاه سوار وكان الامير قراز التمشى دخل الى القاهرة وهو منفرد عن الامراء لم يرافقهم
واستمر غضبانا بسبب ما حصل له مع برقوق نائب الشام لاجل قبضه على سوار وقد تقدم ذكر
ذلك ثم ان سوارا دخل قدام الامير يشبك وهو راكب على فرس وعليه خلعة تماسيح على
أسود وعلى رأسه عمامة كبيرة وهو فى زنجير كبير طويل وراكب الى جانبه شخص من
الامراء العشراوات يقال له تمر الضبع من الظاهرية الجقمقية وهو مشكول مع سوار فى
الزنجير وكان قدام سوار اخوته وأقاربه وأعيان من قبض عليه من أمرائه ممن نزل معه من
قلعة زمنوطوفكانوا نحوا من عشرين انسانا وهم راكبون على اكاديش وعليهم ملابط
بيض وعلى رؤسهم عمائم وهم فى زناجير ومشكول معهم جماعة من أعوان الوالى فشق
الامير يشبك من القاهرة وهو فى موكب حافل وقدامه الامراء ممن كان معه فى التجريدة وممن
كان مقيما بمصر وسارت الاطلاب أمامه شيأ بعد شئ واصطفت الناس على الدكاكين وكان
له يوم مشهود بالقاهرة لم يقع نظيره فى الفرجة وكان من نوادر الزمان واستمر الامير يشبك فى
ذلك الموكب حتى طلع الى القلعة فعمل السلطان الموكب فى القصر الكبير وقبل الامراء
الارض ثم انتقل الى الايوان فجلس به وكان من حين جدد معالمه لم يجلس به سوى ذلك اليوم
قصدا أن يعرض سوارا هناك فتزاحمت عليه الناس فانتقل السلطان الى الحوش وجلس على
الدكة وطلب سوارا هناك فلما مثل بين يديه وبخه بالكلام وعاتبه عتابا لطيفا وسوار ساكت
لم يتكلم ثم ان السلطان رسم بتسليم سوار الى الوالى يشبك بن حيدر فتسلمه هو واخوته ثم
أخرجوا أخاه يحيى كاور الذى كان فى البرج وقد قبض عليه قبل ذلك وكان مسجونا فى
القلعة وسلمه للوالى فلما تسلمهم والى القاهرة نزع الخلعة عنه فى الحال وأحضر والهم
جمالا فاركبوا سوارا على جمل وألبسوه ملوطة بيضاء وجعل فى عنقه طوق حديد وفيه
عامود من حديد طويل وفى رأس العامود جرس حسبما قد رسم السلطان له بذلك ثم سمروا
اخوته وأقاربه على جمال وهم عريا ورؤسهم مكشوفة واخوة سوار الاربعة هم أردوانه
الاحدب وحداد ويحيى كاور وسلمان وجماعة من أمرائه فلما سمروهم واركبوهم على
ظهور الجمال نزلوا بهم من الصليبة والمشاعلية تنادى عليهم هذا جزاء من يخامر على
السلطان واستمروا على ذلك حتى وصلوا الى باب زويلة فشنكلوا سوارا وعلقوه فى وسط باب
زويلة وأخوه يحيى كاور عن يمينه فى الدخول من باب زويلة لصوب باب النصر وأردوانه
عن شماله كذلك وعلقوا حدادا داخل الباب وأما سلمان فكان أمرد مليح الشكل
فرق الناس له فشفع فيه الامير يشبك وخلصه من الشنكلة ثم توجهوا بالباقى الى باب
النصر فوسطوهم باجمعهم واستمر سوار معلقا حتى مات هو واخوته فأقاموا معلقين يوما

وليلة

وليلة والناس ينظرون اليهم ثم أنزلوهم وغسلوهم وكفنوهم وصلوا عليهم وتوجهوا بهم الى تل عال بالقرب من زاوية كهنبوش فدفنوهم هنالك ثم قلعوا الزينة وحدثت فتنة سوار كأنها لم تكن بعد ما ذهب عليها أموال وأرواح وقتل جماعة كثيرة من الامراء وكسر الامراء ثلاث مرات ونهب بركهم وقد انتهكت حرمة سلطان مصر عند مماليك الشرق وغيرهم حتى ان الفلاحين طمعوا في التركمان وتبهدلوا عندهم بسبب ما جرى عليهم من سوار وكادت أن تخرج المملكة عن الجراكسة وقد أشرف سوار على أخذ حلب وقد خطب له في الابلستين وضربت هنالك السكة باسمه ولولا لطف الله تعالى بالناس واخذال سوار لفسدت أحوال المملكة جدا وكانت صفة سوار أنه جميل الصورة حسن الشكل مستدير الوجه أبيض اللون مشرب بحمرة أشهل العينين أسود اللحية معتدل القامة ضخم الجسد وكان في عشر الاربعين من العمر وكانت مخايل الحشمة والرآسة محصورة فيه يقرب في الشكل من القاضي ناظر الخاص تاج الدين بن المقسي وكان شجاعا بطلا وكان له سعد خارق فيما وقع له من النصرة على عسكر مصر غير مامرة وكان من أعظم أولاد لغادر وقد وقع له مالم يقع لاحد من أجداده قبله وقد شق على الامير قراز قتل سوار على هذا الوجه واستمر غضبانا مدة وفي واقعة سوار قال المنصوري

يا أيها الملك الذي سطوانه * تغني عن العسال والبتار
علق سوارا فوق باب زويلة * ان كنت منه آخذا بالثار
فلانت تعلم أن ذلك معصم * ما كنت تتركه بغير سوار

وقوله أيضا في الامير يشبك لما حضر الى القاهرة وصحبته سوار

منذ وافى الامير يشبك مصرا * حبذا مصر موطن الأوطار
لبست حجل نيلها وتحلى * زند بابى زويلة بسوار

انتهى ما أوردناه من واقعة سوار على سبيل الاختصار وفيه حضر الى القاهرة كسباى الظاهري الخشقدمي الذي كان دودارا ثانيا ونفي الى الشام فارسل الامير يشبك يشفع فيه فاجيب الى ذلك فاحضر كسباى صحبته واستمر في داره بطالا حتى مات كما سيأتي الكلام عليه وفي ربيع الآخر خلع السلطان على برسباى الشرفي وقرره في امرية الحاج بالمحمل وقرر الشهابي أحمد بن الاتابكي تاني بك البرديكي بامرية الركب الاول وكان متوعكا في جسده فاخذ يستعفي من السفر فما أعفي من ذلك وفيه توفي جاني بك الابيض أحد الحجاب وكان قد جاوز السبعين سنة وكان لا بأس به وفيه توجه القاضي شرف الدين الانصاري الى جهة الطينة وكان معه مائة مملوك من مماليك الامير يشبك الدوادار فلما وصل الى هنالك وجد في البحر الملح مراكب فيها أفرنج يعبثون بالمسلمين المسافرين فقبض على مركب منها

وأسر من فيها من الفرنج وأحضرهم صحبته لما عاد وفيه عزل قاضي القضاة الحنفي بن الشحنة وأمر بالتوكيل به بطبقة الزمام وذلك بسبب ما وقع في عقد المجلس الذي كان بين خوند شقراو بين أختها خوند آسية بسبب وقف الظاهر برقوق فتعصب ابن الشحنة لخوند شقرا فحنق السلطان منه وعزله وكان في نفسه منه شيء بسبب ولده عبد البر وكانت هذه آخر ولايته للقضاء ولم يل بعدها القضاء واستمر في الترسيم بطبقة الزمام بسبب تعلقات أوقاف الحنفية ثم ان السلطان خلع على الشمسي شمس الدين محمد الامشاطي وقرره في قضاء الحنفية عوضا عن محب الدين بن الشحنة بحكم انفصاله عن القضاء فافيض عليه شعار القضاء ونزل من القلعة في موكب حافل وكان قد تمنع من الولاية غاية التمنع فالزمه بذلك السلطان وفيه شفع الاتابكي في قاضي القضاة محب الدين بن الشحنة فنقل الى بيت كاتب السر حتى يقيم حساب أوقاف الحنفية وفي جمادى الاولى توفي دقماق الاشرفي الاينالي نائب القدس وكان شابا حسن الشكل موصوفا بالشجاعة وفيه جاءت الاخبار من عند نائب حلب بأن حسن بك الطويل ملك العراقين قد جمع من العساكر ما لا يحصى وهو زاحف على بلاد السلطان وقد بعث ولده محمدا مع عسكر ثقيل وقد وصلوا الى الرها فكثر القال والقيل بين الناس بسبب ذلك فما صدق العسكر ان خمدت عنهم فتنة سوار فانتشى لهم فتنة حسن الطويل وزاد الكلام بين الناس بأن هذا ما هو مثل شاه سوار وان هذا لا يطاق فقلق السلطان والعسكر لهذا الخبر فكان كما قيل في المعنى

شكوت جلوس انسان ثقيل * فجانا آخر من ذاك أثقل

فكنت كمن شكا الطاعون يوما * فجاءه على الطاعون دمل

وفي جمادى الآخرة عين السلطان تجريدة الى حسن الطويل وعين بها من الامراء المقدمين ثلاثة وهم جاني بك قلقسير أمير سلاح وسودون الافرم وقراجا الطويل الاينالي وعدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات ومن الجند نحو من خمسمائة مملوك فلما عينهم انفق عليهم وأمرهم بالمسير الى حلب بسرعة من غير تأخير وفيه وقع تشاجر عظيم بين الامير يشبك الدوادار وبين الأمير خاربك بن حديد وذلك بحضرة السلطان وكان سبب ذلك صحصاح الكاشف فانه وقع بينه وبين الامير خاربك بسبب بلاده التي في الفيوم فتعصب الامير يشبك لصحصاح فوقع بينهما ما لا خير فيه وفيه أخرج السلطان تقدمة سودون الافرم وقد استعفى من السفر الى حسن الطويل فلما أخرج عنه التقدمة أنعم بها على جماس الاسحاقي ورتب لسودون الافرم ما يكفيه وبقي طرخانا بمصر وفيه شفع في جاني بك المشد الاشرفي برسباي وكان مقيما بالقدس بطالا فحضر الى القاهرة ورتب له ما يكفيه واستمر مقيما بداره مدة حتى مات وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن عسكر حسن الطويل

قد

قد استولى على كختا وكر وبعث مكاتبة مكتوبة بماء الذهب الى شاه بضاع صاحب الابلستين
بان يسلم اليه القلاع التى حوله ولا يخرج عن طاعته وأرسل له فى المكاتبة ألفاظا مزعجة
بما معناه وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ثم هدده فى مكاتبته بأنه متى خالفه
يحصل له منه ما هو كيت وكيت فارسل بضاع المكاتبة للسلطان فلما قرأها السلطان وعلم
ما فيها انزعج لذلك وتأثر ثم عين الامير يشبك الدوادار باش العسكر وعين تجريدة أعظم من
الاولى التى عينها قبل ذلك فعين بها من الامراء المقدمين يشبك الدوادار واينال الاشقر
وبرسباى قراومن الامراء الطبلخانات والعشراوات عدة وافرة وكتب من الجند فوق الفى
مملوك ثم أنفق عليهم وأخذوا فى أسباب الخروج الى السفر فخرجت التجريدة الاولى قبل ذلك
وكان باش العسكر جانى بك قلقسير أمير سلاح ومن معه من الامراء فلما رحل من الريدانية
خرج الامير يشبك ومن معه من الامراء فرجت لهم القاهرة وكان لهم يوم مشهود وفى
رجب لما صعد القضاة للتهنئة بالشهر صعد معهم الشيخ أمين الدين الاقصرائى فأخذ
السلطان يتكلم معه بسبب حسن الطويل فتكلم الشيخ أمين الدين بكلام انزعج منه
السلطان وقد تقدم له معه فى واقعة سوار بما تكلم به فى ذلك المجلس وقد تأثر منه السلطان فى
الباطن وفيه أرسل نائب الشام مكاتبة حسن الطويل الى السلطان وكان أرسل يهدده فى
هذه المكاتبة ويأمره باشياء لا يمكن شرحها وكتب فى صدر المكاتبة يا أيها الذين آمنوا ان
تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فانزعج السلطان لهذا الخبر وفيه جاءت الاخبار من
حلب بان ورديش نائب البيرة قد قبض على جماعة من عسكر حسن الطويل وكسر جاليشه
فسر السلطان بهذا الخبر وفيه وصل الى القاهرة من بلاد جركس اخت السلطان واسمها
جان كين ومعها ولدها فصعدت الى القلعة فى محفة وحولها الخدام وحضر معها عدة نساء
جراكسة وفيه رحل الامير يشبك هو وعسكره من الريدانية وكان مصروف السلطان على
هذه التجريدة فيما أنفقه مبلغ أربعمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار خارجا عن أشياء كثيرة
بعثها للامراء فلما وصل الامير يشبك الى الخانقاه نزل اليه السلطان وودعه هناك واجتمع
به فى خلوة وعرض عليه مكاتبة حسن الطويل التى بعثها الى نائب الشام وفى شعبان
ثارت جماعة من المماليك الجلبان على شرف الدين ابن كاتب غريب وكان متكلما فى
الوزارة والاستادارية عن الامير يشبك فتوجهوا الى داره وكسروا أبوابه فهرب واختفى
وكانت هذه أول حوادث الجلبان فى الفتك واستمرت الحوادث منهم تتزايد حتى كان منهم
ما سنذكره فى موضعه وفيه حضر قاصد نائب حلب وأخبر أن نائب حلب قبض على عثمان
ابن أغلبك وشخص آخر كان استادارا على تقدمة حسن الطويل التى كانت بحلب
وقبض على جماعة آخرين نحو من أربعين نفرا وقد نسبوا الجميع الى المواطأة مع حسن

الطويل وكانوا يكاتبونه بأخبار المملكة فأمر نائب حلب بشنقهم وفيه هلك بترك النصارى الملكية وهو فخر بن الصيفي وكان في النصارى لا بأس به وفيه كانت وفاة الشيخ فخر الدين المقسمي وهو عثمان بن عبد الله بن عثمان بن عفان الشافعي وكان من أعيان علماء الشافعية وكان عالما فاضلا بارعا في الفقه دينا خيرا وافر العقل وذكر بأن يلي القضاء الا كبر غير مامرة وولي عدة تداريس جليلة منها مشيخة الحديث بالشيخونية وكان قد جاوز الستين سنة من العمر فلما مات قرر في مشيخة الحديث بالشيخونية الشيخ جلال الدين السيوطي عوضا عن الفخر المقسمي وفي رمضان نزل السلطان الى دار تمربغا وكان منقطعا عن الركوب فسلم عليه وعاد الى القلعة وفيه وصل ركب من المغاربة من تونس وكان صحبتهم الحرة زوجة صاحب تونس وحضر صحبتها قاضي الجماعة الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن عمر القلجائي وكان من فضلاء علماء المالكية فاكرمه السلطان والامراء ورأى من العز والعظمة حظا وافرا وفيه صلب على باب زويلة جارية سوداء قد قتلت ستها فأمر القاضي اللقاني المالكي بصلبها حتى تموت وفيه توفي جاني بك قرا العلائي الاشرفي أحد الامراء العشراوات وشاد الشون وكان لا بأس به وفيه توفي أيضا أرغون شاه استادار الصحبة ونائب غزة كان وهو الذي قبض على الظاهر تمربغا لما سحب من دمياط وكان أصله من مماليك الاشرف برسباي وكان محمود السيرة وفيه ختم البخاري بالقلعة وكان ختما حافلا وخلع فيه السلطان على القضاة ومشايخ العلم وفرقت الصرر على الفقهاء وفي شوال جاءت الاخبار بوفاة برقوق الناصري الظاهري نائب الشام وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان شجاعا بطلا مقداما في الحرب عارفا بأنواع الفروسية في فنون لعب الرمح والرماية بالنشاب وولي عدة وظائف سنية منها شادية الشراب خاناه ثم تقدمة ألف ثم نيابة الشام ومات بها وكان قد جاوز الستين سنة من العمر فلما حضر سيفه أظهر السلطان الحزن والبكاء وتأسف عليه وكان عنده بمنزلة الاخ ثم أمر باحضار أولاده وعياله الى القاهرة ثم رسم بنقل جثته الى القاهرة ليدفن في تربته التي بباب القرافة وكان لبرقوق بر ومعروف وهو الذي أنشأ القبة على ضريح العارف بالله الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله تعالى ورضي عنه وفيه توفي الاتابكي جرباش كرت المحمدي الناصري وكان طرخانا الى أن مات بمصر وكان قد قارب التسعين سنة من العمر وأصله من مماليك الناصر فرج وكان أميرا جليلا حشما رئيسا ولي عدة وظائف سنية منها الامير اخورية الكبرى وامرية مجلس وامرية سلاح ثم بقي أتابك العساكر بمصر وترشح أمره الى أن يلي السلطنة لما وثبت جماعة الاشرفية على الظاهر خشقدم كما تقدم وكان متزوجا بخوند شقرا بنت

استاذه

استاذه الناصر فرج ثم نفى بعد ما وقع له ما ذكر الى دمياط ثم أحضر الى القاهرة ومات بها وجرى عليه شدائد ومحن كما قيل

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك فى اعتدال

وفيه جاءت الاخبار من حلب بان الامير يشبك الدوادار دخل الى حلب وكان له يوم مشهود فلما استقر بحلب قدم عليه قاصد من عند حسن الطويل وعلى يده مكاتبة شرحها انه أرسل يطلب جماعته الذين أسروا وسجنوا بحلب وانهم اذا أطلقوهم يطلق من عنده من الاسرى وكان عنده دولات باى النجمى الذى كان نائب ملطية وجماعة آخرون فلم يلتفت اليه يشبك ولا أجابه عن ذلك بشئ وفيه توفى الزينى عبد الرحمن بن الكويز الذى كان ناظر الخاص وهو عبد الرحمن بن داود بن عبد الرحمن بن خليل وكان أصلهم نصارى من الشوبك وحضر جدهم داود صحبة المؤيد شيخ لما قدم الى مصر وكان عبد الرحمن رئيسا حشما فى سعة من المال وولى عدة وظائف سنية منها نيابة الاسكندرية ثم ولى الاستادارية ونظر الخاص ثم جرى عليه شدائد ومحن وفر الى بلاد ابن عثمان ملك الروم وأقام هنالك مدة ثم عاد الى مصر وكان يدعى أنه يعرف علم الحرف وكان له نظم سافل ومولده فى سنة ثمانمائة وفيه توفى نوروز الاشرفى كاشف الوجه القبلى وكان لا بأس به وفيه خرج الحاج على العادة وكان الشهابى أحمد بن الاتابكى تانى بك أمير ركب الاول مريضا على غير استواء فلم يرق له السلطان وخرج على غير استواء وهو فى محفة فى النزع فلما وصل الى بركة الحاج مات ليلة الرحيل وكان حشما متأدبا رئيسا وكان من الامراء العشراوات وتوجه الى الحجاز أمير ركب الاول غير مامرة وكان مولده بعد العشر والثمانمائة فلما بلغ السلطان موته طلب جانى بك الاشقر أحد مماليكه وخواصه ورسم له بان يتوجه أمير ركب الاول عوضا عن الشهابى أحمد بن تانى بك فتسلم جميع بركه وجماله وسافر على الركب الاول ثم حمل الشهابى أحمد الى القاهرة وغسل وكفن وصلى عليه ودفن فعد ذلك من النوادر الغريبة ولم يكن يمر الحج على بال جانى بك فى هذه السنة فكان كما قيل

الا انما الاقسام تحرم ساهرا * وآخر يأتى رزقه وهو نائم

وفيه أرسل السلطان خلعتين احداهما الى جانى بك قلقسير أمير سلاح بان يستقر فى نيابة الشام عوضا عن برقوق بحكم وفاته وكان المشار اليه بالتجريدة فتوجه الى الشام واستقر بها وأما الخلعة الثانية فبعث بها الى اينال الاشقر بان يستقر فى امرية سلاح عوضا عن المذكور المتقدم وفى ذى القعدة طلع الخليفة المستنجد بالله يوسف ومعه القضاة الاربعة ليهنوا السلطان بالشهر على العادة فتكلم الخليفة مع السلطان فى أمر ابنته ست الخلفاء التى كان عقد عليها خشكلدى السيفى فطال الكلام فى ذلك وانفض المجلس على غير طائل ثم فسخ

عقدها عن خشكلدى فيما بعد وفى هذا المجلس تكلم السلطان مع قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الامشاطى فى اقامة قاض برسم حل الاوقاف والاستبدالات فقال ان السلطان له ولاية التفويض الى من شاء من النواب وأما أنا فلا ألقى الله تعالى بحل وقف ولا بعمل استبدال وقام من المجلس كالغضبان فتأثر السلطان منه فى الباطن رحمه الله تعالى ورضى عنه وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن الامير يشبك بعث جماعة من العسكر الى البيرة لقتال عسكر حسن الطويل وقد بلغه أن حالهم تلاشى الى الفرار وأن حسن الطويل أرسل يكاتب الافرنج ليعينوه على قتال عسكر مصر وهذا أول ابتداء عكسه لكونه أرسل يستعين بالافرنج على قتال المسلمين وفيه جاءت الاخبار بأن ابن عثمان ملك الروم أرسل قاصده الى الامير يشبك بان يكون عونا للسلطان على قتال حسن الطويل فاكرم القاصد وأرسل صحبته القاضى شمس الدين بن أجا قاضى العسكر بأن يتوجه الى ابن عثمان وعلى يده هدية حافلة ومكاتبة بأن ينشئ بينه وبين السلطان مودة بسبب أمر حسن الطويل وفيه وصل الى السلطان مكاتبة من عند ابن الصوا من حلب يخبر فيها بأن الامير يشبك قد انتصر على عسكر حسن الطويل ورحلهم عن البيرة وأن ولد حسن الطويل قد جرح جراحات بالغة وآخر من أولاده أصيب فى عينه ووقع بين الفريقين مقتلة شديدة وقتل فى المعركة شخص من الامراء العشراوات يقال له قرقاس المصارع المعروف بالعلائى أمير اخور رابع وكان صهر مؤلف هذا التاريخ زوج أخته وكان انسانا حسنا دينا خيرا موصوفا بالشجاعة والفروسية علامة فى رمى النشاب والصراع أصيب بسهم فى صدغه فمات لوقته ولم يقتل فى هذه المعركة أحد من العسكر سواه ثم رحل عسكر حسن الطويل من البيرة وقد خذلهم الله تعالى بعد ما عدوا من الفرات وطرقوا البلاد الحلبية من أطرافها فردهم الله تعالى عن المسلمين وقد قالت الشعرا فى هذه النصرة عدة مقاطيع فمن ذلك قول شمس الدين القادرى

أيا حسن الطويل بعثت جيشا * كأغنام وهن لنا غنائم
فنار الحرب قد قتلت سوارا * وأنت لسبكها لاشك خاتم

وقال المنصورى

هل عارف بالخارجى المعتدى * يخبر الينا باسمه وصفاته
قالوا نعم حسن فقلت هلاكه * قالوا الطويل فقلت ليل شتاته

وقوله أيضا

أيها العسكر الذى سار قصدا * لقتال الطويل لا تنظروه
لا تطيلوا مع العدو كلاما * فى وغى الحرب والطويل اقصروه

وقال محمد بن شادبك

عروس الحرب تقطعها المواضى * بارواح الاعارب والاعاجم
وقد جليت وفى يدها سوار * وها حسن لكف الحرب خاتم

وقوله أيضا

أيا حسن الطويل قصرت عمرا * وفاتتك المعالى والمغانم
سوار قد سبكناه ابتداء * وأنت بناره للسبك خاتم

وفى هذا الشهر كسفت الشمس كسوفا عاما وأظلمت الدنيا واستمر الكسوف نحوا من ثلاثين درجة وفيه قدم قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وقد أتى من جهة البحر الملح فاكرمه السلطان وأحضر صحبته مكاتبة حسن الطويل الى ملوك الافرنج بان يمشوا على ابن عثمان وسلطان مصر من البحر وهو يمشى عليهم من البر وقد ظفر هذا القاصد بقاصد حسن الطويل وهو قاصد نحو بلاد الافرنج فقبض عليه فى أثناء الطريق وهو فى مركب وأسره ثم ان القاصد أقام بمصر أياما وأضافه السلطان وأذن له فى السفر وخلع عليه ثم ان السلطان عين دولات باى حمام الاشرفى بان يتوجه قاصدا نحو ابن عثمان وفى ذى الحجة تغير خاطر السلطان على الامير خاربك بن حديد الاشرفى وأمره بلزوم داره وهذه أول كائنة وقعت له ثم جرى عليه بعد ذلك ماهو أعظم من ذلك فأقام بداره أياما لا يركب ثم بعث السلطان خلفه الى ضرب الكرة فلما طلع الى القلعة وضرب الكرة اتفق أن السلطان قد سقط من يده الصولجان فترجل خاربك عن فرسه وناوله للسلطان فخلع عليه وأركبه فرسا من خيوله ونزل الى داره وهو مكرم وفيه توفى جانم اللفاف المؤيدى وكان أمير عشرة ولكن مات طرخانا وتوفى طوخ النوروزى وكان أمير عشرة ومات طرخانا وفيه حضر مبشر الحاج وأخبر بأنه لما وصل المحمل العراقى ودخل المدينة الشريفة كان أميرهم شخص يقال له رستم وصحبته قاض يقال له أحمد بن وجيه فضيقوا على قضاة المدينة وأمروهم بان يخطبوا فى المدينة باسم الملك العادل حسن الطويل خادم الحرمين الشريفين فلما خرجوا من المدينة وقصدوا التوجه الى مكة كاتب أهل المدينة أمير مكة بما وقع منهم فخرج اليهم الشريف محمد ابن الشريف بركات ولاقاهم من بطن مر قبل أن يدخلوا الى مكة وقبض على رستم أمير ركب المحمل العراقى وقبض على القاضى الذى صحبته وعلى جماعة من أعيانهم وأودعهم فى الحديد ليبعثهم الى السلطان ثم أطلق بقية من كان فى ركبهم من الحجاج ولم يتعرض لهم وفيه جاءت الاخبار بوفاة الشيخ المسلك العارف بالله تعالى سيدى ابراهيم بن على بن عمر المتولى رحمه الله تعالى توفى بأسدود بالمنوفية ودفن بها وكان خرج الى زيارة بيت المقدس فأدركته المنية هنالك فمات وكان خيرا دينا مباركا وللناس فيه اعتقاد حسن وكانت شفاعته عند

السلطان والامراء لا ترد وكان له بر ومعروف وأنشأ ببركة الحاج حوضا وسبيلا وبستانا وكان يأوى الفقراء والمنقطعين وكان نادرة فى عصره صوفى وقته وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم سمرقند العلامة الشيخ علاء الدين على بن محمد الطوسى البتاركانى الحنفى وكان له شهرة ببلاد سمرقند وألف فى العلوم الجليلة وكان من أعيان علماء الحنفية وفيه توفى اياس الطويل المحمدى الناصرى الذى كان نائب طرابلس الذى تقدم ذكره وفيه من الوقائع ان البرهان البقاعى وقاضى الجماعة أبو عبد الله القلجانى المغربى المالكى وقع بينهما بحث فى بعض المسائل فوقع من البرهان البقاعى فى ذلك المجلس جواب ضبطه عليه قاضى الجماعة وصرح بكفره وأشهد عليه وأراد أن تقام عليه الدعوى عند قاضى القضاة المالكى فلما علم كاتب السر بن مزهر بذلك طلب البقاعى عنده وحكم بعض القضاة بحقن دمه ولولا كاتب السر ما حصل للبقاعى خير والذى جرى على البقاعى بسبب سيدى عمر بن الفارض رحمه الله ورضى عنه فانه كان رأس المتعصبين عليه واستمر البقاعى فى عكس حتى مات

878 ❁ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم وقع الرخاء بالديار المصرية حتى ابتيع الرطل اللحم السليخ بثمانية نقرة والبطة الدقيق بأربعة أنصاف ووقع الرخاء فى سائر الحبوب وابتيع القنطار البطيخ العبدلاوى بثلاثة أنصاف ووقع الرخاء فى سائر المأكولات قاطبة وفيه جاءت الاخبار من الاسكندرية بأن الافرنج قد عبثوا ببعض سواحلها وأسروا من المسلمين تسعة أنفار وفعلوا مثل ذلك بثغر دمياط فلما جرى ذلك عين لهم السلطان فى الحال الامير محمد بن قجماس الاسحاقى أحد مقدمى الالوف وأمره بالخروج من يومه فخرج بعد العصر وسافر من البحر فى عدة مراكب وأمره السلطان أن يتبع الفرنج حيث سار وا وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى تربة وقد أضافه هناك ابن طفيش ضيافة حافلة وأقام عنده الى آخر النهار وعاد الى القلعة وفيه رسم السلطان بعزل القاضى القمنى المالكى أحد نواب الحكم بسبب حكم حكمه فشكاه الخصم الى السلطان بأنه جار عليه فحنق منه السلطان وأمر بعزله وفيه وصل الحاج وصحبتهم ابن أمير مكة والقاضى برهان الدين بن ظهيرة الشافعى وولده أبو السعود وأخوه وأحضر وا صحبتهم رستم أمير الحاج العراقى والقاضى اللذان بعث بهما حسن الطويل وصحبتهما كسوة الكعبة المشرفة وأمر أهل المدينة والكعبة بأن يخطبوا فيهما باسم العادل حسن الطويل فسجن السلطان رستم والقاضى فى البرج الذى بالقلعة وتأخر الحاج فى السنة المذكورة عن ميعاده ثلاثة أيام بسبب موت الجمال وقلة المياه ثم أرسل خاير بك الخشقدمى الذى سمى سلطان ليلة يسأل فضل السلطان بان ينقله من مكة الى القدس ليقيم بها حتى يموت فشفع فيه الامير يشبك الجمالى فأجيب الى ذلك ونقل من مكة الى القدس وحضر صحبة الحاج الشيخ

سادالاذربيجانى الحنفى وهوشيخ تربة الامير يشبك الدوادار وفى صفر خلع السلطان على القاضى ابراهيم بن ظهيرة وأعاده الى قضاء الشافعية بمكة ونزل من القلعة فى موكب حافل ومعه القضاة الاربعة وأعيان الدولة وفيه خلع السلطان على تمراز التمشى وقرره فى رأس النوبة الكبرى عوضا عن اينال الاشقر بحكم انتقاله الى امرية سلاح وفيه عين السلطان برسباى الاشرفى استادارا الصحبة بأن يتوجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وصحبته هدية سنية وفى ربيع الاول كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى خامس مسرى الموافق لخامس ربيع الاول فلما أوفى توجه الامير لاجين الظاهرى أمير مجلس وفتح السد على العادة وفى ذلك اليوم نودى على النيل بزيادة اثنى عشر اصبعا بعد سبعة عشر ذراعا فكان زيادته ثلاثة أذرع فى ستة أيام وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة فلم يحضر فيه من الامراء المقدمين سوى ثلاثة أنفار وكان أكثر الامراء غائبا فى التجريدة وفيه توفى القاضى زين الدين عبد القادر بن عبد الرحيم بن الجيعان وكان رئيسا حشما كثير العشرة للناس ومات وهو فى عشر الخمسين وفيه جاءت الاخبار بهلاك صاحب قبرس وهو جاكم بن جوان بن حينوس الكيتلانى وكان من أعيان ملوك الافرنج وهو الذى حضر الى الديار المصرية فى دولة الاشرف اينال وكان شابا حسنا فى شكله فلما هلك تولى من بعده أخوه وفيه جاءت الاخبار بأن ابن عثمان بعث عسكرا لمحاربة حسن الطويل فسر السلطان لذلك وفيه توفى الامير يشبك الفقيه بن سلمان شاه المؤيدى الذى كان دوادارا كبيرا فى دولة الظاهر خشقدم ثم نفى الى دمياط ثم شفع فيه وعاد الى القاهرة وأقام بها بطالا حتى مات وكان دينا خيرا وله اشتغال بالعلم وكان قد شاخ سنه وقاسى شدائد ومحنا ومات ولده قبله بمدة يسيرة وغص عليه وكان ولده شابا حسنا مليح الشكل مشهورا بالفروسية وقد تقدم ذكر ذلك وفى ربيع الآخر أطلق السلطان رستم أمير الحاج العراقى وأطلق القاضى الذى صحبته وخلع عليهما وبعثهما الى بلادهما ترضيا لخاطر حسن الطويل وقد أشار بذلك الامير يشبك الدوادار وفى جمادى الاولى جاءت الاخبار بوفاة الاشرفى استادارا الصحبة الذى توجه قاصدا الى بلاد ابن عثمان وكانت وفاته بحلب وكان لا بأس به فى ذاته وفيه خلع السلطان على الماس الاشرفى أحد خواصه وقرره فى استادارية الصحبة عوضا عن برسباى الاشرفى بحكم وفاته وعين قاصدا الى ابن عثمان وفيه خلع السلطان على جانبك الاشقر الدوادار وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وخلع على قانصوه خمسمائة الخاصكى أحد مماليك السلطان وقرره فى امرية الركب الاول وقانصوه هو الذى تسلطن ولم تتم له السلطنة وجرى له ما جرى وفيه أمر السلطان بتوسيط عبد صغير السن قد ذبح سيدته وأخذ ماله وهرب فقبض عليه من ليلته وفى

جمادى الآخرة ثار جماعة من المماليك الجلبان على السلطان بالقلعة ومنعوا الامراء من الصعود واستمر الحال على ذلك غد ذلك اليوم حتى سكن الامر قليلا بعد ما قصدوا جماعة من خواص السلطان وفيه من الوقائع الغريبة ان شخصا حلبيا كان عنده مسن من الرخام الاخضر له عنده نحو من ثلاثين سنة فاتفق أن ذلك المسن سقط من يد صاحبه فانكسر نصفين فخرجت منه دودة غريبة الشكل فمد الحلبي يده اليها وأخذها بقلبها فلدغته فى اصبعه فاضطرب ساعة ووقع لوقته ميتا وهذا من غريب الاتفاق وفيه أرسل يشبك يسأل فى الحضور فان العسكر قد قلق من قلة العليق فلما بلغ السلطان خنق واغتاظ ثم أذن لهم بالحضور بعد ذلك وفى رجب نزل السلطان وتوجه الى الرماية ببركة الحبش فاصطاد ثلاثة كراكى وعاد من يومه وشق من القاهرة فى موكب حافل وفيه ثار جماعة من الجلبان بالقلعة ومنعوا الامراء والمباشرين من الصعود الى القلعة وكان رأس الفتنة شخص من مماليك السلطان يقال له على باى الخشن فلما خمدت هذه الفتنة ضربه السلطان نحو امن ألف عصا ونفاه الى الشام فجاءت الاخبار بعد مدة بأنه سقط عليه حائط ومات تحت الردم ففرح فيه غالب الناس وفيه جاءت الاخبار باستقرار قراجا الطويل الاينالى فى نيابة حماه عوضا عن بلاط اليشبكى بحكم صرفه عنها وحمل بلاط عقيب ذلك الى السجن بقلعة دمشق ومات فى السجن بعد مدة يسيرة وكان قد شاخ وجاوز السبعين سنة من العمر وفى شعبان عاد الاتابكى أزبك من البحيرة وخلع عليه السلطان ونزل الى داره فى موكب حافل وفيه حضر من الجند جماعة كثيرة ممن كان فى التجريدة صحبة الامير يشبك الدوادار فلما حضروا اختفوا بالقاهرة ولم يظهروا وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن أبا بكر بن مزهر كاتب السر عطس بحضرة السلطان فشمته السلطان مرتين فعد ذلك من النوادر وفى رمضان أنعم السلطان على تغرى بردى طط بتقدمة ألف وهى تقدمة قجماس الاسحاقى مضافة الى تقدمة قراجا الطويل الاينالى وقد انتقل الى نيابة حماه وفيه قرر ملاح اليوسفى الظاهرى فى نيابة القلعة وفيه كان دخول الامير يشبك الدوادار الى القاهرة وقد عاد من التجريدة فكان يوم دخوله يوما مشهودا خلع عليه السلطان ونزل الى داره فى موكب حافل وفيه كان ختم البخارى بالقلعة وخلع فى ذلك اليوم على قضاة القضاة ومشايخ العلم وفرقت الصرر على الفقهاء وفيه جاءت الاخبار بوفاة عالم دمشق الشيخ زين الدين خطاب بن عمر بن مهنا بن يوسف بن يحيى العجلونى وكان عالما فاضلا مفتيا من أعيان الشافعية ومولده سنة تسع وثمانمائة وفى شوال كان موكب العيد حافلا حضر فى ذلك اليوم بالقلعة قاضى مكة البرهان بن ظهيرة وولده أبو السعود وأخو البرهان بن ظهيرة وكان الشريف بركات ابن أمير مكة حاضرا وجماعة من أعيان مكة فخلع السلطان

على

على الجميع فى ذلك اليوم وفيه خرج الحاج على العادة وكان أمير ركب المحمل جانى بك الاشقر وأمير ركب الاول قانصوه خمسمائة فالتزم الامير يشبك بعمل بركه من ماله وكان الامير يشبك قد عقد على أخت قانصوه وصاهره وخرج صحبة الحاج شاهين نائب جدة وخرج القاضى ابراهيم بن ظهيرة وجماعته وابن أمير مكة قاصدين التوجه الى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وعظمها وقد أوردوا للسلطان فى هذه الخطرة نحوا من مائة ألف دينار فأكرمهم السلطان وأجلهم ورتب لهم ما يكفيهم من الاسمطة وغير ذلك وأنزلهم فى بيت أم ناظر الخاص يوسف الذى ببركة الرطلى ورأوا فيها بهجة أيام النيل ثم بعد ذلك سافروا وفيه وقف الامير يشبك الدوادار الى السلطان واستعفى من الوزارة ومن الاستادارية فاجابه السلطان الى ذلك ولكن حتى يغلق سنته وكان من أمره ما سنذكره وفى ذى القعدة

رسم السلطان ليشبك الجمالى بان يخرج قاصدا لابن عثمان ملك الروم وأبطل المماس الذى كان قد تعين قبل ذلك وفيه تزوج ازدمر الطويل الاينالى بنت الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وكان له مهم حافل وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان ونزلوا الى جهة بولاق فنهبوا ما فيها ثم قصدوا شونة الامير يشبك الدوادار فنهبوا ما فيها وصاروا يأخذون جمال السقايين ويحملون ما نهبوه من الشعير فلما تزايد الامر منهم نزل السلطان وهو سائق ومعه مقدم المماليك ولكن ما نزل الا بعد فوات الامر وحصل منهم فى ذلك اليوم غاية الضرر للناس من نهب وخطف بضائع الناس وغير ذلك فبات السلطان تلك الليلة فى جامع زين الدين الاستادار الذى ببولاق فاضافه تلك الليلة بعض قضاة بولاق وهو القاضى تقى الدين البرماوى امام الجامع المذكور وخطيبه ضيافة حافلة فشكر له السلطان ذلك وفى ذى الحجة قصد جماعة من المماليك الجلبان الاخراق بالامير يشبك الدوادار وقصدوا قتله ففر منهم وتوجه الى نواحى الجيزة حتى تخمد الفتنة قليلا فاستمر غائبا نحوا من خمسة عشر يوما ففى هذه المدة كثر القال والقيل بين الناس وامتنع الامراء من الصعود الى القلعة والسلطان مقيم بالدهيشة كالغضبان من مماليكه والابواب مغلقة عليه فطلع الاتابكى أزبك وأزبك اليوسفى وتمر حاجب الحجاب وكاتب السر وشرف الدين الانصارى وآخرون من الامراء على أنهم يتلطفون بالسلطان ويمشوا بينه وبين مماليكه بالصلح فامتنع السلطان من ذلك وصمم على عدم الصلح مع المماليك ثم خرج الى الحوش وجلس على الدكة وطلب من كان رأس الفتنة فى هذه الحركة وهو شخص من المماليك يعرف بالاقطش فأمر بتوسيطه فجردوه من ثيابه فى الحال فشفع فيه الامراء فما أجاب الا بعد جهد كبير ثم ضرب ذلك المملوك فوق ألف عصا وسجنه بالبرج وهذا كله جرى والامير يشبك غائب فى الجيزة لم يحضر الا بعد أيام حتى سكنت هذه الفتنة وفيه حضر الملك المنصور عثمان بن

الظاهر جقمق بطلب من السلطان وهذه ثانى مرة حضرها الى القاهرة فلما حضر أكرمه السلطان وخلع عليه ونزل فى دار الاتابكى أزبك عند أخته ثم أمره بالصعود الى القلعة لضرب الكرة مع الامراء وعومل معاملة السلاطين فى ارخاء البند الاصفر وتغيير الفرس فى مكان يغير فيه السلطان فرسه حتى عد ذلك من النوادر التى ما وقعت قط وأقام الملك المنصور بالقاهرة نحو شهرين حتى عاد الى دمياط وكان فى غاية العز والاكرام ووقع له أمور ما وقعت لاحد من أبناء الملوك قبله وكان حضوره الاول بسبب الحج وهذه المرة بسبب زيارة السلطان وفيه جاءت الاخبار بوفاة البدرى حسن بن المزلق ناظر جيش دمشق وكان رئيسا حشما ولى عدة وظائف سنية وفيه توفى الامير سودون الافرم المحمدى الظاهرى وكان أحد مقدمى الالوف ولكن مات وهو طرخان وكان بيده امرية عشرة يأكلها حتى مات وفيه توفى الشيخ الصالح المعتقد سيدى محمد الاسلامبولى رحمة الله تعالى عليه وكان يعرف بالاقباعى وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ومكاشفات خارقة وفيه جاءت الاخبار بوفاة ملك التكرور رحمه الله تعالى وكان من أجل ملوك التكرور قدرا وفيه توفى عبد القادر بن جانم نائب الشام وكان شابا حسنا لا بأس به وتوفى فى هذه السنة جماعة كثيرة من الاعيان لم نذكرهم خوف الاطالة

879 فى المحرم

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثمانمائة فيها فى المحرم قدم قاصد حسن الطويل وعلى يده مكاتبة تتضمن الاعتذار عما كان منه وأن ذلك لم يكن باختياره فاكرم السلطان ذلك القاصد واظهر العفو عما جرى منه وكان أشيع عن حسن الطويل أنه قتل وأظهر بعض التركمان قميصه وهو ملطخ بالدم ثم ظهر كذب هذه الاشاعة وقد ذكرموته غير مرة ثم يظهر أنه كذب وفى صفر أمر السلطان بقطع خصيتى شخص من الاتراك يقال له شاهين وهو خازندار اينال الاشقر وكان نقل عنه للسلطان انه فعل الفاحشة ببعض مماليكه الاحداث وأنه كثير العشرة لهم فخصاه السلطان بمصر العتيقة وبرئ من ذلك بعد مدة وعاش مدة طويلة ومات وكان ذلك فى أيام ظهور شخص يهودى بمصر العتيقة عارف بالاخصاء وفعل ذلك مع جماعة كثيرة من الناس وبرئوا من ذلك وفى ربيع الاول تغير خاطر السلطان على الامير قانصوه الخفيف الاينالى أحد مقدمى الالوف فرسم لنقيب الجيش بأن يتوجه الى داره ويخرجه منفيا الى دمياط فتوجه اليه وأخرجه من يومه وحصل لقانصوه الخفيف منه غاية البهدلة وأخرجه خروج الشؤم فكثر القال والقيل بسبب ذلك وفيه فى ليلة الخميس عاشره ثارت فتنة عظيمة من المماليك الجلبان وقصدوا قتل الامير يشبك وهو فى داره فلما بلغ السلطان ذلك بعث للاتابكى أزبك وبقية الامراء أن يلبسوا آلة الحرب وأن يثبوا على المماليك الجلبان فاضطربت الاحوال وماجت القاهرة وغلقت الاسواق واتسع أمر الفتنة فأشار

فى صفر

بعض

بعض الامراء على السلطان بخمودهـ ـذه الفتنة وخشوا من أمر طائفـة الاينالية لانهم
تأثروا النفى قانصوه الخفيف فبعث السلطان الماس استادار الصحبة ومعـه عدة وافرة من
المماليـك الجلبان الى دار الامير يشبك الدوادار فقبلوا يده واعتـذروا له بما وقع منهـم
فأكرمهـم وخلع على الماس كاملية بسمور وأرضى الجلبان بالكلام وسكنت الفتنة
قليـلا وفيـه أنعم السـلطان على ورديش نائب البيرة بتقدمـة ألف وهى تقدمـة
قانصوه الخفيف بحكم نفيـه الى دمياط وفيـه توفى تنم العجمى بن ططخ الظاهرى أحـد
الامراء العشراوات وكـان خشداش الاتابكى أزبك وكان لا بأس به وفيه رسم
السـلطان بنفى سـودون المؤيدى فنفاه الى مكة وكان قد نسب الى شئ من أمر الفتنة
الماضية مع المماليك الجلبان وقد وشى به بعض المماليك عند السلطان فنفاه وفيه فى ليلة
عيد ميكائيـل نزلت النقطة وأمطرت السماء فى تلك الليـلة مطرا غزيرا حتى عد ذلك من
النوادر وفيه بعث الامير يشبك الدوادار الى القاضى عـلم الدين شاكر بن الجيعان يسأله فى
اسـتبدال قاعات البرابخية التى ببولاق ودفع لهم الثمن من ذلك خمسة آلاف دينار وكان
قاضى القضاة الحنفى شمس الدين صمم على عـدم الاستبدالات قاطبة فضيق عليـه الامير
يشبك حتى استبدل له البرابخية فقامت عليه الألسنة بسبب ذلك وفيه جاءت الاخبار من
القـدس بوفاة خاربك الظاهرى الخشقدمى الذى سموه سلطان ليلة وكان رئيسا حشما
وجرى عليه شـدائد ومحن ونفى فى عـدة أماكن من البلاد وآخر الامر توفى بالقـدس
الشريف وفيه وفى النيل المبارك وقد توقف أياما وحصل للناس غاية القلق حتى بعث الله
تعالى بالوفاء وكان لعشرين من مسرى فلما وفى نزل الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة
وسر الناس بذلك وفيـه كان المولد النبوى وكان له يوم مشهود وفى ربيع الآخر ظهر
بالسماء نجم له ذنب طويل وكان يظهر بعد العشاء واستمر على ذلك مدة ثم اختفى وفيه
كانت وفاة العلامة الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودونى الحنفى وكان عالما فاضلا
فقيها حاذقا كثير النوادر مفتيا من أعيان الحنفية وكان مولده فى سنة احدى وثمانمائة
وكان نادرة عصره وفيـه خلع السلطان على جانى بك الاشقر وقرره فى امرية الحاج بركب
المحمل وقرر جانى بك الخشن الاينالى فى امرية الركب الاول وفيه نفى السلطان جماعـة
كثيرة من مماليكه منهـم اينال الخفيف الذى ولى حاجب الحجاب فيما بعد وغيره من
المماليك السلطانية ممن أثار تلك الفتن الماضية وفيـه قدم للسلطان قاصد من عند ابن
عثمان ملك الروم وعلى يده مكاتبة تتضمن الشفاعة فى اينال الحكيم وكان قد جرى عليه
كائنة وفر الى ابن عثمان فقبل السلطان شفاعته وأكرم ذلك القاصد وخلع عليه وأقام
بمصر مدة ثم عاد الى بلاده وفى جمادى الاولى فى ليلة الجمعة كانت وفاة الامام العالم العلامة

محيي الدين الكافيجي وهو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي وكان اماما عالما فاضلا بارعا في العلوم ماهرا في الفقه والحديث والعلوم العقلية وغير ذلك وانتهت اليه رياسة مذهبه بمصر وصار مفتيها على الاطلاق وألف في العلوم الجليلة وكان مهيبا معظما عند السلطان والامراء ولي عدة وظائف منها مشيخة الخانقاه الشيخونية ومشيخة تربة الاشرف برسباى وغير ذلك وشهرته تغني عن مزيد التعريف به ومولده سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وكان من أفاضل الحنفية رحمه الله تعالى وفيه يقول المنصوري وقد أضافه في خلوته بحلاوة قرع فقال فيه

ياعين أعيان الزمان ويا * محيي بمصر سنة الشرع
لم يقرع الباب امرؤ نحوكم * الا وذاق حلاوة القرع

ولما مات رثاه المنصوري بهذه الابيات

بكت على الشيخ محيي الدين كافيجي * عيوننا بدموع من دم المهج
كانت أساريرهذا الدهر من درر * تزهى فبدل ذاك الدر بالسبج
فكم ترى من سماح من مكارمه * فقرى وقوم بالاعطاء من عوج
يانور عين لم أراه اليوم منطفئا * وكانت الناس تمشي منه في سرج
فلو رأيت الفتاوى وهي باكية * رأيتها من نجيع الدمع في لجج
ولو سرت بثناء عنه ريح صبا * لاستنشقوا من شذاها أطيب الارج
ياوحشة العلم من فيه اذا اعتركت * أبطاله فتوارت في دجى الرهج
لم يلحقوا شأو علم من خصائصه * أنى ورتبته في أرفع الدرج
قد طال ما كان يقرينا ويقرئنا * في حالتيه بوجه منه مبتهج
سقياله وكساه الله نورسنا * من سندس بسدا الغفران منتسج

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو طرا وأقام بها الى آخر النهار وعاد وفي عقيب ذلك رسم السلطان بنفي اثنين من الاينالية وهذا أول الفتك بهم وفيه توفي سودون المنصوري مات قتيلا سقط من سطح وكان مشغول الرأس فمات لوقته وكان شابا حسن الشكل كثير الاسراف على نفسه فقصد السلطان أن يصلي عليه فلما علم كيفية موته لم يصل عليه نعوذ بالله من ذلك وفيه خلع السلطان على خشقدم الاحدى الطواشي وقرره في الوزارة عوضا عن الامير يشبك الدوادار بحكم استعفائه عنها وقرر قاسم شغيته في نظر الدولة فلما أحضروا الخشقدم الخلعة شرع يلطم بيديه على وجهه ويبكي وصار يدعي الفقر والعجز ويكرر الاستعفاء والسلطان لم يلتفت لكلامه فلبس الخلعة ونزل الى داره وفيه حضر قاصد من عند ملك الهند وعلى يده هدية للسلطان

ومن جملتها سبع عظيم الخلقة وخيمة كبيرة وغير ذلك فاكرمه السلطان وخلع عليه وفيه نزل السلطان وتوجه الى خليج الزعفران ونصب هناك تلك الخيمة التى أهداها له ملك الهند وكانت غريبة فاقام هناك ثلاثة أيام فصادف دخول الامير يشبك الجمالى الذى كان توجه الى ابن عثمان ملك الروم فعاد من سفره وقابل السلطان فى خليج الزعفران وعليه خلعة ابن عثمان ومكاتبة تتضمن التودد بينهما فانسر السلطان بذلك وفيه أمر السلطان ببناء ما تهدم من جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه فقيل انه صرف عليه خمسة آلاف دينار وفى جمادى الآخرة خلع السلطان على الشيخ سيف الدين الحنفى وقرره فى مشيخة الخانقاه عوضا عن محيى الدين الكافيجى وخلع على ابن قاضى القضاة سعد الدين الديرى وقرره فى مشيخة الشيخونية وكانت مشيخة المؤيدية مع أولاد ابن الديرى بحكم شرط الواقف فعادت اليهم وفيه أعيد السيد الشريف موفق الدين أحمد الحموى فى نظارة الجيش لدمشق عوضا عن ولد برهان الدين النابلسى وكان قد وليها بعد وفاة البدر بن مزلق وفيه وقعت تشحيطة صعبة بالقاهرة وعز وجود الخبز من الدكاكين وتزاحم الناس على شراء القمح واستمر ذلك مدة حتى دخل المغل الجديد وفى رجب قرر السلطان الشيخ أبا عبد الله القلجانى المغربى قاضى الجماعة فى مشيخة تربة السلطان وقرر فى خطبتها الشيخ أبا الفضل الحرقى وقرر بها ثلاثين صوفيا يحضرون فى الخمسة أوقات وقرر فيها شيخ الميقاتية بدر الدين المارديني وقرر فى قراءة المصحف بها ناصر الدين الاخميمى وخازن الكتب بها العلائى على بن خاص بك وبنى للصوفية حول التربة عدة بيوت يسكنون بها دائما ثم رتب لهم الجوامك والخبز والزيت والصابون وغير ذلك من أنواع البر والمعروف وخطب بها فى الشهر المذكور وحضر الامراء والقضاة الاربعة وأرباب الدولة قاطبة وكان يوما حافلا وفيه خلع على القاضى أبى الفتح المنوفى وقرره فى نيابة جدة عوضا عن شاهين الجمالى وأضيف اليه الصرف أيضا عوضا عن محمد بن عبد الرحمن وفيه غضب السلطان على شادبك أباز الاينالى الاشرفى أحد العشراوات فالبسه زنطا عتيقا وأمر بحمله الى خان الخليلى ليباع وقد ثبت أنه باق على ملك المنصور عثمان بحكم انه ورثه من قانى باى الجركسى فأمر السلطان بان يباع ويحمل ثمنه الى الملك المنصور فشفع فيه الاتابكى أزبك فاقبل منه وآل الامر الى أن حمل شادبك أباز وآخر من الاينالية يقال له خاير بك وآخر يقال له سيباى فحملوا الى الملك المنصور فاشهد على نفسه بعتقهم ثم نفى شادبك الى دمشق وخاير بك الى طرابلس وشفع فى سيباى بأن يقعد بمصر بطالا وقد بلغ السلطان ما غير خاطره عليهم قيل انهم قصدوا الوثوب على السلطان لما وثب المماليك على الامير يشبك الدوادار فانكشف رخ جماعة الاينالية فى هذه الحركة وصار السلطان ينفى منهم جماعة بعد جماعة ممن كان رأس الفتنة فى هذه الحركة

وفيه طلع الى السلطان شخص من الفقهاء يقال له شهاب الدين القلقيلى ورفع قصة يشكو فيها الشيخ عبد البر بن الشحنة بانه سلط غلمانه وعبيده عليه فضربوه ضربا مبرحا وذكر فى آخر القصة أن عبد البر جاهل ما يحسن قراءة الفاتحة وأن الصلاة خلفه لا تصح فاز السلطان مع القلقيلى على عبد البر فرسم السلطان باحضار عبد البر وجماعة من مشايخ القراء وقرأ عبد البر بحضرتهم والسلطان جالس والقلقيلى حاضر فلما سمعه المشايخ القراء شكروا قراءته فقال السلطان على القلقيلى وكان قد حلف برأس السلطان أن عبد البر ما يحسن قراءة الفاتحة فلما ظهر للسلطان كذب القلقيلى أمر بضربه فضرب بين يديه ضربا مبرحا وأمر بحمله الى القاضى المالكى ليفعل به ما يوجبه الشرع وانتصر عبد البر عليه وفيه جاءت الاخبار بوفاة الناصرى محمد بن شادبك الترکمانى الحلبى نائب طرابلس وفيه توفى يشبك الظاهرى السيفى على باى نائب قلعة دمشق وكان لا بأس به وفيه نزل السلطان للرماية فلما عاد شق من القاهرة وكان له يوم مشهود وفيه وقع بين الامير يشبك الدوادار وخشقدم الوزير حتى صرح الامير يشبك بعزل نفسه من الدوادارية وأغلق بابه ولم يجتمع بأحد من الناس حتى ركب اليه الامير الكبير أزبك وجماعة من الامراء وتلطفوا به حتى طلع معهم الى القلعة وخلع السلطان عليه كاملية بسمور وأصلح بينه وبين خشقدم الوزير وباس خشقدم يد الامير يشبك وخمدت هذه الفتنة التى بينهما وفيه جاءت الاخبار بوفاة بلباى العلائى الظاهرى نائب صفد وكان لا بأس به وولى نيابة الاسكندرية ثم نيابة صفد ومات وهو فى عشر الستين وفى شعبان توفى بكتمر البواب الابو بكرى الاشرفى وكان لا بأس به وفيه نزل السلطان الى الاصطبل وحكم به وكاتب السر بين يديه على دكة لاجل قراءة القصص وحضر يشبك الدوادار وشكا كاتب السر وهو واقف بين يدى السلطان فأمره أن ينزل ويقف بين يديه بازاء خصمه حتى يدعى عليه وحضر آخر وشكا جانى بك الفقيه ففعل به كذلك وفيه توفيت خوند بدرية بنت الاشرف اينال وكانت لا بأس بها وتركت عدة أولاد ذكور واناث وفيه وصل قاضى القدس وهو فى الحديد ومعه جماعة من أعيان أهل القدس وهم فى الحديد بسبب هدم كنيسة هنالك وقد ثار بسبب ذلك شر كبير بين العلماء وكتبت عدة فتاوى بسبب تلك الكنيسة وصار يفتى بعضهم بالهدم وبعضهم بالابقاء وفيه هجم طائفة من العربان المفسدين على جماعة من الناس فى أثناء طريق المنية واستمروا يعرون الناس من المنية الى قنطرة الحاجب وكان ذلك بعد العصر وكان أول الربيع وسلبوا أثواب المتفرجين وطلعوا من على قناطر الاوز وخرجوا الى الفضاء وكانوا نحو من عشرين خيالا فكان من جملة ما سلبوه أثواب شخص من الامراء العشراوات يقال له كسباى المغربى وكان راجعا من طريق المنية فاخذوا سلاريته من فوقه وفيه توفى

تانى بك الازدمرى الحاجب الثانى وكان قد شاخ وبلغ من العمر نحو امن تسعين سنة وفيه عرض السلطان من فى السجون فاطلق منهم أربعة أنفار لاغير وأعاد البقية الى السجون وفى رمضان صعد القضاة الاربعة ومشايخ العلم ليهنؤا السلطان بالشهر فامر السلطان بعقد مجلس بين يديه بسبب كنيسة اليهود التى هدمت بالقدس فافتى الشيخ أمين الدين الاقصرائى بجواز هدمها وكذلك شمس الدين الجوجرى وزين الدين الابناسى وأفتى الشيخ سراج الدين العبادى وقاضى الجماعة القلجانى المغربى المالكى وآخرون من العلماء بعدم جواز الهدم وانها تعاد الى ما كانت عليه فوقع فى المجلس القال والقيل من العلماء وكثر الخبط وانفض المجلس على غير طائل وأمر السلطان بعقد مجلس آخر فى دار بشبك الدوادار وكان السلطان مائلا الى عدم هدم الكنيسة واعادتها الى ما كانت عليه وقد مال جماعة من العلماء مع غرض السلطان وحكم باعادتها الى ما كانت عليه ووقع بين قاضى القضاة المالكى اللقانى وقاضى الجماعة ما لا خير فيه وكذلك سراج الدين العبادى والجوجرى ومما هجى به السراج العبادى

أيا سراج اليهود طرا * ومن لدين العزير أفتى
عصبة أهل الكتاب قالوا * لن ترضى عنك اليهود حتى

وقيل فى قاضى الجماعة من جملة أبيات فى ذلك المعنى

تفتى بعود كنيسة * يا مغربى ما أنت الا

وفيه توفى اينال الاشقر البجاوى الظاهرى أمير سلاح وكان أميرا جليلا شجاعا بطلا وكان ظالما غشوما عسوفا كثير الاسراف على نفسه وكان عنده كرم زائد مع اتضاع وأصله من مماليك الظاهر جقمق وولى عدة وظائف سنية منها ولاية القاهرة ونيابة ملطية ونيابة حلب ورأس نوبة كبير وامرية سلاح وغير ذلك من الوظائف وكان فى آخر عمره ظهر به جذام وبرص فاحش جدا وفيه قرر بشبك قرقماس الاشرفى فى نيابة دمياط وفيه توجه السلطان نحو الطرانة وكان معه الاتابكى أزبك فاقام هناك أياما وعاد وفيه قرر مغلباى سرق الاشرفى فى حجوبية الحجاب بدمشق وفيه فر من العربان من حبس الديلم شخص من بنى حرام يقال له عمر بن معروف وفر من سجن القاعة شخص يقال له محمد بن زامل وفر من سجن المقشرة أيضا شخص يقال له ابن صالح الكل فروا فى مدة يسيرة من هذا الشهر وفى ثالث شوال خرج الاتابكى أزبك مسافرا الى الحجاز وصحبته زوجته بنت الملك الظاهر جقمق وخرج معهم الامير أزبك اليوسفى ومعه زوجته خوند بنت عم الملك الظاهر جقمق وخرج معهم الشيخ أمين الدين الاقصرائى وولده أبو السعود فحج الشيخ أمين الدين فى محفة وقد بعث له السلطان سبعمائة دينار يستعين بها على الحج وخرج صحبتهم الكثير من

الناس وقد سبقوا الحاج بعشرين يوما وفيه خلع السلطان على قريبه ازدمر بن مزيد وقرره
فى نيابة صفد عوضا عن بلباى العلائى الظاهرى بحكم وفاته وفيه خرج الحاج على العادة
ولما حج الشيخ أمين الدين الاقصرائى فى المحفة قال فيه بعض شعراء العصر هذين البيتين

محفة الشيخ الاقصرائى * تنشد جدواه فى المشاهد
تقول طوبى لمثل هذا * قد حج بالناس وهو قاعد

وكان أمير الركب فى السنة المذكورة جانى بك الاشقر أحد خواص السلطان وبالركب
الاول جانى باى الخشن الاينالى تاجر المماليك وفى السنة المذكورة حجت خوند فاطمة
زوجة السلطان بنت العلائى علاء الدين بن خاص بك فكان يوم خروجها يوما مشهودا
وكان لها موكب حافل وخرجت فى محفة زركش برصفيات لؤلؤ مرصعة بانواع المعادن
المثمنة وخرجت صحبتها أخت السلطان فى محفة زركش وخرج معها خمسون جملا من المحاير
المحمل الملون ومشى قدام محفتها بالرميلة جميع أرباب الوظائف والدولة وغير ذلك من
المباشرين ومشى الزمام ومقدم المماليك وأعيان الخدام بايديهم العصى وقدامهم من
الحداة أربعة منهم ابراهيم بن الجندى المغنى وأبو الفوز الواعظ وغير ذلك فكان تجملا زائدا
قل ان يقع لاحد من الخوندات مثله فعد ذلك من النوادر وكان المتسفر عليها والدها العلائى
على بن خاص بك وبرسباى المحمودى الخازندار وفيه من الحوادث انه قبل خروج خوند الى
السفر رسم السلطان بشنق جارية بيضاء جركسية فشنقت على جميزة بالقرب من حدرة ابن
قميحة عند الاحواض التى بطريق مصر العتيقة وكانت هذه الجارية حملت من بعض
مماليك السلطان فلما علم السلطان بذلك شنق الجارية وأغرق المملوك وقيل بل خصاه
ونفاه الى الشام وفيه اضطربت أحوال الشرقية بسبب فساد العربان من بنى حرام وبنى
وائل فعين السلطان لهم الامير يشبك الدوادار فخرج مبادرا وفى ذى القعدة هجم عرب
غزالة على ضواحى الجيزة ونهبوا خيول المماليك وقتلوا جماعة من الغلمان وأطلقوا من كان
فى السجن فتنكد السلطان لهذا الخبر وعين عدة من الامراء والجند فخرجوا على جمة
فاقاموا هناك أياما وعادوا ولم يظفروا بأحد من العربان المفسدين وفيه توفى بيبرس
الطويل الاشقر بن ططخ أحد مقدمى الالوف بدمشق وكان لا بأس به وفى ذى الحجة
جاءت الاخبار من الاسكندرية بوفاة الملك الظاهر تمربغا أبى سعيد الظاهرى الرومى مات
بثغر الاسكندرية وقد جاوز الستين سنة من العمر وكان ملكا جليلا شجاعا بطلا عارفا بأنواع
الفروسية وافر العقل كامل الهيئة واليه تنسب أشياء كثيرة من آلة الحرب ورمى النشاب
ولعب الرمح وكان من خيار الظاهرية اشتراه الملك الظاهر جقمق فى سنة سبع وعشرين
وثمانمائة وأعتقه ثم آل أمره الى أن بقى سلطانا وجرى عليه شدائد ومحن ونفى عدة مرار وجرى

عليه

عليه من المماليك الخشقدمية مالا خير فى اعادته وخلع من السلطنة بعد ثمانية وخمسين يوما وآخر الامر مات قهرا كما قيل فى المعنى

هى الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت
وتفعل بالذين بقوا * كما فى من مضى فعلت

وفيه أمر السلطان بتوسيط كاشف البحيرة وهو شخص يسمى خشقدم الزينى فوسطه هو وشخص من الكتاب يقال له ابن الطواب وقد تجمد عليهما مال لم يقوما به وفيه ضرب السلطان فلوس جدد ثم نودى عليها كل رطل بستة وثلاثين ونودى على الفلوس العتق كل رطل باربعة وعشرين فخسر الناس فى هذه الحركة ثلث أموالهم وكانت الفلوس تخرج بالعدد كل أربعة أفلاس بدرهم وفيه قدم مبشر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة وكان المبشر يومئذ شخص من الخاصكية يقال له جان بلاط الغورى فاخبر بوفاة أبى السعود محمد ابن الشيخ أمين الدين الاقصرائى مات وهو عائد من مكة ودفن فى أثناء الطريق وكان شابا حشما رئيسا من أهل العلم والفضل وتوفى كاتب السر الذى بطرابلس السيد الشريف تقى الدين أبو بكر بن أحمد وكان لا بأس به

880 ثم دخلت سنة ثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم خلع السلطان على الشيخ بدر الدين ابن الغرس الحنفى وقرره فى مشيخة تربة الاشرف برسباى عوضا عن الكافيجى بحكم وفاته وفيه رسم السلطان بتوسيط عمر بن أبى الشوارب شيخ قليوب وقد ضرب بالمقارع بين يدى السلطان وشهر على جمل ووسط بقليوب وفيه فى سابع عشره كان وصول الاتابكى أزبك من مكة المشرفة وحضر صحبته الشيخ أمين الدين وهو فى غاية التشويش على فقد ولده أبى السعود وقد وقع له ما يشبه الذهول فلم يلبث بعد دخوله القاهرة سوى تسعة أيام ومات فلما طلع الى السلطان خلع عليه وعلى الاتابكى أزبك ونزلا الى دورهما وفيه فى رابع عشريه دخل الحاج الى القاهرة وقد تأخر عن ميعاده باربعة أيام وحصل للحاج عطشة شديدة عند العود وكان الحاج فى تلك السنة كثيرا ثم دخلت خوند زوجة السلطان الى بركة الحاج وهى فى تجمل زائد ولاقاها الامراء قاطبة حتى القضاة وترجلوا اليها من فوق بغالهم وهى فى المحفة ولاقتها المغانى من البيوت ومدت لها هناك أسمطة حافلة فلما طلعت الى القلعة رفعت على رأسها القبة والطير ونثرت عليها ضنائف الذهب والفضة وكان لها بالقلعة يوم مشهود ودخل اليها التقادم من أرباب الدولة وأعيان الناس وفيه فى سابع عشريه كانت وفاة شيخ الاسلام أمين الدين يحيى بن محمد الاقصرائى الحنفى رحمه الله تعالى وكان قد ناف على الثمانين سنة من العمر وكان مولده سنة سبع وتسعين وسبعمائة وكان اماما عالما فاضلا مفتيا به نفع للمسلمين

من أجل علماء الحنفية بارعا فى الفقه دينا خيرا قائما فى الحق يخاشن الملوك والسلاطين
ويغلظ عليهم فى القول ولا يخشى الا الله تعالى وكان فى سعة من المال وولى عدة
وظائف سنية منها مشيخة المدرسة الاشرفية ومشيخة المدرسة الصرغتمشية والايتمشية
والجانبكية وكان بيده عدة تداريس وطلب ليلى القضاء غير مرة وهو يتمنع وفى صفر
خلع السلطان على قريبه جانم الشريفى وقرره فى نظر الجوالى وهذا أول استظهاره
فى الوظائف وفيه توفى الأمير قانى باى الساقى الطويل الظاهرى أحد الامراء الطبلخاناة
والحاجب الثانى وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه نزل السلطان الى طرا ومعه الاتابكى
أزبك فبات هناك ومدله الاتابكى أسمطة حافلة فبات وعاد من غده وفيه توفى الشيخ نجم
الدين اسحق القرشى الحنفى كان من أعيان علماء الحنفية ومولده قبل التسعين وسبعمائة
وكان لا بأس به وفيه توفى تمر حاجب الحجاب وهو تمر بن محمود شاه الظاهرى وكان ظالما
غشوما عسوفا شديد القسوة تولى ولاية القاهرة وحجوبية الحجاب وكان فى أيام ولايته صارما
على العبيد والغلمان وغير ذلك وقتل منهم جماعة كثيرة حتى قيل أحصى من قتله فى أيام
ولايته فكان زيادة على السبعمائة انسان فلما مات قال جماعة من أهل الصحراء انهم
سمعوه يعوى فى قبره كما تعوى الكلاب نعوذ بالله من ذلك وفيه طلع القلعة شخص من
الامراء العشراوات يقال له دولات باى حلاوة المحمودى فبينما هو واقف بين الامراء اذ
اضطرب فحملوه الى تحت الكرمة التى بالحوش فمات لوقته فاحضر له تابوت وأنزلوه الى داره
ودفن من يومه وكان دينا خيرا لا بأس به وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى
وكان حافلا وحضره القضاة الاربعة وأعيان الناس من الامراء وغيرهم وفيه خلع
السلطان على القاضى تاج الدين ابن المقسى وأعيد الى نظر الخاص وقد نسى العلقة
بالمقارع التى دخلت فى أجنابه وانفصل عنها القاضى بدر الدين بن كاتب السر بن مزهر
وفيه خلع السلطان على الامير أزدمر الابراهيمى الطويل الاينالى وقرر فى حجوبية الحجاب
عوضا عن تمر بحكم وفاته وفيه قرر السلطان فى الحجوبية الثانية سيباى الظاهرى
الذى كان أميرا خور ثانى وقرر ازدمر المسرطن فى الخازندارية الكبرى عوضا عن ازبك
اليوسفى بحكم انتقاله الى تقدمة ألف وفيه توفى الامير يشبك حلس بن اقبردى الاشرفى
أحد الامراء العشراوات وكان دينا خيرا لا بأس به وفى ربيع الآخر خلع السلطان
على الشيخ برهان الدين بن الكركى وقرره فى مشيخة المدرسة الاشرفية عوضا عن الشيخ أمين
الدين الاقصرائى بحكم وفاته وفيه أشيع بين الناس أن السلطان يقصد السفر والخروج
بنفسه الى البلاد الشامية فنزل بالميدان الكبير الذى بالناصرية وعرض هناك خيول
الدشار ثم توجه الى بولاق ونزل فى بيت شرف الدين الانصارى الذى ببولاق فاضافه

الانصارى هنالك ضيافة حافلة وكان الانصارى قد أنشأ غرابا تحت داره فنزل السلطان فيه وتوجه الى شبرى ثم عاد قريب المغرب وطلع الى القلعة وفيه فى ثانى عشر مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان له يوم مشهود وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن اعزلو بن حسن الطويل قد وقع بينه وبين أبيه وقد بعث يستنجد بنائب حلب على أبيه فجهز نائب حلب معه جماعة من عساكر حلب وجعل عليهم باش اينال الحكيم اتابك حلب وجانم السيفى وجانى بك نائب جدة وكان يومئذ نائب البيرة ودولات باى المحوجب وآخرين من أمراء حلب فلما خرجوا الى عسكر حسن الطويل تقاتلوا معهم فانكسر عسكر حلب وجرح محمد اعزلو جرحا بليغا ورجع الى حلب فى خمسة أنفار وان اينال الحكيم فقد فى المعركة وان دولات باى أسر فى المعركة وقتل من عسكر حلب جماعة كثيرة فلما بلغ السلطان هذا الخبر تشوش له وعين جماعة من الامراء منهم الاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وتمراز رأس نوبة النوب وأزدمر الطويل حاجب الحجاب وبرسباى قراوخاربك بن حديد ووردبش وعين من الامراء الطبلخانات والعشراوات عدة وافرة وأمرهم بأن يتجهزوا ويكونوا على يقظة حتى يرد عليهم من أمر حسن الطويل مايكون فاضطربت أحوال العسكر فبينما هم على ذلك اذ ورد كتاب من ابن الصوا يخبر فيه بأن عسكر حسن الطويل عاد الى بلاده ولم يحصل منه ضرر فانشرح السلطان لهذا الخبر وبطلت التجريدة التى تعينت الى حسن الطويل فكان كما قيل

وكم هم تساءبه صباحا * فتأتيك المسرة بالعشى

وفيه توفى عضد الدين السيرامى شيخ المدرسة البرقوقية وهو عبد الرحمن بن يحيى بن سيف بن محمد بن عيسى الحنفى السيرامى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما من أعيان علماء الحنفية بارعا فى الفقه مفتيا وكان لا بأس به فلما توفى خلع السلطان على قاضى القضاة شمس الدين الامشاطى وقرره فى مشيخة البرقوقية عوضا عن السيرامى وفيه خلع السلطان على أزبك فشق الظاهرى وقرره فى امرية الاخورية الثالثة عوضا عن سيباى بحكم انتقاله الى الجوبية الثانية وفيه خلع السلطان على ولد برهان الدين النابلسى وأعيد الى نظارة الجيش بدمشق وصرف عنها الشريف موفق الدين الحموى وفيه توفى جمال الدين الباعونى قاضى القضاة الشافعية بدمشق وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وكان قد ترشح أمره ليلى قضاء مصر فلم يتم له قضاء مصر وكان مولده سنة خمس وثمانمائة وفى جمادى الاولى خلع السلطان على قجماس الاسحاقى وقرره فى الامير اخورية الكبرى عوضا عن جانى بك الفقيه الظاهرى بحكم انتقاله الى امرية سلاح عوضا عن اينال الاشقر بحكم وفاته وخلع على قانم قشير الظاهرى أحد العشراوات وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن قجماس الاسحاقى

بحكم انتقاله الى امرية الاخورية الكبرى وفيه خلع على بردبك السيفي جرباش كرت وقد
ظهر أنه قريب السلطان فقرره في نيابة صفد عوضا عن ازدمر بن مزيد قريب السلطان
أيضا وفيه نقل ازدمر المذكور الى نيابة طرابلس عوضا عن يشبك البجاسي وكان
بردبك السيفي يومئذ شاد الطرانة فاستكثر عليه الناس نيابة صفد دفعة واحدة وفيه توجه
الى دمشق برهان الدين النابلسي وكيل بيت المال وقد خرج في بعض أشغال السلطان
وفيه وصل القاضي شمس الدين بن أجا قاضي العسكر وكان قد توجه قاصدا الى حسن
الطويل فأخبر بأن الطاعون قد هجم في بلاده ومات من عسكره ما لا يحصى وقد تلاشى
أمره فسر السلطان بهذا الخبر وفيه قدمت الى القاهرة زوجة حسن الطويل أم ولده محمدا
اعزلو تستجير لولدها محمد بالسلطان بأن يشفع له عند أبيه ويصلح بينهما فلما قدمت أكرمها
السلطان وأنزلها بدور الحريم وفيه نقبت قاعة الذهب وسرق منها عدة سبائك وشريط
ذهب فلما بلغ السلطان ذلك ضيق على والي القاهرة حتى يفحص عمن فعل ذلك ثم بعد أيام
ظهر أن شخصا يقال له يوسف وكان من جملة صناع القاعة انه هو الفاعل لهذا فقبض عليه
وعرض على السلطان وأخذ ما كان معه من السبائك الذهب وسجن بالمقشرة الى أن يرد
أمر مولانا السلطان فيه بما يقتضيه وفي جمادى الآخرة جاءت الاخبار من دمشق بأن
برهان الدين النابلسي وكيل السلطان لما دخل الى دمشق صدرت منه القبائح العظيمة
بأهل دمشق فأطاقوا ذلك ورجموه ورموا عليه بالسهام وأحرقوا داره بالنار وأرادوا قتله
فركب نائب قلعة دمشق بنفسه وتلطف بالعوام حتى سكنت هذه الفتنة قليلا وقد كادت أن
تخرب دمشق في هذه الحركة بسبب ظلم النابلسي وكان قد طغى على الناس وتجبر وكان هذا
أكبر أسباب الفساد في حقه حتى آل أمره الى ما سنذكره في موضعه وفيه نزل السلطان
من القلعة وتوجه الى نحو طرا فاضافه هناك ابن البلاخ وكان أحضر بين يديه قدورا مختومة
بها شهد ففتحت منها قدرة بين يدي السلطان وهو جالس على السماط فلما فتحت خرج منها
نحلة كبيرة فقصدت وجه السلطان دون الجماعة الذين على السماط فلدغته في جفن عينه
فورم وجهه في الحال وتشوش لذلك ورجع من وقته فطلع الى القلعة فانقطع عن اقامة
الخدمة أياما حتى شفي وفيه جاءت الاخبار من بلاد الشرق بوقوع فتنة بين شاه بضاع بن
دلغادر وصاحب الابلستين وبين ابن قرمان ووقع بينهما مقتلة عظيمة ووقع أيضا بين حسن
الطويل وبين أخيه أويس وبعث اليه طائفة من عسكره بالرها فحاربوا أويسا وقتلوه ومن
معه من العسكر وفيه توجه السلطان الى ثغر دمياط وقد توجه الى دمياط مرة أخرى قبل
ذلك وفي هذه السفرة الثانية توجه الى دمياط من البحر في عدة مراكب كثيرة نحو من مائة
مركب وكان معه من الامراء يشبك الدوادار وآخرون من الامراء المقدمين والعشراوات

وجماعة من المباشرين والخاصكية من المماليك السلطانية ووقع له وهو حادر فى البحر أنه رمى على كركى من كراكى بجزيرة فى البحر فصرع الكركى فتحامل وألقى نفسه فى البحر فبادر اليه بعض السلحدارية ونزل فى البحر ليحضر الكركى فقوى عليه الطيار فغرق من وقته فتنكد السلطان بسبب ذلك فلما طلع الى ثغر دمياط لاقاه النائب ومدله مدة حافلة فأقام بها أياما وهو فى أرغد عيش وتنزه فى غيطان البلد وتوجه الى مكان يصاد فيه السمك البورى ونزل فى مركب صغير وعاين كيف يصاد البورى وانشرح فى هذه السفرة الى الغاية فلما أراد العود الى القاهرة عاد فى البحر أيضا ونزل فى المركب قاصدا الديار المصرية فلما أن وصلوا الى بولاق سيب النفطية صواريخ نفط فجاء منها صاروخ فى مركب الامير يشبك الدوادار فعملت النار فى قلع المركب فاحترق فاضطرب الامير يشبك من ذلك وصار يدفع عن وجهه النار بالمخدة فأدركه طواشى يقال له مرجان الحبشى فبينما هو يطفئ النار اذ سقط عليه الصارى فمات لوقته هو وشخص من المماليك السلطانية فكانت مدة غيبة السلطان فى هذه السفرة نحوا من خمسة عشر يوما وطلع الى القلعة فى سلخ الشهر وفى رجب صعد القضاة الى القلعة للتهنئة بالشهر وقدوم السلطان من السفر فخلع فى ذلك اليوم على أبى البقا ابن قاضى القضاة ابن الشحنة وقرر فى قضاء الشافعية بحلب عوضا عن عز الدين الحساوى بحكم صرفه عنها وفى أثناء هذا خرج السلطان على حين غفلة وقصد التوجه الى القدس الشريف وكان معه الاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وآخرون من الامراء والخاصكية وجماعة من أعيان المباشرين وغيرهم فلما دخل الى القدس أظهر به العدل وأقام به ثلاثة أيام ثم زار الخليل عليه السلام وتصدق فى القدس والخليل بستة آلاف دينار وأزال بهما كان من المظالم التى كانت حادثة هنالك ولما مر بالقرين أمر ببناء جامع وسبيل هنالك وحصل له جملة تقادم حافلة من أعيان الناس هنالك ولما دخل الى غزة خلع على سيباى الظاهرى أحد العشراوات وقرره فى نيابة غزة عوضا عن يشبك العلائى بحكم انتقاله الى أتابكية دمشق ثم ان القاضى تاج الدين بن المقسى ناظر الخاص قدم من عند السلطان وأخبر أنه قد وصل الى قطيا فخرج جماعة من الامراء الى لقائه وفى عشرى شعبان وصل السلطان ودخل الى القاهرة فى موكب حافل وقدامه الامراء بالشاش والقماش وخرج طائفة اليهود والنصارى وبأيديهم الشموع الموقدة وشق من القاهرة وكان له يوم مشهود حتى طلع الى القلعة وكان فيه ختان بدر الدين ابن القاضى كمال الدين ناظر الجيش وكان له مهم حافل وفيه توفى القاضى محيى الدين الطوخى أحد نواب الشافعية وهو عبد القادر بن محمد بن محمد القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا وجيها عند الناس ناب فى القضاء مدة طويلة وحمدت سيرته وكان لا بأس به وتوفى السيد الشريف

أمير جان تاجر المماليك وكان رئيسا حشما في سعة من المال وكان وجيها عند الناس والملوك والسلاطين وجلب غالب أمراء عصرنا وصاروا يعرفون بالشريفي الى الآن وفيه حضر مهنا بن عطية بين يدى السلطان وقد بعث اليه بمنديل الامان وكان رأس العربان المفسدين وقد أعيا الامراء والكشاف ومشايخ العربان ولم يقدروا على تحصيله فترامى مهنا بن عطية على أحمد بن طفيش حتى قابل به السلطان وخلع عليه خلعة الرضا ودخل تحت طاعة السلطان وفيه توفى جانى بك الاشقر الدوادار أحد خواص السلطان وكان رئيسا حشما عارفا سيوسا توجه الى الحجاز أمير حاج غير مرة وكان مقربا عند السلطان وكان أصله من مماليك قانى باى فرفور واتصل بخدمة جماعة من الامراء ثم خدم الاشرف قايتباى من حين كان أمير طبلخاناه الى أن بقى سلطانا فانعم عليه السلطان بامرية عشرة وكان فى سعة من المال وفيه توفى شاهين الفقيه الزينى وكان من أعيان الخاصكية محمود السيرة دينا خيرا لا بأس به وفى رمضان خلع السلطان على الامير لاجين الظاهرى أمير مجلس وقرره أمير ركب المحمل عوضا عن جانى بك الاشقر المتوفى وكان قرره أمير ركب المحمل قبل موته وفيه وصل دولات باى المحوجب وكان قد أسر عند حسن الطويل فأطلقه وخلع عليه وفيه توفى سيباى أمير اخور ثالث وكان قد ولى حاجب ثان وأصله من مماليك الظاهر جقمق وكان يعرف بسيباى بن بخشباى وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بان بعض تجار الافرنج احتال على تجار الاسكندرية حتى أسرهم وكان فيهم تجار السلطان وهم ابن عليبة يعقوب وعلى الكيزانى وعلى التمراوى فلما أسروهم خرجوا بهم من الاسكندرية فى الوقت والساعة وتوجهوا بهم الى بلاد الافرنج فاضطربت أحوال الاسكندرية وكادت أن تخرب فلما كاتبوا السلطان بذلك تأثر لهذا الخبر وعين فى الوقت خاصكيا من خواصه يقال له قيت الساقى الذى تولى ولاية القاهرة فيما بعد وكتب معه مراسيم شريفة لنائب ثغر الاسكندرية بالقبض على جميع تجار الافرنج الذين بالاسكندرية فلما توجه قيت الساقى هنالك قبض على تجار الافرنج من سائر السواحل وضيق عليهم وأودعهم فى الحديد وألزمهم بان يكاتبوا ملوك الافرنج بما جرى عليهم من السلطان بسبب التجار وقد قام السلطان فى هذه الحادثة قياما تاما وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وآخر الامر اشترى التجار الذين أسروا أنفسهم من ملوك الافرنج بمال له صورة حتى أطلقوهم وأتوا بهم الى الاسكندرية كما سيأتى الكلام على ذلك وفيه خلع السلطان على قانى باى جشحه العلائى الظاهرى الرماح وقرره فى الجوبية الثانية عوضا عن سيباى الظاهرى بحكم وفاته وخلع على دولات باى الحسنى وقرره فى شادية الشون عوضا عن قانى باى جشحه وفيه توفى الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل

الكركى الحنفى والد برهان الدين امام السلطان وكان دينا خيرا من صوفية خانقاه الشيخونية وكان لا بأس به وفيه توفى مقبل الدوادار وكان أصله من مماليك تغرى بردى المؤيدى وكان متكلما على شعير الذخيرة وفيه قرر فى مشيخة الحرم الشريف النبوى اينال الاسحاقى وكانت عادة مشيخة الحرم للخدام الطواشية من قديم الزمان وقرر فى باشية الجند بمكة المشرفة قانى باى اليوسفى وفى شوال خلع السلطان على أبى الفتح المنوفى وقرره فى نيابة جدة على العادة وفيه خلع السلطان على شخص من النصارى يقال له ميخاييل من نصارى منفلوط وقرره بترك النصارى وفيه خرج الحاج وكان أمير ركب المحمل لاجين الظاهرى أمير مجلس وبالركب الاول جانى باى الخشن الاينالى وخرج صحبة الحاج شرف الدين الانصارى وكان الامير يشبك الدوادار حاطا عليه فخرج الى مكة المشرفة وكان آخر عهده بالقاهرة وقد تسلط عليه برهان الدين النابلسى وأخذ منه وكالة بيت المال فضاق الامر عليه فترك مصر ومضى عنها كما قيل فى المعنى

لعمرى ما ضاقت بلاد باهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفى ذى القعدة أشيع بين الناس أن خزانة السلطان سرق منها مال له صورة فظهر بعد أيام أن الفاعل لذلك جماعة من بوابى الدهيشة الالواحية فقبض السلطان على بعضهم وضربه فاحضر المال فرسم بسجنه فى المقشرة فسجن وفيه سافر السلطان الى الفيوم وهى السفرة الثانية وكان معه الاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وجماعة من المقدمين والعشراوات وكان سبب توجهه الى الفيوم أن خاير بك بن حديد أنشأ هناك ضيعة وجعل بها طاحونا تدور بالماء وأنشأ بها بستانا هائلا فتوجه السلطان ليرى ذلك وفيه خسف القمر خسوفا تاما حتى أظلم الجو وأقام الخسوف نحوا من أربعين درجة وفى ذى الحجة كان عيد النحر يوم الجمعة وخطب فيه خطبتان وفيه قدم قطب الدين الخضيرى من دمشق وقد أتى يشكو من بدر الدين النابلسى وقد تزايد ظلمه وجوره فى حق الناس جدا وفيه كان ختان أولاد الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وكان الختان بثغر دمياط فبعث السلطان اليه بألفى دينار بسبب احتياج المهم وتوجه ابن رحاب المغنى وصار بخدمته حتى انقضى مهمه وكان له مهم حافل وفيه وصل مبشر الحاج وأخبر بالامن والسلامة وأخبر بوفاة القاضى المالكى محيى الدين عبد القادر بن أبى القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المعطى الانصارى السعدى المالكى قاضى مكة المشرفة وكان عالما فاضلا فقيها نحويا ولى قضاء مكة مدة طويلة وكان محمود السيرة وفيه توفى تنم الفقيه الابو بكرى المؤيدى أحد الامراء العشروات وكان صهر الشيخ أمين الدين الاقصرائى وكان لا بأس به وتوفى اينال الابراهيمى الحكيم الاشرفى أتابك حلب وكان لا بأس به وتوفى جقمق المؤيدى أحد

العشراوات وكان دينا خيرا انسانا حسنا لا بأس به ۞ وفى هذه السنة المذكورة أعنى سنة ثمانين وثمانمائة كان ابتداء منشا الازبكية على يد المقر الاتابكى أزبك بن طط الظاهرى الذى نسبت الازبكية اليه (أقول) وكانت هذه البقعة أرض ساحة خرابات كيمان فى أرض سباخ وبها أشجار أثل وسنط وبها مزار سيدى عنتر وسيدى وزير وغيرهما من الاولياء رضى الله عنهم ورحمهم وكان فى هذه الارض جامع الجاكى وهو باق الى الآن وكانت هذه الارض قديما عامرة بها المناظر والبساتين وتسمى مناظر اللوق وكانت قريبة من بحر النيل ثم ان بعض الملوك حفر بها خليجا وأجرى اليه الماء من فم الخور وصار هذا الخليج يعرف بخليج الذكر وبقى من جملة منتزهات القاهرة وبنى على هذا الخليج قنطرة وفوقها دكة للمتفرجين يجلسون عليها للفرجة وفيها يقول ابراهيم المعمار

ياطالب التكة تلت المنى * وفزت منها ببلوغ الوطر
قنطرة من فوقها تكة * وتحتها تلتقى خليج الذكر

واستمرت هذه البقعة على ماذكرناه الى سنة خمس وخمسين وستمائة فلما تلاشى أمرها وضعف جريان الماء فى خليج الذكر وحفر الملك الناصر بن قلاون خليجه المسمى بالخليج الناصرى وذلك فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة طم خليج الذكر وخربت مناظر اللوق التى هناك وصارت هذه البقعة خربة مقطع طريق واستمرت على ذلك مدة طويلة لم يلتفت اليها أحد من الناس ثم ان شخصا من الناس عمر حماما كان هناك وفتح له بجمونا من الخليج الناصرى فجرى فيه الماء فى أيام زيادة النيل فلا زال يجريه حتى أوصله بارض الازبكية فصار يدخل اليها الماء فى آخر الزيادة ويروى بها بعض أراضيها ويزرع بها البرسيم والشعير واستمرت على ذلك مدة الى سنة ثمانين وثمانمائة فى دولة الاشرف قايتباى فحسن بال الاتابكى أزبك أن يعمر هناك مناخا لجماله وكان ساكنا بالقرب من هذه البقعة فلما أن عمر المناخ حلت له العمارة هناك فبنى القاعات الجليلة ثم الدوار والمقعد والمبيتات والحواصل وغير ذلك ثم انه أحضر أبقارا ومحاريث وجرف الكيمان التى كانت هناك ومهدها ثم حفر بها هذه البركة الموجودة الآن وأجرى اليها الماء من الخليج الناصرى وجدد عمارة قنطرة خليج الذكر التى كانت قديمة ثم بنى على هذه البركة رصيفا محتاطا بها وتعب فى ذلك تعبا عظيما حتى تم له ما أراد من ذلك وكان فى قوة الحريدور خلف المحاريث فى الكيمان وغيرها وصرف على ذلك مالا له صورة يزيد على مائتى ألف دينار وكان ذلك فى غير طاعة الله تعالى ولا به نفع للمسلمين ثم شرعت الناس تبنى على هذه البركة القصور الفاخرة والاماكن الجليلة ولا زالت تتزايد فى العمارة الى سنة احدى وتسعمائة وقد رغب الكثير من الناس فى سكنى الازبكية وصارت مدينة على انفرادها ثم أنشأ بها الجامع

الكبير وجعل به خطبة وأنشأ به منارة عظيمة فجاء غاية فى الحسن والتزخرف والبناء وفيه يقول شمس الدين القادرى

بنى جامعا لله يلتمس الرضا * به ونجاة من أليم عقابه
وفكر فى الحشر الذى عقباته * طوال يهول المرء قطع عقابه
فاكرم به من جامع من ثوى به * فلم يخل منشيه اذا من ثوابه
فيا فوز عبد مؤمن قد جنى به * ثمارا أجور من رياض جنابه
عظيم أجور لا ينوب منابه * سواه لأجر نال كل المنابه

ثم أنشأ حول هذا الجامع الربوع والحمامات والقياصر والطواحين والافران وغير ذلك من المنافع وسكن فى تلك القصور وتمتع بها مدة طويلة حتى مات وبقى له تذكار الازبكية على ممر الايام والاوقات وقال فيه شمس الدين القادرى رحمه الله تعالى

لأزبك مولانا المقر عمارة * بها السعد يسمو للنجوم الشوابك
بمملكة الاسلام لم أر مثلها * ولا الناس طرا فى جميع الممالك
بنى جامعا للحسن أصبح جامعا * تقر به العينان من كل ناسك
به شرفت تلك العمارة واغتدت * مكرمة عند الملا والملائك
اذا قال قوم من أتابك للعلا * يقول لهم سعد الامير الاتابكى

وكان عند فتح سد هذه البركة تجتمع عنده الامراء المقدمون بالقصر وتأتى الناس اليها للفرجة أفواجا ويكون لها يوم مشهود وكان يصنع فى كل سنة وقدة هائلة لم يسمع بمثلها وينفق بها فى تلك الليلة أموالا جمة بسبب الفرجة ويضرب حول البركة عدة خيام ويقع بها من القصف والفرجة أشياء غريبة وتكون ليلة حافلة وقد ألف فى هذه الازبكية شيخنا الشيخ شمس الدين القادرى مقامة لطيفة كلها غرر تشتمل على نثر ونظم وقد أوردتها فى كتابى نزهة الامم فى العجائب والحكم ولما كملت عمارة الازبكية ودخل الماء الى بركتها أنعم السلطان قايتباى على الاتابكى أزبك بارضها وكتب له بذلك مرسومة شريفة وكانت أرض الازبكية وقفا على خزائن الاسلام وفيه توفى الشيخ نور الدين بن بردبك الحنفى وكان عالما فاضلا بارعا فى نظمه من ذلك قوله

نعمان خد حبيبى * قد جاء الخال يسعى
فورث الخال حسنا * وقال بالارث شرعا

٨٨١ ثم دخلت سنة احدى وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم خرج الاتابكى أزبك ومعه عدة من الامراء والجند الى قتال بينه وبين العربان وكان قد تزايد شرهم فلما توجه اليهم تقاتل معهم وقبض على جماعة منهم وقاسى العسكر مشقة زائدة وطردوا خلفهم الى الاودية المعطشة

حتى بلغ الكرا زالماء أكثر من دينار وفيه تغير ماء النيل عند نزول النقطة فى لونه وطعمه
حتى تغير منه طعم الماء جدا وصار الناس يشربون من الآبار والصهاريج وفيه توفى
الناصرى محمد بن أبى الفرج نقيب الجيش وهو محمد بن عبد الله بن عبد الرزاق ابن أبى
الفرج وكان أصله من الأرمن وكان رئيسا حشما وولى عدة وظائف سنية منها
الاستدارية الكبرى ونقابة الجيش وغير ذلك وفيه جاءت الاخبار من الاسكندرية بان
الافرنج قد أطلقوا من كان عندهم من التجار الذين كانوا أسروهم وقد اشتروا أنفسهم بمال
له صورة حتى أطلقوهم وقد جرى عليهم أمور يطول شرحها حتى خاصوا من بلاد الافرنج
واستمر ابن عليبة من يومئذ مريضا الى أن مات بعد مدة وفيه رسم السلطان بشنق حذيفة
ابن نصير الدين وكان رأس المفسدين وشنق معه ثلاثة أنفار من أصحابه وفى صفر خلع
السلطان على قطب الدين الخضيرى وأعاده الى قضاء الشافعية وكتابة السر بدمشق على
عادته وغرم جملة مال فى هذه الحركة وفيه خرج الامير يشبك الى جهة الوجه القبلى بسبب
محاربة يونس وأخيه أحمد أولاد ابن عمر وفيه توفى جقمق الفقيه الحاصكى وكان دينا
خيرا وله اشتغال بالعلم وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه
توفى الشيخ تقى الدين الحصنى الشافعى وهو أبو بكر بن محمد بن شادى وكان عالما فاضلا بارعا فى
الفقه والعربية وغير ذلك من العلوم وكان دينا خيرا لا بأس به وولى عدة وظائف أى
تداريس منها تدريس المدرسة الصلاحية التى بجوار قبة الشافعى رحمه الله تعالى ورضى
عنه فلما مات قرر بها الشيخ زين الدين زكريا الانصارى عوضا عن الحصنى وفيه توفى قاضى
القضاة شهاب الدين أحمد المعروف بالمكينى وهو أحمد بن محمد بن بركوت الحبشى التاجر
الكارمى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما ربيب قاضى القضاة صالح البلقينى وولى عدة
وظائف سنية منها حسبة القاهرة ثم ولى قضاء الشافعية وغرم بسببها مالا له صورة ولم يمكث
فى القضاء سوى مدة يسيرة وعزل عنها وفيه حضر نجاب من مكة وأخبر بوفاة
القاضى شرف الدين الانصارى وهو موسى بن على بن سليمان التنائى الشافعى وكان رئيسا
حشما غير خال من فضيلة عارفا بأحوال المملكة سيوسا حسن الرأى وولى عدة وظائف
سنية منها نظر الجيش ونظر الخاص ووكالة بيت المال وغير ذلك من الوظائف السنية حتى
عد مدبر المملكة وكان مولده بعد العشرين وثمانمائة وفيه أرسل نائب الشام
جانى بك قلقسير هدية للسلطان من جملتها من الذهب النقد عشرة آلاف دينار وعدة جمالين
ما بين سمور ووشق وسنجاب وصوف وغير ذلك وفى ربيع الآخر وقع حريق عظيم بباب
السلسلة فاحترق من خيول السلطان الخاص ستة أرؤس وقد أعيا المماليك طفيه
وهدم من سور باب السلسلة جانب عظيم وفيه فى ثالث مسرى كان وفاء النيل المبارك

وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه توفى نائب الاسكندرية قانم قشير الظاهرى وكان لا بأس به وفى جمادى الاولى عاد الامير يشبك من بلاد الصعيد ولم يظفر بأولاد ابن عمر وفيه قرر فى امرية الحاج بركب المحمل تانى بك الجمالى الظاهرى أحد مقدمى الالوف وقرر اقبردى الاشرفى أمير ركب الاول وفيه حضر الى الابواب الشريفة قانصوه اليحياوى نائب حلب وكان قد أشيع عنه أنه قد خرج عن الطاعة فلما حضر خلع عليه السلطان باستمراره وبطلت تلك الاشاعة عنه وكان القائم فى أمر مساعدته الاتابكى أزبك أمير كبير وفى جمادى الآخرة نزل السلطان من القلعة وتوجه الى حليج الزعفران لضيافة أبى بكر بن عبد الباسط فاضافه ضيافة حافلة ثم ركب من حليج الزعفران وتوجه الى الخانقاه فصلى بها صلاة الجمعة وأضافه هناك الامير يشبك الدوادار ضيافة حافلة وفى رجب وقع بالقاهرة زلزلة فى الليل عظيمة وقع منها بعض أماكن ولو أنها دامت درجة أخرى لحصل منها غاية الضرر للناس وفيه تعطلت أسباب الناس لاجل الفلوس العتق وكثر الضرر منها على البائع وصار النصف الفضة يصرف بثمانية عشر من الفلوس العتق وصارت البضائع بسعرين سعر الفضة وسعر الفلوس فحصل للناس بذلك غاية المشقة وفيه وقع بين الامير يشبك الدوادار الكبير وبين خاير بك بن حديد تشاجر بالقلعة فخنق منه الامير يشبك الدوادار ولكمه بيده فرمى تخفيفته عن رأسه فدخلت بينهما الامراء وخلصوا بينهما واستمرت القلوب معمرة بالعداوة حتى كان من أمر خاير بك بن حديد ما سنذكره وفى شعبان نزل السلطان الى الرماية وعاد فى موكب حافل لكنه لم يشق من القاهرة وطلع من بين التربة وقد تكرر نزوله فى الشهر المذكور ثلاث مرات وهو يطلع من بين التربة ولا يشق المدينة وسبب ذلك الفلوس الجدد حتى لا يشكوه الناس من ذلك وفى رمضان نودى على الفلوس بستة وثلاثين الرطل وصارت بالميزان وأبطل عددها ونودى على الفضة المضروبة بان لا يتعامل بها الا بالميزان وكذلك الذهب وبطل أمر العادة وفيه أشيع بين الناس بان السلطان ينزيا بزى المغاربة وينزل الى الجامع الازهر ويصلى به وكان يسأل فى بعض الطرقات من الناس عن سيرة نفسه ووقع له بين الناس فى هذا الامر أشياء غريبة يطول الشرح فى ذكرها وبعض الناس كان يحط عليه فى أفعاله وهو يسمع كلامه باذنه ممن يسأله وفيه توفى جانى بك المشد وكان موته فجأة بعد أن صلى التراويح وكان قد شاخ وكبر سنه وأصله من مماليك الاشرف برسباى وولى شادية الشراب خاناه فى دولة الاشرف اينال ثم بقى مقدم ألف ونفى الى دمياط فى دولة الظاهر خشقدم ثم حضر الى القاهرة فى دولة الاشرف قايتباى ومات بها وهو طرخان وفيه كان ختم البخارى بالقلعة على العادة وفرقت الخلع والصرر على الفقهاء وفيه فشا أمر الطاعون بالقاهرة وهذا هو الطاعون الثانى الذى وقع

فى دولة الاشرف قايتباى ومات به فى الشهر المذكور القاضى عبد الكريم بن جلود وهو عبد الكريم بن أبى الفضل بن اسحاق القبطى وكان رئيسا حشما وولى كتابة المماليك بعد أبيه وكان فى حداثة سنه لم يلتح وباشرها أحسن مباشرة وكان له حرمة وافرة وكان مولده قبل السبعين والثمانمائة وفيه توفى قانصوه رفرف وكان من أعيان الخاصكية مقربا عند السلطان شابا مليح الشكل حسن الهيئة كثير الادب والحشمة عارفا بالفروسية وكان لا بأس به وفى شوال تزايد أمر الطاعون وفتك بالمماليك والاطفال والعبيد والجوارى والغرباء فتكا ذريعا وكان طاعونا مهولا يموت فيه الانسان من يومه وفيه يقول الشهاب المنصورى رحمه الله تعالى

لهفى على مصر وولدانها * أضحوا الى الموت يساقونا
ما نشر الفصل سهام الردى * عليهم الا طواعينا

وفيه حضر دولات باى النجمى الاشرفى حاجب الحجاب بدمشق وكان السلطان قد تغير خاطره عليه ولما حضر خلع عليه وأظهر له الرضا وفيه وصل السيد الشريف على بن بركات أخو أمير مكة المشرفة وكان حضر قبل ذلك الى القاهرة فشى السلطان بينه وبين أخيه بالصلح وتوجه الى مكة المشرفة فأقام بها مدة يسيرة ووقع بينه وبين أخيه ثانيا فعاد الى القاهرة هو وولده فأكرمه السلطان ورتب له ما يكفيه وأقام بمصر حتى مات وفيه خلع السلطان على قراجا السيفى جانى بك نائب جدة وقرره فى نيابة جدة عوضا عن أبى الفتح المنوفى بحكم انفصاله عنها وفيه خرج الحاج من القاهرة على عادته وكان يوما مشهودا وفى ذى القعدة تناهى أمر زيادة الطاعون ومات فيه من الاعيان جماعة كثيرة منهم الشيخ المسلك العارف بالله تعالى الولى الصالح محمد بن احمد بن محمد التونسى الشاذلى الوفائى المعروف بابى المواهب رحمة الله عليه وكان أصله مغربيا يعرف بابن رغدان وكان عالما صوفيا محققا أخذ عن أبى السعادات بن أبى الوفاء وألف عدة اجزاء جليلة وكان قد جاوز الستين سنة من العمر ودفن بتربة الشاذلية وتوفيت أخت السلطان خوندجان باى الجركسية وكانت لا بأس بها ومات جكم المصارع الاشرفى الخاصكى وكان لا بأس به ومات طوغان المحمدى الاشرفى وكان فى عشر الثمانين سنة وله اشتغال بالعلم ومات الشيخ عبد الكريم السيواسى الحنفى وكان من أهل العلم والفضل ومات عيسى بك أخوشاه سوار وكان مقيما بالقاهرة ومات كسباى بن ولى الدين الظاهرى الخشقدمى الذى كان دوادارا ثانيا فى دولة الظاهر تمربغا ومات تمربغا كاشف الشرقية وكان من مماليك السلطان وكان أمير عشرة فلما مات قرر عوضه على باى الذى ولى نيابة الاسكندرية فيما بعد ومات كرتباى كاشف البحيرة وكان أصله من مماليك جانى بك نائب جدة ثم ظهر أنه من قرابة السلطان وفيه مات الامام العالم العلامة الشيخ سيف الدين الحنفى وهو محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا التركى

القاهرى وكان عالما فاضلا ورعا زاهدا خيرا دينا صالحا ماهرا فى الفقه والحديث ولى مشيخة الجامع المؤيدى ومشيخة الخانقاه الشيخونية وغير ذلك من التداريس وكان متقشفا زاهدا عن ابناء الدنيا ومولده سنه ثلاث وثمانمائة وكان من خيار الحنفية ولما مات رثاه الشيخ العلامة العمدة الجلال السيوطى بهذه الابيات

مات سيف الدين منفردا * وغدا فى اللحد منغمدا
عالم الدنيا وصالحها * لم تزل أحواله رشدا
ناصر دين النبى اذا * ما أتاه ملحد كمدا
فى الذى قد كان من ورع * لم يخلف بعده أحدا
لم يكن فى دينه وضر * لا ولا للكبر منه ردا
عمره أفناه فى نصب * لاله العرش مجتهدا
ليت شعرى من نؤمله * بعد هذا الحبر ملتحدا
ثلمة فى الدين موتته * مالها من جابر أبدا
قدر ويناذا فى خبر * وهو موصول لنا سندا
فعليه هاملات رضا * ومن الغفران سحب ندا
وبعثنا ضمن زمرته * مع أهل الصدق والشهدا

وفى ذى الحجة فحش الطاعون جدا ومات من مماليك السلطان نحو من ألفى مملوك وزيادة خارجا عن المماليك القرانصة والسيفية ومات من الطواشية نحو من خمسة وعشرين نفرا حتى قيل ان السلطان حمل بطيخة صيفية بنفسه حتى دخل بها الى الحريم بدور الحرم لقلة الطواشية وفيه توفى بلباى الاعرج أحد العشراوات ومات قانى بردى الاشرفى المحمدى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب ومات أمير عربان هوارة سليمان بن عيسى وكان بالسجن وفيه نزل السلطان وتوجه الى الجامع الازهر وكان معه كاتب السر وبعض أمراء فلما دخل الجامع الازهر طلب قضاة القضاة وصعد معهم الى سطح الجامع ورسم بهدم ما كان بسطح الجامع من الخلاوى وحكم القاضى المالكى بهدم الجميع ثم انه رسم بترميم ما فسد من عمارة الجامع وصرف على ذلك نحو امن عشرة آلاف دينار وفى ذلك اليوم تصدق على الفقراء المقيمين بالجامع بنحو من ألف دينار ثم ركب وعاد الى القلعة وكان الطعن عمالا وفيه دخل مبشر الحاج وأخبر بالامن والسلامة وأن الموت كثير بمكة المشرفة بعلة البطن وكان قبل دخول الحاج يموت بها فى كل يوم نحو من أربعين انسانا وفيه مات بالطعن ابن لاجين اسمعيل المشهور بالعلاج بالحجارة والمقايرات وفيه

مات بالطعن سيدى عمر بن الامير دولات باى الدوادار المؤيدى وكان شابا حسنا جميل الوجه بهى المنظر بداعذاره وفيه يقول بعضهم

سعيت نحو حبيبى سعى مجتهد * وطفت حول حماه وانقضى الوطر

فمن له عمرة فى عمره اغتنمت * فليس يسعى على طول المدا عمر

وفيه مات بالطعن سيدى محمد ابن الامير يونس العلائى أميرا خور كبير وفيه توفى الجناب العالى الناصرى سيدى محمد ابن سيدى يعقوب ابن أمير المؤمنين محمد المتوكل وهو والد سيدى خليل وهو ابن أخى أمير المؤمنين يوسف المستنجد بالله وكان رئيسا حشما وكان ترشح أمره ليلى الخلافة بعد الجمالى يوسف فما تم له ذلك وفيه توفى محمد الصغير الكاشف وكان كبر سنه وشاخ وتوفى بهادر بن يشبك الظاهرى أحد مقدمى الالوف بدمشق ومات تمربای الحلب نائب قلعة حلب وكان من مماليك السلطان ومات كسباى ولد جانى بك الفقيه أمير سلاح وكان قدم من بلاد جركس ومات قانصوه نائب عينتاب وكان من مماليك السلطان ومات قايتباى بن نوركار الظاهرى أخو الامير قرقماس الحلب وكان من مماليك الظاهر خشقدم ومات يشبك الابراهيمى الاينالى أحد العشراوات ورؤس النوب ومات فى هذا الطاعون من الامراء العشراوات والخاصكية مالا يحصى عددهم وكان ممن مات بالطعن بترك النصارى اليعاقبة المسمى بميخاييل المنفلوطى وكان مشكورا فى بتركته محمود السيرة عند أهل ملته ولما دخلت خماسين النصارى خف أمر الطاعون بالنسبة لما كان عليه بعد أن أفنى من الناس مالا يحصى وقد خرجت هذه السنة والناس فى أمر مريج بسبب فقد أولادهم وعيالهم ومالا قوا فى هذه السنة خيرا ومما عد من محاسن الامير يشبك الدوادار المغسل الذى فتحه عند مدرسة السلطان حسن فحصل للناس به غاية النفع لاجل تجهيز الموتى ولاسيما الغرباء وقد حاز به غاية الاجر والثواب ومما عد من محاسنه أيضا أنه ركب يوما الى جهة المطرية فوجد فى طريقه شيخا على هيئة فلاح وهو قاصد للقاهرة ومعه قفة على كتفه وكان وقت انفجار الصبح فعبث عليه الامير يشبك وقال له ما فى قفتك فقال له بيض جئت به لأبيعه وأشترى لاولادى به خبزا فان معى ثلاث بنات فقال له الامير يشبك فيها كم بيضة وأنا أشترى منك ذلك فأخرج له الشيخ ما فى القفة من البيض فقال له عدهم فعدهم فاذا هم عشرون بيضة فأخذ منه ذلك البيض ودفعه للغلام ثم رسم لمن خلفه من المماليك بان يدفع لذلك الشيخ عشرين دينارا وقال له لو كان معك أكثر من ذلك لدفعت فى كل بيضة دينارا وقد اختلف فى عدد البيض الذى كان مع الشيخ قيل انه كان أكثر من عشرين بيضة فدفع له فى كل بيضة دينارا فعد ذلك من النوادر اللطيفة وكان الامير يشبك الدوادار فيه المحاسن والمساوى كما قيل فى المعنى

ترجو وتخشى حالتيك الورى * كانك الجنـــة والنار

882 ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم وصلت رأس أمير عرك وكانت قد قطعت بالوجه القبلى فلما أحضرت الى القاهرة طيف بها ثم علقت على باب زويلة وفيه جاءت الاخبار بان الامير أحمد بن عمر الهوارى قد فر من الصعيد فلما فر خلع السلطان على الامير يشبك الدوادار وقرره فى امريه هوارة عوضا عن الامير أحمد بن عمر فعد ذلك من النوادر وفيه توفى قانصوه قطز المحمدى الاينالى أحد العشراوات رؤس النوب ومات جانم الاصغر ابن السلطان وكان أحد العشراوات رؤس النوب وفيه وصل الحاج مع السلامة وحمدت سيرة تانى بك الجمالى أمير ركب المحمل وفيه توفى الامير دولات باى النجمى حاجب الحجاب بدمشق وكان من أعيان الاشرفية وفيه توفى الصاحب شرف الدين يحيى ابن صنيعة القبطى وكان رئيسا حشما لا بأس به تولى الوزارة عدة مرار وفيه نزل السلطان ومعه جماعة من الامراء فتوجهوا نحو العباسة والصالحية وكشف عن الجامع والسبيل والحوض التى أنشأها هناك بالعباسة فاقام هناك ثلاثة أيام ثم عاد الى القلعة وفى صفر

توفى الطواشى جوهر النوروزى الحبشى مقدم المماليك ثم الزمام وكان دينا خيرا وأصله من خدام الخواجا شمس الدين بن المزلق ثم وهبه لابنته زوجة نوروز الحافظى فنسب اليه وفيه توفى شرف الدين موسى بن كاتب غريب وهو موسى بن يوسف القبطى وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكان غير مشكور السيرة وعنده عسف وظلم فمات والناس عنه غير راضين وفيه شرع الامير يشبك الدوادار فى أمر توسيع الطرقات والشوارع والازقة فامر القاضى فتح الدين السوهاجى أحد نواب الشافعية بأن يحكم بهدم ما وضع فى الشوارع والاسواق بغير طريق شرعى من أبنية وربوع وحوانيت وسقايف ورواشن ومساطب ونحو ذلك واستمر الحال فى أمر الهدم حتى دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فحصل بذلك بعض نفع فى توسعة الطرقات ولكن حصل غاية الضرر لجماعة من الناس بسبب هدم ربوعهم وحوانيتهم وهدم لخوند شقرا ابنة الملك الناصر فرج ثلاثة ربوع فى الموازنيين أحدها كان لجامع الصالح خارج باب زويلة فاضطربت أحوال القاهرة وكثر الهدم فى الاماكن ولاسيما المطلة على الشوارع وحصل للقاضى فتح الدين السوهاجى غاية المقت بين الناس بسبب حكمه بهدم الاماكن وفى هذه الواقعة يقول الشهاب المنصورى

تكشفت عن محيا مصر الاستار * وخف عنها من الاثقال أوزار
واهتزت الارض منها بهجة ورنت * ولاح فيها اضاآت وأنوار
كانت كصبح تعالت فوقه ظلم * شتى فجاءلها بالنور اسفار
كانت كشمس تغشاها الغمام ضحى * فمزقته من الارياح اعصار

فاليوم أعطافها بالبشر مائسة * وقدّها فى حلى السعد خطار
وكانت الطرق قد شابت مفارقها * والشيب ان شان ما فى أخذه عار
ومنها لما شكا الناس من مصر مضايقها * وحار فيها من الحكام أفكار
فما تلقى أجور القاطنين بها * الا الامير الذى بالعرف امار
فهو الهمام النظام المرتقى درجا * ت الفضل يشبك مولانا الدوادار

وهذا اختصار القصيدة المطولة وفيه تغير خاطر السلطان على برهان الدين النابلسى وكيل بيت مال المسلمين فقبض عليه وسلمه للامير يشبك الدوادار ليستخلص منه الاموال فاستمر الامير يشبك يعاقبه واستخلص منه جملة أموال لها صورة وآخر الامر مات تحت العقوبة أثر موتة وقد أذاقه أنواع العذاب وتفنن فى عذابه تفننا زائدا قيل انه ضربه عدة مرار نحوا من ألفين وستمائة عصا وقلع أضراسه ودقها فى رأسه وغير ذلك من أنواع العذاب وكان أصله من دمشق وهو ابراهيم بن ثابت وكان أحد نواب الشافعية وله اشتغال بالعلم لكنه أدخل نفسه فى أمور السلطنة وطاش وظلم وجار عليهم ولم يفتكر فى عقبى ذلك فأخذ من الجانب الذى أمن اليه بعد أن عادى جميع الناس ممن بمصر والشام حتى الامراء وأعيان الناس وأعيان الدولة وشقى لنفع غيره حتى سلب من المال والروح وفيه قدم قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وعلى يده مكاتبة فاكرمه السلطان وعادله الجواب وسافر بعد أيام وفى ربيع الاول خلع السلطان على الصاحب خشقدم الاحمدى وقرره فى الخازندارية الكبرى والزمامية عوضا عن جوهر النوروزى فعظم أمره جدا وصار وزيرا وخازندارا وزماما وقرر مثقال الساقى الظاهرى رأس نوبة السقاة وكانت بيد خشقدم أيضا وفيه خلع السلطان على القاضى تاج الدين بن المقسى وقرره فى الاستادارية عوضا عن الامير يشبك الدوادار وقد استعفى منها فصار ابن المقسى استادارا وناظر الخاص فعظم أمره جدا وكان ذلك نهايته وانتهاء سعده وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة وكان يوما حافلا وحضر القضاة الاربعة وجميع الامراء فلما انقضى أمر المولد نزل السلطان من القلعة وقصد التوجه الى ثغر الاسكندرية فسافر من البر وجهز سنيحه فى المراكب وسافر صحبته من الامراء الاتابكى ازبك أمير كبير ويشبك الدوادار وتمراز رأس نوبة النوب وأزدمر الطويل حاجب الحجاب وعدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات والجم الغفير من الخاصكية والمماليك السلطانية وسافر معهم سائر المباشرين وكان القاضى كاتب السر بن مزهر متوعكا فى جسده وخرج وسافر مع السلطان وهو عليل وكان علم الدين شاكر بن الجيعان مريضا على غير استواء فتخلف بالقاهرة وانما سافر معه ولده عبد المغنى فلما وصل السلطان الى مدينة الاسكندرية تزينت له زينة حافلة وخرج الى لقائه الملك المؤيد أحمد بن الاشرف

اينال وهو بالشاش والقماش وكذلك قجماس الاسحاقى نائب ثغر الاسكندرية واصطف
الناس فى شوارع المدينة بسبب الفرجة فدخل السلطان فى موكب حافل وجميع من
معه من الامراء والعساكر ملبسين بآلة السلاح بالعدد الكاملة والاتابكى أزبك
حامل القبة والطير على رأسه والملك المؤيد بين يديه قدام الامراء وقدامه أعيان
المباشرين وأرباب الدولة وطلب طلبا حافلا وجرفيه مائتين وخمسين فرسا منها خمسون فرسا
بالسروج الذهب والكنابيش والبقية ملبسة بانواع الجواخين المكفته والبركستوانات من
المخمل الملون وفى الطلب بجاوش زركش وهى التى تعرف الآن بالجوشن ولعبوا قدامه
بالغواشى الذهب والاوزان عمال والشبابة ومشت قدامه الامراء رؤس النوب بالعصى
وشق المدينة فى ذلك الموكب الحافل وكان له يوم مشهود ثم ان بعض تجار الافرنج نثر على
رأسه ألف بندقى ذهب فتزاحمت عليه المماليك يلتقطون ذلك الذهب من الارض فكاد
السلطان أن يسقط عن ظهر فرسه من شدة ازدحام الناس عليه حتى أدركه الامير تمراز بيده
عصا فضرب الناس حتى خلص السلطان ومشى واستمر فى ذلك حتى خرج الى باب البحر
الذى هناك فنزل بالمخيم الذى نصب له على ساحل البحر الملح وكان من العادة القديمة أن
السلطان اذا دخل الى مدينة الاسكندرية تقفل أبواب المدينة وتلقى على الارض الى أن
يرحل السلطان عن المدينة فلم يوافق السلطان فايتباى على ذلك وأبقى كل شئ على حاله
ولم يدخل الاسكندرية سلطان من عهد الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون وقد
دخلها مرتين الاولى فى سنة سبع وستين وسبعمائة لما طرق الافرنج ثغر الاسكندرية
فدخلها على جرائد الخيل والثانية كانت فى سنة احدى وسبعين وسبعمائة فاوكب
بها فى هذه المرة وزينت له مدينة الاسكندرية وفرش له خليل بن عرام نائب الاسكندرية
الشقق الحرير ونثر على رأسه خفائف الذهب والفضة ومشت بين يديه الامراء وكان له بها
يوم مشهود وكان دخوله من باب رشيد فانه كان فى توجهه وتوجه من هناك الى الاسكندرية
فاقام بها ثلاثة أيام وعاد الى القلعة ثم توجه بعده الى الاسكندرية الملك الناصر فرج بن
برقوق فى سنة أربع عشرة وثمانمائة فلما دخلها كان له بها يوم مشهود فوقف له بعض
تجار المغاربة بقصة يشكوله من ظلم القباض لهم فابطل ما كان يؤخذ منهم من الثلث الى
العشر فارتفعت له الاصوات بالدعاء وعد ذلك من محاسن السلطان فرج ومن هنا رجع
الى اخبار الاشرف فايتباى فلما نزل بالمخيم مد له هناك قجماس نائب الاسكندرية مدة حافلة
ثم خلع على الملك المؤيد ونائب الاسكندرية ورجعا الى دورهما وصحبتهما الامراء قاطبة
فاقام هناك ثلاثة أيام ولعب الكرة فى الفضاء ولعب معه الملك المؤيد والامراء الذين
توجهوا معه ودخل عليه من تجار الاسكندرية تقادم حافلة ثم انه توجه نحو المنار القديم

الذى كان بثغر الاسكندرية ورسم بان يبنى على أساسه القديم برجا فبنى به برجا عظيما وهو الموجود الآن ثم ان السلطان رحل من الاسكندرية وتوجه الى نحو ادكو ودمنهور وغير ذلك من البلاد الغربية وانشرح السلطان فى هذه السفرة الى الغاية واستمر يرحل من مكان الى مكان على سبيل التنزه نحوا من أربعين يوما حتى عاد الى القلعة المنصورة ومن الحوادث أنه جاء فى غيبة السلطان قاصد من عند قراجا الطويل نائب حماه وأخبر أن نائب حماه ثار عليه أهل البلد ورجموه وأخرجوه منها وقتلوا دواداره وأحرقوه بالنار بسبب ظلمه وعسفه فى حق الرعية فلما بلغ السلطان هذا الخبر عين من هناك خاصكيا لكشف الاخبار ليرى الظالم من المظلوم وفيه حضر قاصد من مكة المشرفة وأخبر بنزول صاعقة عظيمة عند باب السلام فاحترق منها عدة أماكن وأخبر بوفاة قاضى القضاة المالكية بمكة المشرفة وهو محمد أبو اليمن بن أبى السعادات وكان من أهل العلم والفضل وأخبر أيضا بوقوع فتنة مهولة بين الشريف محمد بن الشريف بركات وبين قبيلة بنى جزازان وحصل بينهما ما لا خير فيه وآل الامر الى أن الشريف محمد قد قبض على شيخ بنى جزازان وفى ربيع الآخر كان وفاء النيل المبارك وقد وفى آخر يوم من أبيب وكسر فى أول يوم من مسرى فعد ذلك من النوادر وفيه يقول القائل

أرى نيل مصر قد غدا يوم كسره * اذا رام جريا فى الخليج تقنطرا
ولكن بهذا الكسر زاد تجبرا * وأفرط هجما فى القرى وتجسرا

(وقال آخر)

ان بحر النيل قد وفى لنا * ما عليه من قديم قررا
وقضانا الدين الا انه * حين وفى ما عليه انكسرا

وكان الوفاء فى غيبة السلطان فتوجه الامير لاجين أمير مجلس وفتح السد على العادة بأمر تقدم من السلطان له وكان يوما مشهودا وفيه كانت وفاة القاضى علم الدين شاكر ابن الجيعان بن عبد الغنى بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب الدمياطى الاصل القبطى المصرى متولى ديوان الجيش وكان رئيسا حشما وجيها عند الملوك والسلاطين وكان عنده تواضع زائد للناس قاطبة وله اشتغال بالعلم ومولده فى سنة سبعين وسبعمائة وهو الذى أنشأ الجامع الذى بالقرب من بركة الرطلى وكان نادرة فى بنى الجيعان وفيه وصل السلطان الى القاهرة وطلع الى القلعة وكانت مدة غيبته فى هذه السفرة نحو شهر وايام ودخل له تقادم حافلة فلما استقر بالقلعة خلع على الشرفى يحيى بن شاكر بن الجيعان وقرره فى وظيفة والده ومولده سنة عشرين وثمانمائة وفى جمادى الاولى عرض السلطان جماعة من أولاد الناس وقرر منهم من اختاره فى وظائف مثل طبردارية وجمدارية وغير ذلك وفيه

خلع السلطان على شمس الدين بن القوصونى وقرره فى رياسة الطب عوضا عن ابن العفيف وكانت انتهت عمارة قاعات الازبكية التى أنشأها الاتابكى أزبك فعزم على السلطان هنالك فنزل اليه وبات عنده فاضافه ضيافة حافلة ثم قدم له تقادم هائلة فشكره على ذلك ولم يقبل منها شيأ فلما اصبح توجه هو والامير يشبك الدوادار الى جهة المطرية فاضافه هنالك الامير يشبك فى القبة التى أنشأها هنالك فاقام عنده يوما وليلة وانشرح هنالك الى الغاية وشكر عمارة الامير يشبك على عمارة الاتابكى ازبك ثم طلع الى القلعة وبعث اليه الامير يشبك تقادم حافلة فقبل منها شيأ وردّ منها شيأ وفيه انتهت زيادة النيل الى اصبع واحد وعشرين ذراعا وثبت الى آخر بابة وقد كسر الجسور وقطع الطرقات وغرقت أراضى المنية وكان نيلا عظيما وفيه خلع السلطان على قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة وقرره فى مشيخة الخانقاه الشيخونية عوضا عن الشيخ سيف الدين الحنفى بحكم وفاته رحمه الله تعالى وكان ابن الشحنة منفصلا عن القضاء وفيه فى أثنائه خرج السلطان على حين غفلة من العسكر وتوجه الى الصالحية ثم بعد أيام أشيع بان السلطان توجه من هنالك الى البلاد الشامية فتعجب الناس من ذلك وكان فى نفر يسير من العسكر بحيث انه كان معه من المماليك نحو من أربعين مملوكا من خواصه وكان معه بعض أمراء عشراوات وثانى قر الدوادار الثانى وآخرون من الامراء وكان معه من المباشرين القاضى كاتب السر أبو بكر بن مزهر وأبو البقاء بن الجيعان وشهاب الدين بن التاج الموقع وبرهان الدين بن الكركى الامام وغير ذلك مما لا يحضرنى أسماؤهم وترك بالقاهرة الخليفة المستنجد بالله والقضاة الاربعة والاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وسائر الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات وجميع العسكر قاطبة لم يتبعه أحد منهم فصار الناس فى شك من سفره على هذا الوجه ولم يتفق لاحد من السلاطين مثل هذه الواقعة وفى جمادى الآخرة ورد هجان من عند السلطان وعلى يده مراسيم الى الامراء الذين بالقاهرة فكان من مضمونها ان السلطان توجه الى نحو البلاد الشامية ليكشف عن أمر النواب والقلاع بنفسه وأرسل يقول للامراء بأن يتوصوا بالرعية والجد فى الاحوال وأن يحضروا الجامكية مادام السلطان غائبا وكان المشار اليه فى غيبة السلطان الامير أزبك وقد عظم أمره جدا والتف العسكر عليه دون الامراء وفيه فى غيبة السلطان توفى القاضى نور الدين ابن الانبابى نائب كاتب السر وكان رئيسا حشما عارفا بأحوال المملكة وكان انسانا حسنا لا بأس به رحمه الله تعالى وفى رجب توجه القضاة الاربعة الى بيت الاتابكى أزبك والامير يشبك الدوادار وهنوهما بالشهر وفيه خرج الاتابكى أزبك الى السرحة فغاب أياما وعاد الى القاهرة ومن جملة ألطاف الله تعالى أن فى غيبة السلطان لم يقع الخلف بين

الامراء بل كان الامان والاطمئنان فى القاهرة وجميع ضواحيها حتى عدد ذلك من النوادر
وفى شعبان وصل هجان من عند السلطان وأخبر بأن السلطان دخل الى حلب وأقام بها
وهو قاصد الى جهة الفرات وقد عرج قبل دخوله الى حلب نحو طرابلس ثم حضر هجان ثان
وعلى يده مراسيم للامراء بالسلام ومكاتبة للاتابكى أزبك بأنه يتوجه الى المطعم بالريدانية
ويلبس الامراء هناك الصوف وأن يصرف الكسوة للجند فخرج الاتابكى أزبك الى المطعم
وصحبته الامراء قاطبة والعسكر وكان له يوم مشهود فالبس الامراء هناك الصوف
كعادة السلاطين وخلع فى ذلك اليوم على الأمير جانى بك الفقيه أمير سلاح وقرره
فى امرية الحاج بركب المحمل وقرر اقبردى الاشرفى بالركب الاول وفيه جاءت الاخبار
بوفاة الشهابى أحمد بن أبى الفرج نقيب الجيش وهو أحمد بن محمد بن عبد الغنى توفى بحلب
وكان خرج صحبة السلطان فمات هناك وقيل انه حصل له رجفة من السلطان فانطرب
ومات عقيب ذلك وكان شابا قليل الاذى للناس لا بأس به وفى رمضان وقع بالقاهرة بعض
اضطراب وسبب ذلك مضى الثلاثين من شعبان ولم ير الهلال فاكل غالب الناس فى أول
رمضان فنادى القاضى الشافعى بالامساك فثار عليه العوام وقصدوا الاحراق به فثبت
رمضان برؤية الهلال قريب الظهر ولكن أفطر غالب الناس فى ذلك اليوم وفيه وقع بين
تنم الضبع أخو تبك الجمالى وبين القاضى أبى الفتح السوهاجى تشاجر بسبب هدم مكان
فسب الامير تنم الضبع القاضى السوهاجى فشكاه الى الامير يشبك فطلب تنم فلما حضر
أمر بضربه بين يديه فضرب ولم يوقره لاخيه تبك الجمالى فحصل بسبب ذلك بعض قلقلة
بين الامراء وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن السلطان لما توجه الى الفرات أقام هناك
أياما ثم عاد الى حلب ورحل عنها وقصد التوجه الى حماه فلما دخلها وأقام بها حصل له هناك
مرض فى جسده فلما ثقل فى المرض وعجز عن الحركة أحضروا له محفة فحمل بها وتوجه الى
دمشق فدخلها وهو مريض على غير استواء فكثر القال والقيل بين الناس وصار فى كل يوم
يشاع بالقاهرة خبر جديد بان السلطان مات ودفن هناك فاضطربت أحوال الامراء
فى بعضهم وأظهر كل واحد منهم ما فى نفسه من السلطنة وأرجفت القاهرة بموت السلطان
غير مرة ونقل للامير يشبك الدوادار بأن بردبك جيش أحد الامراء الاخورية
وكان من أخصاء جانبك الفقيه أمير سلاح قد مشى بين طائفة المماليك الخشقدمية بان
يكونوا من عصبة جانبك الفقيه واذا صح موت السلطان يقومون معه ويسلطنونه وكان
جانى بك الفقيه تحدثه نفسه بالسلطنة ويقرب الفلكية والمنجمين وحظى عنده جماعة
بسبب ذلك ثم ان الامير يشبك أرسل خلف بردبك جيش وذكر له ما نقل عنه فانكر ذلك
وحلف أيمانا عظيمة أنه لم يصدر منه شئ من ذلك فقامت عليه البينة وكذبوه فى وجهه

فسكت ولم ينطق بحرف واحد فعند ذلك أمر الامير يشبك بضربه فضرب بين يديه ضربا مبرحا حتى أشرف منه على الهلاك ثم أقامه وأحضر له عمامة يهودى صفراء وألبسها له وقصد يشهره بالقاهرة فشفع فيه بعض الامراء فاركبه على حمار وجرسه بين يديه فى الدوادر ثم شكه فى الحديد وأمر بنفيه الى الواح وكل ذلك جرى والسلطان غائب لم يعلم له خبر وكانت هذه الواقعة سببا لنفى جانى بك الفقيه أمير سلاح كما سيأتى الكلام على ذلك وفيه ختم البخارى بالجامع الازهر وحضر به القضاة الاربعة وفرقت هناك الخلع والصرر على الفقهاء والعلماء وكانت قراءة البخارى من أول رمضان فى الجامع الازهر وعند الدعاء يدعون للسلطان بالسلامة فبينما القاهرة فى اضطراب واذا بخاصكى حضر من عند السلطان يقال له بردبك سكر وعلى يده مكاتبات للخليفة والقضاة الاربعة والاتابكى أزبك والامراء قاطبة فكان من مضمونها أن السلطان كان قد حصل له توعك فى جسده وقد بعث الله تعالى له بالعافية والشفاء وحصل له البرء فضربت البشائر بالقلعة ودخل على بردبك سكر عدة كوامل بسمور من الامراء والخليفة وقضاة القضاة وأرباب الدولة ودقت له البشائر على أبواب الامراء ونودى فى القاهرة بالزينة سبعة أيام فزينت وأظهرت الناس الفرح والسرور بعافيته وسكن الاضطراب الذى كان بالقاهرة وبطل القيل والقال الذى كان بين الامراء وفى ذلك يقول الشهاب المنصورى

بعافية السلطان مولى الانام قد * تهلل وجه الدهر فهو جميل
وقد صحت الدنيا لصحة جسمه * وليس بها غير النسيم عليل

وكان الأمير يشبك الدوادار من حين توجه السلطان للسفر وهو مجتهد فى توسيع الطرقات واصلاح وجوه أبواب الجوامع والمساجد وجلى رخامها وابيض حيطانها وكشف عن أبواب جامع الملك الصالح وظهر منه عواميد رخام فجلاها وأمر بتبييض الدكاكين ووجوه الربوع التى تطل على الشوارع وخلع على شخص من أبناء الناس وجعله مشد الطرقات فصار يستحث الناس فى سرعة البياض والدهان حتى صارت القاهرة كأنها استجدت فى بنائها وتزخرفها وصارت مثل العروس التى تجلى ثم ان الامير يشبك أمر بقلع عتبة باب زويلة وأعلى العتبة وأصلحها فان الارض كانت علت على العتبة فقطع الارض ومهد قدام الباب واستمر باب زويلة مغلقا أياما حتى انتهى العمل منها فعند ذلك من النوادر وفيه حضر هجان من عند السلطان وأخبر أن السلطان خرج من الشام بعد ما جلس بالقصر الذى بالميدان وحكم بين الناس وارتفعت الاصوات له بالدعاء وخلعت الامراء على الهجان ثم حضر عقيب ذلك هجان ثان وأخبر بأن السلطان خرج من غزة وهو قاصد الديار المصرية فشرعت الامراء فى الخروج الى ملاقاة السلطان ثم جاءت الاخبار بأن السلطان وصل الى قطيا وفى شوال جاءت الاخبار بأن السلطان قد وصل الى الصالحية

وصلى بها صلاة العيد وهو عيد الفطر فعند ذلك خرج الاتابكي أزبك والأمير يشبك الدوادار وبقية الامراء قاطبة الى ملاقاة السلطان ثم وصل الى الخانقاه فخرج اليه القضاة والعسكر باجمعهم ونودي في القاهرة بالزينة فزينت زينة حافلة فلما كان يوم الخميس رابع شوال دخل السلطان الى القاهرة في موكب حافل وقدامه القضاة الاربعة والامراء والعسكر على ماجرت العادة به في المواكب وكان له موكب عظيم ويوم مشهود الى أن طلع الى القلعة ففعلت له خوند ما يناسب الملوك الى أن دخل الى الحوش فدقت الاسمطة الى الغاية ثم انتهت فخلع على من كان مسافرا صحبته ولما وصل السلطان الى الفرات قدم عليه شخص من أولاد حسن الطويل وهو ابن محمد اعزلو بن حسن الطويل وكان شابا جميل الصورة وله من العمر نحو من ثماني عشرة سنة فخافت عليه أمه أن يقتل أعمامه فجاءت به الى السلطان فحضر به الى القاهرة وحظي عنده وكان عند مروره من القاهرة قدامه ساعيا كالملوك والامراء واستمر بمصر حتى مات كما سيأتي الكلام عليه وكان اسمه حسين بك وقيل مرزاه وهو المشهور عند الناس ولما رجع السلطان من هذه السفرة عظم أمره جدا وكان انتهاء سفره الى الفرات وكشف على عدة قلاع بنفسه ودخل الشام وحلب وطرابلس وحماه وغير ذلك من البلاد الشامية ودخل عليه من النواب وأعيان الناس جملة تقادم وأموال لها صورة وعدت هذه السفرة من النوادر الغريبة وكانت مدة غيبة السلطان في سفرته نحو من أربعة أشهر وفي هذه الواقعة يقول الشيخ محمد بن الزيتوني هذه القطعة الزجل وهي من محاسن هذا الفن كلها غرر وجناس تام وهي هذه

سلطاننا الاشرف خرج في أربعين * من العساكر حين سافر حماه
ومن حلب عدّاير وم الفرات * فاسقى الخيول من ماه وربه حماه
في مصر فرسان أربعين بالعدد * لدورة المحمل يسوقوا الجياد
ورعبهم ساكن قلوب الملوك * يردوا الخارج وأهل العناد
في ذا العدد راح الملك وافتخر * بهم على سائر ملوك البلاد
وخوسوار لافاه وفي صحبته * ولد حسن بك بالخدم ما أباه
وخلع عليه اطمن وخلع على * ولد حسن خلعه وشتت أباه
كامل مظفر بالعدا لم يزل * يجرى دماهم في الفيافي نهر
خرج لتطمين العباد في البلاد * فكم شكر عادل وظالم نهر
امامنا الاعظم مليك الزمان * بالعدل في هذا الوجود اشتهر
كشف عن النواب فن خان وجار * أنكر عليه فعله وبالعزل جاه
ومن رآه عادل وفعله حسن * خلع عليه واعطاه منازل وجاه
هذا الملك صالح وسر وظهر * لاشك انو قطب في الدائره

لما خرج فى الاربعين خلتهم * بدر الدجى حولو نجوم زاهره
له منازل كل حد منزله * شئ للرصد شأنه وشئ سامره
كشف بلاده واعتبر أهلها * واحد رفع قدره وآخر سماه
وطلعتو فاقت شموس الضحى * وأخفت البدر المنير فى سماه
لما دخل للشام وكان قد ضعف * من الهوا والشرب من ماء العيون
وربنا عافاه وجابو لنا * سالم وقرت به جميع العيون
عادل وربه بالظفر ايده * عجب لسلطان حاز جميع الفنون
ومهد الدنيا بعدلو وان * راد ينثنى عزموا الشديد ماثناه
وفاز بتاريخ ما فرح به ملك * قبلو ونال قصده وبيض ثناه
أهل الفضائل والعلوم ورّخو * وكل واحد فى الكتابه ذهب
يكتب تواريخ الملوك بالمداد * الا لقايتباى كتب بالذهب
هو فارس الاسلام وليث الوغا * وفهلوان الحرب مثل العجب
وخالقه علا مقامه الشريف * على الملوك وانشاه ومن مابراه
وكل ذا فى اللوح قديم فى الازل * خطوا القلم جل الذى قدبراه
تاريخ سنة اثنين جمادى الاخير * يلى ثمانين مع ثمان من مئين
من هجرة الهادى عليه السلام * خير النبيين سيد المرسلين
تجهز السلطان يريد السفر * واخفى عن العسكر خرج فى أربعين
وفر لبيت المال خزائن ذهب * ما تحصروا قلا منامع دواه
وريح العسكر وكم من ضعيف * كان التخلف فى بلاده دواه
لاجل الدوادار الكبير قدبرز * أمره بتوسيع الطريق المضيق
وكشف ابواب المساجد وما * بين المدارس كان على غير طريق
وصلح الابواب وشئ بيضه * واخلع على واحد مشد الطريق
ووكله بالقاهره كل يوم * بقى يدور راكب وفى ايده عصاه
فيأمر الناس بالبياض والدهان * طاع الجميع أمره وما واحد عصاه
صارت مدينتنا عروس للملك * وذا عجب كيف العريس هو الولى
ونقشوها بالدهان فى البياض * واضحت عروسه بالطراز تتجلى
ومدّت المدات نهار الفرح * وزينوها بالحلل والحلى
وبان لها سيقان عوامد رخام * جلاهم الصانع ونعم جلاه
ودقت الكوسات نهار الدخول * وكان دخوله فى المواكب جلاه
وقبل ذا صلوا على المصطفى * خير الخلائق واعلنوا بالسلام

بكل مرة من صلاتك عليه * جزاك عشره بالصلاة يا كرام
وبالشفاعة يدخلك جنته * من بابها الاول لدار السلام
هو أول الرسل الكرام فى الوجود * وهو لهم خاتم وما حد تلاه
وأنزل القرآن عليه العزيز * على لسان جبريل مفرق تلاه
فى ليلة المعراج بخير الانام * ساقوا حديث مسند صحيح السياق
نزل عليه جبريل وقال له الاله * يدعوك الى الحضره على ذا البراق
ركب عليه حتى صعد للسما * وصار الى السبع العوالى الطباق
لجنة المأوى رقى وارتقى * وزج به فى النور وزاد فى شفاه
وافرض عليه الخمس كان أصلها * خمسين وفيها خطابه شفاه
هذا المعانى والبديع والجناس * من نظم زيتونى لفقه دخول
آبو النجا العوفى نظم فى الملك * من حين خروجه فى السفر للدخول
فان تجد عيبا فسد الخلل * اذا سمعته فى نظامه يقول
سلطاننا الاشرف خرج فى أربعين * من العساكر حين سافر حماه
ومن حلب عدى يروم الفرات * فاستقى الخيول من ماه وربه حماه

وفيه فى ثامن عشر منه خرج الحاج وكان أمير ركب المحمل الامير جانى بك الفقيه أمير سلاح وبالاول اقبردى الاشرفى فلما خرج جانى بك الفقيه رسم السلطان بهدم سبيله الذى قد أنشأه بالرميلة فأخذ الناس يلهجون بانه لا يعود الى القاهرة وكذا جرى وفى ذى القعدة قدم قجماس الاسحاقى نائب الاسكندرية وأقام بالقاهرة بباب السلسلة وكان قد جمع بين نيابة الاسكندرية وبين امرية الاخورية الكبرى وفيه نزل السلطان وتوجه الى برا الجيزة وكشف عن خيوله وأقام هنالك أياما ثم توجه الى جهة منوف العلا وكشف عن جسورها وأمر باصلاحها وأقام هنالك أياما وعاد الى الجيزة ثم سافر من هنالك الى الفيوم وكان معه فى هذه المرة الاتابكى أزبك وتمراز التمشى رأس نوبة كبير وكان معه من الامراء العشراوات ومن الخاصكية عدة وافرة فلما دخل الى الفيوم تلقاه خاير بك وكان مقيما بالفيوم فخلع عليه خلعا فاخرة وأقام هنالك أياما وهو فى أرغد عيش على سبيل التنزه فبينما هو على ذلك اذ ورد عليه من جهة الصعيد بان عرب هواره ثاروا مع يونس بن عمر على برسباى كاشف الوجه القبلى فكسروه ووقع بينهما مقتلة قتل فيها جماعة كثيرة من الجند والبلاصية فتنكد السلطان لهذا الخبر وقصد أن يتوجه من هنالك الى بلاد الصعيد فمنعه الامراء عن ذلك وكان الامير يشبك ممرضا برجله وهو بالقاهرة فارسل السلطان يستحثه فى سرعة السفر الى جهة الصعيد وفى ذى الحجة عاد السلطان من سفره من الفيوم فلما استقر بالقلعة خلع على بركات بن يحيى بن الجيعان وقرره نائب كاتب السر عوضا عن نور الدين الانبابى بحكم

وفاته وهذا أول ضخامة الزيني بركات بن الجيعان وفيه توفي الناصري محمد بن قرقماس الحنفي وكان عالما فاضلا من أعيان الحنفية وكان يدعى معرفة علم الحرف وعلم الكيميا وكان ولي مشيخة تربة الظاهر خشقدم ومولده سنة اثنتين وثمانمائة وكان ناظما ناثرا وله عدة مصنفات منها كتاب زهر الربيع في شواهد البديع وغير ذلك من التآليف وله معارضة مقامات الحريري وكان يدعى دعاوى عريضة ومن نظمه

اذا من تهوى عليك بنظرة * أماط الجوى من قلبك الباس والبلوى
فكن شاربا صبرا لمرصدوده * فما ذاق من الوصل من هم بالسلوى

(وقوله في مليح من ركاب الخيل وأجاد)

وظبي من العرب الكرام سألته * لمن في الورى تعزى فقال مؤنبي
أنا ابن الذي تمشي الملوك أمامه * اذا مارأوه راكبا يوم موكب

وفيه خرج الامير يشبك الدوادار الى جهة الصعيد بسبب تلك الفتنة التي وقعت بين يونس ابن عمرو بين داود بن عمر قريبه وأخذ معه جماعة كثيرة من الجند وفيه توفي حسن بن محمد ابن أيوب الكردي نائب القدس ونائب الكرك وكان رئيسا حشما لا بأس به وكان قد شاخ وناف على الثمانين سنة وتوفي القاضي شهاب الدين أحمد الطولوني الحنفي أحد نواب الحكم وكان مفرطا في السمن جدا بحيث لم يكن في عصره أسمن منه ومما وقع له أن جماعة من الفلاحين تحاكموا عنده على دين فأنكر الذي عليه الدين فألزمه القاضي باليمين فلما أراد أن يحلف قال له الخصم ان كنت ما أخذت مني شيأ تبقى في سمن هذا القاضي فاعترف لخصمه بالدين ولم ينكره

883 ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فيها في المحرم خلع السلطان على العلائي علي بن الصابوني وقرره في وكالة بيت المال عوضا عن النابلسي وقرر في قضاء الشافعية بحلب عز الدين الخشفاوي وصرف عنها أبو البقاء ابن الشحنة وفيه جاءت الاخبار بان السلطان قبض على جانبك الفقيه أمير سلاح الذي توجه أمير ركب المحمل فقبض عليه من العقبة وأرسله من هناك الى القدس بطالا ونفى أيضا قايتباي الخشقدمي الى جهة حلب ونفى أيضا يشبك جنب الظاهري جقمق الى جهة دمشق لكونهما كانا من أصحاب جانبك الفقيه وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد قاسى في السنة المذكورة شدائد عظيمة من الغلاء وموت الجمال وانقطع جماعة من الحاج من رجال ونساء وقتل في السنة المذكورة قاضي المدينة المشرفة وخطيبها وقد قتله بعض الرفض وسبب ذلك أن الخواجا شمس الدين بن الزمن ابتدأ بعمارة مدرسة السلطان فاخذ مكانا كان يسكنه هذا الرافضي فأدخله في بناء المدرسة فتعصب القاضي على الرافضي في هدم مكانه وكان ذلك سببا لقتله أقول وأنا حججت تلك السنة وشاهدت الواقعة ونفى جانبك الفقيه من العقبة وفيه خلع السلطان على جانم قريبه

وقرره فى نظر الجوالى وهو جانم الشريفى وهذا أول اظهار جانم الشريفى فى الوظائف فاقام فى نظر الجوالى مدة يسيرة ثم أنعم عليه بتقدمة ألف وهى تقدمة جانى بك الفقيه أمير سلاح فعظم أمر جانم جدا وكان أمر دلم يلتح وفى صفر خلع السلطان على شادبك الصغير وقرره فى نيابة سيس عوضا عن أزدمر قريب السلطان وقدم أزدمر الى القاهرة وفيه كان عقد جانم الشريفى قريب السلطان على خوند ابنة العلائى على بن خاص بك وكان بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة وأرباب الدولة وكان عقدا حافلا وخلع فيه على قاضى القضاة ولى الدين الاسيوطى لكونه تولى العقد وخلع على كاتب السر ابن مزهر لكونه كان وكيلا عن جانم وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه عين السلطان وردبش الظاهرى بان يخرج الى اللجون بسبب احضار الاخشاب وعين معه جماعة من الجفد وأمرهم بأن يدخلوا الى قبرس ويطالبوا أصحابها بالجزية ويتوجهوا من هنالك الى اللجون لاحضار الاخشاب وفيه وقف الشهابى أحمد بن اسنبغا الطيار الى السلطان بقصة يشكو فيها قانصوه خمسمائة بسبب المكان الذى أنشأه بقناطر السباع تجاه بيت ابن اسنبغا الطيار وذكر فى القصة ان قانصوه خمسمائة قد جار عليه وفتح من عنده بابا بغير طريق شرعى وقطع من عنده عدة أشجار وقد أضر ذلك بحاله فلما سمع السلطان ذلك وبخ قانصوه خمسمائة بالكلام وأمره بان يسد الباب الذى فتحه ويرضيه فى قيمة الاشجار التى قطعها من عنده وأنصف السلطان ابن اسنبغا الطيار على قانصوه فعد ذلك من النوادر لكونه أنصف ابن اسنبغا على قانصوه مع خصوصيته بالسلطان ولكن كان قانصوه متعديا على ابن اسنبغا الطيار وفى ربيع الآخر خلع السلطان على قجماس الاسحاقى أمير اخور كبير وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وخلع على فارس الركنى وقرره بامرية الركب الاول فاستعفى فارس من ذلك فاعفاه السلطان وقرر عوضه أقبردى الاشقر على عادته وقيل ان فارسا استعفى بمال عن امرية الحاج وفيه جاءت الاخبار بان يشبك الدوادار قبض على يونس بن عمر الهوارى وقد تتبعه الى بلاد النوبة وجرى معه أمور يطول شرحها وآخر الامر قبض عليه وقطع رأسه وقبض على أخيه أحمد وعلى جماعة من أقاربه وانتصر على بنى عمر نصرة عظيمة وبعث برأس ابن عمر يونس الى القاهرة فطيف بها وعلقت على باب زويلة أياما وكان يونس هذا من خيار بنى عمر وهو يونس بن اسماعيل بن يوسف أمير عربان هواره وكان مشهورا بالشجاعة وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد وفى فى رابع مسرى فتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة ❁ ومن الحوادث الغريبة أن فى ليلة الوفاء انقطع جسر أبى المنجا وانقلب عن آخره فحصل للبلاد التى تحته غاية الضرر وغرق الكثير من أموال الناس والمقطعين ومن العجائب أن البحر لم يتأثر لقطع جسر أبى المنجا ووفى فى تلك الليلة وزاد عن الوفاء اثنى عشر اصبعا فعد ذلك من النوادر ثم فى ثانى يوم من

كسره

كسره زاد ستة عشر اصبعا وأكمل الذراع السابع عشر فى يومين حتى تعجب الناس من ذلك وقد قال القائل

أرى النيل قد وافى وزاد ولم يزل * يجود على أهل القرى بالمكارم
أفاض عليها الماء من بسط راحة * أصابعها فاقت أيادى حاتم

وفى جمادى الاولى جاءت الاخبار من حماه بان سيف بن نعير الغاوى وقرابته قد خرجا عن الطاعة وأن نائب حماه تقاتل مع الغاوى فكسر نائب حماه وقتل من عسكره مالا يحصى ثم خرج اليه نائب حلب وأوقع معه ففر منه فتبعه وقد اضطربت أحوال حماه بسبب ذلك وفيه ثارت فتنة كبيرة بالقلعة بين المماليك الجلبان حتى تقارعوا بالسيوف فخنق منهم السلطان ورمى النمجاه والترس من يده ونزل من القلعة وتوجه الى نحو شطنوف فلما تحقق الجلبان ذلك أخذوا فى أسباب تلافى خاطره وسكن أمر الفتنة التى كانت بينهم ثم توجه الاتابكى أزبك وكاتب السر الى السلطان وتلافوا خاطره وتلطفوا به فى عوده الى القلعة فلا زالوا به حتى عاد الى القلعة بعد جهد عظيم وفيه وصل الامير يشبك الدوادار من جهة الصعيد وحضر صحبته جماعة من بنى عم يونس وأقاربه وهم فى الحديد وأحضر الامير أحمد بن عمر الهوارى أخا يونس الذى قطعت رأسه فلما تمثل بين يدى السلطان خلع السلطان على الامير يشبك خلعة حافلة ونزل الى داره ومعه أحمد بن عمر فى الحديد وفى جمادى الآخرة عرض أحمد بن عمر على السلطان فرسم بتسليمه الى الوالى هو ومن معه وكانوا سبعة أنفار فاركبوهم على جمال ونزلوا بهم الى باب زويلة فكلبوا الجميع وعلقوهم بباب زويلة ووسطوا منهم جماعة وكان لهم يوم مشهود وتأسف عليهم الكثير من الناس فانهم كانوا اخيار بنى عمر ولكن كان للامير يشبك عليهم ثار قديم فاقتصه منهم كما قيل الموت فى طلب الثار ولا الحياة فى العار وفيه نزل السلطان الى قبة يشبك التى بالمطرية فاضافه هناك كاتب السر ابن مزهر ضيافة حافلة وبات هناك ثم طلع الى القلعة وفى شهر رجب خلع السلطان على الشريف سبع وقرره فى امرية الينبع عوضا عن صقر بحكم القبض عليه وفيه خلع السلطان على يوسف بن أبى الفتح المنوفى نائب جدة وقرره فى كتابة المماليك عوضا عن عبد الكريم بن جلود بحكم وفاته وكان متحدثا فيها بغير تقرير وفيه جاءت الاخبار بوفاة جانى بك الفقيه الذى كان أمير سلاح ونفى من العقبة الى القدس فمات هناك وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان يعرف بجانى بك بن ططخ وكان انسانا حسنا وكان له اشتغال بالعلم وتولى عدة وظائف سنية منها أمير اخور ثانى ثم بقى أمير اخور كبير ثم بقى أمير سلاح ثم نفى الى القدس ومات به بطالا وفيه توفى دولات جام الاشرفى وكان يعرف بدولات باى بن تغرى بردى ومات وهو نائب الاسكندرية وكان لا بأس به

وفيه عزل تاج الدين بن المقسى من الاستادارية وأعيد اليها الامير يشبك الدوادار وأقام ابن المقسى فى الترسيم على مال يورده وكان ذلك آخر سعده وفى شعبان خلع على بدر الدين بن محمد ابن الكويز وقرر فى نظر الخاص عوضا عن تاج الدين بن المقسى بحكم انفصاله عنها وفيه خلع السلطان على محمد بن عجلان وأعاده الى مشيخة العرب بالشرقية وكان له نحو من عشر سنين وهو فى البرج بالقلعة وفيه خلع السلطان على أقباى الطويل وقرره فى كشف الشرقية واقباى هذا هو الذى ولى نيابة غزة فيما بعد وفيه توفى دولات باى سكسكان الاشرفى برسباى توفى بحماه وكان أتابك العساكر بها وكان من أعيان الاشرفية ولا بأس به وفيه جاءت الاخبار بموت حسن الطويل ملك العراقين وأن ولده خليل تولى على العراقين بعده وقيل ان موته كان فى رجب وكان ملكا جليلا عاقلا سيوسا كثير الحيل والخداع اقتلع ملك العراقين من أخيه جهان كبير بحيل غريبة وقتل عمه الشيخ حسن وانقرضت دولة بنى أيوب على يده ثم قوى على جهان شاه وحاربه حتى كسره وقتله وشتت أولاده وملك تبريز والعراقين وبلغ مبلغا لم يصل اليه أحد من أجداده ولا من أقاربه وقد تحرش بابن عثمان ملك الروم بأن يأخذ من ملكه شيأ فما قدر عليه ثم تحرش بسلطان مصر وجرى له مع الاشرف قايتباى أمور يطول شرحها وكان الاشرف قايتباى يخشى من سطوته فلما مات عد ذلك من جملة سعد الاشرف قايتباى وقد قيل فى المعنى

أيا ملكا صار من سعده * بموت الاعادى حقيقا يفوزا ٢
لقد أهلك الله عنك العداه * وينصرك الله نصرا عزيزا

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو القرين ثم الى الخطارة وكشف عن الجامع والسبيل الذى أنشأهما هناك والحوض الذى أنشأه هناك على الدرب الساطانى وكان المشد على العمارة الامير يشبك الجمالى فجاءت هذه العمارة فى غاية النفع وفى رمضان خلع السلطان على اينال الاشرفى مملوك السلطان وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن دولات باى حمام وفيه كان ختم البخارى بالقلعة على العادة وكان ختما حفلا وفى شوال فى يوم عيد الفطر خلع السلطان على الامير يشبك بن مهدى الدوادار وكاشف التراب ومدبر المملكة وغير ذلك فصار رأس مجلس الميسرة وهو بالقصر ويقف فى الحوش ولم تجتمع هذه الوظائف فى أحد من الامراء قبله وفيه توفى شمس الدين العاقل أحد الموقعين والشهود العدول ولا بأس به وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير الركب بالمحمل قجماس أمير اخور كبير وأمير ركب الاول اقبردى الاشرفى وحج فى السنة المذكورة الشيخ صلاح الدين الطرابلسى الحنفى وفى ذى القعدة قصد قانصوه الالفى ان يسافر الى بلاد جركس وكان قد حصل له توعك فى أذنه وعينيه فتوجه هناك للتداوى وكان يومئذ خاصكيا

فغاب هنالك مدة طويلة ثم عاد الى القاهرة وفيه توفى أبو يزيد بن طرابای الاشرفى رأس نوبة الجمدارية وهو والد الناصرى محمد بن أبى يزيد وكان لا بأس به وفى ذى الحجة نزل السلطان من القلعة وعدى الى برا الجيزة وكشف عن القناطر التى أمر بانشائها على يد الاتابكى أزبك وكان الوقت محتاجا لاصلاح تلك القناطر وكانت قد تهدمت فصرف عليها جملة مال حتى جددها وهى باقية الى الآن وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة نائبها جانى بك قاسير وكان أميرا جليلا رئيسا حشما وأصله من مماليك الاشرف برسباى وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية وتولى عدة وظائف سنية منها حجوبية الحجاب الكبرى وامرية مجلس وامرية سلاح ثم ولى الاتابكية بمصر وترشح أمره للسلطنة غير مرة ثم أسر عند سوار ثم أطلق وأعيد الى امرية سلاح ثم تولى نيابة الشام ومات بها وكان كفؤا للمناصب والمهمات وغير ذلك وفيه أرسل السلطان الخواجا محمد بن محفوظ المغربى الى ملك التليان الافرنجى وأرسل له على يده هدية حافلة فسار اليه وفى عقيب ذلك أرسل صاحب قبرس ما عليه من الجزية المقررة وقصد السلطان أن يجهز له تجريدة فلما أرسل ما عليه سكن الامر وفيه توفيت خوند فاطمة بنت المؤيد احمد ابن الاشرف اينال وهى زوجة الامير يشبك الدوادار أم ولده منصور وكانت شابة جميلة وفيها الخير فحزن عليها الناس وفيه توفى شاهين الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به

884 ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم توجه الامير يشبك الدوادار الى ثغر دمياط وكان السلطان قد جعل له متحدثا عليها فلما توجه هنالك أنشأ على فم البحر الملح عند برج الملك الظاهر بيبرس البندقدارى سلسلة من حديد زنتها نحو من مائتين وخمسين قنطارا وكانت هذه السلسلة قديما هنالك ثم بطل أمرها فجددها الامير يشبك الدوادار فى السنة المذكورة وحصل بها النفع لطرد المراكب التى للافرنج وفيه وصل الحاج الى القاهرة وجددت سيرة الامير قجماس أمير المحمل وفيه فى يوم السبت رابع عشريه كانت وفاة أمير المؤمنين الجمالى يوسف رحمه الله تعالى المستنجد بالله العباسى ابن محمد المتوكل على الله ابن المعتضد بالله أبى بكر بن المستكفى بالله سليمان ابن الامام أحمد الحاكم بأمر الله العباسى الهاشمى وكان الثالث عشر من خلفاء بنى العباس بمصر تولى الخلافة بعد أخيه حمزة ودام فى الخلافة نحوا من خمس وعشرين سنة وأشهر وكان رئيسا حشما وعنده لين جانب مع تواضع زائد ورأى فى خلافته العز وقلد فيها خمسة من السلاطين وهم المؤيد أحمد ابن الاشرف اينال والظاهر خشقدم والظاهر بلباى والظاهر تمربغا والاشرف قايتباى ومات وله من العمر زيادة على الثمانين سنة ومولده بعد التسعين والسبعمائة ولما مات دفن عند أقاربه بجوار مشهد السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وهو أول خليفة سكن بالقلعة ودام

بها حتى مات ومات عن غير ولد ذكر بل خلف بنتا تسمى ست الخلفاء فعهد بالخلافة بعده لابن أخيه العزى عبد العزيز

ذكر خلافة المتوكل على الله أبى العز عبد العزيز بن يعقوب ابن محمد المتوكل على الله ابن المعتضد بالله أبى بكر بن المستكفى بالله سليمان ابن الامام الحاكم بأمر الله أحمد العباسى الهاشمى

وهو الرابع عشر من خلفاء بنى العباس بمصر بويع بالخلافة بعد موت عمه الجمالى يوسف بعهد منه وكانت ولايته فى يوم الاثنين سادس عشرى المحرم من السنة المذكورة فطلبه السلطان حين حضر حضرا القضاة الاربعة وأرباب الدولة وكان يومئذ عمه موسى موجودا ولكنه كان غير صالح للخلافة فلم يكن فى بنى العباس يومئذ أمثل من العزى عبد العزيز فوقع الاتفاق من السلطان والامراء على ولايته فتولى الخلافة فى ذلك اليوم (أقول) ولم يل الخلافة من اسمه عبد العزيز سواه ثم انه أراد أن يلقب نفسه بالمستعز بالله فعورض فى ذلك ولقبوه بالمتوكل على الله كلقب جده محمد المتوكل فأحضر اليه شعار الخلافة وأفيض عليه وقدمت اليه فرس النوبة بالسرج الذهب والكنبوش ونزل من القلعة فى موكب حافل وأمامه قضاة القضاة وأعيان الدولة فتوجه الى مكان تسكن فيه الخلفاء ثم تحول من يومه وطلع الى القلعة وسكن بدار عمه يوسف التى هى داخل الحوش السلطانى وطالت أيامه فى الخلافة وكان كفؤا لذلك وكان سنه لما تولى الخلافة نحوا من اثنتين وستين سنة أو أكثر من ذلك وكان مولده سنة تسع عشرة وثمانمائة وكانت أمه تسمى حاج ملك بنت مقبل وهو شخص من المماليك السلطانية وفى صفر تغير خاطر السلطان على أزدمر الطويل الابراهيمى الاينالى حاجب الحجاب فرسم بنفيه وبعث اليه بألفى دينار يتجهز بها وفيه نزل السلطان وتوجه الى منف وأقام بها أياما ثم عاد الى القلعة وفى ربيع الاول أنعم السلطان على تانى بك قرا الاينالى بتقدمة ألف وهى تقدمة أزدمر الطويل وعين الدوادارية الثانية الى قانصوه خمسمائة وخلع عليه بها بعد أيام وفيه نقل السيفى قانصوه اليحياوى من نيابة حلب الى نيابة الشام عوضا عن المرحوم جانى بك قلقسير بحكم وفاته ونقل ازدمر قريب السلطان من نيابة طرابلس الى نيابة حلب عوضا عن قانصوه اليحياوى بحكم انتقاله الى نيابة الشام وقرر فى نيابة طرابلس بردبك المعمار نائب صفد

عوضا

عوضا عن أزدمر بن مزيد قريب السلطان وقرر عوضه فى نيابة صفد جانى بك أحد مماليك السلطان وكان مقيما بالشام بطالا وفيه توفى جانم الاعور بن بلباى أمير شكار أحد العشراوات وأصله من مماليك الاشرف برسباى وفيه ضرب الامير يشبك الدوادار الكبير الكرة مع السلطان فسقط صولجان الامير يشبك من يده فترجل الامير جانم الشريفى قريب السلطان أحد المقدمين عن فرسه وأخذ الصولجان من الارض وناوله للامير يشبك فلما كان فى اليوم الثانى صنع الامير يشبك وليمة حافلة جدا وعزم على جانم وقانصوه خمسمائة وآخرين من الامراء فلما حضروا أصلح الامير يشبك بين جانم وبين قانصوه خمسمائة وكان بينهما وحشة ثم خلع على كل واحد منهما كاملية بسمور وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش وكانت هذه الوليمة من نوادر الضيافة الحافلة وفى ربيع الآخر كانت نهاية ضرب الكرة وأضاف السلطان الامراء ضيافة حافلة ونزلوا الى دورهم وفيه كانت وفاة الامير جانم الشريفى قريب السلطان أحد المقدمين وكان من حين أضافه الامير يشبك وهو مريض حتى اتهم الامير يشبك بانه قد شغله فى ذلك اليوم فى شئ من المأكول فلما تزايد به المرض وتورمت قدماه حمل فى محفة وتوجهوا به الى بولاق فأقام هناك بعض أيام ومات فأمر السلطان بحمله الى داره فى محفة فغسل وكفن وصلى عليه بسبيل المؤمنين وكان له يوم مشهود ثم توجهوا به الى تربة السلطان فدفن بها واستمر العزاء عما بالقلعة ثلاثة أيام بدور الحريم وتأسف عليه السلطان غاية الاسف وقيل ان السلطان جلس بقاعة البحرة ورسم لنساء عرب اليسار أن يدقوا ويلطموا على الامير جانم وهو ينظر اليهن وقد جلس للعزاء وصارت الامراء تتلطف به وتسليه وقيل ان جانم كان يقرب للسلطان من جهة النساء وكان جميل الصورة حسن الهيئة قد بداعذاره وكان رئيسا حشما وافر العقل جليل القدر ورأى غاية العز والعظمة على صغر سنه وأقام بالطبقة مدة يسيرة ثم بقى خاصكيا ثم بقى أمير عشرة ثم بقى ناظر الجوالى ثم بقى شاد الشرابخاناه ثم بقى مقدم ألف وجاءت اليه السعادة سريعا وزالت عنه فى مدة يسيرة وقد دهمه الموت فتوفى وله من العمر نحو عشرين سنة وكان كريما سخيا بالعطاء حتى قيل فيه

فقت الكرام فى الورى * يا مطلب الرائم
ما أنت الا حاتم * تصحفت بجانم

وكان قد تزوج بخوند أخت خوند زوجة السلطان وكان له مهم حافل وكان له زفاف ليلة خلا بزوجته يسمع بمثله وزينت له القاهرة بالمصابيح والشموع وعلقت ليلة زفاف عرسه التنانير بها القناديل من سويقة العزى الى ما بين القصرين ومشى أمامه الامراء المقدمون وكان الامير يشبك ماسكا عنان فرسه من جهة الميمنة وازدمر الطويل حاجب الحجاب

ماسكا لجام فرسه من جهة الميسرة وبقية الامراء مشاة قدامه بالشموع من سويقة العزى الى بيت العلائى على بن خاص بك وكان المهم هنالك فزف وزفت له العروس فكان أبهى من العروس كما قيل

ماسمعنا فيما سمعنا قديما * بعروس يجلى عليها عروس

وكان زفاف الامير جانم من المعدودات بحيث لم يقع بعده مثله فلما انقضت وفاة الامير جانم كثر الكلام فى حق الامير يشبك بسبب جانم ونسب الى قتله بالسم وصار فى تهديد ووعيد من المماليك الجلبان ووقع بسبب هذه الحادثة أمور شنيعة يطول الكلام فى شرحها وقصدوا قتل الامير يشبك غير مرة وصار السلطان يرجع المماليك عن الامير يشبك وصار الامير يشبك يترضى خاطر المماليك الجلبان بكل ما يمكن حتى سكنت هذه الفتنة قليلا وصار على رأس الامير يشبك طيرة من الجلبان حتى كان من أمره ما سنذكره وفيه قدم الملك المؤيد أحمد من الاسكندرية وكان سبب قدومه أن والدته خوند حصل لها توعك شديد وقد أشرفت فيه على الموت فأتى اليها الامير يشبك ليعودها فسألت فضله ان يسأل السلطان فى حضور ولدها الملك المؤيد الى مصر لتنظره قبل أن تموت فلما طلع الامير يشبك الى القلعة تكلم مع السلطان فى ذلك فرسم باحضاره فلما حضر طلع الى القلعة ودخل الحوش وهو راكب وكان معه ولده على فقام له السلطان ورحب به وخلع عليه وعلى ولده ونزل من القلعة فى موكب حافل ومعه الامير يشبك الدوادار وتانى بك قرا وآخرون من الامراء فنزل فى داره التى بالجسر الاعظم عند والدته وفى ثالث جمادى الاولى كان وفاء النيل وقد أوفى فى تاسع عشرى أبيب القبطى وكسر فى آخر يوم من أبيب فعد ذلك من النوادر فلما وفى توجه الاتابكى ازبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا ثم بعد يومين زاد النيل عشرين اصبعا فغلق الذراع السابع عشر وستة أصابع من الذراع الثامن عشر فعد ذلك من النوادر وفيه خلع السلطان على الماس الاشرفى وقرره فى شادية الشراباخاناه وقرر يبرس الرجبى قريب السلطان فى استادارية الصحبة عوضا عن الماس وفيه سافر السلطان الى ثغر الاسكندرية وهى السفرة الثانية فتوجه من البحر فى عدة مراكب كثيرة وكان سبب توجه السلطان من البحر كثرة ماء النيل فى طرقات البلدان وكان معه من الامراء الاتابكى ازبك ويشبك الدوادار وخاربك بن حديد وازبك اليوسفى وآخرون من الامراء المقدمين وعدة وافرة من الامراء الطبلخانات والعشراوات والجم الغفير من الخاصكية من المماليك السلطانية وكان معه من المباشرين القاضى كاتب السر ابن مزهر وغيره من أعيان المباشرين وكان الشهابى أحمد بن العينى وسيدى منصور بن الملك الظاهر خشقدم وغير ذلك من الاعيان

وكان له ببولاق يوم مشهود عند نزوله الى البحر وكان سفر السلطان الى الاسكندرية فى هذه المرة لاجل البرج الذى أنشأه هنالك وقد انتهى العمل منه فتوجه اليه ليرى هيئته فلما دخل مدينة الاسكندرية لم يركب بها مثل أول مرة ولا حملت القبة والطير على رأسه فلما نزل بالمخيم مثّل له نائب الاسكندرية مدة حافلة ثم توجه الى رشيد وكشف عن البرج الذى أنشأه هنالك بها ثم كشف عن البرج الذى أنشأه بثغر الاسكندرية مكان المنار القديم فجاء من محاسن الزمان ومن أعظم الابنية وأجل الآثار الحسنة ومن نوادر أفعال الملوك كما قيل

ليس الفتى بفتى يستضاء به * حتى يكون له فى الارض آثار

وقيل ان صفة بنيان هذا البرج أن دهليزه عقد على قناطر فى البحر الملح من الساحل حتى ينتهى الى البرج وأنشأ بهذا البرج مقعدا مطلا على البحر ينظر منه من مسيرة يوم الى المراكب وهى داخلة الى المينا وجعل بهذا البرج جامعا بخطبة وطاحونا وفرنا وحواصل وشحنها بالسلاح وجعل حول هذا البرج مكاحل معمرة بالمدافع ليلا ونهارا لئلا تطرق الافرنج الثغر على حين غفلة وجعل بها جماعة من المجاهدين قاطنين به دائما وأجرى عليهم الجوامك والرواتب فى كل شهر وجعل شادا من خواصه وهو باش عليهم يقال له قانصوه المحمدى الخاصكى وهو الذى ولى نيابة الشام فيما بعد وصار يعرف بقانصوه البرجى وقيل ان السلطان صرف على بناء هذا البرج زيادة عن المائة ألف دينار وأوقف عليه الاوقاف الجليلة وجاء من أحسن الآثار والمعروف ثم ان السلطان أقام بثغر الاسكندرية أياما ورحل عنها ثم جاءت الاخبار بأن السلطان دخل الى دسوق وزار سيدى ابراهيم الدسوقى وهو ماش وحوله الامراء واستمر السلطان غائبا فى هذه السفرة الى أواخر الشهر المذكور وفيه توفيت خوند زينب والدة الملك المؤيد أحمد وهى زوجة الاشرف اينال وكانت من أجل الخوندات قدرا ورأت فى دولة زوجها الاشرف اينال غاية العز والعظمة حتى صارت تدبر أمور المملكة من ولاية وعزل وكانت نافذة الكلمة وافرة الحرمة فى سعة من المال ولم تتزوج غير الاشرف اينال ولم يتزوج هو أيضا غيرها وصادرها الملك الظاهر خشقدم غير مامرة وأخذ منها جملة مال وهى باقية وعقد ناموسها لم يتغير الى أن ماتت وقد جاوزت من العمر نحو الثمانين سنة وهى زينب بنت حسن بن خليل بن خاصبك لم يجئ بعدها فى الخوندات مثلها وكانت من مشاهير الخوندات وكانت اذا دخلت على الاشرف قايتباى يقوم لها ويعظمها ولما ماتت لم يحضر جنازتها ولم يحضرها أحد من المقدمين غير تانى بك قراو سبب ذلك أن السلطان كان غائبا فلم يجسر أحد من الامراء أن يجى عند ولدها الملك المؤيد وبعد هذا ما سلم الامر من القال والقيل فحضر جنازتها قضاة القضاة وأعيان الدولة ثم فى سلخ الشهر المذكور حضر السلطان من السفر فى البحر أيضا وطلع من بولاق وكان له يوم

مشهود وقد عدسفره من النوادر وكونه توجه الى ثغر الاسكندرية وترك الملك المؤيد بالقاهرة مع أن مماليك أبيه الاشرف اينال كانوا فى غاية التمرد ينتظرون وقوع الفتن وظهر منهم فى غيبة السلطان بعض حركة وانكشف رخ جماعة منهم فى هذه الحركة ونفى فيما بعد منهم جماعة كثيرة كما سيأتى الكلام على ذلك وفى جمادى الآخرة أضاف السلطان الملك المؤيد ضيافة حافلة بالبحيرة وخلع عليه وعلى ولده وأذن لهم بالعود الى الاسكندرية وقدم الملك المؤيد للسلطان تقدمة حافلة من مال وتحف بسبب موجود والدته الذى خلفته وفيه ثبت النيل المبارك على عشرين اصبعا وعشرين ذراعا فوافق ذلك مثل العام الماضى حتى عدم من النوادر وفى رجب سافر الملك المؤيد الاسكندرية وقد أقام بالقاهرة نحو شهرين الا أياما وفيه ظهر للسلطان بأن طائفة الاينالية قصدوا اثارة فتنة فى غيبة السلطان فلما تحقق ذلك صار ينفى منهم جماعة بعد جماعة شيأ فشيأ ثم نفى مملوكه بردبك سكرا الخاصكى الى البلاد الشامية وكان قد نسب الى أشياء من هذه الاشاعة وقد تغيرت قلوب الامراء بعداوة الامير يشبك الدوادار وقد أشيع أنه قد سم الامير جانم قريب السلطان فانقطع يشبك عن طلوع القلعة أياما وكثر الكلام فى حقه بسبب ذلك وفيه خلع السلطان على على باى ميق الذى كان كاشف الشرقية وقرره فى نيابة سيس عوضا عن أزدمر قريب السلطان وقرر أزدمر فى نيابة حماه عوضا عن قراجا الطويل الاينالى بحكم صرفه عنها وسجنه بقلعة دمشق وفيه رسم السلطان بنفى ستة أنفار منهم ثلاثة من طائفة الاينالية وهم أبو يزيد ومشيد وشادبك كل منهم أمير عشرة وثلاثة من الستة من مشتروات فتوجهوا بهم الى نحو البلاد الشامية ثم تتابع النفى بجماعة من الاينالية وكثر الكلام فى ذلك جدا وفيه قرر فى قضاء الحنفية بدمشق تاج الدين بن عرب شاه عوضا عن ابن عيد وفى شعبان رسم السلطان بنفى الطواشى معروف اليشبكى شاد الحوش الى جهة قوص لامر أوجب ذلك وفيه خلع السلطان على برسباى قراالمحمدى الظاهرى وقرره فى حجوبية الحجاب عوضا عن أزدمر الطويل بحكم نفيه وقرر فى شادية الحوش سرور السيفى بن جرباش كرت عوضا عن معروف اليشبكى وفيه وصل قانصوه الالفى الذى كان قد توجه الى بلاد الجركس فاحضر معه عدة من أقارب السلطان فخلع عليه ونزل الى داره وفيه حضر قاصد من عند بعض ملوك الهند صحبة أبى الفتح نائب جدة على يده هدية حافلة الى السلطان وفيه أنعم السلطان على قريب له بتقدمة ألف وهى تقدمة جانم الشريفى ناظر الجوالى ثم بعد مدة أرسل له شاشا ورسم له بان يلف تخفيفة وكذلك قانصوه خمسمائة فانه بقى دوادار ثانى وهو بكوفية يقندس وفيه توفى جانم السيفى تمربای الزردكاش الكبير وكان أحد الامراء الطبلخاناة وفى رمضان احتفل الصاحب خشقدم

فى مسايرة هائلة وكان قرر فى امرية الحاج بركب المحمل وقرر شاهين الجمالى فى امرية الركب الاول وكان قربها أولا جانم الزردكاش الذى توفى فكان للصاحب خشقدم يوم مشهود بتلك المسايرة وقد أشيع بين الناس أن السلطان يقصد أن يحج فى السنة المذكورة فعمل هذه المسايرة بسبب تشوق السلطان الى الحجاز وفيه خلع السلطان على مملوكه قنبردى أحد الخاصكية وقرره فى كشف الشرقية عوضا عن على باى ميق الذى استقر فى نيابة سيس وقرر اقباى الطويل فى كشف الغربية وفيه قدم بردبك جبس وكان منفيا بالبلاد الشامية فشفع فيه بعض الامراء فرسم السلطان باحضاره فحضر ورضى عليه وفيه توفى معروف اليشبكى الطواشى شاد الحوش ومات وهو منفى بالواحات وجرى عليه ما لا خير فيه وكان لا بأس به غير أنه كان عنده تكبر فى نفسه وتعاظم وفيه جاءت الاخبار بوفاة شادبك الابراهيمى الاينالى وكان من الامراء العشراوات فتغير خاطر السلطان عليه ونفاه الى الشام فمات بها وفيه رسم السلطان بنفى جانى باى الخشن الاينالى تاجر المماليك أحد الامراء العشراوات ونفى أبى زيد أزبك الخاصكى الاينالى ونفى تغرى برمش أحد الامراء العشراوات والكل اينالية وقد سقط نجمهم وبدا عكسهم وصار السلطان ينفى فى كل شهر منهم جماعة فى أماكن شتى وفى شوال خلع السلطان على يشبك الجمالى وقرره فى الزردكاشية الكبرى عوضا عن جانم السيفى تمربای وقد جمع يشبك الجمالى بين الحسبة والزردكاشية الكبرى وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وقد احتفل الامير خشقدم ببرك عظيم بسبب السلطان لسفره الى الحجاز فكان معه نحو من مائتى جمل وخمسين جملا وقيل ان السلطان بعث اليه ثلاثين ألف دينار بسبب عمل هذا البرك وكان لخروج الصاحب خشقدم يوم مشهود وفيه رسم السلطان بنفى مثقال الطواشى مقدم المماليك وكان يعرف بمثقال البرهانى فخرج منفيا الى طرابلس وكان هذا كله بسبب خروج السلطان الى البلاد الشامية ونوعكه هناك وقد تزايدت الاقوال بموته وحصل بين الامراء نقل كلام فيمن يلى من بعده السلطنة وانكشف رخ جماعة من الاينالية فى هذه الحركة ولم يعلم باطن الامر فى حقيقة ذلك وصار السلطان ينفى كل قليل جماعة من الاينالية ومن مماليكه واستمر الامر على ذلك فلما خرج الحاج من القاهرة ورحل المحمل من بركة الحاج نزل السلطان من القلعة فى يوم الخميس ثالث عشرى شوال ولم يشعر بسفره أحد من الناس وخرج على حين غفلة فسافر معه بعض أمراء عشراوات منهم يشبك الجمالى الزردكاش وآخرون من الامراء من أخصائه وعدة وافرة من الخاصكية والمماليك السلطانية وجماعة من المباشرين منهم أبو البقاء بن الجيعان وغير ذلك من الاعيان منهم برهان الدين الكركى الامام فخرج السلطان من بين الترب وسافر

بعد صلاة الظهر فنزل معه الاتابكى أزبك ويشبك الدوادار فودّعاه ورجعا من أثناء الطريق فأوصاهما السلطان بحفظ الرعية ثم سافر على ظهر البويب ولم يتوجه معه أحد من الامراء المقدمين فعدّ سفره على هذا الوجه من النوادر وفى ذى القعدة رسم الامير يشبك الدوادار ليشبك بن حيدر والى القاهرة بأن يتحدث فى الحسبة عوضا عن يشبك الجمالى بحكم سفره مع السلطان وكان الامير يشبك الدوادار هو المشار اليه فى غيبة السلطان وفيه شرع الامير يشبك فى بناء القبة التى أنشأها فى رأس دور الحسينية وخرب عدة ترب كانت هناك ثم أنشأ بهذا المكان غيطانا ومجارى وسواقى وقصد أن يجعله من جملة منتزهات القاهرة ولو عاش لفعل ذلك فجاءت القبة من محاسن البناء فى ذلك المكان وفى ذى الحجة كان انتهاء عمارة الربع الذى أنشأه السلطان بحدرة البقر وكان الشاد على العمارة نافق المؤيدى أحد الامراء العشراوات وفيه قدم مبشر الحاج وهو شخص من الخاصكية يقال له أسنباى وقد استمر اسمه بالمبشر بعد ذلك فأخبر بسلامة السلطان وانه دخل الى مكة فى موكب حافل وكان له يوم مشهود ولاقاه أمير مكة من مسيرة يومين وانه تصدق على فقراء مكة بخمسة آلاف دينار وتواضع تواضعا وخضوعا الى الغاية وكان بطول الطريق لا يتكلم فى شئ يتعلق بالاحكام بين الناس وفعل فى الطرقات أشياء كثيرة من وجوه البر والمعروف فحصل لاسنباى المبشر جملة خلع ومال له صورة من الامراء وأعيان الناس ومن خوند زوجة السلطان وغير ذلك من أرباب الدولة وفيه جهز الاتابكى أزبك ويشبك الدوادار وجماعة من الامراء اقامات للملاقاة السلطان من العقبة وخرج الامير أزبك اليوسفى أحد الامراء المقدمين صحبة ذلك وخرج معه جماعة كثيرة من أرباب الدولة للملاقاة السلطان من العقبة واهتم الامير يشبك الدوادار ببياض أماكن بالقلعة ودهان أبوابها وضرب الرنوك عليها وجلا واجهة القصر الابلق وما يليه حتى ظهر رخامه الملون وقد احتفل فى اصلاح ذلك جدا وفيه جاءت الاخبار بوفاة خليل بك بن حسن الطويل ملك العراقين وكان أكبر أولاد حسن الطويل ثار عليه بعض الامراء فقتله ولما مات ولى بعده أخوه يعقوب وكان من خيار بنى حسن الطويل وتوفى تانى بك الاشقر المحمدى البوّاب أحد الامراء العشراوات وكان كاشف المنوفية

885 ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم بعث السلطان نجابا الى الامراء وأخبر النجاب بأن السلطان دخل الى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وزار النبى صلى الله عليه وسلم وأنعم على الفقراء الذين بها بخمسة آلاف دينار وانه رحل نحو ينبع قاصدا للعقبة ثم رحل عنها وهو واصل عن قريب ثم رسم لهم بأن لا يخرج الى ملاقاته أحد من الامراء وأن السلطان ينزل بقبة الامير يشبك التى بالمطرية فبادر الامراء بالخروج الى هناك ونصبوا الخيام ثم جاءت الاخبار بأن السلطان قد وصل الى

البويب

البويب فلما تحقق الامراء ذلك ركب الاتابكى أزبك والامير يشبك الدوادار وبقية الامراء من المطرية وتوجهوا الى ملاقاة السلطان فلما وصلوا الى البويب اجتمعوا بالسلطان هناك وساروا قدامه حتى وصل الى الوطاق الذى بالمطرية وكان له هناك موكب حافل وكان دخوله فى ثانى عشر المحرم قبل دخول الحاج بثمانية أيام فلما نزل بقبة الامير يشبك مدّله الامير أزبك الاتابكى هناك مدة حافلة جدا وبات السلطان هناك وبات عنده قضاة القضاة ومشايخ العلم وهنؤه بقدومه فلما كان يوم الاثنين رابع عشره ركب السلطان من هناك وحمل الاتابكى أزبك على رأسه القبة والطير وركب قدامه الامراء والعسكر وهم موكبون كالاعياد وسارت الامراء والقضاة الاربعة قدامه فدخل من باب النصر وشق من القاهرة وقد زينت له زينة حافلة واستمر فى هذا الموكب العظيم وطلب طلبا حافلا ولعبوا قدامه بالغواشى الذهب وكان له يوم مشهود الى أن طلع الى القلعة فلما طلع فرشت له خوند عدّة شقق من باب القلعة الى الحوش ونثرت على رأسه خفائف الذهب والفضة وتوشحت الخدام بالبنود الذهب والحرير الاصفر وتخلقت بالزعفران فلما دخل السلطان الى الحوش مدّله هناك الامير يشبك مدة حافلة أعظم من مدة الاتابكى أزبك التى مدّها له بالقبة ثم ان السلطان خلع على من كان معه من أرباب الوظائف ونزلوا الى بيوتهم وانفض ذلك الموكب وعدّت هذه الحجة من النوادر الغريبة ودخل عليه جملة تقادم من مال وتحف تعدل مائتى ألف دينار من أمير مكة المشرفة وقضاتها ومن أمير الينبع وغير ذلك وقد نظم الشعراء فى هذه الواقعة عدة قصائد فمن ذلك

قدم السرور بقدم السلطان * من حجه المقبول بالرضوان
سلطاننا الملك الهمام الاشرف الـ راقى سماء الحسن والاحسان
فهنا وُنا بيقائه فى نعمة * وسلامة فرض على الاعيان
ولقد علمنا أن طاعة أمره * أونهيه دين من الايمان
لما نوى حجا ولبى محرما * عم الامان مراتع الغزلان
والوحش فى أبياتها والدوح فى * انباتها والطير فى الطيران
ثم الصلاة على النبى المصطفى * عدد الرمال بجملة الكثبان

فلما استقر السلطان بالقلعة أخذ فى أسباب تفرقة الهدية على الامراء فابتدأ بالاتابكى أزبك ثم بقية الامراء كل من هو فى منزلته ثم المباشرين وأرباب الدولة وكان الامراء والمباشرون قدّموا للسلطان أيضا تقادم حافلة ما بين مال وخيول وقماش وغير ذلك وفيه دخل الحاج الى القاهرة وحمدت سيرة الصاحب خشقدم الزمام وفيه نزل السلطان وتوجه الى القرافة فزار ورجع من جهة مصر العتيقة وطلع من جهة قناطر

السباع وأتى الى الكبش فكشف عن عمارته التى أنشاها هنالك ثم طلع الى القلعة من جهة الصليبة وكشف عن عمارة سبيله الذى أنشأه برأس سويقة عبد المنعم التى بالرميلة وكان الشاد على عمارته تانى بك قراأحمد المقدمين ثم طلع من باب السلسلة الى القلعة وفيه جاءت الاخبار بوفاة قراجا الطويل الاينالى الذى كان نائب حماه مات بطالا بالقدس وكان لا بأس به وفيه ضرب السلطان قانم الاشرفى الذى كان كاشف الشرقية فضرب بين يديه ورسم بنفيه الى طرسوس وفى صفر قرر خاص التكرورى الطواشى فى تقدمة المماليك عوضا عن مثقال البرهانى وقرر سرور الشامى نائب المقدم عوضا عن خاص وفيه قدم تمراز التمشى رأس نوبة النوب من البحيرة وقد أتى ليهنئ السلطان بعوده من الحجاز وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة كبيرة بحماه وقتل فيها نائب حماه ازدمر بن أزبك قريب السلطان وسبب ذلك ان سيف أمير آل فضل كان قد خرج عن الطاعة فحاربه أزدمر نائب حماه المقدم ذكره فقتل فى المعركة وقتل معه جمع من أمراء حماه فانزعج السلطان لهذا الخبر جدا وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة وكان حافلا ومما وقع فى ذلك اليوم أن السلطان لما تكامل المجلس بالقضاة الاربعة والامراء وانتهى أمر السماط حضر كاتب السر ابن مزهر وأبو البقاء بن الجيعان وخشقدم الزمام وخلفهم ستة أطباق على رؤس ستة طواشية فحطت بين يدى السلطان بحضرة القضاة والامراء وكشفوا عنها فاذا هى ستون ألف دينار ذهب عين فأخذ كاتب السر يقول فى المجلس العام إن السلطان نصره الله تعالى لما حج فى العام الماضى رأى أهل المدينة المشرفة فى فاقة زائدة من عدم الاوقاف فنذر مولانا السلطان بأن يفعل بالمدينة الشريفة خيرا يكون مستمرا من بعده وقد خرج عن هذا المال لله تعالى وهو من وجه حل من خالص ماله دون مال بيت المسلمين ليشترى به ما يوقفه على فقراء المدينة من ضياع وأماكن وربوع وغير ذلك مما يصنع فى كل يوم من الدشيشة والخبز والزيت وغير ذلك كما يفعل بمدينة الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فارتفعت له الاصوات بالدعاء فى ذلك المجلس ثم أمر السلطان بأن يكون هذا المال تحت يد قاضى القضاة الشافعى حتى يشترى به أماكن أو ضياعا فامتنع القاضى من ذلك واعتذر عن تسلمه حتى اعفى من ذلك ثم شرع السلطان فى بناء تلك الربوع التى أنشأها فى باب النصر وفى البندقانيين والخشابين والدجاجين وغير ذلك من الاماكن وفيه نزل السلطان الى قبة الامير يشبك فلما عاد وقف له جماعة من العوام وشكوا له من أمور الحسبة بأنها ضائعة وانه من بعد العصر ما يوجد الخبز على الدكاكين فلما طلع الى القلعة وأصبح رسم للصاحب قاسم شغيته بأن يتكلم فى الحسبة عوضا عن يشبك الجمالى وكان لما تولى الزردكاشية أهمل

أمر الحسبة وضاعت المصالح فى أمور البضائع وغيرها وسعر الغلال ووقع بالقاهرة تشحيطة فى الخبز فى تلك الايام وكادت أن تكون غلوة وفيه عين السلطان الامير يشبك الدوادار للخروج الى حماه بسبب قتال سيف أمير آل فضل الذى قتل ازدمر نائب حماه كما تقدم ذكر ذلك وهذه السفرة كانت آخر العهد بالامير يشبك ولم يعد منها الى مصر وعين معه من الامراء المقدمين برسباى قراتانى بك قراوعدة من الامراء الطبلخانات والعشراوات وعدة وافرة من الجند وقد لهج الناس بأن هذه التجريدة خرجت الى سيف وكان الامر كذلك وراح أكثر الامراء والعسكر على السيف كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه فكان كما قيل فى المعنى

لا تنطقن بما كرهت فربما * نطق اللسان بحادث سيكون

﴿وقال آخر﴾

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

وكان الامير يشبك له غرض تام فى السفر الى ديار بكر وقد سأل السلطان فى ذلك بنفسه والسبب فى ذلك أن الامير يشبك كان وقع بينه وبين جلبان السلطان بسبب جانم الشريفى وقد اتهم به انه شغله فصار معهم فى تهديد وقصد واقتله غير مرة فحسن له بعض الاعاجم أن مملكة حسن الطويل سائبة وان العسكر مختلف على ابنه يعقوب ومتى حاربتهم لا يقدروا على محاربتك ويسلموك مملكة العراق قاطبة فانصاغ الامير يشبك لهذا الكلام وسأل السلطان السفر بنفسه حتى يجعل الله لكل شئ سببا لنفوذ القضاء والقدر كما قيل فى المعنى

أتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع أعناق الرجال المطامع

فلما عين السلطان الامراء وعرض من بعد ذلك الجند وكتب منهم نحو من خمسمائة مملوك وكان الاكثر منهم من طائفة الاينالية فلما عرضهم أنفق عليهم وأمرهم بسرعة التجهيز والخروج صحبة الامير يشبك فبلغت النفقة عليهم فى هذه الحركة زيادة عن المائة ألف دينار وفيه خلع السلطان على الامير تغرى بردى ططر أحد المقدمين وقرره أمير المحمل وقرر يشبك بن حيدر والى القاهرة أمير أول وفيه توفى الشهيد الشريف زين العابدين وهو محمد بن محمد بن على بن على بن حسين القرشى الهاشمى السنجارى الحنبلى وكان رئيسا حشما فى سعة من المال كثير التواضع حسن الملتقى وفيه خلع السلطان على قانصوه دوادار الامير يشبك وجعله متحدثا فى الاستادارية الى أن يعود استاذه فاستعفى من ذلك وأظهر السفر صحبة استاذه وفيه قرر جانم دوادار الامير يشبك فى كشف أسيوط عوضا عن قرقماس الاعور فاستعفى جانم من ذلك واستقر بها سيباى وطلب قرقماس السفر صحبة يشبك وفيه فى سلخه كانت وفاة شيخ مذهب الشافعية بمصر الشيخ سراج الدين عمر بن حسن

ابن حسين العبادى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم مفتيا وصار أحفظ أهل زمانه بمذهبه بمصر منطرح النفس جدا وولى عدة وظائف سنية منها نظر الاحباس ومشيخة خانقاه سعيد السعداء وغير ذلك من الوظائف ومولده سنة احدى وثمانمائة وفيه نادى السلطان بأن معاملة الفضة بالميزان وكانت قد خفت جدا وفى ربيع الآخر خرج الامير يشبك الدوادار الى التجريدة من غير طلب لذلك وكان عليه خمدة زائدة فتفاءل الناس أنه لا يعود الى مصر أبدا وكذا جرى وكان الناس يقولون خرج لسيف وكان هذا ألاعليه وفيه قرر السلطان جانم الاعرج السيفى جانى بك نائب جدة فى نيابة حماه عوضا عن أزدمر قريب السلطان وفيه برز أمر السلطان الى سيباى كاشف الوجه القبلى بان يقطع رأس أزدمر الطويل الاينالى وكان نفى الى مكة المشرفة ثم بعد مدة نقل الى أسيوط وسجن وكان بينه وبين الامير يشبك عداوة وقصد أزدمر قتل يشبك غير مرة بل وقتل السلطان أيضا فلما برز الأمير يشبك بالريدانية للتجريدة أرسل يشبك يقول للسلطان ما أرحل من هنا حتى تقطع رأس أزدمر الطويل وتجىء الىّ وتأخر أياما ينتظر ذلك فأرسل السلطان يوسف السوام الذى كان والى قوص الى سيباى كاشف الوجه القبلى يقطع رأس ازدمر الطويل فتوجه فى الخفية الى أسيوط وعلى يده مرسوم السلطان الى سيباى بقطع رأس أزدمر فقطع رأسه باسيوط ووضعت فى علبة وأحضرت بين يدى السلطان فنظر اليها ثم أرسلها الى الأمير يشبك فنظر اليها وكتم هذا الامر عن الناس وما خفى بل اشتهر من يومه وكان أزدمر هذا من أعيان الاينالية شجاعا بطلا مقداما فى الحرب عارفا بانواع الفروسية ثم ان الأمير يشبك رحل من الريدانية وقد نال قصده من أزدمر ثم قطعت رأس الأمير يشبك بعد ذلك بمدة يسيرة والجزاء من جنس العمل وفيه توفى بردبك التاجى الاشرفى أحد العشراوات وكان لا بأس به وفيه تغير خاطر السلطان على قاضى القضاة الشافعية ولى الدين الاسيوطى وعلى قاضى قضاة الحنابلة بدر الدين السعدى فعزل القاضى الشافعى ورسم بنقل القاضى الحنبلى الى قوص ولم يكن ثم أمر كبير يستحق هذه الكائنة بل ما نكب القاضى الشافعى الا بسبب تركه انسان والقاضى الحنبلى بسبب كتاب وقف ونحو ذلك واستمر أمرهما فى اضطراب مدة ايام وتكلموا مع السلطان فيمن يلى قضاء الشافعية وقضاء الحنبلية وكتب قائمة باسماء جماعة من طائفتى المذهبين ثم عاد الامر الى إعادتهما الى ما كانا عليه بشفاعة الاتابكى أزبك فخلع على القاضيين ونزلا الى دورهما وكان لهما يوم مشهود وفى جمادى الاولى توفى القاضى شرف الدين يحيى ابن الجيعان مستوفى ديوان الجيش وهو يحيى بن شاكر بن عبد الغنى الشافعى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وله اشتغال بالعلم والفرائض وفيه تغير خاطر السلطان

على

على القاضى تاج الدين بن المقسى ناظر الخاص كان فرسم بتسميره فسمر على جمل وطيف به فى القاهرة وتوجهوا به الى قنطرة الحاجب ليوسطوه هنالك وكانت هيئته وهو مسمر على الجمل انه على رأسه عمامة صغيرة وهو لابس كبرأ بيض فلما وصل هنالك وقعت فيه شفاعة فعادوا به وقد أركبوه على فرس وفرح الناس بسلامته وفى جمادى الآخرة رسم السلطان بشنق تاج الدين بن المقسى بعد أن عفى عنه فتوجهوا به الى غيط الحاجب فشنقوه على جميزة هنالك وشنق معه فى ذلك اليوم قاسم بن بقر أمير عربان جذام بالشرقية وكان لهما يوم مشهود وكان اسمه عبد الله بن نصر الله القبطى وكان رئيسا حشما كيسا حسن الهيئة لطيف الذات وولى عدة وظائف سنية منها كتابة المماليك ونظر الدولة ونظر الجيش ونظر الخاص والاستادارية وغير ذلك من الوظائف ومات وهو فى عشر الخمسين وكثر عليه الحزن من الناس وقاسى فى أواخر عمره أهوالا وشدائد ومحنا وضرب بالمقارع فى يوم شديد البرد وآخر عمره شنق وفيه كان وفاء النيل المبارك وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وفيه نزل السلطان فى موكب وتوجه نحو قليوب ثم طاب له رؤية البحر فاقلع من هنالك وتوجه الى الوجه القبلى حتى وصل الى نحو طنبدا ثم عاد الى القلعة وفى رجب جاءت الاخبار بقتل سيباى العلائى الاينالى كاشف الوجه القبلى قتله بعض العرب بخنجر فى بطنه وهو راقد على فراشه وكان شابا حسنا شجاعا بطلا من خيار الاينالية وهو الذى قطع رأس ازدمر الطويل فكان بينه وبين قتل ازدمر الطويل شهران وبعض أيام وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة برهان الدين ابراهيم بن عمر بن حسن بن على بن أبى بكر الحربادى البقاعى الدمشقى الشافعى وكان عالما فاضلا محدثا ماهرا فى الحديث ليس من مساويه سوى حطه على الشيخ عمر بن الفارض رحمه الله ورضى عنه فلما قامت الدائرة بسبب ابن الفارض توجه الى دمشق فمات بها وفيه جاءت الاخبار بان الامير يشبك الدوادار لما دخل الى الشام أخذ معه نائب الشام قانصوه اليحياوى وتوجه الى حلب وان قانى بك صلق توفى بحلب وكان صحبة الامير يشبك وكان قانى بك صلق أصله من مماليك شادبك الجكمى وارتقى حتى بقى أمير طبلخاناه ورأس نوبة وكان لا بأس به ورأى غاية العز فى دولة الاشرف قايتباى وفى شعبان كان انتهاء القناطر التى بالجيزة وخلع السلطان على الاتابكى أزبك بسبب كونه كان شادا على العمارة فجاءت من آثار الملك وقيل ان السلطان صرف على هذه القناطر نحوا من مائة ألف دينار وفيه توفى مجد الدين بن الكويز وهو محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن داود بن خليل الشوبكى وكان رئيسا حشما وولى عدة وظائف سنية منها معلم المعلمين ونظر الخاص وغير ذلك ومولده سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وفى رمضان كان ختم البخارى بالقلعة وفرقت الخلع والصرر على القضاة ومشايخ العلم وكان قارئ الحديث

الشريف برهان الدين بن الكركى امام السلطان فخلع عليه ونزل من القلعة فى جمع حافل
وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة الامام الشافعى رحمة الله عليه ورضى عنه وكان الشاد على
عمارتها الخواجا شمس الدين بن الزمن وفيه كانت وفاة قاضى القضاة الحنفى شمس الدين
الامشاطى محمد بن محمد بن أحمد بن حسن بن اسمعيل بن يعقوب العينتابى الكحكاوى
الحنفى وكان عالما فاضلا بارعا فى علوم مذهبه وافر العقل فكه المحاضرة وكان ناب فى القضاء
مدة طويلة ثم تولى القضاء الاكبر وباشره بعفة زائدة وحرمة وافرة وحمدت سيرته وامتاز على
غيره من قضاة عصره وصمم على عدم حل الاوقاف فى أيامه وجمع بين القضاء ومشيخة
البرقوقية وكان نادرة فى عصره فلما توفى الامشاطى تكلموا مع السلطان فى القضاء عوضا
عن الامشاطى فلم يوافق على أحد وليه من أهل مصر ثم أرسل خلف شخص من الشام يقال
له شرف الدين موسى بن عيد ليلى القضاء واستمر منصب قضاء الحنفية شاغرا الى أن حضر
ابن عيد وفى شوال جاءت الاخبار من الرها بوقوع كائنة عظيمة طامة قتل فيها الامير يشبك
الدوادار وانكسر العسكر قاطبة وقتل الاكثر منهم وكان سبب ذلك أن الامير يشبك لما
دخل الى حلب كان صحبته نائب الشام ونائب حلب ونائب طرابلس ونائب حماه والعسكر
الشامى والحلبى والمصرى وغير ذلك من العساكر فلما استقر بحلب بلغه أن سيف أمير
آل فضل الذى خرج بسيبه قد فر وتوجه الى نحو الرها فقوى عزم الامير يشبك بأن يعدى
من الفرات ويتبع سيفا فى أى مكان كان فيه فكان كما قيل فى المعنى

وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

فعدى من الفرات هو والعساكر فاجتمع معه فوق العشرة آلاف انسان فلما عدى توجه
الى نحو الرها وكان المتولى أمرها يومئذ شخص يقال له بابندر أحد نواب يعقوب بك بن
حسن الطويل فحاصر الامير يشبك مدينة الرها أشد المحاصرة فلما أشرف على أخذها أرسل
بابندر يتلطف بالامير يشبك ويقول له ضمان مسك سيف على وأرسل يقول له ارحل من
الرها وأنا أجمع لك من المدينة مالا له صورة فأبى الامير يشبك من ذلك لما رأى من كثرة العساكر
التى كانت معه فطمعت آماله فى أخذ مدينة الرها ويزحف بعد ذلك على ملك العراق كما
حسنوا له ذلك فزعق النفير وركب العسكر قاطبة فبرز بابندر ومن معه من العسكر
وتحارب معهم فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد انكسر عسكر مصر قاطبة وبقية العساكر
قاطبة فأسر الامير يشبك وهو راكب على ظهر فرسه فأتوا به الى بابندر وأسروا نائب
الشام قانصوه اليحياوى ونائب حلب ازدمر ونائب حماه جانم الجداوى وقتل بردبك قريب
السلطان نائب طرابلس وأسر برسباى قراحاجب الحجاب وتانى بك قراأحد المقدمين وقتل
من الامراء العشراوات ومن أمراء الشام وحلب مالا يحصى وقتل من العساكر التى

كانت

كانت مع الامير يشبك مالا يحصى عددهم وكانت حوافر الخيل لا تطأ الا على جثث القتلى من العسكر فكان من قتل من أعيان العسكر بردبك قريب السلطان نائب طرابلس وهو بردبك المعمار السيفي جرباش كرت وجانى باى أخو سيباى أحد الامراء العشراوات وجانى باى أخو تانى بك قرا وسوازار الاشقر الاشرفى وكان علامة فى الرمى بالنشاب وطقطمش الخشقدمى أحد الامراء بحلب وسليمان بك من أقارب سوار وقانصوه البواب الاينالى أحد الامراء العشراوات ورؤس النوب وقرقاس المحمدى الظاهرى أحد العشراوات ورؤس النوب وأما الذى قتل من الخاصكية والمماليك السلطانية فاضبط لكثرتهم وقتل من العساكر الشامية والحلبية وغير ذلك مالا يحصى عددهم وكانت مصيبة عظيمة مهولة قل أن يقع مثلها العسكر مصر وأما ما كان من أمر يشبك الدوادار فانه أقام فى الاسر نحو ثلاثة أيام ثم فى اليوم الرابع بعث اليه بعبد أسود من عبيد التركمان قطع رأسه تحت الليل وأحضرها بين يدى بابندر وقيل انه حز رأسه بالسيف عدة مرار وهى لا تنقطع فقطعها بسكين صغير وعذبه غاية العذاب فلما طلع النهار وجدوا جثته بغير رأس وهى مرمية على قارعة الطريق وعورته مكشوفة حتى ستره بعض الغلمان بحشيش من الارض فسبحان من يعز ويذل وبيده كل شئ وهو على كل شئ قدير وقيل فى المعنى

ما أعجب الدهر فى تقلبه * والدهر لا تنقضى عجائبه
فكم أرانا الدهر من أسد * بالت على رأسه ثعالبه

فلما قطعت رأس الامير يشبك بعث بها بابندر الى بلاد العجم عند يعقوب بن حسن الطويل فكان له يوم مشهود بمدينة ماردين وطافوا بها بلاد العجم وهى على رمح وألبسوا رأس الامير يشبك تخفيفته الكبيرة لما طافوا بها وطافوا بالنواب والامراء الذين أسروا وهم فى قيود وجنازير والمماليك الذين أسروا ومشاة وأرسل بابندر الى يعقوب بن حسن بجميع ما نهبه من العسكر من مال وخيول وسلاح وقماش وبرك وغير ذلك مما لا يحصى وكانت هذه الكسرة على عسكر مصر من الوقائع الغريبة وكانت قتلة الامير يشبك فى العشر الاخير من رمضان سنة خمس وثمانين وثمانمائة بالرها وكان الامير يشبك أميرا جليلا معظما فى سعة من المال ذا شهامة زائدة وحرمة وافرة وكلمة نافذة وكان أصله من مشتروات الظاهر چقمق وكان يعرف بيشبك بن مهدى ورقى فى دولة الاشرف قايتباى حتى صار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية واجتمع فيه عدة وظائف سنية منها الدوادارية الكبرى وامرية سلاح والوزارة والاستادارية الكبرى وكاشف الكشاف ومدبر المملكة وغير ذلك فعظم أمره جدا ووقع له أشياء غريبة لم تقع لغيره من أبناء جنسه فى عصره ومات وله من العمر نحو من ست وخمسين سنة وقد وكزه الشيب قليلا وكان صفته أبيض اللون مدور

الوجه أشهل العينين أشقر اللحية طويل القامة ملىء الجسد وأنشأ أشياء كثيرة من العمائر بالديار المصرية مابين ربوع وحوانيت ودور جليلة وصهاريج ومغسل وأسبلة وزوايا وأنشأ قبة بالمطرية وقبة برأس الحسينية وكان له فى كل سنة عدة شقادف محملة على جمال ومعها الزاد والماء تلاقى الحجاج من العقبة بسبب المنقطعين من الحجاج وله غير ذلك أشياء كثيرة من وجوه البر والمعروف وكانت له محاسن ومساو وفيه الخير والشر وقد ساقه أجله حتى خرج فى هذه التجريدة بسبب سيف أمير آل فضل فكانت منيته بالرها وكان الامير يشبك باغيا على بابندر فانه قصد محاربته من غير سبب ولا موجب لذلك فكان كما قيل

من لاعب الثعبان فى وكره * يوما فلا يأمن من لسعته

وقد نهى بعض الحكماء عن التوجه الى بلاد الشرق من غير حاجة فقال

اذا شئت أن تلقى دليلا الى الهدى * لتقفو آثار الهداية من كافى

فخل بلاد الشرق عنك فانها * بلاد بلا دال وشرق بلا قاف

ولكن قدر فى الازل بان قبض الامير يشبك يكون بالرها فسبب له الاسباب لذلك وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أراد الله تعالى قبض روح عبد بارض جعل له اليها حاجة ومن النكت اللطيفة ماروى فى بعض الاخبار أن ملك الموت زار سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه ويطيل النظر فقال الرجل لسليمان عليه السلام ومن هذا الرجل الذى يطيل الىّ النظر فقال سليمان عليه السلام هذا ملك الموت عليه السلام فاضطرب الرجل وقال يانبىّ الله أقسمت عليك بالله تعالى الا ما أمرت الريح تحملنى من هنا وتلقينى خلف جبل قاف فامر سليمان عليه السلام الريح بان تحمل ذلك الرجل وتلقيه خلف جبل قاف فلما حملته الريح الى هناك قال سليمان بعد ذلك لملك الموت لماذا كنت تطيل النظر فى الرجل الذى كان جالسا عندى فقال ملك الموت عليه السلام كان تطرى الى هذا الرجل تعجبا منه لانى أمرت بقبض روحه خلف جبل قاف وقد وجدته بحضرتك فصرت متعجبا من ذلك فلما مضى الرجل خلف جبل قاف قبض ملك الموت عليه السلام روحه هناك كما أمر وهذا مصداق للحديث الشريف فكان قبض الامير يشبك بالرها فلما ورد هذا الخبر الى السلطان اضطربت أحواله وماجت القاهرة عن آخرها وكان يوما مهولا ثم أشيع بين الناس أن الامير يشبك فى الحياة وهو فى الاسر عند بابندر وقيل انه فر بنفسه وهو مختف عند بعض التركمان واختلفت الاقوال فى أمره وصارت دكة النقباء على بابه بعد قتله مدة طويلة ونظامه باق على حاله ووقع الشك فى حقيقة قتله ثم أشيع بين الناس ان السلطان قصد السفر الى حلب بنفسه ويقيم بها خوفا من عسكر يعقوب بن حسن أن يطرق بلاد حلب والشام فان النواب قاطبة كانوا فى الاسر عند يعقوب بن حسن ثم ان السلطان عين الاتابكى أزبك

الى حلب وعين معه وردبش أحد المقدمين وخلع عليه وأقره فى نيابة حلب عوضا عن أزدمر وعين من الامراء العشراوات والطبلخانات عدة وافرة منهم جانى بك حبيب أميراخور ثانى وآخرين من الامراء ثم عرض الجند وكتب منهم جماعة واستحثهم على الخروج بسرعة قبل أن تهجم عساكر الشرق على حلب ولولا فعله ذلك لخرج من يده غالب جهات حلب ثم بعد أيام خرج الاتابكى ازبك من القاهرة هو والعسكر فى تجمل زائد وكان لهم يوم مشهود وفوض السلطان أمر البلاد الشامية والحلبية للاتابكى أزبك وجعل له التكلم فى أمور المملكة من ولاية وعزل ولما أراد الرحيل من الريدانية نزل اليه السلطان وودعه وجلس عنده واشتور وافيما يكون فيه المصلحة بسبب هذه الكائنة ثم ان الاتابكى أزبك سافر وفيه عين السلطان تمراز التمشى قريبه لنيابة الشام فامتنع من ذلك وادعى الفقر وعدم البرق فوبخه السلطان بالكلام فخنق منه تمراز ونزل الى داره وأغلق بابه ولم يجتمع بأحد من الناس وصرف نقباءه عن بابه وكثر القال والقيل فى ذلك فارسل السلطان يقول له توجه الى مكة وأقم بها بطالا واستمر فى هذه الحركة أياما وهو فى اضطراب والسلطان يستحثه فى سرعة الخروج الى مكة ثم ان الاتابكى أزبك مشى بينه وبين السلطان بالصلح فطلع الى القلعة وقابل السلطان فخلع عليه ونزل الى داره فى موكب حفل وقد زال ما بينه وبين السلطان من الوحشة بسبب نيابة الشام ثم تحول أمر نيابة الشام الى قجماس الاسحاقى أميراخور كبير فخلع عليه وقرره فى نيابة الشام عوضا عن قانصوه اليحياوى بحكم أسره وفيه عقب ذلك وقف الأمير خاربك بن حديد الى السلطان وسأله فى اقطاع الأمير يشبك الدوادار فتر فيه السلطان فنزل الى داره مغضبا وأغلق بابه وصرف غلمانه وامتنع من الاجتماع بالناس وتكلم بكلمات كثيرة فى حق السلطان وكان الأمير خاربك صعب المراس شديد الخلق قوى الرأس فلما بلغ السلطان ذلك بعث باحضاره فاختفى خاربك وخرج من داره وهو لابس جبة صوف أبيض وتعمم بمئزر صوف أبيض وأخذ بيده سبحة وادعى انه قد ترك الدنيا وبقى فقيرا مجردا وتوجه الى جامع قيدان الذى بقناطر الاوز وكان أنشأ به جوسقا مطلا على البركة التى هناك فاقام به أياما فلما بلغ الأمير تمراز ذلك توجه اليه وتلطف به فى عوده الى داره فلم يوافق على ذلك واستمر مصمما على عدم عوده وبقى هناك أياما ثم ان السلطان أرسل اليه قانصوه خمسمائة وشكه فى الحديد وطلع به الى القلعة وهو ماش فلما مثل بين يديه وبخه بالكلام وقصد أن يفتك به ثم آل أمره من بعد ذلك الى أن أخرجه منفيا الى دمشق صحبة الاتابكى أزبك لما خرج الى التجريدة المقدم ذكرها فسجن هناك وجرى عليه شدائد ومحن الى الغاية واستمر منفيا الى أن مات بمكة المشرفة كما سيأتى الكلام على ذلك وكان خاربك من أخصاء السلطان وكان من أكبر أصحابه من

حين كان السلطان خاصكيا فانقلب عليه كأنه لم يعرفه قط فكان كما يقال ثلاث لا يؤمن اليهم المال وان كثر والملوك وان قربوا والمرأة وان طالت صحبتها وفيه طلع الأمير لاجين الظاهري الى السلطان واستعفى من امرية مجلس وذكر للسلطان أنه قد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة فاعفاه السلطان من ذلك ورتب له ما يكفيه واستمر طرخانا الى ان مات وفيه خلع السلطان على الشيخ ناصر الدين بن الاخميمي الحنفي أحد أئمة السلطان وقرره في مشيخة البرقوقية عوضا عن قاضي القضاة الامشاطي وفيه خرج المحمل في تجمل زائد من القاهرة وكان أمير الركب بالمحمل تغري بردي طر أحد الامراء المقدمين وأمير الركب الاول يشبك ابن حيدر والى القاهرة وفي ذي القعدة وصلت جثة الامير يشبك الدوادار من الرها وهي في صحلية وهي جثة بغير رأس فوقع الشك فيها هل هي جثته أم لا فوجدوا بها أمارات تدل على أنها جثته فكفنوها ودفنوها في تربته التي أنشاها عند زاوية كهنبوش وتحقق موته وانقطعت الاشاعات بانه في قيد الحياة وحضر صحبة جثته قانصوه دواداره وأخبر بحقيقة موته وكيفية أمره الواقعة ومن أسر من الامراء وأخبر بقتل قانم قريب السلطان الذي كان أتابك العساكر بحلب قتل على ماردين من جملة من قتل من العسكر وكان شجاعا بطلا لا بأس به فلما ثبت موت يشبك زال أمره كأنه لم يكن وفيه وصل شرف الدين بن عبد الدمشقي الذي تقدم ذكره فلما طلع الى القلعة خلع عليه السلطان وأقره في قضاء الحنفية عوضا عن الامشاطي وفي ذي الحجة خلع السلطان على تغري بردي بن بلباي الظاهري خازندار يشبك الدوادار وقرره في الاستاتادارية عوضا عن مجد الدين بن البقري ورسم السلطان على مجد الدين ليقيم الحساب وكان في ذلك دماره وفيه توفي دولات باي بطيخ الابو بكري المؤيدي أحد العشراوات ورؤس النوب وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من حلب بقتل محمد بن حسن بن الصوا الحلبي نائب قلعة حلب وكان من أخصاء السلطان ثار عليه أهل حلب بسبب مظالم أحدثها بحلب فقتله العامة وقتل فرج بن أغلبك حاجب الحجاب بحلب وكان رئيسا حشما من أعيان أهل حلب وكان لا بأس به وفيه مات مشنو قاشيخ عربان الشرقية قاسم بن بيبرس بن بقر وكان من خيار بني بقر وتوفي أبو بكر جركس مقدم البريدية وأحد الحجاب بعصر وكان رئيسا حشما لا بأس به

886 ثم دخلت سنة ست وثمانين وثمانمائة فيها في رابع المحرم خلع السلطان على أقبردي ابن علي باي قريبه أحد المقدمين وقرره في الدوادارية الكبرى عوضا عن يشبك بن مهدي بحكم قتله في الرها فنزل من القلعة في موكب حافل وسكن في دار الامير يشبك ورسم له السلطان بجميع ما كان في بيت الامير يشبك فجاءت اليه السعادة من قماش وأوان وخيول وبرك وهو لا يشعر بها فسبحان المعطي الكريم وهو على كل شئ قدير وقد قيل

*مصائب

* مصائب قوم عند قوم فوائد * وفيه خلع السلطان على الماس وقرره فى نيابة صفد فخرج عن قريب وخرج صحبته تانى بك الجمالى أحد المقدمين الى حلب عونة للاتابكى أزبك فطلب وخرج وكان له يوم مشهود وفيه ثارت ريح عاصفة وثار فيها غبار أصفر يأخذ بالانفاس واستمر من قبل الزوال الى نصف الليل وفيه فى سابع عشره كانت زلزلة عظيمة بمصر والقاهرة ماجت الارض وتحركت الموادن ومالت وسمع للارض دوى كدوى الرحا وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر واستمرت نحو ثلاث درج وهى فى اضطراب حتى دهشت منها الناس وخرجت النساء من الحمامات والبيوت وهن حاسرات عن وجوههن وحصل للناس غاية الرعب ومات من هذه الزلزلة قاضى القضاة شرف الدين بن عبد الحنفى وكان جالسا بايوان المدرسة الصالحية فقام حين وقعت الزلزلة فسقط عليه ساقط من أعلى الايوان فمات لوقته وكان عالما فاضلا دينا خيرا بعث السلطان خلفه من دمشق الى مصر وولاه قضاء الحنفية فأقام بها ثمانية وخمسين يوما ومات بهذا السبب وكان أصله من عجلان وهو موسى بن أحمد بن عبد الدمشقى الحنفى وكان تولى قضاء دمشق ثم طلب وتولى قضاء مصر وكان مولده سنة ثلاثين وثمانمائة فلما أخرجت جنازته نزل السلطان وصلى عليه ودفن بالصحراء وتوفى من الزلزلة عقيب ذلك الزينى أبو بكر بن القاضى عبد الباسط ناظر الجيش كان وكان رئيسا حشما نادرة فى أبناء الزمان ذا شهامة وعظمة وكان من أخصاء السلطان وكان عليلا فمات مرجوفا من الزلزلة حين ماج به البيت وكان فى سعة من المال والقماش والبرك وولى من الوظائف نظر الجيش وغير ذلك وفيه خلع السلطان على قانصوه بن طرابای المعروف بخمسمائة الاشرفى وقرره فى امرية الاخورية الكبرى عوضا عن قجماس الاسحاقى بحكم انتقاله الى نيابة الشام وكان قانصوه يومئذ شابا بدا عذاره وولى الدوادارية وهو لابس الكوفية القدس فلما بقى أمير اخور كبير بعث له السلطان بشاش فلف له تخفيفة كبيرة وكان حين لبس الدوادارية الثانية قبل ان يلبس اقبردى التقدمة والامير اخورية الكبرى بعد ما لبس اقبردى الدوادارية والمقصود انه صار مقدم ألف قبله وأخذ الدوادارية بالمنزلة فى محله وقانصوه نط من الدوادارية الثانية الى الامير اخورية الكبرى فكان بينه وبينها عدة وظائف وفيه أنعم السلطان على جماعة من الامراء بتقادم ألوف منهم ازدمر تمساح ويشبك الجمالى الزردكاش الكبير وازدمر المسرطن الظاهرى وفيه قرر فى قضاء الحنفية بدمشق مجد الدين بن القصيف عوضا عن العبدوى وعزل العبدوى وكان ابن فرفور قرر قبل ذلك فى نظر الجيش بدمشق فجمع بين نظارة الجيش وبين قضاء الشافعية وعزل عن نظارة الجيش الشريف موفق الدين الحموى وأودع فى السجن بقلعة دمشق وخلع على

قطب الدين الخضيرى وقرره فى كتابة السر بدمشق فانفرد بكتابة السر دون قضاء
الشافعية وكان قبل ذلك متوليا قضاء الشافعية بدمشق وفيه قدم قاصد ملك الحبشة
فأوكب له السلطان موكبا بالحوش وكان موكبا حافلا وأحضر صحبته هدية حافلة للسلطان
فأكرم ذلك القاصد جدا وسبب حضوره انه جاء يسأل البترك أن يولى شخصا يكون عنده
ببلادهم وفى صفر خلع السلطان على قانى بك جشحة وقرره فى الرأس نوبة الثانية عوضا
عن ازدمر تمساح بحكم انتقاله الى التقدمة وقرر فى الجوبية الثانية تانى بك الاينالى عوضا
عن قانى بك جشحه بحكم انتقاله الى رأس نوبة ثانى وفيه نزل السلطان الى جهة قليوب
وكان يوم الجمعة فلما عاد صلى الجمعة فى قبة الامير يشبك التى بالمطرية وتوجه قاضى القضاة
الشافعى وخطب به هناك وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفه بوفاة اينال الاسحاقى
الظاهرى أحد العشراوات وشيخ الحرم الشريف النبوى وكان انسانا حسنا خيرا ديناوله
اشتغال بالعلم وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على شخص يقال له شمس الدين العزى بن
المغربى وقرره فى قضاء الحنفية عوضا عن ابن عيد ولم يكن هذا العزى أهلا لولاية قضاء
الحنفية ودلس على السلطان أمره وكان الساعى له فى هذه الوظيفة تغرى بردى الاستادار
ويعقوب شاه المهمندار وقد عز ذلك على جماعة من الحنفية وكان فيهم يومئذ من هو
أولى بذلك من العزى وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن الاتابكى أزبك لما وصل الى حلب
وجد أمر الفتنة التى وقعت بين عسكر مصر وبين بابندر قد سكن أمرها وان يعقوب بن
حسن الطويل شق عليه ما فعله بابندر من سرعة قتله للامير يشبك الدوادار ولامه على ذلك
ثم ان الاتابكى ازبك أرسل جانى بك حبيب قاصدا الى يعقوب بن حسن فتلطف به فى الكلام
وكان الامير جانى بك حبيب سيوسادر يا حلو اللسان فأكرمه يعقوب وأجله ثم أطلق من
كان عنده من الاسرى من النواب والامراء وغير ذلك فسلمهم للامير جانى بك حبيب فأتى
بهم الى حلب صحبته فلما بلغ السلطان هذا الخبر سرّ به جدا وفيه خلع السلطان على البدرى
حسن بن الطولونى وأعاده الى معلمة المعلمين وكانت قد أخرجت عنه مدة طويلة وفيه نزل
السلطان وتوجه الى الخانكاه فاعجبه مكان عند قناطر المرج والزيات فأمر ببناء زاوية
هناك وحوضا وسبيلا وأخذ فى أسباب ذلك وجاء من أحسن البناء وفيه توفى القاضى
سعد الدين الكماخى أحد نواب الحنفية وهو ابراهيم بن محمد بن محمد بن قطلوبك شيخ المدرسة
الظاهرية العتيقة وكان عالما فاضلا رئيسا حشما دريا محمودا فى قضائه وكان لا بأس به وفى
ربيع الاول جاءت الاخبار بوفاة السلطان المعظم المفخم المجاهد المغازى ملك الروم
وصاحب القسطنطينية العظمى وهو محمد بن مراد بن محمد بن عثمان وكان ملكا جليلا
عظيما ساد على بنى عثمان كلهم وانتشر ذكره بالعدل فى سائر الآفاق وحاز الفضل والعلم

والعدل والكرم الزائد وسعة المال وكثرة الجيوش والاستيلاء على الاقاليم الكفرية وفتح الكثير من حصونها وقلاعها وكان نائب مملكة الروم فى حياة أبيه ثم استقل به من بعده ومكث به مدة طويلة تزيد عن احدى وثلاثين سنة ومولده بعد الاربعين والثمانمائة ولما مات تولى بعده ولده أبو يزيد يلدرم الموجود الى تاريخه فلما سمع ذلك السلطان أظهر الحزن والاسف عليه وفيه خلع السلطان على العلائى على بن الصابونى وقرره فى نظر الخاص عوضا عن بدر الدين بن الكويز بحكم وفاته وقد جمع بين نظر الخاص ووكالة بيت المال وفيه خلع السلطان على يشبك بن حيدر والى القاهرة وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وقرر الشهابى أحمد بن الجمالى ناظر الخاص فى امرية الحاج بالركب الاول وقرر شاهين الجمالى فى نيابة جدة ويخرج صحبة الشهابى أحمد ناظر الجيش ويكون هو المتكلم على الحجاج بالركب الاول وفى ربيع الآخر نزل السلطان وتوجه الى قبة يشبك التى بالمطرية وبات بها وصلى صلاة الجمعة هنالك وخطب به محمد بن دمرداش امام القبة وعمل هنالك بعد العصر ميعادا بحضرة السلطان فأنعم عليه بمائة دينار وفيه نزل السلطان وعدى الى جهة الروضة وأمر بتجديد الجامع الذى هنالك تجاه المنشية وكان تلاشى أمره فأمر بهدمه وتجديده وكان الشادّ على عمارته البدرى حسن ابن الطولونى ثم ان السلطان توجه الى المقياس ونزل عن فرسه ودخل الى قاعدة المقياس وأمر بتجديد بعض أماكنه واصلاح أساسه وغير ذلك ثم ان السلطان صار يتردد الى الروضة ويكشف عن بناء هذا الجامع حتى انتهى العمل منه فى سنة ست وثمانين وثمانمائة وقد جاء فى غاية الحسن والتزخرف وصار يعرف بجامع السلطان وكان أصل من أنشأ هذا الجامع الفخر ناظر الجيش وهو صاحب قنطرة الفخر الذى أنشأها فى دولة الناصر محمد بن قلاون ثم جدّد بناءه الصاحب شمس الدين محمد بن المقسى فعرف به ثم جدد بناءه الاشرف قايتباى فعرف به وجاء من أحسن البناء هنالك وفى جمادى الاولى توفى علان الاشقر بن طط خ الاشرفى أحد العشراوات ورؤس النوب وهو الذى أنشأ الحوض والسبيل بطريق بركة الحاج وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على اينال السلحدار نائب الاسكندرية وقرره فى نيابة طرابلس عوضا عن بردبك المعمار بحكم قتله فى واقعة بابندر وخلع على جكم قراأمير اخور الجمالى الظاهرى وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن اينال السلحدار بحكم انتقاله الى نيابة طرابلس وفيه توفى الامير لاجين الظاهرى أمير مجلس كان وجاوز التسعين سنة من العمر وكان دينا خيرا رئيسا حشما وكان من الشجعان قبل أن يهزم وتولى عدة وظائف سنية منها الزردكاشية الكبرى ثم شادية الشراب خاناه ثم بقى مقدم ألف ثم بقى أمير مجلس واستعفى من ذلك ومات بطالا وكان لا بأس به وفيه خلع

السلطان على قائم الفقيه الظاهرى الاشقر بمشيخة الحرم الشريف النبوى عوضا عن اينال باى الاسحاقى بحكم وفاته وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار من حلب من عند الاتابكى أزبك بأن الجام بن عثمان ملك الروم قد وقع بينه وبين أخيه أبى يزيد وان الجام وصل الى أطراف بلاد السلطان وبعث يستأذن فى الدخول الى حلب فعاد من السلطان للاتابكى أزبك بأن يحضر الى القاهرة فى قليل من عسكره ثم ان السلطان أخذ فى أسباب تجهيز الملاقاة اليه الى أن يصل الى مصر وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى فى خامس عشر مسرى فلما أوفى رسم للامير أزبك السيفى بأن يتوجه ويفتح السد وفى رجب طلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر فوقع بالمجلس كلام يتعلق بالشهاب أحمد بن العينى بسبب تركة شرف الدين ابن كاتب غريب وكان بعض نواب المالكية سمع دعوى ابن العينى وحكم له ثم ان أمر هذى الدعوه وقف مدة طويلة فلما طلع القضاة فى الشهر المذكور أخذ السلطان يسأل القاضى المالكى والشافعى عن السبب فى تأخر ذلك بعد أن ثبت حق ابن العينى وحكم له بذلك فطال الكلام فى المجلس بين القضاة فمنهم السلطان فقام كاتب السر يتكلم للقضاة من نوع المساعدة لهم فقال له السلطان أنت معزول والقاضى الشافعى معزول والقاضى المالكى معزول فنزلوا الى دورهم وهم فى غاية النكد وكان آخر عزل ولى الدين الاسيوطى ولم يل بعد ذلك القضاء وكذلك برهان الدين اللقانى فكانت مدة ولى الدين الاسيوطى فى قضاء الشافعية نحو من ست عشرة سنة وكان مشكور السيرة فى قضائه ثم أخذ السلطان فى أسباب من يلى قضاء الشافعية فترشح أمر الشيخ زين الدين زكريا فطلب وخلع عليه وتولى القضاء وقد تمنع من ذلك الى الغاية ثم شرط على السلطان شروطا كثيرة فأجيب الى بعضها ونزل من القلعة فى موكب حافل واستمر فى هذه الولاية مدة طويلة وقد أخذها عن ولى الدين الاسيوطى بحكم صرفه عنها وكان الشيخ زكريا يومئذ رأس الشافعية ثم ان السلطان طلب محيى الدين بن تقى الدين المالكى وخلع عليه وقرره فى قضاء المالكية عوضا عن برهان الدين اللقانى بحكم صرفه عنها واستمر فى هذه الولاية الى أن مات وأما القاضى كاتب السر ابن مزهر فانه أقام فى داره نحو ثمانية عشر يوما وهو منفصل عن كتابة السر ثم ان بعض الامراء مشى بينه وبين السلطان فى عوده بعد ما كان ترشح أمر قطب الدين الخضيرى بأن يلى كتابة السر ثم ان ابن مزهر أورد للسلطان مالا له صورة حتى رضى عليه فلما طلع الى القلعة خلع عليه السلطان وأعاد وظيفته ونزل من القلعة فى موكب حافل وتخلق جماعته بالزعفران وزينت له حارته وهنأه الاديب أبو الخير بن النحاس بقوله فيه

مقام ابن مزهر فوق السها * وقد زادربى اجلاله

وظيفته الدهر تسمو به * ولم تك تصلح الا له

وقال آخر

يا كاتب الاسرار يا من فضله * قد جل الدنيا وزان المنصبا

هذى وظيفتك التى فارقتها * عادت اليك فرحبا بك مرحبا

وفيه حضر برقوق الساقى الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان ممن أسر عند بابندر وحضر صحبته اياس مملوك الاتابكى أزبك وأخبر بأن النواب والامراء الذين كانوا فى الاسر عند بابندر قد أطلقوا أجمعين ودخلوا الى حلب صحبة جانى بك حبيب وقد خلع عليهم يعقوب بن حسن الطويل ثم أخبر اياس المذكور أن الجمعة بن عثمان قد خرج من غزة وهو قاصد للديار المصرية فلما أخبر السلطان بذلك أخذ فى أسباب ملاقاة الجام وفيه توفيت خوند بنت الملك المنصور وهى زوجة تمراز التمشى رأس نوبة النوب وكانت شابة جميلة ماتت نفساء بعد أن وضعت وفيه قرر عماد الدين اسماعيل الناصرى الحنفى الدمشقى فى قضاء الحنفية بدمشق عوضا عن ابن القصيف بحكم انفصاله عنها وفى شعبان خرج الصاحب خش قدم الزمام الى ملاقاة الجام بن عثمان ومثله أسمطة حافلة ببلبيس والخانكاه ثم لاقته الامراء المقدمون والعسكر ورؤس النوب والحجاب من المرج والزيات فسار فى موكب حافل حتى طلع الى القلعة من بين الترب فاقام له السلطان الموكب بالحوش فلما مثل بين يدى السلطان وهو جالس على الدكة فتحرك ولم يقم له فعد ذلك ناقصة من الاشرف قايتباى ثم خلع على الجام كاملية بسمور حافلة وأركبه فرسا خاصا من مراكبه بسرج ذهب وكنبوش زركش ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدامه الامراء ورؤس النوب وكان له يوم مشهود وقد قيل فى المعنى

يا أيها الملك الهمام ومن له * أسد الفلا تأتى اليه ملجمه

قد فاق قدرك فى الملوك تعاظما * مذ صح بين يديك نطق الجمجمه

وأنزلوه بدار ابن جلود كاتب المماليك التى بفم الخور وقد حضر بصحبة الجمجمة والدته وأولاده وعياله وقد فر من أخيه أبى يزيد خوفا على نفسه من القتل فالتجأ الى سلطان مصر وفيه قبض يشبك بن حيدر والى القاهرة على امرأة يقال لها خديجة الرحابية وكانت من أعيان مغنيات مصر ولها انشاد لطيف وكان أصلها من مغنيات العرب ثم عظم أمرها جدا وحظيت عند أرباب الدولة ورؤساء مصر وكانت جميلة حسنة الغناء فافتتن بها الكثير من الناس وقد قال فيها بعض الشعراء

رحابية يخفى الشموش جمالها * لها حسن انشاد يزين مقالها

وقد خايلت بالبدر ليلة تمه * فما زال من عينى وقلبى خيالها

فلما قبض عليها يشبك كانت فى بعض الافراح فقبض عليها من هنالك فلما مثلت بين يديه قال لها أنت التى أفسدتى عقول الناس ثم أمر بضربها بين يديه نحوا من خمسين عصا وقرر عليها مبلغا له صورة وكتب عليها قسامة بانها لا تغنى ولا تحضر فى مقام فلما خلصت من ذلك أقامت مريضة مدة من الرجفة التى وقعت لها ثم ماتت عقيب ذلك وكان لها من العمر نحو الثلاثين سنة فتأسف عليها الكثير من الناس وفيه كان ختان أولاد القاضى كاتب السر ابن مزهر ببركة الرطلى وكان له مهم حافل جدا وحضر عنده جماعة من الامراء المقدمين والعشراوات وحضر عنده جمجمة بن عثمان وبات عنده وكان النيل فى أواخره فأمر كاتب السر سكان بركة الرطلى بان يوقدوا فى البيوت وقدة حافلة وشرع يرسل فى كل بيت فى البركة عشرة أرطال زيت وطبلية فيها أكل فاخر من طعام ذلك المهم فاحتفلوا فى الوقدة وعلقوا فى الطيقان الاحمال والتنانير حتى كانت ليلة مشهودة يكاد الانسان أن يدخل الخيط فى خرم الابرة من عظم ضوء النور وأحرق حراقة عظيمة لم يسمع بمثلها حتى جاءت اليها الخلائق من كل مكان بسبب الفرجة وبلغ كراء كل مركب أربعة أشرفية واستمرت هذه الوقدة والحراقة ثلاثة أيام متواليه حتى عد ذلك من النوادر التى لم يقع مثلها واجتمع بالبركة نحو من أربعمائة مركب موسوقة بالخلائق وصار ابن رحاب عمالا ومغانى البلد من نساء ورجال فى كل ليلة وأنفق فى تلك الليلة من الاموال ما لا يحصى حتى قيل ابتاع من عصفور الجبان على المتفرجين بنحو من مائة وعشرين دينارا جبن مقلى وكذلك ابن الزبيق الحلوانى ابتاع منه حلوى بمثل ذلك وقد خرجت الناس فى القصف والفرجة عن الحد وقد رسم السلطان للقاضى كاتب السر أن لا يبقى ممكنا فى هذا المهم لاجل جمجمة ابن عثمان لكونه كان حاضرا فى هذا المهم وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

طابت على بركة الرطلى ليلتنا * حتى تباهت على الخلجان والبرك
حفت بضوء مصابيح زهت وغدت * تضئ فى حندس الديجور والحلك
فكان لما تناهى حسن وقدتها * تخفى شموس الضحى فى دارة الفلك

وقال شمس الدين القادرى

تاه الانام بجنح الليل فاتخذوا * لهم دليلا لدى الظلما من اللهب
حتى كان جلابيب الدجا رغبت * عن لونها وكأن الشمس لم تغب

وفيه عزم السلطان على الجمجمة بن عثمان وأضافه بقبة الامير يشبك التى بالمطرية وحضر ذلك الامراء المقدمون وكانت ضيافة حافلة جدا وخلع السلطان على الجمجمة كاملية بسمور وفيه قرر الجمالى يوسف بن چاهين الكركى سبط ابن حجر فى قراءة الحديث الشريف بالقلعة عوضا عن برهان الدين بن الكركى الامام وكان السلطان تغير خاطره على ابن الكركى

واختفى

واختفى مدة طويلة وفيه أحضر شخص من العرب بين يدى السلطان سنا من نواجذ بنى آدم من نسل العمالقة فكان وزنه ستة أرطال ونصفا فتعجب السلطان من ذلك وفى رمضان ثارت رياح من جهة الغرب وكانت عاصفة جدا وأظلم بسببها الجو وأرعد وأبرق ثم أمطرت السماء مطرا غزيرا وكان المطر فى غير أوانه فى أواخر بابه ثم جاءت الاخبار من دمياط بان هذا الريح كانت قوته بدمياط وقد قلع عدة أشجار وهدم بعض أماكن وأغرق عدة مراكب من مراكب الفرنج وكان ريحا مهولا جدا وفيه جاءت الاخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بان فى ليلة ثالث عشر الشهر المذكور سقطت صاعقة عظيمة فى أواخر الليل على المسجد الشريف النبوى فاحترقت منها المنارة التى تجاه الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام واحترقت سقوف المسجد جميعها والمنبر والحيطان والاعمدة والابواب وما سلم من ذلك سوى القبة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وبعض حيطان المقصورة وقتل المؤذن الذى كان على المئذنة وقت نزول الصاعقة وقتل جماعة أيضا ممن كان بالحرم الشريف فكتب بذلك محضر وثبت على يد قضاة المدينة وكان مما كتب فى المحضر أن المؤذن لما طلع على المئذنة الشرقية لاجل التسبيح رأى صاعقة عظيمة نزلت من السماء على المسجد الشريف النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فعملت فيه النار فلما عاين المؤذن ذلك خرس ونزل من المئذنة فاقام ساعة ومات وقد عاين الناس عدة أطيار بيض بأعناق طوال طائفة حول المسجد تمنع النار أن تحرق البيوت التى حول المسجد وأن المسجد جميعه قد احترق حتى صار كالتنور فلما سمع السلطان ذلك بكى وبكى من كان حوله وتعجب الناس لهذه الواقعة كيف جرت فى هذا المكان الشريف فأخذ شيخنا شمس الدين القادرى يعتذر عن ذلك

بطيبة سيآت الركب بدلها * رب العلا حسنات عند ما زاروا
وعند ما قبلت ضاهت لدى حرم الـ * ـمختار من أكلت قربانه النار

واعتذر آخر

لم يحترق حرم النبى لحادث * يخشى عليه ولا دهاه العار
لكنما أيدى الروافض لامست * ذاك الجناب فطهرته النار

واعتذر آخر

قالوا لقد غاب الصواب لحادث * تبنى عليه رضاهم الكفار
بل ضم شمل السحت وهو محرم * عند الرسول فحرقته النار

ثم ان السلطان شرع فى تجديد المسجد الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فعين الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن بان يتوجه الى المدينة الشريفة وأرسل معه عدة

من البنائين والنجارين والمرخمين وغير ذلك وأمر بهدم القبة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام واعادتها وتجديدها وتجديد غيرها من الحديد المخرم وكانت قبل ذلك من الخشب وتغيير المنبر والموادن التى كانت بالحرم ثم توجه ابن الزمن الى هناك وشرع فى البناء حتى انتهى منه العمل فى أواخر سنة سبع وثمانين وثمانمائة فجاء غاية فى الحسن من أجل الابنية وأعظمها حتى قيل ان السلطان صرف على بنائه نحو من مائة ألف دينار وجدد معالمه وتناهى فى زخرفته الى الغاية ووقع مثل هذه الحادثة فى حرق المسجد الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام سنة احدى وخمسين وستمائة فى أواخر دولة ايبك التركمانى وفيه وصل قاصد من عند يعقوب بن حسن الطويل وعلى يديه مكاتبة من عند يعقوب وهو يعتذر فيها مما وقع من بابندر وأن ذلك لم يكن بعلمه فعتب السلطان على القاصد بسبب ما وقع من بابندر وسرعة قتله للامير يشبك ثم أضاف القاصد وخلع عليه وأذن له بالسفر وفيه نزل السلطان الى قبة الامير يشبك الدوادار التى فى رأس دور الحسينية فكشف عليها ورسم للامير تغرى بردى الاستادار بأن يكمل عمارتها فان الامير يشبك مات ولم يتم عمارتها فلما رجع السلطان شق من القاهرة فقام اليه الناس قاطبة وضجوا له بسبب الفلوس الجدد وغلو البضائع فلما طلع الى القلعة رسم بعقد مجلس بالمدرسة الصالحية فاجتمع القضاة الاربعة وكاتب السر وناظر الخاص العلائى ابن الصابونى والمحتسب ثم أخذوا يتكلمون فى أمر الفلوس وكان ناظر الخاص ضرب فلوسا جددا عليها اسم السلطان وقصد أن يخرجها باغلى من الفلوس العتق فلما تكلموا فى أمر الفلوس العتق أخذ ناظر الخاص يعارض فى ذلك لاجل غرضه فلما سمع العوام بذلك ثاروا عليه فى وسط المدرسة الصالحية ورجموه ولولا كاتب السر لقتلوه فلما طال المجلس فى ذلك اتفق الحال على أن تكون الفلوس كلها العتق والجدد بالميزان بستة وثلاثين الرطل فنادوا فى القاهرة بذلك فسكن الامر قليلا وفى شوال كان موكب العيد حافلا ورسم السلطان للجام بن عثمان بأن يلبس الشاش والقماش ويطلع ويصلى مع السلطان صلاة العيد فطلع وصلى وحضر الموكب وخلع عليه السلطان متمرا وفوقانى بطرز عريض ونزل مع الامراء المقدمين وهو بالشاش والقماش وفيه خلع السلطان على بيبرس الرجبى قريبه وقرره فى شادية الشراب خاناه عوضا عن الماس بحكم انتقاله الى نيابة صفد وفيه خلع السلطان على قريبه تمراز التمشى وقرره فى امرية سلاح وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين قتل الامير يشبك الدوادار وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير المحمل يشبك بن حيدر والى القاهرة وأمير الركب الاول الشهابى أحمد بن الجمالى يوسف ناظر الخاص وسافر صحبته الجام بن عثمان هو وأمه وعياله وقد هيأله السلطان بركا عظيما

صرف

صرف عليه جملة مال له صورة وفيه جاءت الاخبار بوصول الامير أزبك الى غزة وصحبته النواب والامراء الذين كانوا أسروا عند بابندر فارسل السلطان هجانا للاتابكى أزبك بأن يقبض على قانصوه اليحياوى الذى كان نائب الشام وأسر عند بابندر ويرسله الى القدس بطالا وأن بقية الامراء والنواب يحضروا الى القاهرة وكان قد بلغ السلطان بان قانصوه اليحياوى كان سببا لكسرة العسكر وقتل يشبك فعمل له ذنب كبير بسبب ذلك فكان كما قيل

له ألف ذنب لا تعد بواحد * ولى فرد ذنب لا يعادله ألف

وفيه كان وصول الاتابكى أزبك الى القاهرة فدخل فى موكب حافل وصحبته أزدمر نائب حلب الذى كان أسر عند بابندر وكذلك برسباى قراحاجب الحجاب وتانى بك قرا أحد المقدمين وكانوا أسروا أيضا فكان لدخولهم يوم مشهود وأحضر الاتابكى أزبك مثقال البرهانى الذى كان مقدم المماليك ونفى الى القدس بطالا فلما حضر من غير اذن السلطان شق عليه ذلك وأمر بنفيه الى مكة المشرفة فلحق بالحجاج ثم ان الاتابكى أزبك شفع فيه وباس رجل السلطان مرارا فرسم بعوده الى القاهرة بطالا فعاد من أثناء الطريق وفى ذى القعدة خلع السلطان على قريبه أزدمر الذى كان نائب حلب وقرره فى امرية مجلس وكانت شاغرة من حين عفى منها الاجين الظاهرى فقرر بها أزدمر بغير اقطاع فكان له فى كل شهر ألف وخمسمائة دينار مرتبة على الذخيرة ثم خلع على برسباى قراوقرره فى الرأس نوبة الكبرى عوضا عن تمراز التمشى بحكم انتقاله الى امرية سلاح وخلع على تغرى بردى ططر وقرره فى حجوبية الحجاب عوضا عن برسباى قرا بحكم انتقاله الى الرأس نوبة الكبرى وخلع على قانصوه الغورى وقرره فى كشف الوجه القبلى وفى ذى الحجة قرر سيباى نائب غزة فى حجوبية الحجاب بدمشق عوضا عن يشبك العلائى بحكم انتقاله الى نيابة حماه عوضا عن جانم الجداوى بحكم انتقاله الى أتابكية دمشق عوضا عن شادبك الجلبانى وقرر سودون الطويل الاينالى فى تقدمة ألف بدمشق وقرر فى نيابة غزة دولات باى الاجرود الاينالى عوضا عن سيباى الذى قرر فى حجوبية دمشق وفيه نزل السلطان وتوجه الى الروضة وكشف عن الجامع الذى أنشأه هناك وفيه توفى طوخ الذى كان زردكاش ونفى الى دمياط ثم شفع فيه وعاد الى مصر بطالا فمات بها وكان أصله من مماليك المؤيد شيخ وكان لا بأس به وفيه توفى شيخ عربان الشرقية محمد بن عجلان بن بقر وكان لا بأس به وجرت عليه شدائد كثيرة ومحن وكان قد شاخ وكبر سنه وتوفى أبرك الظاهرى أحد العشراوات وتوفى جاهين التاجى دوادار جانم نائب الشام وكان لا بأس به وتوفى فى أواخر السنة المذكورة جماعة كثيرة من الاعيان لم نذكرهم خوف الاطالة

887

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم جاءت الاخبار بموت جكم قرا العلائى الظاهرى نائب ثغر الاسكندرية وكان لا بأس به وفيه قدم الحاج الى القاهرة وحضر الجمعة بن عثمان صحبة الشهابى أحمد بن الجمالى يوسف ناظر الخاص أمير ركب الاول فأنعم عليه السلطان بأشياء كثيرة وفيه أفرج السلطان عن أمير ركب محمل العراق والقاضى الذى كان معه وكانا بالبرج الذى بالقلعة من أيام حسن الطويل وقد تقدم سبب ذلك وفيه قلق جمعة من اقامته بمصر وطلب التوجه الى بلاده ليحارب أخاه فجمع السلطان الامراء واستشارهم فى ذلك ثم أحضر الجمعة وتكلم مع الامراء بكلام كثير فأغلظ عليه الا تابكى أزبك فى القول وهو لا ينتهى عن السفر الى بلاده فطال الكلام بينه وبين الامراء فى ذلك ثم انفض المجلس وقد أذن له السلطان بالسفر الى بلاده على كره منه وكان ذلك عين الخطا وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وسنذكر ذلك فى موضعه وفى صفر خلع السلطان على شخص من الاراذل يقال له محمد بن العظمة وكان صنعته قراء ثم سعى له عند السلطان وسائط السوء بأن يقرره فى نظر الاوقاف فخلع عليه بذلك فلما استقر فى الوظيفة حصل على الناس منه غاية الضرر الشامل والتزم بمال يورده فى كل شهر له صورة فصار يرسل خلف الناس من رجال ونساء ويرسم عليهم بسبب الاوقاف ويحاسبهم على الماضى والمستقبل ويأخذ منهم جملة مال وصار بابه أنحس من باب الوالى والتف عليه جماعة من المناحيس وصاروا يفرعون له الاذى تفريعا وكان ذلك فى صحيفة قايتباى رحمه الله الذى قرب مثل هذا وسلطه على الناس فكان كما قيل

لبابك بواب عن الخير مانع * يضم لقبح الوجه سوء خطابه
فساويت فيه من غدا يمنع القرى * ومن يربط الكلب العقور ببابه

وكان يورد هذه الاموال للسلطان لا يدرى أمن حلال هى أو من حرام كما قيل فى العنب

قيل للصب فيه خمر حرام * فتمنى حرامه وحلاله

وفيه توفى جانى بك كوهية الاسماعيلى المؤيدى الذى تقدم ذكره وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على موفق الدين بن الحمصى الاسلمى وقرره فى نظارة الدولة وكان فى خدمة الصاحب خشقدم وهى أول شهرته وفيه توفى أقبردى تمساح بن اسباى الاشرفى أحد العشراوات ورؤس النوب وكان من مماليك الاشرف برسباى وسافر الحجاز أمير الركب الاول غير مرة وكان لا بأس به ومات فجأة وكان قد جاوز السبعين سنة من العمر وفى ربيع الاول عقد الامير أقبردى على خوند أخت زوجة السلطان وهى بنت العلائى بن خاص بك التى كانت زوجة الامير جانم ناظر الجوالى قريب السلطان وكان يوم دخولها مهما حافلا وفيه فى أول يوم من بشنس قلع السلطان الصوف ولبس البياض وقد خالف العادة فى قلع الصوف

بأيام ثم عمل المولد النبوى وضرب الكرة وفيه ضرب السلطان شخصا يقال له بلبان الكاشف فلما ضربه لم يجبه ضرب رؤس النوب فنزل من فوق الدكة وتولى ضربه من عظم حنقه عليه وفى ربيع الآخر وقع بين قاضى القضاة زين الدين زكريا وبين الامير دولات باى الحسنى شاد الشون فكانت حادثة عظيمة قام فيها القاضى الشافعى فما حصل له من ذلك طائل وهذه الواقعة مشهورة بسبب وقف وفيه خلع السلطان على الامير أزبك اليوسفى أحد الامراء المقدمين وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وقرر دولات باى الحسنى شاد الشون فى امرية الركب الاول وفيه كان ختان أولاد الملك المؤيد أحمد بن الاشرف اينال بثغر الاسكندرية وكان حافلا فأرسل يطلب على بن رحاب المغنى بسبب الزفة وفيه خلع السلطان على الشيخ صلاح الدين الحنفى الطرابلسى وقرره فى مشيخة المدرسة الاشرفية التى بجوار الواقفين عوضا عن البرهان بن الكركى بحكم اختفائه لما تغير خاطر السلطان عليه وفيه خلع السلطان على واحد من مماليكه يقال له على باى وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن جكم قرا بحكم وفاته وكان على باى هذا كاشف الشرقية يومئذ وفى جمادى الاولى جاءت الاخبار بقتل سيف أمير آل فضل الذى خرج الامير يشبك الدوادار بسببه كما تقدم قتله ابن عمه غسان فى بعض بلاد العراق وفيه خرج السلطان وسافر على الهجن ولم يعلم الى أين يتوجه وكثر الكلام فى حقه فى ذلك بسبب سفره ثم ظهر بعد ذلك أنه سافر نحو جهات العباسة وغيرها ثم رجع بعد أيام وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة الامير خاير بك بن حديد الذى كان أحد المقدمين بمصر وتغير خاطر السلطان عليه كما تقدم فنفاه الى الشام فاقام بها مدة ثم نقله الى مكة المشرفة فمات بها وكان أصله من مماليك الاشرف برسباى وكان دينا خيرا عارفا بانواع الفروسية وله اشتغال بالعلم وحذق جيد وفصاحة بالعربية مات وله من العمر زيادة عن الستين سنة وكان من جملة الامراء المقدمين بمصر وهو صاحب المدرسة التى بزقاق حلب * وفيه كانت وفاة شاعر العصر ورأس الادباء على الاطلاق الشيخ شهاب الدين أحمد المنصورى وهو أحمد بن محمد بن خضر بن على السلمى المنصورى المعروف بالهائم القاهرى الحنبلى وكان له شعر جيد ونظم رقيق جدا وفيه يقول الناصرى محمد بن شادى نجا العنبرى

أخبرتنا ملوك علم القوافى * فى بديع المنظوم والمنثور
ما وجدنا خليفة فى المعانى * ملكا فى البيان كالمنصورى

وكان الشهاب هذا جميل الهيئة نير الوجه متعففا عن الناس ولما بلغ خمسة وسبعين سنة من العمر قال

بلغت من دنياى سنابه * وقعت فى السبعين والخمس
فالحمدلله الكريم الذى * متعنى بالسن والضرس

ولما بلغ الثمانين سنة من العمر قال

نحو الثمانين من العمر قد * قطعتها مثل عقود الجمان
وما أحوجت يوما يمينى الى * عصا ولا مشى الى ترجمان

ثم عرض له فى أواخر عمره فالج فلزم الفراش مدة طويلة وانقطع فى داره عن الحركة فانشأ يقول

آه يادرهمى ويا دينارى * ضعت بين الطبيب والعطار
كنت أنسى فى وحدتى وشفائى * من سقامى وصحتى فى انكسار
كنت تقضى مما حلا من غداء * وعشاء منيتى أوطارى
قد حمانى الطبيب عن شهواتى * فاحم يارب قلبه بالنار
طال شوقى الى الفواكه والبطيخ والجبن واللبا والخيار
ضاع لبى على مقاساة لب القرع والهندبا وبزر الشمار
كلما أجمع اختيارا حطاما * فرقته منى يد الاضطرار
ليت شعرى وللزمان خطوب * وبلاء يختص بالاحرار
هل لميت قضى عليه طبيب * من كفيل أو آخذ بالثار

واستمر بهذا الفالج الى أن مات (١) وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان بالقلعة وقصدوا قتل مقدم المماليك حتى فرمنهم واختفى وأحرقوا باب الزردخانه وكانت فتنة كبيرة ثم سكن الحال قليلا وفيه جاءت الاخبار بان الجام لما خرج من مصر وتوجه الى بلاد ابن قرمان بعث اليه أخوه جماعة من عسكره فتحاربوا فانكسر وفر هاربا وندم على خروجه من مصر ولم يعلم أين يتوجه وفيه كان وفاء النيل المبارك وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه هجم اللصوص على قيسارية جركس وقتلوا البواب وأخذوا من الدكاكين أشياء كثيرة ولم ينتطح فى ذلك شاتان وفيه أنعم السلطان على الناصرى محمد ابن الاتابكى أزبك بامرية عشرة وأرسل اليه شاشا فلف له تخفيفة وفيه توفيت خوند شقرا بنت الملك الناصر فرج ابن الظاهر برقوق زوجة الاتابكى جرباش كرت وكانت من مشاهير الخوندات فنزل السلطان وصلى عليها وفيه جاءت الاخبار بان الجمعة بن عثمان لما فر من عسكر أخيه نزل فى مركب فى البحر الملح فخرج عليه بعض الفرنج فى مراكب فأسروه وقد ذهب جميع ما كان معه من مال وقماش وغيره وكان خروجه من مصر عين الغلط وفيه هلك بترك

(١) فى الشذرات ان مولده سنة ٧٩٩ وهو الصواب

النصارى اليعاقبة وكان عند أهل ملته مشكورا وفى شعبان صنع الاتابكى أزبك فى الازبكية حراقة نفط ووقدة عظيمة وكانت ليلة مشهودة وفيه رسم السلطان بعمارة سور البيرة فجاء من أحسن البناء وأنفق عليه مالا له صورة وفيه جاءت الاخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بان السلطان أنشأ هناك مدرسة وجعل لها شبابيك مطلة على الحرم الشريف النبوى فقامت على السلطان اسئلة بسبب ذلك وأفتى بعض العلماء بان ذلك لا يجوز فان حرمة النبى صلى الله عليه وسلم وهو ميت كحرمته وهو حى صلى الله عليه وسلم وقد أجاز ذلك بعض علماء الجاه وفيه توفى الناصرى محمد ابن الاتابكى جرباش كرت وهو ابن خوندشقرا فكان بينه وبين وفاة أمه نحو من شهر وقدمات فجأة وقيل وقع بينه وبين سرور مشد الحوش السلطانى وكان طواشى والدته قديما فخنق منه الناصرى محمد فتناول فصا من الماس وابتلعه فمات من ليلته وكان رئيسا حشما لطيف الذات لا بأس به وفى رمضان توجه الصاحب خشقدم الى الوجه القبلى بسبب ضم المغل وفيه كان ختم قراءة صحيح البخارى وفرقت الصرر والخلع على القضاة والعلماء وكان ختما حافلا وفيه خسف جرم القمر ودام فى الخسوف نحوا من خمسين درجة وفيه توفى قاضى المحلة أوحد الدين بن العجمى وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه رسم السلطان بنفى دولات باى بن مصطفى نائب غزة فنفى الى مكة المشرفة وفى شوال ظهر قاسم شغيته الذى كان وزيرا وكان له مدة وهو مختف فلما ظهر خلع عليه السلطان كاملية حافلة وقرره فى نظر الدولة عوضا عن موفق الدين بن الحمصى الاسلمى وفيه حضر الصاحب خشقدم من السفر فلما حضر رسم السلطان عليه لعمل الحساب وفيه ولد للسلطان ولد ذكر من سريته أصل باى الجركسية فسماه محمدا وهو الذى تسلطن بعده وفيه خرج المحمل من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير ركب المحمل أزبك اليوسفى أحد المقدمين وبالركب الاول دولات باى الحسنى شاد الشون وفى ذى القعدة رسم السلطان للقضاة والشهود أن لا يعقدوا المملوك من مماليكه حتى يأخذوا له اذنا من أغانه وفى هذه الايام تزايد شر جماعة من المماليك الجلبان وصاروا يأخذون أشياء الناس بلاش من دكاكين التجار وغيرهم وحصل للناس منهم غاية الضرر الشامل وفيه توفى محب الدين كاتب العجم واسمه عبد الرحمن بن حسن بن الامين الحلبى الحنفى توفى بالبيمارستان وكان فاضلا شاعرا ماهرا وله خط جيد وكان عشيرا الناس فكه المحاضرة وكان من أخصاء الامير يشبك بن مهدى الدوادار لكنه كان مسرفا على نفسه يميل الى محبة الاحداث وله فيهم أشعار كبيرة وكان جاهلا محترقا ومن شعره فى المعنى

أميل للمرد طرا * من كل نوع وجنس
لو طال ايرى قليلا * لنكت نفسى بنفسى

ومما داعبه به الشيخ الشهاب المنصورى رحمة الله عليه قوله

فى ملاح لك شتى * صيف القلب وشتى
كم ليال مع مليح * يا محب الدين بتنا
خدّه بستان حسن * حبذا البستان بستا
أنت بالصبيان صب * لو رأيت البنت بنتا

وفيه توفى الفتح محمد المنصورى أحد المباشرين وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه قدم الامير تمراز التمشى من البحيرة وكان مسافرا بها فخلع عليه السلطان ونزل الى داره وفى ذى الحجة كانت الاضحية غالية ولا توجد الا قليلا فحصل للناس غاية القلق بسبب ذلك وفيه قبض السلطان على شخص يقال له الشريف الاكفانى زعموا أنه قد قتل قتيلا وهو زوجته فضرب بين يدى السلطان فلم يقر بشئ فرسم بسجنه فسجن مدة طويلة ثم آل أمره الى أن صالح الورثة بمال وأطلق بعد ما قاسى شدائد ومحنا وفيه كان عيد النحر يوم الجمعة وقد ثبت الشهر بالارباع فى اليوم التاسع من ذى الحجة فخنق السلطان من القاضى زكريا وأشيع عزله وقد فات الناس صوم يوم عرفة والتكبير فى صبيحته وانطلقت ألسنة العامة على القاضى زكريا وسبوه جهرا وفيه وصل مبشر الحاج وأخبر أنه وقع بمكة المشرفة سيل عظيم حتى دخل الحرم وعام منه المنبر ووصل الى قريب عتبة البيت الشريف وقتل بالغرق بسببه نحو من سبعين انسانا وهدم عدة دور وكان أمرا مهولا وأخبر المبشر بوفاة بدر الدين الدميرى المعروف بكتكوت أحد نواب الشافعية مات بالازلم من طريق الحجاز وهو محمد بن يوسف ابن على بن محمد بن أحمد بن سلطان الدميرى الشافعى وكان فاضلا فارفا بصنعة التوقيع وكان موقع الدست وأحد نواب الحكم وكان فكه المحاضرة كثير العشرة للناس طلق اللسان فى حق الناس وكانت الشعراء تهجوه كثيرا فمن ذلك قول بعضهم

قد عيل صبرى من خطب ألمّ به * عقلى وطرفى مذهول ومبهوت
فان غدا الديك سلطانا فلا عجب * فقد غدا قاضيا فى الناس كتكوت

وفيه يقول الاديب على بن بردبك

ان الدميرى صديق فلا * أسمع فيه قول واش ولاح
ولا أرى كالغير تقبيحه * بل هو عندى من ملاح الملاح

والنكتة هنا أن الكتاكيت ينادى عليهم يا ملاح الملاح وفيه جاءت الاخبار من بلاد الغرب أن أبا عبد الله محمد بن حسن بن على بن أبى سعد بن الاحمر قد ثار على ابنه الغالب بالله صاحب غرناطة وملكها من ابنه وجرت بينهما أمور يطول شرحها وآل الامر بعد ذلك الى خروج الأندلس عن المسلمين وملكها الفرنج والامر لله فى ذلك وفيه توفى طرنطاى

المحمودى أحد الامراء العشراوات وأصله من مماليك الاشرف برسباى وكان جلب هو والسلطان قايتباى فى سنة واحدة وتوفى يونس الكاتب المجيد وكان أكتع ويكتب بيده اليسرى خطا جيدا وتوفى أواخر السنة المذكورة جماعة كثيرة من الاعيان لم نذكرهم خوف الاطالة

888 ❁ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثمانمائة فيها فى المحرم خلع السلطان على محمد بن عبد الرحمن وقرره فى نيابة جدة عوضا عن أبى الفتح المنوفى بحكم صرفه عنها وفيه نزل السلطان وتوجه الى سنيت بسبب الكشف على الجسور ثم زار سيدى أحمد البدوى رحمة الله عليه ورضى عنه وفيه كان الغلاء بمصر قليلا والاسعار مرتفعة فى سائر البضائع والغلال وفيه توفى الشيخ علاء الدين الحصنى الشافعى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما متواضعا وفيه وصل الحاج الى القاهرة وقاسى مشقة زائدة ولم تحمد سيرة أمير الركب بالمحمل أزبك اليوسفى وفى صفر وقع بين كرتباى بن مصطفى المعروف بالاحمر الذى توفى فى انبابه فيما بعد وكان يومئذ أحد الدوادارية وبين ناظر الجيش كمال الدين بعض تشاجر فلكمه كرتباى الاحمر أطاح عمامته عن رأسه بالحوش فى وسط الناس وراحت فى كيسه وفيه توفى الصارمى ابراهيم بن منجك وكانت وفاته بدمشق وكان رئيسا حشما من الاعيان وفيه توفى الشيخ أبو حامد المقدسى وهو محمد بن خليل المقدسى الشافعى وكان من أهل العلم والفضل وله عدة مصنفات ومولده بعد العشرين والثمانمائة لكنه كان سهل الاد بليد الذهن قليل الفهم ومما وقع له أن الزينى أبا الفتح بن النحاس الشاعر داعبه بهذين البيتين وكتبهما اليه فى ورقة ودفعهما له فى مجلس القاضى كاتب السر ابن مزهر فلما قرأهما استحسنهما ولم يفهم ما فيهما من الدسيسة عليه فكتبهما بخطه فى بعض مصنفاته وأوردهما لابن النحاس وهما

أبا حامد أنت الذى شاع ذكره * بكثرة تأليف وجمع به انفرد
فانت الذى ما مثل حفظك فى الورى * وأنت الذى ما مثل ذهنك فى البلد

وفيه جاءت الاخبار بوفاة جانم الجداوى نائب حماه وأتابك دمشق وكان لا بأس به وفيه أشيع عن مثقال الساقى الطواشى الظاهرى رأس نوبة السقاة بانه يضرب فى بيته الزغل فارسل السلطان من كبس داره وقبض عليه وفى ربيع الاول رسم السلطان بعمل حساب قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الغزى بدار الامير برسباى قراراس نوبة وقاسى من البهدلة والانكاد ما لا يعبر عنه وفيه ثار بالناس فى فصل الربيع دموية وأمراض حادة ومات بذلك جماعة كثيرة حتى أطلق عليه الفصل الصغير ومات به من أعيان الناس سيدى فرج ابن تنم نائب الشام وكان شابا جميل الوجه لم يلتح بعد فتأسف الناس عليه قاطبة وفيه عمل

السلطان المولد النبوى وكان حافلا واجتمع الامراء والقضاة الأربعة وكان السلطان شرع فى عمل خيمة كبيرة مدورة برسم المولد الشريف فنصبها فى ذلك اليوم بالحوش وفيه توفى القاضى نجم الدين يحيى بن حجى وهو يحيى بن محمد بن أحمد بن حجى بن موسى بن أحمد الحسبانى الدمشقى ثم القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وعد من العلماء وكان كريما سخيا وولى نظارة الجيش بمصر وكان من أعيان الرؤساء بمصر والشام فلما مات وجد عنده زيادة عن ثلاثة آلاف مجلد من الكتب النفيسة وفيه فى آخر يوم من برمودة قلع السلطان الصوف ولبس البياض وقد عجل بلبس البياض قبل أوانه بعشرة أيام وفيه جاءت الاخبار من القدس الشريف بان قانصوه اليحياوى الذى كان نائب الشام ونفى الى هناك بطالا قد أجرى عين ماء بالقدس وكانت معطلة مدة طويلة فصرف عليها مالا له صورة من ماله وحصل بها غاية النفع وفى ربيع الآخر خلع السلطان على أزدمر تمساح أحد الامراء المقدمين وقرره فى امرية الحاج فى ركب المحمل وقرر أزدمر الاشقر أحد العشراوات فى امرية الركب الاول وفيه قرر شادبك المحمدى الظاهرى أحد العشراوات فى نيابة دمياط وفيه توفى أبو الفداء الواعظ الناثر المادح وكان من أعيان دواخل مصر فى حسن الصوت وجودة الغناء وكان لا بأس به وفيه ثارت فتنة كبيرة بين مماليك اقبردى الدوادار وبين مماليك ازدمر نائب حلب ووقع بينهم فتنة بالرميلة حتى شهروا السلاح على بعضهم فثار جماعة من مماليك السلطان مع مماليك اقبردى الدوادار فكادت أن تكون فتنة عظيمة بين الامراء ثم سكن الامر قليلا وفيه توفى الشيخ الصالح سيدى أبو الفضل من أولاد سيدى على وفا وكان حصل له انجذاب واستمر به الى أن مات وكان من بيت كبير الولاية وفيه زلزلت القاهرة بعد العشاء لكنها كانت خفيفة ولم تدم ولو دامت قدر درجة لحصل منها غاية الفساد وفيه أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة ستة أذرع وأربع أصابع وفيه سافر الامير أقبردى الدوادار الى جهة الصعيد بسبب ضم المغل وكان صحبته أمير عربان هواره داود بن عمر وكان قد أعاده السلطان الى امريته بالوجه القبلى وصرف محمد بن يونس ولد عمه ❁ ومن الحوادث أنه فى جمادى الاولى فى يوم الثلاثاء عاشره ثار جماعة من المماليك الجلبان وتوجهوا الى دار برسباى قراونهبوا كل ما فيها وأحرقوها عن آخرها ونهبوا الربوع التى بجوارها وأحرقوها حتى نهبوا بسط المدرسة الابوبكرية والفخرية حتى أخذوا القناديل التى بها وكانت مصيبة شنيعة وهذا أول فتك الجلبان بالقاهرة واستخفافهم بالسلطان واستمرت الفتن من يومئذ تتزايد حتى كان منهم ما سنذكره فى موضعه وكان سبب كائنة برسباى قراان شخصا من المماليك الجلبان دخل الى سوق الشرب ليشترى ثوبا بعلبكيا من بعض التجار فتعرس المملوك على التاجر وضربه ضربا مبرحا وأخذ منه الثوب البعلبكى

غصبا فشكاه التاجر من باب برسباى قراوكان يومئذ رأس نوبة النوب فطلب ذلك المملوك فلما حضر قامت عليه البينة بما فعله فى سوق الشرب فأدبه وضربه بين يديه فلما بلغ خشداشينه ذلك ثاروا على برسباى قراوفعلوا به مافعلوا وراموا ان يحرقوا سوق الشرب حتى أخذوا منه التجار قاطبة وكادت أن تكون فتنة كبيرة تعم البلد ثم ان الاتابكى أزبك جرى بين المماليك الجلبان وبين برسباى قرابا الصلح وسكن الحال قليلا وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار بان على دولات بن دولغادر قد أتى الى ملطية فى جمع كثير من العساكر وقد حاصر البلد أشد المحاصرة فانزعج السلطان لهذا الخبر وفيه توفى قانى باى الفلاح الاشرفى أحد العشراوات وأصله من مماليك الاشرف برسباى وكان بارعا فى فنون الرمح وتوفى مغلباى الفقيه أحد العشراوات وكان أصله من مماليك العزيز وكان له اشتغال بالعلم وفيه عرض السلطان الجند وعين تجريدة الى حلب بسبب على دولات بن دلغادر وعين بها من العلماء أزدمر أمير مجلس الذى كان نائب حلب والامير تغرى بردى ططر حاجب الحجاب الثانى ومن الامراء الطبلخانات قانى بك جشحه رأس نوبة ثانى ومن الامراء العشراوات تانى بك الاينالى الحاجب الثانى وسودون الصغير العلائى وبردبك المحمدى الخازندار الثانى ومن الجند نحو من خمسمائة مملوك وأنفق عليهم فبلغت النفقة على الامراء والجند زيادة عن سبعين ألف دينار وفيه حضر شمس الدين الحلبى تركة يحيى بن حجى فرأى بين كتبه كتاب الفصوص لابن عربى فقال هذا الكتاب ينبغى أن يحرق وان ابن عربى كان كافرا أشد من كفر اليهود والنصارى وعبدة الاوثان فقال له بعض الحاضرين كيف تحرق كتاب الفصوص وفيه آيات من كتاب الله تعالى فقال ولو كان فسكوا عليه ذلك وأرادوا تكفيره فبادر وترامى على كاتب السر ابن مزهر فقام معه وآل أمره الى أن عزروه وكشفوا رأسه ثم حكم باسلامه وحقن دمه وقد قامت عليه الدائرة بسبب ذلك وفيه يقول أبو النجا القمنى

أقعدت ياحلبى * بالصفع فى قفاكا
لما ادعيت جهلا * حرق الفصوص ياكا
وماخلصت حتى * أقمت شاهدا كا

وفيه توفى قانصوه المداقف المحمدى أحد الامراء العشراوات وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان علامة فى الدقاف وفى رجب خرج الامراء والعسكر الى التجريدة التى عينت الى على دولات بن دلغادر وكان آخر العهد بالاميرازدمر أمير مجلس الذى كان نائب حلب فلم يدخل الى مصر بعد ذلك وفيه كان وفاء النيل المبارك أوفى ثانى عشر مسرى فلما أوفى توجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وفيه توفى بردبك الطويل المحمدى أحد الامراء العشراوات وكان شادا على أوقاف الاشرف برسباى وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار

من مكة المشرفة بوفاة محمد بن عبد الرحمن ناظر جدّة وكان رئيسا حشما لطيف الذات عشيرا للناس ولما مات دفن بمكة المشرفة أعزها الله تعالى وفى شعبان عرض السلطان المقصورة الجديدة التى صنعها للحجرة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فنصبها بالحوش فى أوّل الشهر المذكور وكان زنتها أربعمائة قنطار من الحديد فحملت الى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على سبعين جملا وفيه توفى جانم البهلوان أحد الامراء العشراوات وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان رأسا فى الصراع توفى بحلب ومات أيضا بحلب صنطباى العلائى الظاهرى أحد العشراوات وكان رأسا فى الرمى بالنشاب وكان من مماليك الظاهر جقمق وفى رمضان خسف جرم القمر خسوفا تاما حتى أظلمت الدنيا ودام فى الخسوف نحوا من خمسين درجة وفيه فى يوم ختم البخارى وقع بين الشيخ بدر الدين بن الغرس الحنفى وبين الشيخ صلاح الدين الطرابلسى تنافس حتى خرجا عن الحد بسبب الجلوس فيمن يرتفع عن صاحبه وكان الصلاح الطرابلسى متعديا على ابن الغرس فاشكر على ذلك وكان مجلسا فاحشا لا خير فيه وفى شوّال خرج من القاهرة المحمل فى تجمل زائد وكان يوما مشهودا وخرج معهم شادبك أحد الامراخورية لكنه كان ضخما ويلبس كم قصير وقد قرر على باشية الجند بمكة ومعه خمسون مملوكا وأرسل معه السلطان المقصورة الحديد التى صنعها للحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ثم أرسل معه مصحفا كبيرا حمل على جمل بمفرده كان من النوادر كتبه شاهين النورى ومات ولم يكمله فأكمله الشيخ خطاب بأمر السلطان وهو باق الى الآن فى الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وفيه كان عرس الركنى عمر بن أبى البقاء ابن الجيعان وكان مهما حافلا وفى ذى القعدة خلع السلطان على اقباى كاشف الشرقية وقرر فى نيابة غزة عوضا عن دولات باى بن مصطفى الماضى خبره بما جرى عليه الى أن نفى الى مكة المشرفة وفيه أنعم السلطان على ستة أنفار من الخاصكية الظاهرية بامريات عشرة منهم يشبك دجاج وأبو يزيد ويبرس اليوسفى وملاج الاشقر وجانى بك البواب وقانم السواق وأنعم باقطاع جانم البهلوان المسافر فى التجريدة على سودون الصغير وقانصوه قراوكسباى الشريفى وآخرين من جلبانه وكان هذا اقطاع امريه عشرة وخرج بحكم وفاة جانم البهلوان وفى ذى الحجة قرر محمد بن السلاح فى التكلم على جهة الجيزة عوضا عن ابن الصعيدى وفيه كان عيد النحر يوم الجمعة وكانت الاضحية مشحونة وغالية بسبب قلة الجالب من أذى المماليك الجلبان وفيه جاءت الاخبار بوفاة قاضى الجماعة الغرناطى المالكى توفى بغرناطة وكان من أهل العلم والفضل وفى أواخر السنة المذكورة كثر الاذى من العبيد والزعر وكثر قتل القتلى حتى ان شخصا من البياطرة قتل بالجزيرة الوسطى ولا يعلم من قتله ووجد شخص من المماليك الاينالية مقتولا بمنزله ولا يعلم من قتله وقتل غير ذلك جماعة كثيرة

ثم

889 ۞ ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثمانمائة فيها في المحرم توفي الجمالي يوسف الحنبلي ابن الشهابي أحمد بن نصر الله بن أحمد البغدادي قاضي قضاة الحنابلة وكان رئيسا حشما تولى عدة مدارس الحنابلة منها المدرسة البرقوقية وكان شاهد ديوان الامير تمراز التمشي أمير سلاح وكان لطيف الذات عشيرا الناس لا بأس به وفيه أعيد أبو الفتح المنوفي الى نيابة جدة عوضا عن عبد الرحمن بحكم وفاته وفيه توفي الشيخ الصالح المعتقد المجذوب سيدي علي القليوبي رحمه الله ورضي عنه وكان له مكاشفات وكرامات خارقة وفيه قبض على شخص بالقرافة يتزيا بزي أهل الصلاح وله شعر في رأسه فدخل الى مزار سيدي أبي العباس الحرا وسرق الستر من فوق ضريحه وفد فعل ذلك في عدة مزارات وكان في زي حسن لا يظن به سوء فلما اشتهر بذلك ضرب وشهر بالقاهرة وفيه توفي الشيخ ولي الدين أحمد شيخ الآثار النبوية وقاضي ثغر دمياط وكان دينا خيرا حسن السيرة لا بأس به وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد تأخر دخول المحمل الى رابع عشريه مما حصل لهم في السنة المذكورة من المشقة الزائدة من موت الجمال والعطش وفيه عين السلطان تجريدة ثانية تقوية لمن تقدم من العسكر فعين تمراز التمشي أمير سلاح باش العسكر ومن المقدمين أزبك اليوسفي وعين من الجند نحوا من أربعمائة مملوك من المماليك السلطانية وكان سبب تعيين هذه التجريدة أن السلطان قد بلغه أن ابن عثمان ملك الروم قد أمد على دولات بعساكر كثيرة وهذا أول تحول ابن عثمان على بلاد السلطان واستمرت الفتن بعد ذلك تتزايد الى أن كان ما سنذكره في موضعه وفي صفر توفي الشيخ شهاب الدين الابناسي وهو أحمد بن ابراهيم بن علي بن أحمد بن محمد الشافعي وكان عالما فاضلا ديناخيرا منقطعا الى الله تعالى وفيه توفي يحيى بن شادبك المعروف بقاصدا الحبشة أحد أجناد الحلقة وكان رئيسا حشما عارفا بلغة الحبشة فكه المحاضرة ومولده بعد العشرة والثمانمائة وفيه توفي شيخ عربان جبل نابلس وهو حرب بن أبي بكر بن محمد بن علي بن عبد القادر مات وهو مسجون بالبرج في القلعة وجرى عليه شدائد ومحن وآل أمره الى أن مات مسجونا وفي ربيع الاول جاءت الاخبار بان العسكر الذي خرج من القاهرة قد تقاتل مع علي دولات أخو سوار وقد كسر العسكر وقتل منهم جماعة كثيرة من الامراء والجند فقتل الامير قاني بك جشحه رأس نوبة ثاني أحد الامراء الطبلخانات وقتل معه جماعة من أمراء حلب والشام وكان قاني بك هذا أميرا انسانا حشما حسنا شجاعا بطلا تولى من الوظائف شادية الشون ثم الجوبية الثانية ثم رأس نوبة الثانية بقي أمير أربعين وأصله من مماليك الظاهر جقمق وكان لا بأس به * وفيه رسم السلطان بعمل مولد للسيدة نفيسة رضي الله عنها ورحمها ورسم للخليفة أن يحضر به والقضاة الاربعة وأعيان الناس واجتمع هناك قراء البلد قاطبة ومد هناك أسمطة حافلة وهو أول من أحدث هذا المولد

بالمشهد الشريف وصار يقال له مولد الخليفة وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة على العادة وكان حافلا وفيه توفى المسند رضى الدين الاوكالى وهو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن العز الشافعى القاهرى وكان عالما فاضلا محدثا مسند القاهرة وكان لا بأس به وفيه توفى الشيخ عباس الفاسى نزيل القاهرة وكان لا بأس به وفى ربيع الآخر خلع السلطان على الجمالى يوسف بن الزراز يرى كاشف البهنسا وقرره فى الوزارة عوضا عن خشقدم الطواشى بحكم صرفه عنها وقرر قاسم شغيته فى نظر الدولة وفيه كان تفرقة النفقة على الجند المعينين فى التجريدة بسبب على دولات ثم بعث النفقة الى الامراء الذين تقدم ذكرهم وكان تعين اقبردى الدوادار الى التجريدة ثم بطل بعد ذلك فشق على العسكر بطلانه وكثر القال والقيل بسبب ذلك وفيه توفى اقبردى اليوسفى أحد العشراوات وكان أصله من مماليك الاشرف برسباى وكان لا بأس به وفيه أنعم السلطان على مملوكه قانصوه الغورى بامرية عشرة وعينه الى التجريدة وقانصوه هذا هو قانصوه سلطان مصر الآن وفيه توفى تانى بردى الشرف الاينالى وكان لا بأس به تأمر بحلب امرية عشرة وفى جمادى الاولى توفى تاج الدين محمد بن الكردى الحنفى وكان عالما فاضلا لا بأس به وفيه توفى الخواجا الكارمى بدر الدين حسن بن ابراهيم بن عليبة السكندرى أخو الخواجا عبد القادر تاجر السلطان وكان لا بأس به وفيه كان خروج الامير تمراز التمشى أمير سلاح وأزبك اليوسفى ومن عين معهما من الامراء العشراوات والجند فكان لهم يوم مشهود وكان عدة الجند الذين خرجوا مع الامراء نحوا من ألف مملوك وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية حتى ابتيعت البطة الدقيق باربعة أنصاف وكل اردب قمح بنصف دينار وانحطت الاسعار فى سائر البضائع بعد تلك الغلوة التى تقدمت وكان قد اشتد الامر جدا وانفرج عن قريب وفيه توفى التاجر نور الدين ابن مفلاح المصرى وكان فى سعة من المال وتوفى السيد الشريف شهاب الدين أحمد الارسونى المالكى أحد نواب الحكم وكان عالما فاضلا مفتيا متواضعا علامة فى مذهبه ومولده سنة سبع وعشرين وثمانمائة وفى جمادى الآخرة توقف النيل عن الزيادة وقلق الناس ثم تزايد واستمرت الزيادة عمالة حتى كان الوفا وفيه عزل الجمالى يوسف بن الزراز يرى عن الوزارة وقرر بها قاسم شغيته على عادته وفيه خلع السلطان على القاضى شهاب الدين أحمد الدرسالى وقرره فى قضاء الاسكندرية عوضا عن عفيف الدين بحكم صرفه عنها وفيه كثرت المرافعات فى قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الغزى بسبب أوقاف الحنفية فرسم السلطان بان يتوجه الى بيت برسباى قرار أس نوبة النوب وتحضر القضاة الثلاثة ويعقد مجلس بسبب أوقاف الحنفية فلما حضر الى هناك حصل له غاية البهدلة من الجباة وغيرهم وفيه توفى جانى بك بن تمربغا ابن أخت السلطان وكان شابا صغير السن جميل الصورة

لا بأس به ذا عقل وحشمة وفيه توفى سيدى محمد السدار رحمه الله ورضى عنه وكان له كرامات ومكاشفات خارقة وفى رجب توفى العلامة شمس الدين الجوهرى وهو محمد بن عبد المنعم بن اسماعيل القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم عارفا بمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ورحمه وله عدة مصنفات وتولى عدة تداريس وشهرته تغنى عن مزيد التعريف به وفيه توفى نور الدين على السنهورى المالكى وهو الشيخ على ابن عبد الله بن على الازهرى وكان اماما فى مذهب المالكية وله شهرة طائلة وكان بارعا فى الفقه والعربية والقراآت السبع وغير ذلك من العلوم وألف الكتب النفيسة فى العلوم الجليلة ومات وهو كفيف وكان دينا خيرا صالحا مباركا ومولده سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان عنده اطراح نفس مع تواضع وتقشف وقد كف فى آخر عمره فكان كما قيل

كفيف بالافادة لى كفيل * ضرير ماله فينا ضريب

سليب الكبر ذو قلب سليم * قرين للتقى منا قريب

وفيه خلع السلطان على شمس الدين محمد بن بدر الدين حسن بن المزلق الدمشقى وقرر فى قضاء الشافعية بدمشق عوضا عن الشهابى أحمد بن فرفور بحكم صرفه عنها وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى فى ثانى عشرى مسرى فلما أوفى توجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه قبض السلطان على محمد بن العظمة ناظر الاوقاف وسلمه الى خشقدم الزمام وألزمه بمحاسبته وفى شعبان خلع السلطان على شرف الدين عبد الباسط ابن البقرى وقرره فى نظر الاوقاف عوضا عن ابن العظمة بحكم صرفه عنها وفيه توفى جانى بك الشمسى نائب الكرك وكان لا بأس به وفيه توفى القاضى ولى الدين بركات بن الجيعان وهو أبو البركات أحمد بن يحيى بن شاكر القاهرى الشافعى وكان لا بأس به رئيسا حشما عارفا باحوال المملكة تولى نيابة كتابة السر وصار من اخصاء السلطان وترشح أمره لكتابة السر وهرعت الناس الى بابه ومات وهو شاب فى عشر الثلاثين وكان جميل الهيئة حسن الوجه عاقلا بشوشا وله بر ومعروف وصدقات كثيرة وفيه يقول الشهاب المنصورى

قال العواذل مالمدحك قد غدا * يزداد فى الحركات والسكنات

فأجبتهم لا تعجلوا وتأملوا * مازاد الا وهو فى بركات

فلما مات تأسف عليه السلطان وقال لو كان يفدى بمال لفديته وكان يتصرف فى أشغال السلطان كما ينبغى ولما توفى القاضى بركات قرر أخاه صلاح الدين فى نيابة كتابة السر عوضا عن أخيه بحكم وفاته وفيه هبط النيل سريعا وقد ثبت على اثنين وعشرين اصبعا من الذراع الثامن عشر فشرق أكثر البلاد وزاد سعر الغلال ولا سيما القمح وكان هذا سببا للغلوة التى وقعت فى السنة الآتية وفى رمضان جاءت الاخبار من حلب بان وردبش نائب حلب خرج فى جمع من العساكر وتقاتل مع على دولات أخى سوار وقد أمده ابن عثمان بجمع

كثير من عساكره فلما التقى العسكران وقع بينهما واقعة مهولة فانكسر العسكر الحلبي وقتل وردبش نائب حلب وجماعة كثيرة من العسكر الحلبي والمصري وكان وردبش شجاعا بطلا وأصله من مماليك الظاهر جقمق يعرف بوردبش بن محمود شاه وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة سيس ثم نيابة قلعة الروم ولم يباشرها ثم تولى نيابة البيرة ثم بقي أتابك العساكر بحلب ثم بقي مقدم ألف بمصر ثم بقي نائب حلب واستمر بها الى أن قتل على يد على دولات باى قيل انه ضرب عنقه بين يديه وقتل فى هذه المعركة جماعة كثيرة منهم ألماس نائب صفد وكان دينا خيرا عارفا بانواع الفروسية وتولى عدة وظائف سنية منها استادارية الصحبة وشادية الشراب خاناه ثم بقي نائب صفد واستمر بها حتى قتل وكان شابا عاقلا حشما لا بأس به وقتل أيضا أزبردى الاشرفى أحد الامراء العشراوات بحلب وقتل تمراز حشيش بن حشاش الاينالى أحد الخاصكية وقتل أيضا طرباى الاشقر الابراهيمى الاينالى أحد الامراء بحلب وتغرى بردى بن محمد بن قاسم أحد الامراء العشراوات بحلب وغير ذلك جماعة كثيرة من العسكر وتوفى طقطباى الجمدى الاشرفى نائب قلعة حلب وكان لا بأس به ثم جاءت الاخبار من بعد ذلك بان الامير تمراز لما حصلت هذه الكسرة لعسكر حلب ركب هو والامير ازدمر أمير مجلس والعسكر المصرى وتوجهوا الى على دولات فتقاتلوا معه فانكسر على دولات وعسكره وعسكر ابن عثمان ونهبوا جميع بركهم وأخذوا صناجق ابن عثمان ودخلوا بها الى حلب وهى منكسة وكانت هذه الحركة أول الفتن مع ابن عثمان واستمرت من يومئذ عمالة مع سلطان مصر ومعه حتى كان من أمرهما ما سنذكره وكان أصل هذه الفتنة تعصب ابن عثمان لعلى دولات وكان ابن عثمان متحملا على سلطان مصر فى الباطن بسبب أشياء لم تظهر للناس وفيه رسم السلطان بنقل ما نصوه الخفيف الاينالى من دمياط الى مكة المشرفة وقد بلغه عنه ما يوجب تغير خاطره عليه وفيه زاد النيل زيادة مفرطة فى غير أوانها بعد انهباطه وقد شرق غالب البلاد فدخل الماء الى الخليج بعد ما كان قد نشف فتعجب الناس من ذلك ولكن لم تفد هذه الزيادة شيأ فى رى البلاد التى شرقت قبل ذلك وفى شوال خرج الحاج من القاهرة وأمير المحمل كان الامير أزدمر تمساح أحد المقدمين وبالركب الاول برسباى العلائى أحد العشراوات وحج صحبته سيدى منصور ابن الظاهر خشقدم وكان برسباى العلائى زوج أم سيدى منصور وحج فى السنة المذكورة أبو البقاء بن الجيعان وصحبته جان بلاط وماماى الخاصكيان وقد توجه بسبب مارتبه السلطان فى المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام من أمر تفرقة الدشيشة التى رتبها هناك وحج فى هذه السنة المذكورة عالم سمرقند الشيخ أبو بكر الليثى وولده العلامة وكانا قد مامن سمرقند لاجل الحج وحج فى السنة المذكورة الشيخ عبد اللطيف شيخ ركب المغاربة وكان قدم صحبة الركب من تونس يريد الحج وكان بالركب نحو

من ألف وخمسمائة انسان من المغاربة يقصدون الحج وفيه رسم السلطان بنفى مثقال الطواشى رأس نوبة السقاة فخرج صحبة الحاج منفيا الى مكة المشرفة وقد بلغ السلطان عنه أنه يضرب دراهم مغشوشة فقبض عليه وعلى شخص من مماليك الاتابكى أزبك يقال له تمربغا فوجدوا فى بيت مثقال آلة الضرب التى يصنعون بها الدراهم الزغل فرام السلطان قطع أيديهما فشفع فيهما من القطع فنفى مثقال الساقى وسجن تمربغا على مال حتى مات فى السجن وفيه مات على بن قتى رأس نوبة النقباء وكان من كبار الظلمة مات تحت العقوبة وكان من أعيان الناس خدم جان بك نائب جدة لما كان دوادارا كبيرا وخدم السلطان قايتباى لما كان رأس نوبة النوب وخدم يشبك الدوادار ثم تكلم فى بعض جهات السلطان فوقف عليه مال واستمر تحت العقوبة حتى مات وكان من الاشرار وفيه توفى سودون الصغير العلائى الظاهرى أحد الامراء الطبلخانات توفى بحلب وكان يعرف بسودون الخازندار وكان لا بأس به وفيه ضرب السلطان محمد بن العظمة ناظر الاوقاف بالمقارع فى وسط الحوش وكتب عليه قسامة أن لا يعود قط يسعى فى نظر الاوقاف ومتى سعى فيه يكون دمه هدرا ثم سجن بالمقشرة وكتب من هذه القسامة أربع نسخ وبعث الى كل قاض نسخة منها وفيه توفى قرقماس بن بخشباى البواب أحد الامراء العشراوات وكان موته فجأة وكان من خواص السلطان وفيه توفى أزبك أبو زيد الاينالى أحد أمراء حماه وكان لا بأس به وفيه توفى المسند الشريف أبو السعود محمد العلوى الهاشمى الشافعى وكان من الفضلاء بارعا فى الحديث وفى ذى القعدة جاءت الاخبار بأن على دولات قد أطلق اينال السلحدار نائب طرابلس وكان عنده مأسورا وفيه أرسل السلطان خلعة الى أزدمر أمير مجلس ورسم له بعوده الى نيابة حلب كما كان أولا عوضا عن وردبش بحكم قتله عند على دولات وفيه خلع السلطان على مملوكه اينال الخسيف الذى كان أتابك العساكر بحلب ورسم له بأن يكون نائب صفد وكان من أخصاء السلطان ثم تغير خاطره عليه فنفاه الى البلاد الشامية فاقام بها مدة ثم رضى عليه وولاه نيابة صفد بعد نيابة سيس وأتابكية حلب ثم ولاه فيما بعد نيابة حماه وفيه اقترن المشترى وزحل ببرج العقرب وذكر أرباب علم الفلك أن هذا القران لم يقع من منذ مائتين وستين سنة وان ذلك يدل على وقوع فتن عظيمة وكان الامر كذلك كما سيأتى الكلام عليه فى محله وفيه حضر قاصد من عند ملك الهند فاكرمه السلطان وخلع عليه وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن شخصا من الجند يقال له جرباش المجنون وكان غاية فى الرمى بالنشاب وقف للسلطان فى طلب اقطاع عن شخص توفى فلم يجبه السلطان الى ذلك فلما نزل الى داره ذبح نفسه بيده من حنقه من السلطان فراحت روحه ولم يرث له أحد وفيه توفى الزينى عبد الباسط ابن علم الدين شاكر بن

الجميعان وكان رئيسا حشما متحدثا على مباشرات عديدة من مدارس وجوامع وأوقاف وكان دينا خيرا عفيفا عن الرشوة صلبا فى أموره ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه عز وجود القطن جدا حتى بلغ سعر كل قنطار ألفين وأربعمائة درهم ولا يوجد وفيه خلع السلطان على قريبه بيبرس الرحبى وقرره فى نيابة طرابلس عوضا عن اينال السلحدار بحكم اسره عند على دولات وفى ذى الحجة ارتفع سعر البرسيم حتى بلغ سعر كل فدان عشرة أشرفية وفيه عز وجود الضحايا من الغنم والبقر بواسطة أذى المماليك الجلبان وفى يوم عيد النحر أمطرت السماء مطرا غزيرا حتى أوحلت الارض وحصل للناس مشقة فى مرورهم فى الشوارع الى صلاة العيد وفيه حضر جماعة من الجند ممن كان أسر عند على دولات وقد قطع أصابع جماعة منهم من عند الابهام وأطلقهم وفيه جمع السلطان الامراء وضربوا مشورة فى أمر ابن عثمان بسبب ما وقع منه فى تعصبه لعلى دولات فاشار السلطان هو والاتابكى أزبك وغيره من الامراء بان السلطان يرسل هدية على يد قاصده وترزل هذه الوحشة من بينهما فانصاغ السلطان لهذا الكلام وعين فى ذلك المجلس الامير جانى بك حبيب أميرا خور ثانى وكان حلو اللسان سيوسا دريا وقد تقدم أنه توجه الى يعقوب بن حسن الطويل وتلطف به فى الكلام حتى أطلق من كان عنده من الامراء والنواب والجند كما تقدم وفيه خرج بيبرس الرحبى الذى قرر فى نيابة طرابلس وكان له يوم مشهود وفيه توفى ناظر جيش غزة ابراهيم بن عبد الرحمن وكان رئيسا حشما لا بأس به وتوفى الشيخ المعتقد أحمد السبوعى وكان من أعيان الصوفية وله اختصاص بالاتابكى أزبك وفيه وصل مبشر الحاج وهو شخص من الخاصكية يقال له قايتباى من مماليك السلطان وأخبر بالامن والسلامة وأن القاضى كمال الدين ناظر الجيش اختار المجاورة بمكة المشرفة وكان حج فى السنة المذكورة وحضر صحبة المبشر دولات باى بن مصطفى الذى كان نائب غزة ونفاه السلطان الى مكة المشرفة فبعث بحضوره فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق فتوجه اليها وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب قونية من بلاد ابن قرمان وهو عبد الله أخو الجمجمة بن عثمان تولى على قونية بعد أخيه جمجمة وكان حسن السيرة لا بأس به

890 ثم دخلت سنة تسعين وثمانمائة فيها فى المحرم كانت وفاة قاضى القضاة محب الدين ابن الشحنة الحنفى وهو محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى الثقفى ثم الحلبى كان عالما فاضلا بارعا فى مذهب أبى حنيفة وكان ناظما ناثرا رئيسا حشما جميل الهيئة حسن الشكل تولى عدة وظائف سنية منها كتابة سر مصر ونظر جيشها وتولى قضاء قضاة الحنفية عدة مرار ثم ولى مشيخة الخانقاه الشيخونية ومات وهو شيخ بها وجرى عليه شدائد ومحن شتى واعتراه فى آخر عمره مرض الفالج واستمر به الى أن مات وقد ذهل فى عقله وكان مولده سنة أربع

وثمانمائة ومات وقد قارب التسعين سنة من العمر وكان من أعيان الناس ورؤساء مصر وله عدة تآليف جليلة ومن شعره قوله

قلت له لما وفى موعدى * ان سلوى عن هواكم نفاق

وجاد بالوصل على وجهه * حتى سماكل حبيب وفاق

فلما مات تولى ابنه الشيخ سرى الدين عبد البر مشيخة الخانقاه الشيخونية عوضا عن أبيه وفيه دخل الحاج الى القاهرة وحضر أبو البقاء بن الجيعان وجانبلاط وماماى وجماعة من أقارب السلطان كانوا فى الحجاز فى تلك السنة وفيه وصل قرقماس التنمى نائب طرسوس وكان ممن أسر عند على دولات وفيه توفى يشبك العلائى نائب حماه وكان لا بأس به وتولى عدة وظائف سنية منها امرية عشرة بمصر وبقى من جملة رؤس النوب ثم تولى نيابة الكرك ثم نيابة غزة ثم حجوبية الحجاب بدمشق ثم نيابة حماه ومات بها وفى صفر أرسل السلطان الى سيباى الطيورى صاحب دمشق وقرره فى نيابة حماه عوضا عن يشبك العلائى بحكم وفاته وقرر فى حجوبية دمشق بلباى أحد الدوادارية بدمشق وقرر فى الدوادارية جانى بك الطويل أحد مماليك السلطان وفيه كان توجه جانى بك حبيب أميرا خور ثانى الى ابن عثمان وقد تقدم القول فى ذلك فتوجه اليه من البحر المالح من الاسكندرية وأرسل السلطان صحبته تقليدا من الخليفة الى ابن عثمان بأن يكون مقام السلطان على بلاد الروم وما سيفتحه الله تعالى على يديه من البلاد الكفرية وأرسل اليه أيضا الخليفة مطالعة تتضمن تخميد هذه الفتنة التى قد انتشت بينه وبين السلطان وفى المطالعة بعض ترفق له والذى استفاض بين الناس أن سبب هذه الفتنة الواقعة بينه وبين السلطان أن بعض ملوك الهند أرسل الى ابن عثمان هدية حافلة على يد بعض تجار الهند فلما وصل الى جدة احتاط عليها نائب جدة وأحضرها صحبته الى السلطان وكان من جملة تلك الهدية خنجر قبضته مرصعة بفصوص ثمنة فطمع السلطان فى تلك الهدية وأخذ الخنجر فلما بلغ ابن عثمان ذلك حنق وجاء فى عقب ذلك أن على دولات ترامى على ابن عثمان وشكى له من أفعال السلطان وما يصدر منه فتعصب لعلى دولات وأمده بالعساكر واستمرت الفتنة تتسع حتى كان منها ما سنذكره فى موضعه وقد طمع غالب ملوك الشرق فى عسكر مصر بموجب ما وقع لهم مع سوار وبابندر وغير ذلك من ملوك الشرق ثم ان السلطان أرسل الخنجر المذكور والهدية التى بعث بها ملك الهند وأرسل يعتذر الى ابن عثمان عن ذلك بعد أن صار ما صار فكان كما قيل

جرى ما جرى جهرا لدى الناس وانبسط * وعذر أتى سرا يؤكد ما فرط

ومن ظن أن يمحو جلى جفائه * خفى اعتذار فهو فى غاية الغلط

ثم ان جانى بك لبس خلعة السفر ونزل فى موكب حافل وتوجه الى ثغر الاسكندرية ونزل من هناك فى مراكب وتوجه الى بلاد ابن عثمان من البحر الملح وفيه قرر فى الاتابكية بحلب قرقماس التنمى عوضا عن اينال الخسيف بحكم انتقاله الى نيابة صفد وقرر فى نيابة الكرك أميرزاده بن حسن الدوكارى عوضا عن جانى بك الطويل وفيه توفى خليفة سيدى ابراهيم الدسوقى رحمه الله ورضى عنه وهو خير الدين أبو الكرم الشافعى وكان لا بأس به ❁ وفى ربيع الاول عرض السلطان العسكر وعين تجريدة الى على دولات وعين بها من الامراء برسباى قراأس نوبة النوب وتانى بك الجمالى أحد المقدمين ورسم لهم بأن يتقدموا جاليش العسكر الى أن يخرج الاتابكى أزبك ثم أنفق على العسكر الذى تعين للتجريدة فبلغت النفقة زيادة عن مائة ألف دينار وفيه توفى قاضى قضاة الشافعية كان وهو بدر الدين محمد أبو السعادات ابن محمد بن عبد الرحمن بن عمر الكنانى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا تولى قضاء الشافعية بمصر فى دولة الظاهر خشقدم ولم تطل مدته بها وكان عنده خفة روح زائدة ورهج فى الامور وفيه توفى عبد القادر الحمامى الجابى وكان رئيسا حشما سيوسا وكان لا بأس به وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا ونصب فى ذلك اليوم الخيمة العظيمة التى أقامها على يديه وجاءت فى غاية الحسن والتزخرف وحضر فى هذا المولد ملك التجار أحمد بن محمود بن كاوان وكان جاء صحبة الحاج من مكة المشرفة فعظم أمره بمصر جدا وفيه جاءت الاخبار من القدس الشريف بوفاة الواعظ المحدث شهاب الدين أحمد العمرى المقدسى وكان عالما فاضلا علامة فى فن الوعظ دينا خيرا ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه توفى برسباى بن تمربغا الظاهرى المعروف بحشيش وكان من الامراء العشراوات وكان لا باس به وفيه عمل مولد السيدة نفيسة رحمها الله ورضى عنها وحضر الخليفة والقضاة الاربعة وكان حافلا وفيه جاءت الاخبار من القدس الشريف بوفاة الشيخ سعد الله الهندى الحنفى امام المسجد الاقصى وكان من أهل العلم والفضل عارفا بالقراآت السبع وكان أحد نواب النواب بدمشق وفيه جاءت الاخبار بوفاة يشبك البجاسى الذى كان نائب حلب وعزل عنها مات بصفد وقد قاسى شدائد ومحنا ولاسيما ما وقع له مع النابلسى وكيل بيت المال وكان رئيسا حشما تولى عدة وظائف سنية منها نيابة ملطية ونيابة حماه ونيابة طرابلس ونيابة حلب وصودر وسجن بدمشق ثم نقل الى صفد فمات بها وفيه رسم السلطان للقضاة والشهود أن لا يعقد أحد منهم نكاحا على جلب من مماليكه فقلق المماليك من ذلك فكان حالهم كما قيل

اذا نكح الرجال بنات قوم ❁ وصار المهر فى ايدى الفريق
عمدت الى يدى فنكحت بكرا ❁ وأمامهرها عندى فريق

ثم توجهوا فيما بعد للزواج ولم يلتفتوا الى قول السلطان وفى ربيع الآخر وجد شخص من المماليك السلطانية يقال له فارس الزردكاش مقتولا بالصوة ولا يعلم من قتله وجد بعد صلاة الصبح وفيه خرج العسكر المعين الى على دولات وكان باش العسكر برسباى قراأس نوبة النوب وصحبته تانى بك الجمالى أحد المقدمين وعدة من الامراء العشراوات وقد خرج المقدمون من غير طلب وفيه قبض أقبردى الدوادار على جماعة من أولاد ابن عمر وسجنهم فى البرج الذى بالقلعة وقد أحضرهم صحبته لما توجه الى الوجه القبلى وقد تغير خاطر السلطان على بنى عمر وفى جمادى الاولى قرر فى امرية الحاج بالمحمل ازدمر المسرطن أحد المقدمين وبالاول برسباى اليوسفى أحد الامراء الطبلخانات وفيه قرر دولات باى الحسنى الظاهرى شاد الشون فى رأس النوبة الثانية عوضا عن قانى بك جشحة وكانت هذه الوظيفة شاغرة مدة طويلة وفيه توفى قراجا نائب جدة وكان أصله من مماليك جانى بك نائب جدة وكان لا بأس به وفيه وصل الى القاهرة اينال السلحدار الاشرفى الذى كان نائب طرابلس فأكرمه السلطان وخلع عليه وأقره فى شادية الشراب خاناه وفيه توفى الشيخ المعتقد نور الدين على من أولاد سيدى يوسف العجمى رحمة الله عليه وكان لا بأس به وفيه أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة فى العام المذكور ثمانية أذرع وعشرين اصبعا فعد ذلك من النوادر وفيه أعيد القاضى شهاب الدين بن فرفور الدمشقى الى قضاء الشافعية بدمشق مضافا الى نظر الجيش وصرف عنها ابن المزلق وفيه هجم المنسر على الناس وهم فى زيارة الامام الليث بن سعد رحمه الله ورضى عنه فأخذوا عمائم الزوار حتى أزر النساء وعرّوا النساء فى الطريق بطولها حتى وصلوا الى باب القرافة وكانت كائنة عظيمة وفى جمادى الآخرة ضرب السلطان السيد الشريف الذى كان كاتب سر دمشق وأودعه بالمقشرة ولم يرث الى شرفه وفيه قرر الشيخ كمال الدين ابن أبى شريف المقدسى فى مشيخة مدرسة السلطان الذى أنشاها بالقدس الشريف وجاءت غاية فى الحسن وفيه خلع السلطان على السيد الشريف موفق الدين الحموى وقرره فى كتابة السر بدمشق وفيه رسم السلطان بقطع يد مملوك من جلبانه قد سرق غير مرة فلما أراد قطع يده شفع فيه بعض الامراء فخنق منه السلطان ورسم بقطع رجله أيضا وفيه رسم السلطان للامير أقبردى الدوادار وأبى البقاء بن الجيعان وجانبلاط وماماى ورمضان بأن يتوجهوا الى القدس وصحبتهم من القراء والوعاظ جماعة وأن يعمل وليمة لمدرسة السلطان التى أنشأها بالقدس وقد انتهى منها العمل وخرج ابن أبى شريف صحبتهم وقد تقدم تقريره بالمدرسة وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن عسكر ابن عثمان قد استولى على قلعة كولك وكان بها شخص من المماليك السلطانية يقال له طوغان الساعى فلما حاصروه أسلمها اليهم بالامان

وكانت هذه أول وقائع ابن عثمان ثم اتسع الامر بعد ذلك وكان ماسنذكره فى موضعه وفى رجب جاءت الاخبار بوفاة ملك الاندلس صاحب غرناطة وهو الغالب بالله أبو الحسن على بن سعد بن محمد بن الاحمر وكان من خيار ملوك الغرب مشتهرا بالعدل عارفا بتدبير المملكة حسن السيرة لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بأن الأمطار كانت قليلة بها جدا وأن الآبار قد نشفت وأن العين التى أجراها السلطان قد وقفت وحصل لاهل مكة الضرر الشامل بسبب ذلك وفيه تزايد شر المماليك الجلبان والزعر والعبيد حتى أعيا أمرهم الوالى وحاجب الحجاب وصارت الأحوال فى اضطراب وفى ثانى شعبان كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى فى العشرين من مسرى فلما أوفى توجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه قرر البدرى محمود بن أجا فى قضاء الحنفية بحلب عوضا عن ابن الحلاوى وكان هذا أول شهرة البدرى محمود بن أجا وفيه كان أول فتح خليج الازبكية وكان يوما مشهودا وعزم الامير أزبك على الامراء المقدمين بالقصر المطل على البركة ومدت لهم الاسمطة الحافلة وفيه جاءت الاخبار بأن الفتن قائمة ببلاد المغرب بتونس وفاس وغير ذلك من البلاد وأن الفرنج قد استولت على مدينة مالقة وفيه جاءت الأخبار بوفاة بيبرس الرحبى قريب السلطان الذى كان نائب طرابلس وكان قد أشيع ذلك وقد صح وفيه جاءت الاخبار بأن عساكر ابن عثمان قد استولوا على أطراف بلاد السلطان وأرسل أزدمر نائب حلب يستحث السلطان بخروج تجريدة ثقيلة أو يخرج السلطان بنفسه فتكدر السلطان لهذا الخبر ونادى للعسكر بالعرض ثم عرض الجند بحضرة الاتابكى أزبك وكان هو المشار اليه فى تعيين الجند مما يختاره منهم ثم عرض القرانصة وأولاد الناس وصار الذى لا يطيق السفر منهم يقيم له بديلا كاملا بخيوله ولبسه وغير ذلك ويورد مائة دينار من له اقطاع وجامكية ثم ان المماليك المعينة للسفر أطلقوا فى الناس النار وصاروا يأخذون بغال الناس وخيولهم غصبا حتى أخذوا بغال الطواحين والاكاديش التى بها وتعطلت الطواحين بسبب ذلك وتشحط الخبز من الدكاكين وكادت أن تكون غلوة كبيرة حتى وبخ السلطان المماليك بالكلام ونادى فى القاهرة بالامان والاطمئنان وان كل من أخذ له بغل أو فرس يطلع الى أمير اخور كبير يخلصه فسكن الحال قليلا وفى رمضان توفى برسباى الخازندار المحمودى وكان من أخصاء السلطان وهو من الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة القاضى كمال الدين ناظر الجيش وكان مجاورا بمكة المشرفة فأتاه الاجل هنالك وهو محمد بن يوسف ناظر الجيش المعروف بابن كاتب جكم وكان رئيسا حشما وله اشتغال بالعلم وولى نظر الجيش وهو فى حداثة سنه وباشر ذلك أحسن مباشرة وحمدت سيرته بها حتى مات وفيه كان ختم البخارى بالقلعة وكان حافلا جدا وفرقت الخلع

والصرر

والصبر على الفقهاء والعلماء وفى شوّال خرج العسكر المعين الى على دولات وكان باش العسكر الاتابكى أزبك وكان صحبته قانصوه خمسمائة أميراخور كبير وتانى بك قرا أحد المقدمى الالوف وقد تقدم قبلهم ستة من الامراء المقدمين ازدمر أمير مجلس وتغرى بردى ططروقرر بعدهم تمراز أمير سلاح وأزبك اليوسفى أحد الامراء المقدمين ثم خرج من بعدهم برسباى قراراس نوبة النوب وتانى بك الجمالى أحد المقدمين فكان جملة الذين خرجوا أوّلا وآخرا تسعة أمراء بالاتابكى أزبك ومن الجند نحو من ثلاثة آلاف مملوك مما تقدم فى الاول والآخر وكانت هذه التجريدة من أعظم التجاريد وطلب الاتابكى أزبك طلبا حافلا حتى رجت له القاهرة وكذلك قانصوه خمسمائة كان طلبه غاية فى الحسن بحيث لم يعمل مثله قط قيل كان مصروف طلب قانصوه خمسمائة نحو امن ثمانين ألف دينار وخرج العسكر وهم لابسون آلة الحرب وكان لهم يوم مشهود وكان مع الامير أزبك عدة أمراء طبلخانات وعشراوات والجم الغفير من الخاصكية والمماليك السلطانية فعدّت هذه التجريدة من النوادر وفيه كانت وفاة الخواجا محيى الدين عبد القادر بن ابراهيم بن حسن المعروف بابن عليبة السكندرى تاجر السلطان وكان رئيسا حشما من أعيان التجار وفيه خلع السلطان على القاضى شهاب الدين أحمد بن ناظر الخاص يوسف وقرره فى نظر الجيش عوضا عن أخيه كمال الدين وفيه خلع السلطان على على بن عامر وقرره فى امرية آل فضل بحماه عوضا عن عساف بحكم قتله وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل أزدمر المسرطن وبالركب الاول برسباى اليوسفى وفيه طيف برأس شخص من العربان المفسدين يقال له محمد بن عامر أحد مشايخ هوارة وبعث بها ابن الزرازيرى الكاشف وعدة رؤس من العربان المفسدين وفى ذى القعدة فى ثالث عشرها نور زاد النيل زيادة مفرطة نحو الذراع حتى تعجب الناس من ذلك وفيه عاد جانى بك حبيب الذى توجه الى ابن عثمان قاصدا وكان قد سافر أوّلا من البحر المالح وعاد من على ملطية فلما طلع بين يدى السلطان كان عليه خلعة ابن عثمان فخلع عليه وعلى من كان معه من الخاصكية ثم ان جانى بك حبيب خلا بالسلطان وأخبره عن أحوال ابن عثمان بانه ليس براجع عن أذاه لعسكر مصر وانه لم يرمنه اقبالا ولا أكرمه وانه غير ناصح للسلطان فكثر القال والقيل بسبب ذلك وفيه توفى شمس الدين الوفائى قاضى الحنفية وكان رئيسا حشما لابأس به وفى ذى الحجة توفى قاضى الفقيه الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان باش المجاورين بمكة المشرفة وكان دينا خيرا لابأس به وفيه أعيد الزينى أمير حاج الى نقابة الجيش على عادته وصرف عنها موسى بن الترجمان بعد كائنة عظيمة وقعت له وكان غير محمود السيرة سيئ التصرف فى أفعاله وفيه قرر السلطان كرتباى بن مصطفى المعروف بالاحمر فى كشف

البحيرة عوضا عن قراكز مملوك تمراز أمير سلاح وفيه جاءت الاخبار من نائب حلب بان على دولات أرسل يسأل فى الصلح بعدما اتسع الخرق على الراقع كما قيل فى المعنى

أتروض نفسك بعدما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

وفيه توفى قاضى الجماعة أبو عبد الله محمد بن محمد القلجانى التونسى المالكى وكان عالما فاضلا بارعا فى مذهبه قدم الى مصر وأقام بها مدة ثم عاد الى بلاده فمات بها وفيه جاءت الاخبار بوفاة المستنصر بالله محمد من أولاد الملك مسعود صاحب تونس وكان أكبر أولاده مستوليا على احدى جهات المغرب وكان شابا حسن السيرة عادلا فى الرعية فتأسف عليه والده جدا وقد خرجت السنة المذكورة عن فتن وشرور ببلاد الشرق وبلاد الغرب وحصل فى مصر تشحيطة فى سائر الغلال واشتد السعر ووقع الاضطراب بسبب ذلك لاهل التجاريد وحصل للناس من المماليك ما لا خير فيه من أخذ البغال والخيول وغير ذلك مما حصل به الضرر الشامل وزيادة على ذلك ظلم أرباب الدولة وحصل للناس وقوف حال بسبب ضرب الفلوس الجدد وتبطيل الفلوس العتق والامر لله تعالى فى ذلك

891 ❁ ثم دخلت سنة احدى وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم كان خليفة الوقت الامام أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز وسلطان العصر الملك الاشرف قايتباى أبو النصر المعروف بالمحمودى الظاهرى وأما القضاة الاربعة فهم قاضى القضاة زين الدين زكريا الانصارى الشافعى والقاضى شمس الدين محمد الغزى الحنفى والقاضى محيى الدين بن تقى الدين المالكى والقاضى محمد السعدى الحنبلى وأما الامراء المقدمون فمنهم أرباب الوظائف ستة وهم الاتابكى أزبك بن ططخ أمير كبير وتمراز التمشى أمير سلاح وأما امرية مجلس فكانت شاغرة من حين عزل منها ازدمر قريب السلطان وتولى نيابة حلب وبرسباى قراالمحمدى الظاهرى رأس نوبة النوب وقانصوه بن طراباى المعروف بخمسمائة أمير اخور كبير واقبردى بن على باى أمير دوادار كبير وتغرى بردى ططر حاجب الحجاب وأما الامراء المقدمون غير أرباب الوظائف فأزبك اليوسفى المعروف بالخازندار وتانى بك الجمالى وتانى بك قراالاينالى وازدمر تمساح وازدمر المسرطن ويشبك الجمالى وأما الامراء الطبلخانات فكانت عدتهم يومئذ نحو عشرة وأما الامراء العشراوات فكانت عدتهم يومئذ نحوا من ستين أميرا وأما أرباب الوظائف من المتعممين فالقاضى كاتب السر زين الدين أبو بكر بن مزهر ونائبه صلاح الدين بن الجيعان وناظر الجيش الشهابى أحمد بن الجمالى يوسف ناظر الخاص ومستوفى ديوان الجيش القاضى أبو البقاء بن الجيعان وناظر الخاص علاء الدين بن الصابونى وقد جمع بين نظارة الخاص ووكالة بيت المال والوزارة يد قاسم شغيته متحدثا فيها وشرف الدين بن البقرى ناظر الدولة وقد جمع بين نظارة الدولة وبين نظارة الاوقاف فى تلك الايام

والبدرى

والبدرى بدر الدين بن مزهر محتسب القاهرة ووالى الشرطة يشبك بن حيدر الاينالى واستادار العالية تغرى بردى المعروف بالقادرى ونقابة الجيش بيد أمير حاج بن أبى الفرج وكتابة الخزانة بيد عبد الغنى بن الجيعان وكتابة المماليك بيد يوسف بن أبى الفتح نائب جدة ونظارة الاصطبل بيد يحيى بن البقرى ونظارة الزردخانه بيد عبد الباسط بن تقى الدين ونظارة الكسوة الشريفة بيد رمضان المهتار ونظر الجوالى بيد نور الدين على البتنونى المعروف بالحنبلى وأما أرباب الوظائف من الطواشية فحشقدم الزمام الاحمدى وخالص التكرورى مقدم المماليك ونائبه عنبر وسرور وشاد الحوش وغير ذلك من أرباب الوظائف لم نذكرهم خوف الاطالة فى ذلك وانما ذكرنا الاعيان منهم فهذا كان ترتيب أرباب الوظائف فى مستهل السنة المذكورة على حكم ماذكرناه ثم انقلبت الوظائف الى جماعة كثيرة من الاتراك والمباشرين كما سيأتى ذكره فى موضعه وفيه أعنى هذا الشهر توفى السيد الشريف أبو عوانة واسمه أحمد بن أبى بكر التونسى المالكى رحمه الله وكان يعرف بالعوانى وكان دينا خيرا جميل الصورة حسن الشكل ويقال ان فيه أشياء من شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده بعد الاربعين والثمانمائة وفيه توجه السلطان الى جهة الشرقية ليكشف على الجسور فغاب هنالك أياما ثم عاد الى القلعة وفيه تناهى سعر البرسيم كل فدان مخضر باثنى عشر دينارا وبيع الدريس الحوفى كل مائة قتة بار بعمائة درهم حتى عد ذلك من النوادر وسبب ذلك أن حب البرسيم التقاوى كان غاليا وكان النيل خسيسا والذى طلع من البرسيم أكلت غالبه الدودة وكان سعر الغلال مرتفعا فى السنة المذكورة حتى غلا سعر الماء والروايا من عدم العلف لجمال السقائين وفيه نزل السلطان وتوجه الى الروضة وعدى وهو راكب وكان معه القاضى قطب الدين الخضيرى وجماعة من الخاصكية فتوجه الى خرطوم الروضة وعدى وأقام به الى آخر النهار ونصب له هنالك خيمة سحابة وموخر فطاب له ذلك المكان فأمر ببناء قصر مطل على الاربع جهات هنالك فلم يتم له ذلك وفيه كان دخول الحاج فى خامس عشريه وقد حصل لهم بموت الجمال وشدة الغلاء مشقة زائدة وكان أمير ركب المحمل أزدمر وبالركب الاول برسباى اليوسفى وقد جاور أكثر الناس وانقطع جماعة بالينبع ولم يدخلوا القاهرة الا بعد أيام وفيه توجه اقبردى الدوادار الى جهة الصعيد بسبب فساد أولاد ابن عمر وفيه توجه السلطان الى قبة يشبك الدوادار التى بالمطرية فلما رجع نزل عن فرسه وزار تربة الظاهر برقوق وكشف عن أحوالها ثم عاد الى القلعة وألزم سرورا شاد الحوش بعمل مصالح الصوفية التى بتربة الظاهر برقوق وفى صفر قتل القاضى تقى الدين أبو بكر المعروف بخروف قتيل بولاق ولا يعلم من قتله وكان رئيسا حشما لا بأس به وكان ترشح أمره بأن يلى قضاء الحنفية فى دولة الظاهر

خشقدم وقد سعى له ابن العينى وفيه خسف جرم القمر وأظلم الجو واستمر على ذلك نحو امن
خمسين درجة وفيه توفى سيدى موسى بن الخليفة المتوكل على الله عم أمير المؤمنين أبى
العز عبد العزيز وكان رئيسا حشما وفاته الخلافة عدة مرار وقد تولى أربعة من اخوته
وهو مبعد لقلة حظه وكان مولده قبل العشرين والثمانمائة وفيه جاءت الاخبار بوقوع
فتنة عظيمة بين عربان جبل نابلس وقتل فيها اقبردى بن بخشايش الاينالى استادار الاغوات
وقتل أيضا جماعة كثيرة من العربان منهم أبو بكر أمير حزم ويوسف بن الجيوسى
أحد المشايخ بنابلس وجماعة كثيرة من أولاد اسمعيل وأولاد عبد القادر وكانت فتنة
شنيعة مهولة فلما بلغ السلطان ذلك عين اقبردى الدوادار الكبير بأن يتوجه الى جبل نابلس
ويخمد هذه الفتنة التى بين العربان فخرج مبادرا الى ذلك وفيه كانت وفاة قاضى
قضاة الشافعية كان وهو ولى الدين أحمد الاسيوطى بن أحمد بن عبد الخالق بن عبد
العزيز بن محمد القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا محمودا فى أيام قضائه رئيسا حشما
سيوسا فى أفعاله ولى القضاء الاكبر ومشيخة الجمالية والناصرية وعدة تداريس وأقام فى
القضاء وهو مع الناس فى أحسن سيرة ودام فيها ستة عشر سنة والناس راضون عنه وكان
مولده سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن العسكر المصرى
تقاتل مع عسكر ابن عثمان وانتصر على عسكر ابن عثمان وقتل منهم جماعة كثيرة نحو من
أربعين ألفا من توابع عسكره وقبض على أحمد بك بن هرسك وكان باش عسكر ابن
عثمان واجل امرائه ومعه جماعة من الامراء أصحاب الصناجق العثمانية وأسروهم
وأودعوهم فى الحديد فلما بلغ السلطان ذلك سر به ❁ وفى ربيع الاول عمل السلطان
المولد النبوى وكان حافلا لكن كان أكثر الامراء غائبا بالتجريدة ولم يكن بمصر من الامراء
المقدمين سوى ثلاثة مقدمين وفيه توفى القاضى حسن بن عرب وهو على بن عمر الطبندى
الشافعى أحد نواب الشافعية بالحكم بالديار المصرية وكان لا بأس به وفيه اختفى
القاضى شهاب الدين أحمد ناظر الجيش أخو القاضى كمال الدين فلما اختفى خلع السلطان
على البدرى محمد ابن القاضى كمال الدين ناظر الجيش وقرره فى نظر الجيش عوضا عن عمه
الشهابى أحمد بحكم اختفائه وكان البدرى هذا حديث السن لما تولى نظر الجيش لم يلتح
بعد وفيه قرر شاهين الجمالى فى مشيخة الحرم النبوى وفيه توفى المسند شمس الدين محمد
البساطى الشافعى وكان علامة فى الحديث وكان دينا خيرا لا بأس به وفيه وصل دوادار
نائب حلب وأخبر بصحة كسرة ابن عثمان والقبض على أحمد بك بن هرسك وجماعة من
أمراء ابن عثمان وأعيانهم وقد أخذ العسكر المصرى من النهب ما لا يحصى من خيول
وجمال وسلاح وبرك وقماش وغير ذلك وأخذوا صناجقهم وكانوا نحو امن مائة وعشرين

صنجقا

صنجقا وقد قطعت عدة وافرة من رؤس عسكر ابن عثمان وسيحضروا صحبة قيت الرجبى الساقى الخاصكى فسر السلطان لهذا الخبر وخلع على دوادار نائب حلب خلعة حافلة وفيه سقط الصارى الخشب الذى تعلق فيه القناديل فى رمضان بمنارة جامع القلعة فأخذ الناس يتفاءلون بشئ يحدث للسلطان عن قريب فلما كان اليوم الثانى من انكسار الصارى ركب السلطان على فرس وسير فى الحوش ثم ساق ونخع الفرس باللجام فشب به وانقلب على السلطان فسقط الى الارض وبقيت رجله تحت جنب الفرس فانكسرت رجل السلطان من عند عظمة فخذه كسرا بليغا فاغمى عليه وسال منه الدم فارجفت القلعة بموت السلطان واضطربت أحوال القاهرة بسبب ذلك وكثر القال والقيل بين الناس ولم يشك فى موته أحد بل تيقنوا ذلك فحمله بعض الخاصكية وهو مغمى عليه وأدخله الى قاعة الدهيشة فتسامع الامراء بذلك فطلعوا اليه ثم طلع كاتب السر ابن مزهر فلما دخل عليه قال له اكتب فى الحال فى هذه الساعة مراسيم وأرسلها الى نائب حلب لتطمئن الامراء والعسكر بسلامة السلطان من هذا العارض وقد حصل له السلامة والشفاء عن قريب فكتبت المراسيم بصورة الحال وأدرجت على يد هجان فى أثناء ذلك اليوم وتوجه الى حلب وقد نظم بعض شعراء العصر يعتذر عن هذه الواقعة بهذين البيتين وهما قوله

وقد زعموا أن الجواد كبابه * وحاشاه من عيب يضاف اليه
ولكن رأى سلطان عز وهيبة * فقبل وجه الارض بين يديه

وفيه توفى الشيخ الصالح زين الدين عبد الرحيم بن ابراهيم بن حجاج الاسنائى القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا دينا خيرا صالحا منجمعا عن أبناء الدنيا متصوفا على طريقة السلف متواضعا جدا أوطلب للقضاء غير مرة وهو يأبى من ذلك ولما مات دفن بزاوية الشيخ شهاب الدين التى بحدرة الفول عند بركة الرطلى وفى ربيع الآخر طلع القضاة الى القلعة للتهنئة بالشهر فأذن لهم بالدخول على السلطان وهو فى القاعة التى بالدهيشة وهى قاعة الحريم فلما دخلوا عنده وجدوه على سرير وقد قوروا له الفرش من تحته ورجله قدامه وهو لا ينام ولا يتحرك وكان الامراء والمباشرون يدخلون عليه كل يوم ويعطونه الخدمة وهو جالس على ذلك السرير فيدعون له وينصرفون وفيه وصل قيت الساقى من حلب ومعه عدة وافرة من الرؤس التى قطعت من عسكر ابن عثمان فلما دخل الى القاهرة زينت له زينة حافلة واصطفت الناس للفرجة فدخل وقدامه الرؤس محمولة على الرماح وكان عدتها ما يزيد على مائتى رأس فلما طلع الى القلعة دقت له البشائر وأقيمت الخدمة بالحوش ووقف أرباب الدولة كل واحد فى منزلته على العادة وغطيت الدكة التى يجلس عليها السلطان بالملاءة الحرير فلما استقر قيت الساقى بالحوش باس الارض الى نحو الدكة

فاحضرت له خلعة ولمن كان صحبته من المماليك السلطانية فلبسوا تلك الخلع ونزلوا في موكب حافل وكل ذلك والسلطان منقطع في القاعة وهو في غاية التألم من رجله وقيل ان السلطان فرق على الفقراء في مدة انقطاعه بهذا العارض نحو من ألف دينار على يد قطب الدين الخضيري ثم انه بعد أيام علم على أربعة مراسيم وكانت العلامة قد تعطلت أيام مرضه وفيه توفي الشيخ جلال الدين البكري وكان علامة في مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ورحمه وكان اسمه محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد الديروطي الشافعي وكان عالما فاضلا بارعا في العلوم ناب في القضاء مدة طويلة وتولى قضاء الاسكندرية ثم تولى مشيخة الخانقاه البيبرسية وكان بيده عدة تداريس ومولده سنة سبع وثمانمائة وفيه رسم السلطان على لسان القاضي كاتب السر ابن مزهربان يجمع رؤس النوب والنقباء الذين بابواب الحكام ويكتب عليهم قسائم انهم لا يأخذون من الاخصام عند انفصالهم من الحكم أكثر من نصفين فجمعهم وكتب عليهم قسائم بذلك فأقام هذا الامر مدة يسيرة ثم عادوا لما كانوا عليه وفيه قرر شيخنا الجلال السيوطي في مشيخة البيبرسية عوضا عن الجلال البكري بحكم وفاته وكان الساعي له السيد الخليفة عبد العزيز وفيه هجم المنسر على سوق باب الشعرية وقتلوا البواب وفتحوا عدة دكاكين وأخذوا ما فيها وخرجوا من الباب وتوجهوا من حيث أتوا وفي جمادى الاولى حملوا السلطان وهو على السرير وخرج الى الدهيشة وجلس بالشباك المطل على الحوش وعرض قدامه عدة خيول فحصل للناس الاطمئنان عليه وفيه حصل للسلطان الشفاء ودخل الحمام فلما كان يوم الجمعة ركب من باب الدهيشة وتوجه الى الجامع وصلى الجمعة وكان له بالقلعة يوم مشهود وتخلق الخدام بالزعفران وفرقت خوند على الناس البنود الحرير الاصفر للخدام والخاصكية والزمام ومقدم المماليك والغلمان السلطانية قاطبة وأعيان الناس من الحجاب ورؤس النوب ونقباء الجيش وغير ذلك من الاعيان ولما رجع السلطان من الجامع لاقته النسوة بالتهاني ونثرت خوند على رأسه خفائف الذهب والفضة وفرشت له الشقق الحرير تحت حوافر فرسه وكان يوما حافلا بالقلعة وخلع على الاطباء والمزينين الخلع السنية ودقت له البشائر بالقلعة ونودي بالزينة في القاهرة فلما كان الثاني من يوم ركوبه حضر الخليفة والقضاة الاربعة وهنؤا السلطان بالعافية وجلس بالدكة وحكم بين الناس وكان مدة انقطاعه لهذا العارض نحوا من ثلاثة وخمسين يوما وكان الناس قد أيسوا منه وعدر كوبه من النوادر بعد ذلك العارض المهول عند الكبر وقد قال القائل في ذلك

الله يدفع عن نفس الامام لنا * وكلنا للمنايا دونه غرض
فليت هذا الذي يعروه من مرض * بالعائدين جميعا لا به المرض

فنى الامام له من غيرنا عوض * وليس فى غيره منه لنا عوض
فما أبالى اذا ما نفسه سلمت * لو باد كل عباد الله وانقرضوا

وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار بان عسكر ابن عثمان لما حصلت لهم تلك الكسرة تجمع جيشا كثيفا ورجع الى المحاربة ثانيا وان عسكر السلطان بعد أن رجع الى حلب خرج ثانيا الى نحو كولك فتنكد السلطان الى الغاية لهذا الخبر ونادى للعسكر بالعرض فعرض وعين جماعة من الامراء المقدمين والجند فكانوا نحو امن خمسمائة مملوك وكان الباش عليهم يشبك الجمالى الزردكاش الكبير أحد المقدمين ثم أنفق عليهم واستخثهم على الخروج الى حلب وضاق الامر بالسلطان حتى قصد أن يخرج الى التجريدة بنفسه وأرسل السلطان الى كرتباى الاحمر كاشف البحيرة بان يجمع له من طائفة العربان الذين بالبحيرة ما يقدر عليه ثم عرض جماعة من الزعر وقصد أن ينفق عليهم لكل واحد ثلاثين دينارا وأن يخرجوا صحبته وصار ينظر ما يرد عليه من الاخبار وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة كبيرة ببلاد فاس من أعمال المغرب وقد حصل بين صاحب فاس والفرنج ما لا خير فيه من الحروب وقتل العساكر وان صاحب غرناطة توجه الى عمه يسئله أن يرسل له نجدة تعينه على قتال صاحب فشتاله وان الفتن هنالك قائمة والامر لله وفيه خرج الامير يشبك الجمالى ومن عين معه من الجند الى جهة حلب فكان لهم يوم مشهود وفى رجب جاءت الاخبار بوفاة دولات باى المحوجب الشرفى نائب ملطية وكان عنده شجاعة وفروسية وتوفى قانم أمير شكار المحمدى الظاهرى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفيه توفى السيد الشريف على أخو أمير مكة المشرفة وهو على بن بركات بن حسن بن عجلان الهاشمى العلوى وكان مقيما بالقاهرة من حين فر من أخيه وحضر الى مصر فأتاه الاجل بها وكان رئيسا حشما فاضلا ذكيا لا بأس به ومولده بعد الخمسين والثمانمائة وفى شعبان طلع القضاة الاربعة الى القلعة للتهنئة بالشهر فكثرت المرافعات فى قاضى قضاة الحنفية شمس الدين الغزى فنفق منه السلطان ورسم لنقيب الجيش بالقبض عليه فى المجلس وتوجه به الى المدرسة الصالحية ليقيم حساب أوقاف الحنفية وجرى عليه ما لا خير فيه واستمر فى الترسيم الى أن عزل وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى فى ثانى عشر مسرى فتوجه الامير ازدمر تمساح وفتح السد وكان الاتابكى أزبك غائبا فى التجريدة ومن النوادر ان النيل زاد فى ذلك اليوم عشرين اصبعا من الذراع السابع عشر فى يوم كسره واستمرت الزيادة عمالة حتى انه زاد فى ثلاثة أيام متواليه من الوفاء تسعة وتسعين اصبعا حتى عد ذلك من النوادر الغريبة فى الزيادة وقد قيل فى المعنى

وفا النيل اذ وفى البسيطة حقها * وزاد على ما جاده من صنائع

فماذا يقول للناس فى جود منعم * يشار الى انعامه بالاصابع

وفيه نزل السلطان الى الميدان وجلس بالمقعد الذى به وعرض المحابيس من رجال ونساء وأطلق منهم جماعة ثم أمر بتوسيط احمد بن بشارة شيخ العشير بلاد صفد وفيه عاد الامير اقبردى الدوادار من جبل نابلس ومعه عدة من العربان وهم فى الحديد وقد قبض على أعيان مشايخهم وفى رمضان كان أول ما خطب بمدرسة الصاحب الزمام التى أنشأها بخط باب الرميلة وقد جاءت من أحسن البناء وكان أصلها قاعة فصنع بها محرابا واتخذها مدرسة وخطب بها وفيه توفى شمس الدين محمد الديجورى أحد نواب الحكم من الشافعية وكان انسانا حسنا لا بأس به ومولده سنة تسع وعشرين وثمانمائة وفيه قبض على انسان وهو سكران فى رمضان فضرب بالمقارع وجرس بالقاهرة وفيه جاءت الاخبار بوفاة العلائى على بن شاهين العثمانى نائب قلعة دمشق وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه كان ختم البخارى بالقلعة فى الحوش وكان ذلك على خلاف العادة وفيه تغير خاطر السلطان على خشقدم الزمام لامر وقع له وكانت كائنة عظيمة وقصد الاخراق به وأمر بضربه حتى شفع فيه ثم آل أمره بعد ذلك الى أن نفاه الى جهة قوص كما سيأتى ذكر ذلك وفى شوال جاءت الاخبار بوفاة بردبك سكر أتابك العساكر بطرابلس وكان شابا رئيسا حسنا حشما لا بأس به ولكن وقع له شدائد ومحن ونفى من مصر وكان من خواص السلطان ثم تغير خاطره عليه وجرى له أمور يشتى وفيه خلع السلطان على الشيخ ناصر الدين محمد بن الاخميمى شيخ المدرسة البرقوقية وقرره فى قضاء الحنفية عوضا عن شمس الدين الغزى بحكم انفصاله عنها وجرى على الغزى أمور يطول شرحها وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير ركب المحمل ازدمر تمساح على العادة وفيه رسم السلطان بتوسيط شخص من أعيان المفسدين فى الارض يقال له جور ووسط معه جماعة آخرين مفسدين فى الارض فنزل جور من القلعة وهو مسمر على لعبة من الخشب غريبة الهيئة تجر بالعجل ولها حركات تدور بها فرجت القاهرة فى ذلك اليوم وكان يوما مشهودا وتوجهوا به الى جزيرة الفيل فوسطوهم هنالك وأراح الله الناس منهم وفيه أرسل السلطان تجريدة الى البحيرة بسبب فساد محمد الجويلى شيخ عربان البحيرة وكان باش الجندقر قاس المعلم أحد الامراء العشراوات واسباى المبشر وأزبك قفص وماماى ونحو من مائتى مملوك من المماليك السلطانية فلما وصلوا الى البحيرة تقاتلوا مع الجويلى أشد القتال وقتل من الترك والعرب جماعة كثيرة ورجع العسكر من غير طائل ولا حصلوا من الجويلى على شئ وفيه وقعت نادرة وهو أن مركبا بولاق عدت تحت الليل فغرقت فى وسط البحر بمن فيها من الناس والدواب ومن العجائب انه كان بها انسان علامة فى السباحة الى الغاية فغرق ولم يعلم له خبر وكان الى جانبه

صبي صغير لا يعرف السباحة فنجا من الغرق وطلع فعد ذلك من النوادر كما قيل في المعنى

وقد يهلك الانسان من باب أمنه * وينجو بعون الله من حيث يحذر

وفيه توفي الشيخ قلج الرومي الادهمي شيخ زاوية السلطان بالمرج والزيات فلما مات قرر في مشيخة الزاوية امرأته وهي زوجة قلج المذكور فعد ذلك من النوادر وكانت المرأة تقرب لجهان شاه وفيه جاءت الاخبار من حلب بان العسكر قد ثار على الاتابكي أزبك وقصد العود الى القاهرة فتشوش السلطان لهذا الخبر وشكوا من الانشحات فارسل السلطان اليهم نفقة هنالك فانفق الاتابكي أزبك عليهم هنالك لكل مملوك خمسين دينارا حتى خمدت الفتنة وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان وتوجهوا الى بيت البدري بدر الدين ابن مزهر المحتسب وقصدوا حرق بيته فاختفى وذلك بسبب تسعير البضائع من اللحم والخبز والجبن وغير ذلك ثم توجهوا الى الشون وكسروا أبوابها ونهبوا ما فيها من القمح والشعير وفعلوا ذلك بشون السلطان والامراء وكانت فتنة مهولة فلما بلغ السلطان ذلك بعث اليهم جماعة من الخاصكية ومقدم المماليك فما قدروا على ردهم فركب السلطان بنفسه بعد العصر وتوجه الى بولاق فلما رأوه فروا من وجهه ثم أتوا الى دار الصاحب قائم فنهبوا كل ما فيها فلما أصبحوا لم ينتهوا عما هم عليه ولم يطلع أحد من المباشرين الى القلعة ثم ان القاضي كاتب السر ترامى على السلطان وقبل رجله ثلاث مرات بان يعفي ولده بدر الدين من الحسبة فما أجاب الا بعد جهد جهيد وفيه توفي الكاتب المجيد الزيني خطاب بن عمر بن خطاب الازهري الشافعي وكان فاضلا وله اشتغال بالعلم وكتب المنسوب من الخط الجيد وكان له في ذلك دعاوى عريضة جدا وفيه يقول الشهاب المنصوري

بذي التهذيب خطاب تسامت * صحائف زانها خطا وضبطا

فلو نطق الطروس لفضلته * وقالت أجود الكتاب خطا ب

وفيه وصل قيت الساقي الخاصكي الذي كان قد توجه الى يعقوب بن حسن الطويل فعاد ومعه مكاتبة باظهار التودد وصدق المحبة للسلطان وفيه توفيت خوند آسية بنت المؤيد شيخ وهي والدة سيدي يحيى بن يشبك الفقيه الذي كان دوادارا كبيرا وكان حصل لها أسف على ولدها يحيى لما مات فكف بصرها في أواخر عمرها ومولدها سنة اثنتي عشرة وثمانمائة وكانت آخر من توفي من أولاد الملك المؤيد شيخ وفي ذي القعدة ظهر برهان الدين بن الكركي امام السلطان وكان مختفيا من حين تغير خاطر السلطان عليه فشفع فيه بعض الامراء حتى ظهر وقابل السلطان ونزل الى داره بطالا وفيه خلع السلطان على اقبردي الدوادار وقرره في الوزارة وكان متكلما فيها بغير تقرير وقرر موفق الدين بن القمص الاسلمي في نظر الدولة عوضا عن قاسم شغيته بحكم صرفه عن الوزارة ونظر الدولة فوكل به وأقام في الترسيم

حتى يعمل الحساب وفيه خلع السلطان على كسباى الشريفى وقرره فى الحسبة عوضا
عن البدرى ابن مزهر بحكم استعفائه وفيه رسم السلطان بتوسيط عبد العزيز المعروف
بعزوز من أولاد بنى عمر أمير عربان هوارة ووسط معه جماعة من أقاربه وهم يعقوب بن
سليمان وموسى بن عبد الله وموسى بن أبى لاسون وعلى أخو عزوز ومحمد بن بشارة فكانت
آجالهم متقاربة من بعضها وفيه بلغ سعر الارز الى ستة أشرفية كل أردب ولا يوجد ثم
عز جدا حتى تناهى سعره الى اثنى عشر دينارا كل أردب حتى عد ذلك من النوادر وفيه
رسم السلطان بتوسيط شخص من كبار المفسدين يقال له أحمد الدنف وله حكايات
فى فن السرقة يطول شرحها وفيه حضر جماعة من الجند ممن كان مسافرا فى التجريدة
وقد حضروا من غير اذن من السلطان وقصدوا الاخراق بالاتابكى أزبك باش العسكر
وهو بحلب فقال لهم الذى يقصد الرواح الى مصر يروح ويقابل أستاذه فسار وافى
الدس ثم قويت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة وصار جماعة من المماليك الجلبان يقفون
للامراء بالسلم المدرج ويقولون لهم قولوا للسلطان ينفق علينا والا يقع منا فتنة كبيرة
وصاروا يغلظون عليهم فى القول وصار القال والقيل عمالا كل يوم بينهم وبين الامراء
والاشاعات قائمة بوقوع فتنة وقصدوا الاخراق بالامير اقبردى الدوادار غير مرة
حتى امتنع أياما من طلوع القلعة وفيه قرر فى قضاء الحنفية بدمشق القاضى زين
الدين عبد الرحمن الحسبانى عوضا عن عماد الدين اسمعيل الناصرى بحكم صرفه عنها
وفيه جاءت الاخبار بوفاة قاضى مكة المشرفة البرهان بن ظهيرة الشافعى وهو ابراهيم بن على
ابن محمد بن حسين بن على بن أحمد وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم رئيسا حشما انتهت اليه
رياسة مكة المشرفة وكان المرجع اليه بها ولما مات قرر فى قضاء الشافعية بمكة المشرفة ولده
أبو السعود عوضا عنه وفيه كان دخول الاتابكى أزبك وبقية الامراء والجند ممن كانوا
مسافرين فى التجريدة الى على دولات والى عسكر ابن عثمان فلما دخلوا الى القاهرة كان لهم
يوم مشهود وقدامهم الاسراء من عسكر ابن عثمان وهم مرنجرين والصناجق منكسة
وكان صحبتهم جماعة من أعيان أمرائه وهم برناجير على خيولهم وصحبتهم أيضا باش عسكر
ابن عثمان وهو أحمد بك بن هرسك وهو راكب وفى عنقه زنجير وقيل ان ابن هرسك كان
أميرا كبيرا أتابكى ابن عثمان فلما عرضوا على السلطان وهو بالحوش عاتب أحمد بن هرسك
ووبخه بالكلام ثم سلمه الى الامير قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير ثم وزع بقية الاسراء
على جماعة من المباشرين حتى قضاة القضاة ثم خلع على الاتابكى أزبك وعلى بقية الامراء
ونزلوا الى دورهم وفى عقيب ذلك ثار جماعة من المماليك الجلبان على السلطان ولبسوا
آلة الحرب وأشهروا السلاح وكان ذلك فى سلخ الشهر المذكور فاضطربت الاحوال

ووزع أكثر الامراء والناس حوائجهم فى الحواصل وغلقت الاسواق والدكاكين وجاءت الزعر أفواجا أفواجا وقبل ذلك توجه جماعة من المماليك الجلبان الى بيت اقبردى الدوادار وتكلموا معه فى أن يتكلم مع السلطان بان ينفق عليهم فى نظير تعب سرهم بسبب هذه النصرة التى وقعت لهم على عسكر ابن عثمان وسألوه أيضا فيمن يعمل مصالحهم فى مرتب اللحم والعليق فلما اجتمع اقبردى بالسلطان كلمه فى ذلك غير مامرة وهو مصمم على عدم اجابتهم الى ماسألوه فيه فلما عاد الجواب لهم بعدم الاجابة فى ذلك ثاروا عليه واتسعت الفتنة وغلقت الامراء أبوابها واستمر الحال على ذلك وفى ذى الحجة لم يطلع أحد من القضاة الى القلعة بسبب التهنئة بالشهر وكانت الفتنة قائمة كما تقدم ثم طلع الاتابكى أزبك الى القلعة واجتمع بالسلطان وكلمه فى أمر النفقة على المماليك وتلطف به فى القول فأجاب الى ذلك الا بعد جهد كبير فتقرر الحال على أنه ينفق عليهم لكل مملوك منهم خمسون دينارا ثم نادى فى القاهرة بأن النفقة ستكون فى أول السنة الجديدة فخمدت هذه الفتنة شيأ قليلا وفيه جلس السلطان على الدكة بالحوش وحضر الاتابكى أزبك وفرقت الاقطاعات الشاغرة عمن توفى فى هذه التجريدة من الجند وصار الاتابكى أزبك هو المشار اليه فى هذا الامر وفيه أنعم السلطان على اقباى بن جانم الظاهرى خشقدم بامرية عشرة وهى امرية أصباى السيفى قرقماس الشعبانى بحكم انه كان مريضا منقطعا فى داره وأنعم على أبى شعرة بامرية عشرة وهى امرية قراكز بحكم عزله أيضا وفيه كانت الضحايا قليلة جدا ولاسيما الغنم وفيه جلس السلطان لتفرقة الجامكية فامتنع المماليك من أخذها وصمموا وقالوا ما نأخذ الا النفقة مع الجامكية ولا نصبر الى الشهر الآتى فلما رآهم قد صمموا على ذلك أنفق عليهم فاعطى المماليك الجلبان كل واحد منهم خمسين دينارا وأعطى القرانصة كل واحد منهم خمسة وعشرين دينارا ولم يعط الذين لم يتوجهوا نحو التجريدة المقيمين ووقع القال والقيل بسبب ذلك فلم يلتفت الى شئ من كلامهم وخمدت هذه الفتنة

892 ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم كانت الاسعار متشطحة ومشطة فى سائر البضائع وتشطح الخبز من الدكاكين حتى بيع كل رطل من الخبز بنصف فضة وكانت أحوال الناس واقفة بسبب الفلوس الجدد حتى غلا سعر راوية الماء وعز وجود جمال السقائين وصار الغلاء فى المأكول والمشروب هذا والمماليك قد طغوا فى حق الناس وتزايد منهم الضرر الشامل والعربان قد تزايدت شرورهم فى البلاد من الشرقية والغربية وابن عثمان فى غاية التحرك على البلاد الحلبية والسلطان فى غاية الظلم والمصادرات للناس بسبب خروج التجريدة الى ابن عثمان ثانيا وصار العسكر فى أمر مريب بسبب ذلك والاشاعات قائمة بوقوع فتنة بين الجلبان وقد صار وا فرقتين فرقة مع قانصوه خمسمائة وفرقة مع

اقبردى الدوادار والاضطراب بينهما عمال وفيه جاءت الاخبار من ثغر دمياط بوفاة الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر چقمق وكان ملكا جليلا وله اشتغال بالعلم على مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه ورحمه حتى صار مفتيا فى طبقة العلماء ومات وهو فى عشر الخمسين من العمر فلما بلغ السلطان وفاته رسم بنقل جثته الى مصر ودفن على أبيه الملك الظاهر چقمق وشرع فى أسباب ذلك وعين من يتوجه الى هناك ليحضره وفيه رسم السلطان بفك قيد أحمد بن هرسك الذى قد أسر وكذلك فك قيود من أسر من عسكر ابن عثمان وأخذوا فى أسباب تجهيزهم الى بلادهم وقد أشيع أمر الصلح بين السلطان وابن عثمان وفيه اشتد أمر الغلاء جدا حتى بيع القمح كل أردب بستة أشرفية وبيعت البطة الدقيق بار بعمائة وخمسين درهما وبيع خبز الذرة ولم يظهر خبز الذرة فيما تقدم من الغلوات المشهورة حتى صنف العوام رقصة وهم يقولون

زو يجى دى المسخره * يطعمنى خبز الدره

وصار يموت الكثير من الفقراء على الطرقات من شدة الجوع ثم ان السلطان فتح عدة شون وباع منها القمح على حكم خمسة أشرفية كل اردب وصار المحتسب يضرب الكثير من السوقة على عدم بيع الخبز واظهاره على الدكاكين وفيه أنعم السلطان على مملوكه قيت الساقى بامرية عشرة وكذلك مغلباى البجمقدار وقرر قيت الرحبى بجمقدارا عوضا عن مغلباى وفيه حضرت جثة الملك المنصور عثمان من ثغر دمياط ودفن على أبيه الظاهر چقمق بتربة قانى باى الجركسى وفيه قدم اينال الحسيف نائب صفد أحد مماليك السلطان فلما حضر أرسل السلطان خلعة وتقليدا الى يلباى حاجب دمشق وقرره فى نيابة صفد عوضا عن اينال الحسيف ثم بعد مدة قرر اينال الحسيف فى حجوبية دمشق عوضا عن يلباى بحكم انتقاله الى نيابة صفد وفيه توفى الشيخ شمس الدين محمد بن سوله الفارسكورى وكان من أعيان الشافعية من أهل العلم والفضل وكان لا بأس به وفيه توفى المنشد المطرب الواعظ المادح شمس الدين محمد بن حلة وكان من مشاهير الوعاظ وله نظم جيد ومولده قبل العشرين والثمانمائة وفيه انحل سعر القمح وبيع الاردب القمح بأربعة دنانير بعد ستة أشرفية بواسطة كثرة جلب الذرة وقد حصل للناس به غاية الرفق وفى صفر خسف جرم القمر وأظلم الجو ودام فى الخسوف نحو من خمسين درجة فلهج الناس بان زوال السلطان قد قرب وما كان شئ مما لهجوا به وأقام السلطان بعد ذلك مدة طويلة فكان كما قيل فى المعنى

لا تفعل الشمس شيأ لولا القمر * وعن خسوفهما لا يصدر الكدر

وفيه توفى الشيخ نظام الدين محمد بن الحيبغا الحنفى التركى وكان عالما فاضلا من أعيان

الناس وكان رئيسا حشما وجيها عند الناس فى سعة من المعيشة وفيه يقول المنصورى

سبحان من من بحسن الكلام * على نظام الدين دون الانام

فلفظ أهل العلم درّ ولا * يزين ذاك الدرّ الا النظام

وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة الامير قانصوه السيفى الاحمدى الاينالى الذى كان أحد المقدمين ونفى الى دمياط ثم نقل الى مكة المشرفة فمات بها وجرى عليه شدائد ومحن وكان من أعيان طائفة الاينالية وهو الذى تعصب للاشرف قايتباى حتى تسلطن فما ناله منه خير كما يقال

رب من ترجو به دفع الاذى * سوف يأتيك الاذى من قبله

وقيل انه كان يقول فى مجالس بسطه لولا أنا ما فرح قايتباى بالسلطنة قط فلما سمع السلطان قايتباى ذلك جرى على قانصوه ما لا خير فيه وكان يطلق لسانه فى حق السلطان بما لا يليق فحقد عليه السلطان بسبب ذلك كما قيل فى المعنى

وقد يرجى لجرح السيف برؤ * ولا برؤ لما جرح اللسان

وفى ربيع الاول توفى الامير ملاح اليوسفى نائب القلعة وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان دينا خيرا رئيسا حشما عاقلا عارفا بفنون الفروسية وكان لا بأس به وفيه تعدى شخص من العوانية واحتكر بيع الملح وضمنه بمكس ولم يكن يعهد ذلك من قبل فلما جرى ذلك نشفت الملاحة فى تلك السنة حتى عز وجود الملح جدا وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة وفى ربيع الآخر توفى الشيخ الصالح المعتقد سيدى عبد العظيم السدار الذى كان يبيع السدر والحناء عند الغرابليين وكان للناس فيه اعتقاد زائد وهو عبد العظيم بن ناصر الدين بن خلف المصرى ومولده بعد العشرين والثمانمائة وفيه توفى الشيخ محيى الدين عبد القادر الفرضى وكان علامة فى الفرائض وهو عبد القادر ابن على بن شعبان القاهرى الحنفى وكان امام جامع أصلان وفى جمادى الاولى توفى الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عمر البلقينى الشافعى وكان فاضلا نابه فى الحكم وكان محمود السيرة وفيه جاءت الاخبار من عند الامير اقبردى الدوادار بانه قد انتصر على العرب الاحامدة وكان توجه الى بلاد الوجه القبلى بسبب ذلك فقتل منهم ما لا يحصى وأسر نساءهم وأولادهم وبعث بهم الى مصر وباعوهم كما يباع الرقيق من الزنج ووقع لاقبردى مع الاحامدة أمور غريبة يطول شرحها وعذب جماعة منهم بالدفن فى التراب وهم أحياء ونوع لهم العذاب تنويعا وقد طهر بلاد الصعيد منهم وكانوا أظهروا الفساد بها جدا وفيه توفى القاضى سراج الدين عمر بن حريز المالكى وهو عمر بن أبى بكر بن محمد بن محمد بن محرز الهاشمى القرشى العلوى الحسنى المنفلوطى المالكى وكان عالما فاضلا دينا خيرا وتولى قضاء المالكية بعد أخيه حسام الدين وجرى عليه شدائد ومحن وعزل عن القضاء ودام معزولا

حتى مات وفيه افتتن طائفتان من الزعر ووقع بينهم أمور وشدائد يطول شرحها وصار يقتل بعضهم بعضا جهارا حتى أعيا الوالى أمرهم وفى جمادى الآخرة توفى بردبك طرخان الظاهرى جقمق وكان انسانا حسنا لا بأس به وكان بيده امرية عشرة يأكلها وهو طرخان وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة قناطر بنى منجا فخرج البدرى حسن بن الطولونى ومعه جماعة من البنائين والمهندسين بسبب العمارة وصرف على ذلك نحو من سبعة آلاف دينار وكانت هذه القناطر قد تشعثت وآلت الى السقوط فتدارك السلطان ذلك وجاءت من أحسن البناء وفيه توفيت ست الخلفاء بنت الخليفة المستنجد بالله سيدى يوسف وكانت بارعة فى الحسن فكثر عليها الحزن والاسف من الناس وكانت أمها بنت قاضى القضاة البلقينى وكان عقد لها على الامير خشكلدى البيسقى ثم فسخ العقد قبل الدخول ثم تزوج بها كاتب السر ابن مزهر ثم تزوجت بالقاضى قطب الدين الخيضرى ثم تزوجت بعده بالسيد الشريف اسحاق البردينى وماتت تحته وكان مولدها سنة ستين وثمانمائة وفيه فى يوم الجمعة كان عقد قانصوه خمسمائة على بنت الاتابكى أزبك من خوند بنت الظاهر جقمق عقد بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة وأعيان الناس وكان عقدا حافلا وأحضر السلطان عدة زبادى صينى فيها سكر ومشنات فاكهة فرقت فى القلعة فكان كما قيل

على أعين الساعات عقد مبارك * بهنى كما شاء الاله وأظهرا
سنى المعالى يسرت حركاته * اذا الله سنى عقد أمر تيسرا

وفيه جاءت الاخبار بان جانم الاجرود الاينالى كاشف منفلوط قد فر الى بلاد النوبة وكان السلطان أرسل بالقبض عليه ففر من الخوف على نفسه وأقام مدة وهو هارب حتى بعث السلطان له بالامان وفى رجب لما صعد القضاة للتهنئة بالشهر أمر السلطان بالقبض على جماعة القاضى الشافعى زين الدين زكريا فقبض على علاء الدين الحنفى النقيب وعلى أمين الحكم الصابونى وعلى جماعة من الجباة ووكل بهم لعمل الحساب لاجل أوقاف الشافعية التى تحت نظر قاضى القضاة الشافعى فاستمروا فى الترسيم بسبب هذه الواقعة نحو من ثلاث سنين والسلطان يتغافل عنهم وفيه خلع السلطان على القاضى نور الدين الحساوى وأعاده الى قضائه بحلب عوضا عن ابن الشحنة أبى البقاء وفيه توقف النيل عن الزيادة اثنى عشر يوما متوالية الى تاسع أبيب فزاد قلق الناس بسبب ذلك ثم بعث الله تعالى بالزيادة واستمرت الى أن وفى وفيه كان دخول قانصوه خمسمائة على بنت أزبك أمير كبير فحمل الجهاز من الازبكية الى دار قانصوه خمسمائة التى بقناطر السباع فلما شق من القاهرة كان له يوم مشهود وكانت الحالون التى تشيل الامتعة زيادة على أربعمائة حمال وقيل

صرف على هذا الجهاز نحو من مائتى ألف دينار ولما كانت ليلة العرس عمل بالازبكية وكان مهما حافلا ثم ان قانصوه خمسمائة ركب من باب السلسلة ومشت قدامه الامراء المقدمون بالشاش الذى يلبس فى الجمعة والاعياد وكذلك الخاصكية وبأيديهم الشموع الى أن وصل الى الازبكية وعدد هذا الزفاف من النوادر الغريبة لكن حصل للناس فى تلك الليلة غاية الضرر من الحلبان وخطفوا العمائم وضربوا جماعة من الامراء المقدمين وخطفوا الشمع من أيدى الخاصكية وما حصل تلك الليلة منهم خير وكادت أن تكون فتنة كبيرة وفيه رسم السلطان لكسباى المحتسب بان تجمع له أعيان التجار الذين بالاسواق فلما عرضوا على السلطان قال لهم ساعدونى بشئ على خروج التجريدة ثم فرض عليهم أربعين ألف دينار فضجوا من ذلك وقالوا ما نقدر على هذا القدر فازال يحط عنهم من ذلك القدر والتجار يقولون ما نقدر على ذلك فلما طال الامر بينهم وبين السلطان تقرر الحال على أن يؤدوا اثنى عشر ألف دينار اذا خرجت التجريدة وانفض المجلس على ذلك وفى شعبان توفيت فاطمة بنت الجمالى يوسف ناظر الخاص التى كانت زوجة الامير خاير بك سلطان ليلة وكانت رئيسة حشمة لا بأس بها وفيه توفى الشيخ تاج الدين ابن قاضى القضاة سعد الدين الديرى الحنفى وكان تولى بعد أبيه مشيخة الجامع المؤيدى وكان عالما فاضلا أخذ العلم عن أبيه ومولده سنة خمس وثمانمائة وفيه كان وفاء النيل المبارك فى ثانى عشر مسرى وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وفيه قرر السلطان قرقاس بن ولى الدين فى امرية الاخورية الثانية وكانت شاغرة مدة وقرر فى باشية الجند بمكة المشرفة أزدمر الاشرفى برسباى عوضا عن شادبك أمير اخور الظاهرى بحكم وفاته وفى رمضان خلع السلطان على الشيخ بدر الدين بن الديرى وقرره فى مشيخة الجامع المؤيدى عوضا عن عمه تاج الدين فاقام بها مدة يسيرة وسعى عليه محيى الدين عبد القادر ابن الدهانة الحنفى فقرره السلطان بها وقد أورد مالا له صورة وفيه وصل الامير اقبردى الدوادار وكان مسافرا نحو الوجه القبلى بسبب فساد عربان طائفة الاحامدة وقد تقدم ما جرى عليهم منه وفيه خلع السلطان على الشيخ بدر الدين ابن قاضى القضاة صلاح الدين المكينى وقرره فى مشيخة الخشابية عوضا عن الشيخ فتح الدين محمد بن قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى الشافعى بحكم وفاته فى شهر رجب وقد سعى فيها بدر الدين المكينى عال له صورة حتى قرر بها وفيه توفى القاضى عبد الغفار المندوحى الشافعى أحد نواب الحكم وكان لا بأس به وفيه كان ختم قراءة البخارى الشريف بالقلعة وكان بالحوش كالعام الماضى وفرقت الصرر على الفقهاء بحكم النصف وقطعت صرر من له خلع وقد شح السلطان فى الايام التى خلت فى الشهر المذكور جدا وفى شوال جاءت الاخبار بوفاة نائب الشام قجماس الاسحاقى الظاهرى وكان

دينا خيرا فى غاية الاحتشام مع لين جانب وكان انسانا حسنا لا بأس به وهو الذى أنشأ المدرسة التى عند الدرب الاحمر بقرب سوق الغنم وأنشأ مثلها بدمشق وله آثار حسنة غير ذلك وفيه تغير خاطر السلطان على يشبك بن حيدر والى القاهرة فأمر بنفيه الى الكرك فشفع فيه أزبك الامير الكبير ورده من الخانقاه فعزل من الولاية وقرر فى امرية عشرة وفيه توفى الجلال أبو البقاء ابن الشحنة الحلبى الشافعى قاضى القضاة بحلب وكان عالما فاضلا تقلد بمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ورحمه وكان والده حنفى المذهب فقدم الى القاهرة معزولا ومات بها وكان لا بأس به وفيه أرسل السلطان خلف قانصوه اليحياوى الذى كان نائب الشام الذى كان بالقدس الشريف وهو معزول بسبب ما تقدم ذكره فلما حضر خلع عليه السلطان وقرره فى نيابة الشام عوضا عن قجماس الاسحاقى بحكم وفاته وفيه خلع السلطان على مغلباى الشريفى الذى كان استادار صحبة وقرره فى ولاية القاهرة عوضا عن يشبك بن حيدر ثم بعد مدة طويلة خلع على اسباى المبشر وقرره فى استادارية عوضا عن مغلباى وفيه جاءت الاخبار بفرار شاه بضاع بن دلغادر وكان مسجونا بقلعة دمشق فلما بلغ السلطان ذلك تنكد الى الغاية ورسم بشنق نائب قلعة دمشق ثم جاءت الاخبار بأن شاه لما فر من قلعة دمشق توجه الى ابن عثمان فاكرمه وأقام عنده الى أن كان من أمره ما سنذكره فى موضعه وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير المحمل ازدمر قماح وبالركب الاول خاير بك كاشف المحلة وفيه توفى مجد الدين اسماعيل الشطرنجى وكان علامة فى نقل الشطرنج وجيها عند الامراء كثير العشرة للناس ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه تغير خاطر السلطان على موفق الدين بن القمص الاسلمى ناظر الدولة فضربه بالمقارع بين يديه بالحوش وسلمه للامير أقبردى الدوادار ثم خلع السلطان على شرف الدين بن البدرى حسن وقرره فى نظر الدولة عوضا عن موفق الدين الاسلمى وفى ذى القعدة جاء قاصد من عند ملك الغرب صاحب الاندلس وعلى يده مكاتبة من مرسله تتضمن أن السلطان يرسل له تجريدة تعينه على قتال الفرنج فانهم أشرفوا على أخذ غرناطة وهو فى المحاصرة معهم فلما سمع السلطان ذلك اقتضى رأيه أن يبعث الى القسوس الذين بالقمامة التى بالقدس بأن يرسلوا كتابا على يد قسيس من أعيانهم الى ملك الفرنج صاحب نابل بأن يكاتب صاحب اشبيليه بأن يحمل عن أهل مدينة غرناطه ويرحل عنهم والا يشوش السلطان على أهل القمامة ويقبض على أعيانهم ويمنع جميع طوائف الفرنج من الدخول الى القمامة ويهدمها فأرسلوا قاصدهم وعلى يده كتاب الى صاحب نابل كما أشار السلطان فلم يفد ذلك شيأ وملك الفرنج مدينة غرناطة فيما بعد وفيه توفى الشهاب الابشيهى أحمد بن محمد المحلى الشافعى وكان عالما فاضلا وناب فى الحكم مدة طويلة

وكان رئيسا حشما وجيها عند الناس وفيه توفى أزبك الاشرفى أحد الامراء العشروات وكان لا بأس به وفيه كان علف الدواب غاليا ففرق السلطان الاضحية على الامراء والجند قبل عيد النحر بخمسة وعشرين يوما فعد ذلك من النوادر وفى ذى الحجة فى سابع عشره خرج قانصوه اليحياوى الى نيابة الشام وفيه سقطت قبة جامع القلعة على المحراب والمنبر وقتل تحتها بواب الجامع وولده فرحت له القلعة وخرج السلطان وهو ماش حتى يرى ما سقط فى الجامع وكان ذلك قبل يوم الجمعة بثلاثة أيام فأمر السلطان بتشيل الاتربة من الجامع ثم أخذ فى أسباب عمل قبة غيرها فجدد هذه القبة الموجودة الآن وجدد المنبر وكان قبل ذلك من الخشب فجعله من الرخام الملوّن وجدد عمارة الميضأة التى بالجامع فجاءت من أحسن البناء وفيه خلع السلطان على شخص من مماليكه يقال له سيباى ابن بحت حاوقرره فى نيابة سيس عوضا عن قانصوه الجمالى بحكم وفاته وفيه تغير خاطر السلطان على الجمالى يوسف كاتب المماليك وأخذ منه تسعة آلاف دينار وجدّت عليه وعلى والده أبى الفتح نائب جدّة أمور يطول شرحها حتى آل أمره الى ذهاب عقله واعتراه جنون وفيه قويت الاشاعات بثوران فتنة من المماليك الجلبان وكثر القال والقيل فى ذلك ونقل غالب الامراء وأرباب الدولة أمتعتهم من الدور خوفا من النهب عند وقوع الحركة فلما تزايد الكلام فى ذلك صلى السلطان صلاة الجمعة ثم بعد الصلاة جلس بالحوش ثم أحضر أغوات الاطباق وأعيان المماليك الجلبان وكلمهم كلاما كثيرا ووبخهم بالكلام حتى قال ان كان قصدكم قتلى فدونكم ذلك فاستغفروا له ثم آل الامر الى صلحهم مع السلطان وسكون هذه الفتنة قليلا فلما خرجوا من عنده عادوا لما كانوا عليه من ثوران الفتنة حتى أشيع بين الناس أن السلطان قد تهيأ للفرار بنفسه ولم يعلم أين يتوجه وقد تزايد القول فى ذلك فكان كما يقال

لعمرى ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وقد خرجت السنة المذكورة عن الناس وهم فى أمر مريج وكانت الاسعار مرتفعة فى سائر البضائع والاشاعات قائمة برجوع عسكر ابن عثمان وزحفهم على البلاد الحلبية والاشاعات قائمة بثوران فتنة كبيرة بمصر بين الجلبان والامراء واقفة والسلطان ناظر الى الظلم واخذ أموال الناس والامر لله

893 ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم سافر قانصوه اليحياوى الى الشام وقد تقدم أنه تقرر فى نيابة الشام فخرج فى موكب حافل وفيه سمح خاطر السلطان بأن ينفق على مماليكه توسعة على نزول خيولهم من الربيع فأعطى لكل مملوك عشرة دنانير والقرانصة خمسة دنانير والسيفية ثلاثة دنانير فصرف فى هذه الحركة جملة مال له صورة

وفيه جاءت الاخبار بقتل حسن بن سليمان بن عيسى بن عمر الهوارى أخى داود بن عمر أمير هوارة قتله بعض أعدائه من العربان وكان شابا حشما لا بأس به وفيه توفى جانى بك حبيب العلائى الاينالى أحد الامراء الطبلخانات وأمير اخور ثانى وكان رئيسا حشما حلو اللسان حسن العبارة سيوسا دريا عارفا فصيح اللسان بالعربى توجه قاصدا الى يعقوب بن حسن الطويل ثم توجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وكان مقبول الشكل حسن الوجه ومات ولم يظهر الشيب بلحيته وجرى عليه شدائد ومحن فى دولة الظاهر خشقدم وفر الى بلاد الغرب وأقام بها حتى توفى الظاهر خشقدم فعاد الى مصر وصار له خصاصة بالاشرف قايتباى وفيه توفى بيبرس اليوسفى الظاهرى أحد العشراوات وكان لا بأس به وفيه بلغ سعر الراوية من الماء نحو ثلاثة أنصاف وذلك بسبب عدم وجود الجمال لتسلط المماليك الجلبان على السقائين لاجل الدريس فحصل للناس غاية المشقة بسبب ذلك وفيه وصل الحاج الى القاهرة وكان أشيع عنهم أمور شنيعة فظهر أن ذلك كذب وكان أشيع عنهم أن طائفة عربان الاحامدة قد استولوا على الحجاج ولم ينج منهم أحد وفيه جاءت الاخبار بان ابن عثمان أرسل عسكرا عظيما وقصد محاربة عسكر مصر فتنكد السلطان لهذا الخبر وفيه حضر خضربك نائب القدس فضرب بين يدى السلطان ضربا مؤلما وأقام بالترسيم حتى أورد مالا له صورة وكانت كثرت فيه الشكاوى عند السلطان وآل أمره الى أن عزل عن نيابة القدس وفيه قرر السلطان دقماق السيفى اينال الاشقر فى نيابة القدس عوضا عن خضربك بحكم صرفه عنها وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بوفاة السلطان الملك المؤيد أبى الفتح أحمد ابن الملك الاشرف اينال العلائى الجركسى وكانت وفاته فى ليلة رابع عشر الشهر المذكور فلما بلغ السلطان ذلك أخذ فى أسباب احضار جثته الى القاهرة ودفنه على أبيه الاشرف اينال وكان المؤيد هذا رئيسا حشما قليل الاذى وجرى عليه شدائد ومحن ونفى الى الاسكندرية ودام بها الى أن مات وهو فى عشر الخمسين وفيه وقع من الوقائع الغريبة أن محب الدين أبا الطيب الاسيوطى بلغه أن السلطان تغير خاطره عليه وقصد الاخراق به فلما تحقق ذلك توجه الى المقياس وألقى نفسه فى البحر عمدا فغرق ومات وكان عالما فاضلا من ذوى العقول رئيسا حشما وجيها عند الامراء وأرباب الدولة وكان من أعيان موقعى الحكم وكان عارفا بأمور صنعة التوقيع وكان اسمه محمد بن محمد بن على بن عمر بن حسن القاهرى الشافعى ومولده سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ولكن هانت عليه نفسه لما تأمل ماسوف يجرى عليه وكان له أعداء كثيرة فخاف على نفسه من السلطان فكان كما قيل فى المعنى

لا تظهرن لعاذل أو عاذر * حالك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة * فى القلب مثل شماتة الاعداء

وفى ربيع الاول قرر السيد الشريف موفق الدين الحموى فى نظر الجيش بدمشق عوضا عن محيى الدين عبد القادر بحكم وفاته وقرر ولده عبد الرحيم فى كتابة السر بدمشق وفيه قرر ايدكى الاشرفى فى نيابة القلعة بدمشق عوضا عن على بن جاهين بحكم صرفه عنها وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة فى العام الماضى وفيه أحضر السلطان بترك النصارى ورئيس اليهود وقرر على طائفة اليهود والنصارى مالا له صورة بسبب خروج التجريدة الى ابن عثمان وهذا أول فتح باب المصادرات للناس وفيه قرر السلطان بركب المحمل جان بلاط الاشرفى الخاصكى أحد الدوادارية وقرر بالركب الاول كرتباى كاشف البحيرة وفيه أنعم السلطان على مماليكه وهما قانصوه الالفى وقانصوه الشامى بتقدمة ألف وفيه من الحوادث أن السلطان رسم بتوسيط مجد الدين ابن البقرى وقد جرى عليه شدائد ومحن وسجن بالمقشرة زيادة على ست سنين وكان السلطان يكرهه طبعا وقد بلغه أن مجد الدين هذا لما قتل يشبك الدوادار أظهر الشماتة به وتخلق عياله بالزعفران وكان حصل له مع يشبك كائنة عظيمة فلما فرح به وأظهر السرور بلغ السلطان ذلك فتأثر منه وجرى له ما جرى وكان مجد الدين رئيسا حشما ولى الاستادارية غير مرة وكذلك الوزارة وكان أصله من القبط واسمه شاكر بن علم الدين ووسطوه ببركة الكلاب ثم حملوه الى تربة ابن عمه يحيى فدفن بها وكان عنده عنف وظلم وفيه عمل السلطان الموكب وخلع على جماعة من الامراء فقرر برسباى قراى فى امرية مجلس عوضا عن ازدمر قريب السلطان بحكم عوده الى نيابة حلب وكانت امرية مجلس شاغرة فى هذه المدة وقرر تغرى بردى ططر فى الرأس نوبة الكبرى عوضا عن برسباى قراى وقرر تانى بك الجمالى فى حجوبية الحجاب عوضا عن تغرى بردى ططر بحكم انتقاله وقرر يشبك بن حيدر الذى كان والى القاهرة أميرا خور ثانى عوضا عن جانى بك حبيب وكان بيده امرية طبلخانات وقرر شادبك بن مصطفى المعروف بالخوخ فى نيابة القلعة عوضا عن ملاج بحكم وفاته وفى ربيع الآخر خلع السلطان على اسنباى المبشر الاشرفى وقرره فى الاستادارية الصحبة عوضا عن مغلباى بحكم انتقاله الى ولاية الشرطة وقرر اينال الفقيه الظاهرى فى الحجوبية الثانية عوضا عن تانى بك الابناسى وكانت هذه الوظيفة شاغرة وقرر كرتباى ابن أخت السلطان فى معلمية الدلالين وهى وظيفة تاجر المماليك عوضا عن قانصوه الشامى بحكم انتقاله الى التقدمة وفيه أنعم السلطان بامريات عشرة على جماعة من خاصكيته منهم قانصوه السيفى اقبردى وقانصوه بن فارس المعروف بقراود ولات باى الفلاح وجان بلاط الغورى وسودون العجمى واصطمر بن ولى الدين وآخرون وفيه صرف شرف الدين بن البدرى حسن عن نظر الدولة وضرب بين يدى السلطان وخلع على قاسم

شغيته وأعيد الى نظر الدولة وفيه من الحوادث أنه فى يوم الخميس عاشره جلس السلطان على الدكة بالحوش على العادة فثارت ريح عاصف فوقعت من شدتها السحابة التى بالحوش فاصابت جماعة من الامراء وجرح تانى بك الجمالى حاجب الحجاب فى وجهه وقد وقع عامود السحابة التى بالحوش عليه وجرح أيضا دولات باى الحسنى وطاحت خفائف الامراء وعمائم المباشرين فقام السلطان من وقته ودخل الى البحرة وتهارب العسكر وظنوا أنها القيامة وهرب الفراشون أصحاب النوبة خوفا على أنفسهم من السلطان وقد أظلم الجو ظلمة شديدة وقام رعد وبرق ثم أمطرت السماء مطرا غزيرا حتى جرى السيل فى الاسواق والشوارع وكان يوما مهولا وفيه جاءت الاخبار من سيس بان فى ذلك اليوم وقعت بها صاعقة مهولة هدمت سور قلعتها وقتل بها من الناس جماعة وفيه توفى شرف الدين عبد الباسط ابن البقرى أخو مجد الدين شقيقه وكان رئيسا حشما ولى عدة وظائف سنية منها نظر الاصطبل ونظر الاوقاف ونظر الدولة وكان وجيها عند الناس حسن الهيئة وكان بين موته وموت أخيه نحو من شهر وقيل مات مسموما وفى جمادى الاولى جاءت الاخبار من حلب بان ابن عثمان جهز عسكرا وقد وصل الى ادنة فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت أحواله ونادى بالعرض فحضر الاتابكى أزبك باش العسكر فكتب بحضرته من الجند نحوا من أربعة آلاف مملوك وعين من الامراء المقدمين أحد عشر أميرا ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات زيادة عن ستين أميرا حتى عدت هذه التجريدة من نوادر التجاريد وقد بلغ السلطان أن ابن عثمان جمع من العساكر ما لا يحصى فلما عرض الجند وعين الامراء أخذ فى أسباب تفرقة النفقة ثم انه عين ثلاثة من الخاصكية بان يسيروا على الهجن لكشف أخبار ابن عثمان وما يكون من أمره واستحثهم على الخروج ورد الجواب عليه بسرعة ثم عين اقبردى الدوادار وكاتب السر أن يتوجها الى جبل نابلس بسبب جمع العشراوات من جبل نابلس وفيه جاءت الاخبار بان يعقوب بن حسن الطويل وقع بينه وبين صاحب هراه من الفتن ما لا يعبر عنه وآل أمره الى كسرة يعقوب وانهزامه وقتل من عسكره ما لا يحصى فشق ذلك على السلطان وفيه قرر السلطان شرف الدين بن البدرى حسن فى نظر الاوقاف عوضا عن شرف الدين بن البقرى بحكم وفاته وقد وليها ابن البدرى حسن غير مرة وفيه تغير خاطر السلطان على الامير دولات باى الحسنى وأمر بنفيه الى مكة فخرج الى الخانقاه ثم طلع أزبك الامير الكبير وشفع فيه حتى عاد الى داره وفيه جاءت الاخبار بوفاة جانى بك الابراهيمى الطويل الاشرفى نائب صفد ثم دوادار السلطان بحلب وكان لا بأس به وقرر بدوادارية السلطان بحلب اركماس بن ولى الدين عوضا عن دوادار السلطان بحكم وفاته وفيه جاءت الاخبار من حلب بان عسكر ابن عثمان قد استولى على قلعة اياس من غير قتال ولا مانع فتنكد

السلطان

السلطان لهذا الخبر وفى جمادى الآخرة بعث السلطان نفقات الامراء المقدمين والعشراوات فبلغت النفقة على الامراء خاصة دون الجند مائة ألف دينار وثلاثة آلاف دينار والامراء المعينون الى التجريدة كما تقدم هم الامير الكبير أزبك وتمراز أمير سلاح وبرسباى قراأمير مجلس وقانصوه خمسمائة أمير اخور كبير وتغرى بردى ططر رأس نوبة النوب وتانى بك الجمالى حاجب الحجاب ومن الامراء المقدمين غير أرباب الوظائف أزبك اليوسفى المعروف بالخازندار وتانى بك قرا الاينالى ويشبك الجمالى السيفى ناظر الخاص وقانصوه الالفى وقانصوه الشامى ونحو من خمسين أميرا من الامراء الطبلخانات والعشراوات ثم أنفق على الجند على العادة فكانت جملة النفقة على الامراء والجند نحوا من ألف ألف دينار حتى عد ذلك من النوادر ولم يسمع فيما تقدم من الدول الماضية أن أحدا من السلاطين فعل مثل ذلك وكانت نفقة أزبك الامير الكبير وحده ثلاثين ألف دينار وكانت عادة نفقة الاتابكية الى دولة الظاهر برقوق عشرة آلاف دينار ولم يسمع بأوسع من هذه النفقة قط فكان كما قيل

تهب الالوف ولا تهاب ألوفها * هان العدو عليك والدينار

فلما أخذ المماليك النفقة أطلقوا فى الناس النار وأخذوا البغال والخيول حتى أكاديش الطواحين وحصل منهم الضرر الشامل فى حق التجار وغيرهم وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب باستيلاء الفنش صاحب قشتيلة على مدينة مالقة من بلاد الاندلس وكانت كائنة عظيمة وقعت هناك وفيه كان خروج أزبك أمير كبير ومن عين معه من العسكر وكان يوما مشهودا واستمرت الاطلاب تنسحب من اشراق الشمس الى ما بعد الظهر وخرج العسكر وهم لابسون آلة السلاح حتى عد ذلك من النوادر وكان طلب أزبك أمير كبير وقانصوه خمسمائة غاية فى الحسن حتى قيل كان مصروف طلب قانصوه خمسمائة نحو من ثمانين ألف دينار ثم ان الامراء برزوا ونزلوا بالريدانية واستمروا هناك الى أن رحلوا ولم تخرج من مصر تجريدة أعظم من هذه لا فى زمن الظاهر برقوق ولا غيره وفيه قبض السلطان على أبى الفتح المنوفى نائب جدة ورسم عليه بطبقة الزمام وكان حصل له مال يخولى وطرف جنون ثم خلع على جاهين الجمالى وقرره فى نيابة جدة عوضا عن أبى الفتح ثم أمر السلطان بتوجه أبى الفتح الى البيمارستان فانه لما أحضره السلطان وكلمه رد له جواب من فى عقله خلل فأمر بضربه بالمقارع فشفع فيه بعض الامراء وشهد جماعة من المباشرين بأنه قد حصل له مال يخولى وأمر بأن ينزلوا به الى البيمارستان وهو ماش مكشوف الرأس عريان وفى عنقه زنجير ورسم بأن يدعوه عند المجانين ففعلوا به ذلك فأقام بالبيمارستان أياما ثم شفع فيه فعاد الى طبقة الزمام وأقام فى الترسيم وكان أبو الفتح فى خدمة السلطان مذ هو شاد

الشراب خاناه وكان عنده من المقربين ثم غربه ووقع له أمور يطول شرحها وفيه توفى برسباى الطلاشى الشمسى الظاهرى أحد العشراوات وكان من خشداشى السلطان وكان لا بأس به وفى رجب بلغ السلطان أن العربان قالت ان مصر ما بقى بها من العسكر الاقليل وزاد طمعهم فى الترك فرسم السلطان لمن بقى بالقاهرة بأن يركبوا فى كل يوم أحد وأربعاء ويتوجهوا نحو المطرية ويعودوا ويشقوا من القاهرة وفى أوساطهم السيوف والطراكيش فصاروا يفعلون ذلك فى كل يوم أحد وأربعاء ويدخلون من القاهرة أفواجا أفواجا وتقعد الناس على الدكاكين لرؤيتهم فأقاموا على ذلك مدة ثم بطل وفيه كان انتهاء القبة التى جددها السلطان بالجامع بالقلعة عوضا عن التى سقطت وجدد المنبر فجاء من أحسن ما يكون من البناء وفيه من الحوادث أن السلطان جدد مظلمة شنيعة وهو أنه أرسل لكشاف الغربية والشرقية بأن يأخذوا من البلاد الخمس من خراج المقطعين بسبب تجهيز خيالة من الشرقية من عربانها العشير يتوجهوا نحو العسكر عونة بسبب قتال عسكر ابن عثمان فحصل للمقطعين غاية الضرر من كبس البلاد وقبض الفلاحين ونسب ذلك الى شرف الدين بن البدرى حسن فانه كان هو القائم فى ذلك فوعدته المماليك الجلبان بالقتل ونهبوا بيته فيما بعد وقد جبى الخمس مرتين من خراج المقطعين سنتين متواليتين ولم تخرج خيالة من الشرقية وكانت زيادة مظلمة أخرى وفيه وصل الزينى أبو بكر بن مزهر كاتب السر وقد تقدم القول أنه خرج الى نابلس صحبة الامير اقبردى الدوادار بسبب جمع العشير من جبل نابلس لاجل التجريدة الماضى ذكرها فحضر وهو متوعك فى جسده فلم يقابل السلطان ولا طلع الى القلعة واستمر ملازم الفراش حتى مات كما سيأتى الكلام على ذلك وفيه وصل قاصد ملك الفرنج الانكبروس من بنى الاصفر وصحبته هدية حافلة للسلطان فاكرمه وأنزله فى مكان أعدّه له وفيه توفى دولات باى بن مصطفى الاشرفى المعروف بالاجرود نائب غزة ثم بقى أحد الامراء المقدمين بدمشق وكان لا بأس به وفيه توفى الشيخ شمس الدين محمد بن قاسم بن على الشافعى شيخ مدرسة كاتب السر بن مزهر التى أنشأها بحارة برجوان وكان من أهل العلم والفضل وله شهرة بمصر وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة تغرى بردى ططر التمشى الظاهرى جقمق رأس نوبة النوب توفى بحلب وكان من أجل الامراء وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة القلعة بمصر ثم بقى مقدم ألف ثم بقى حاجب الحجاب ثم بقى رأس نوبة كبير ومما وقع له ان الامراء كلهم خرجوا بالاطلاب ما عداه فانه خرج من غير طلب فلما طلع الى القلعة مقته السلطان بسبب ذلك فقال له تغرى بردى ططر لا تمقتنى ولا أمقتك أنا ما بقيت أرجع من هذه السفرة وكان الامر كذلك كما يقال ان البلاء موكل بالمنطق وفيه جاءت الاخبار من حلب بان ابن عثمان بعث عدة مراكب

من البحر وهى مشحونة بالسلاح والعسكر وقد وصلت الى جهة باب الملك ليقاطع بها على العسكر المصرى فاتم له ذلك وخذله الله تعالى وكانت النصرة لعسكر مصر كما سيأتى ذكره وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد وفى حادى عشر مسرى فتوجه اقبردى الدوادار وفتح السد على العادة ولم يقع لاقبردى أنه نزل وفتح السد غير هذه السنة بموجب غياب الامير الكبير وبقية الامراء وكان يوما مشهودا وفيه خلع السلطان على فارس المنصورى وقرره فى نيابة دمياط عوضا عن شادبك الاشقر بحكم صرفه عنها وفى ثالث رمضان كانت وفاة الزينى أبى بكر بن مزهر كاتب السر بالديار المصرية وهو أبو بكر محمد بن محمد بن محمد ابن أحمد بن عبد الخالق بن عثمان المعروف بمزهر الدمشقى الانصارى الشافعى وكان عالما فاضلا عارفا بالفقه رئيسا حشما انتهت اليه رياسة عصره وكان وجيها عند الملوك والسلاطين وتولى من الوظائف السنية عدة منها نظر الاصطبل ونظر الجيش وكتابة السر ودام بها نيفا وعشرين سنة حتى مات وهو مقرر بها وتكلم فى وظيفة قضاء الشافعية مدة ومولده سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وكان قد شاخ وكبر سنه فلما مات رثيته بهذين البيتين من قصيدة قلتها فيه

صارت مراملة كمثل أراملى * تبكى بأعينها دما وتترب
وكذا الدواة تسودت أقلامها * حزنا عليه وأقسمت لا تكتب

وكانت جنازته مشهودة وغطى نعشه بمرقعة من الصوف فلما توفى خلع السلطان على ولده المقر البدرى محمد وقرره فى كتابة السر بمصر عوضا عن أبيه بحكم وفاته وذلك فى يوم الخميس سادس عشره وأخذ منه مالا له صورة حتى تولى هذه الوظيفة وكان شابا فى عشر الثلاثين لما فرر فى كتابة السر وكان السلطان محتفلا به فاستخلص منه أموال أبيه بحسن عبارة ولما تولى كتابة السر قلت فيه هذين البيتين

تشرف ذا الانشا من آل مزهر * بنجل سما قدرا وشاع له ذكر
أضاءت به الايام فى مصر بهجة * ولم لا وقد أضحى يلوح لها البدر

وفيه جاءت الاخبار أن أزبك الامير الكبير ملك باب الملك واستخلصه من أيدى عسكر ابن عثمان بعد أن أتوا اليه فى ستين مركبا وهى مشحونة بالسلاح والمقاتلين فقلق العسكر من ذلك وانقطعت قلوبهم وظنوا انهم هم المأخوذون فبينما هم على ذلك اذ بعث الله تعالى بريح عاصفة فغرق غالب تلك المراكب فى البحر الملح والذى فر من البحر من العسكر العثمانى وطلع الى البر قتله العسكر المصرى وكانت النصرة لهم على العثمانية وكانت على غير القياس فلما تحقق السلطان هذا الخبر سر به ولم يصدق بذلك وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب بوفاة صاحب تونس السلطان المتوكل على الله عثمان بن محمد بن محمد ابن العزيز أحمد الهنانى

الموحدى وكان ملكا جليلا أقام فى الملك نحوا من أربع وخمسين سنة ومات وهو فى عشر التسعين سنة ومما مدحه به بعض شعراء الغرب

بقيت ولا أبقى لك الدهر حاسدا * فانك فى هذا الزمان فريد
عدلك سوار والممالك معصم * وجودك طوق والبرية جيد

ولما توفى تولى بعده ولده يحيى المعروف بالحفيد فلم تطل أيام مدته وقتل واستطال عليه أعمامه وفيه جاءت الاخبار بوفاة سيباى بن تانى باى الطيورى الظاهرى نائب حماه وكان لا بأس به وفيه ورد الخبر من أزبك الامير الكبير بأنه فى ثامن رمضان وقعت معركة عظيمة بين عسكر مصر وعسكر ابن عثمان فقتل من الفريقين ما لا يحصى وكان ممن قتل من أمراء مصر دولات باى الحسنى رأس نوبة ثانى أصيب بمدفع وقتل من مماليك السلطان عدة وافرة ومن العسكر العثمانى أكثر وقد هزموا العثمانية وغنم منهم عسكر مصر أشياء كثيرة من خيول وسلاح وغير ذلك فلما سمع السلطان بهذا الخبر أمر بدق البشائر بالقلعة سبعة أيام وفى شوال وصل مغلباى البجمقدار أحد الامراء العشراوات من مماليك السلطان وصحبته عدة رؤس قطعت من عسكر ابن عثمان وكانت نحوا من مائتى رأس فشق مغلباى من القاهرة وقدامه تلك الرؤس وهى على الرماح وكان له يوم مشهود خلع عليه السلطان ونزل فى موكب حافل ثم أخبر بوفاة مغلباى الفهلوان المحمدى الاشرفى الاينالى أحد الامراء العشراوات رؤس النوب وكانت وفاته بحلب وكان عارفا بفن الصراع علامة فيه وفيه جاءت الاخبار بان العسكر العثمانى بعد ما حصلت له هذه الكسرة عاد أيضا الى أدنة وأن العسكر المصرى شرع فى حصارهم بها وقد تمادى الامر فى ذلك حتى أخذت بعد مضى ثلاثة أشهر وقتل فى مدة هذه المحاصرة من الفريقين ما لا يحصى وآل الامر الى أخذها بالامان وجرى فى ذلك أمور يطول شرحها وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل جان بلاط الخاصكى أحد الدوادارية وبالركب الاول كرتباى الكاشف وحج فى تلك السنة داود بن عمر أمير عربان هوارة وفيه توفيت دولات باى الجركسية سرية الظاهر جقمق وهى زوجة برقوق نائب الشام وكانت دينة خيرة لا بأس بها وفيه أرسل السلطان خلعة الى اينال الحسيف باستقراره فى نيابة حماه وقد سعى له أزبك الامير الكبير فى ذلك وفيه جاءت الاخبار بوفاة قائم دهيشة بن ازدمر الاشرفى الخاصكى الساقى أحد خواص السلطان خرج الى دمشق فى بعض مهمات السلطان بدمشق فمات بها وكان شابا جميل الصورة حسن الشكل لا بأس به وفيه أعيد زين الدين الحسبانى الى قضاء الحنفية بدمشق وصرف عنها مجد الدين الناصرى وسجن بقلعة دمشق وفيه توفى الناصرى محمد بن محمد بن سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى وكان رئيسا حشما من

مشاهير أولاد الاسياد وفى ذى القعدة توفى القاضى خير الدين الشنشى محمد بن عمر بن
محمد بن حسن بن موسى القاهرى الحنفى وكان من أعيان نواب الحنفية وكان عالما
فاضلا عارفا رئيسا حشما وترشح أمره لأن يلى قضاء الحنفية بمصر ولم يل ذلك وماتم له
ومولده سنة أربعين وثمانمائة وفيه قرر شخص يقال له محب الدين وكان أصله من الاقباط
فقرر فى نظر الجيش بدمشق عوضا عن السيد الشريف موفق الدين بحكم صرفه عنها
فعيب ذلك على السلطان واتفق أن محب الدين المذكور لما دخل الى الشام أقام بها
أياما ومرض ومات وكان قد جدّ فى السعى على الشريف موفق الدين وأورد مالا له صورة
وفيه ضرب السلطان شخصا من نواب الحنفية يقال له شهاب الدين بن القصيف ورسم بنفيه
الى الواح فشفع فيه وكتب عليه قسامة بانه لا ينوب فى الحكم قط ولا يسعى فى ذلك بل ولا
يشهد فى شئ من الامور الشرعية لأمر أوجب ذلك وفيه أحضرت جثة دولات باى
الحسنى رأس نوبة ثانى من أدنة ودفنت بمصر فى تربته وفى ذى الحجة توفى الشيخ تقى الدين
السخاوى واسمه أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا بارعا
فى الحديث سمع على الحافظ ابن حجر وغيره وكان لا بأس به وفيه قدم الزينى محمود بن أجا
قاضى قضاة الحنفية بحلب فأقام بالقاهرة مدة ثم عاد الى حلب على وظيفته وفيه توفى
برسباى العلائى الطويل الظاهرى أحد الامراء الطبلخانات وكان يعرف بالبواب
فمات هنالك لما خرج فى التجريدة وتوفى قرقماس المحمدى الظاهرى المعروف بالمعلم وكان
أحد الامراء العشراوات وكان عارفا بفنون الرمح علامة وتوفى ملاج الظاهرى الچقمق
أحد الامراء العشراوات وكان دينا خيرا من ذوى العقول ومما وقع له انه كان بيده اقطاع
خراب وعنده عيال كثيرة وأولاد عدة فوقف الى السلطان وشكا له حاله وان اقطاعه خراب
لا يحصل له منه شئ فلم يلتفت السلطان الى كلامه فنزل الى داره ودخل الى طبقة مهجورة
عنده وعمد الى سلبة وربطها فى سقف الطبقة وعمل فيها خية وشنق نفسه بها فمات
وقد هانت عليه نفسه من شدة قهره وكان ساكنا فى الجودرية وراح القتل فى كيسه
ولم يرث له أحد وفيه جاءت الاخبار بقتل صاحب طرابلس الغرب واسمه أبو بكر بن عثمان
ابن محمد الحفصى قتله صاحب تونس وقتل ولده أيضا وجماعة من أعوانه وتوفى فى السنة
المذكورة جماعة كثيرة من الاعيان منهم قاضى الاسكندرية وهو محمد بن محمد بن عوض
المالكى وكان لا بأس به

894 ۞ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم لما طلع القضاة لتهنئة السلطان رسم
بعرض نواب الشافعية ونواب الحنفية وكلهم كلاما مزعجا وأمر بابطال جماعة منهم وجرت
أمور يطول شرحها ثم آل الامر الى التحجير عليهم فى الاحكام الشرعية وأن لا يسجنوا الخصم

الاباذن من القاضى الشافعى والحنفى وعم ذلك سائر النواب وفيه تغير خاطر السلطان على الطواشى خشقدم الزمام وخازندار ووزيره أيضا فرسم بالقبض عليه فى وسط الحوش وهم بضربه ثم آل الامر الى أن خرج منفيا الى سواكن واحتاط على موجوده قاطبة واستمر منفيا الى أن مات هنالك وكان عنده عسف وظلم وشدة بأس وسفاهة لسان وكان غير مشكور فى أفعاله وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن شخصا يقال له عبد القادر بن الرماح وكان له خصاصة بالسلطان قال له ان الشيخ عبد القادر الدشطوطى رحمه الله ورضى عنه شخص من عباد الله الصالحين وكان قصد السلطان الاجتماع عليه فاخبره انه يتردد الى جامع محمود فى مكان عنده بالقرافة تحت الجبل المقطم فقال له السلطان ان حضر هنالك اعلمنى فعمد عبد القادر بن الرماح الى شخص كان شبيها بالشيخ عبد القادر الدشطوطى وكان يدعى أنه شريف فاعلم السلطان بان الدشطوطى يحضر تلك الليلة الى المكان المذكور فصلى السلطان العشاء ونزل وصحبته ثلاثة أنفس فأتى الى ذلك المكان ونزل عن فرسه فوجد ذلك الشخص جالسا ورأسه فى عبه فشرع السلطان يقبل رجليه ويقول ياسيدى احمل حملتى مع ابن عثمان فصار ذلك الشخص يغرب عليه ويقول له أنت ماترجع عن ظلم العباد فطال المجلس بينهما ثم ان السلطان دفع له كيسا فيه ألف دينار وقيل خمسمائة دينار فصار يمتنع من ذلك والسلطان يتلطف به ويقول له فرق ذلك على الفقراء ثم ركب ومضى وهو يظن أنه الدشطوطى ثم بعد أيام انكشفت هذه الواقعة وظهر أنها مفتعلة فلما تحقق السلطان ذلك أحضر عبد القادر بن الرماح والشخص الذى تزيا بزى الدشطوطى وخدام المكان الذين كانوا به فضربوا بين يدى السلطان بالمقارع وأما عبد القادر بن الرماح الذى كان سبب ذلك فرسم السلطان بحلق ذقنه وشهره فى القاهرة على حمارة ثم سجنه بالمقشرة الى أن مات عقيب ذلك وكانت هذه الواقعة من أغرب الوقائع التى لم يسمع بمثلها مع ان عبد القادر بن الرماح كان من ذوى العقول ولكن قد يخبو الزناد ويكبو الجواد كما يقال

وانى رأيت المرء يشقى بعقله * وقد كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وفى صفر أنعم السلطان على مملوكه جان بلاط بن يشبك بامرية عشرة وهى أول استظهاره فى العلو والرفعة وجان بلاط هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وفيه جاءت الاخبار أن صاحب فاس من بلاد الغرب قد غزا الفرنج واستخلص منهم عدة بلاد كانت أخذت من أيدى المسلمين فأعادها الهم وقتل أخوه فى المعركة وفيه صار العسكر الذين من مماليك السلطان يدخلون الى القاهرة شيأ فشيأ قبل حضور الاتابكى أزبك فتنكد السلطان لذلك وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى وكان غالب الامراء مسافرين فى التجريدة وكان أمر السماط فيه بحكم النصف على العادة وفيه بلغ السلطان أن المماليك الذين حضروا

من التجريدة قصدوا أن يثيروا فتنة كبيرة ويطلبوا من السلطان نفقة بسبب هذه النصرة التى وقعت لهم ثم بلغ السلطان أن المماليك قالوا ان كان السلطان لا يعطينا نفقة قتلنا الامراء والمماليك الذين كانوا بمصر ولم يسافروا وذكروا كلمات كثيرة من هذا النمط فلما تحقق السلطان ذلك أخذ فى أسباب تحصيل المال واجتمع السلطان بالقضاة الاربعة وذكر لهم أن الخزائن نقد ما كان فيها من المال وان المماليك يقصدون نفقة وان لم أنفق عليهم شيأ يثير وافتنة كبيرة فاتفق الحال على أن يؤخذ من أرباب الاملاك والاوقاف التى بمصر والقاهرة أجرة شهرين مساعدة للسلطان على النفقة وانفض المجلس على ذلك ثم ان السلطان أمر تغرى بردى الاستادار بأن يتكلم فى ذلك هو وناظر الخاص ابن الصابونى فاقتسموا التصرف فى ذلك وشرعوا فى جباية المال وفيه دخل الامير الكبير أزبك ومن كان معه مسافرا فى التجريدة من الامراء وبقية العسكر وكان لهم يوم مشهود ومن العجائب أنه فى حالة دخولهم الى القاهرة أشيع بين الناس عودهم الى حلب عن قريب لان عسكر ابن عثمان قد استولى على سيس وعلى طرسوس وغير ذلك من البلاد الحلبية وحضر مع أزبك الامير الكبير جماعة كثيرة من عسكر ابن عثمان أو طائفين باختيارهم فأنزلهم السلطان فى ديوانه وقرر لهم الجوامك وهم الى الآن باقون فى الديوان يسمون العثمانية ثم قويت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة وأن المماليك قد صمموا على أخذ النفقة لكل واحد منهم مائة دينار فقلق السلطان لهذه الاشاعات واشتد عليه الامر وفى يوم السبت رابع ربيع الآخر جلس السلطان على الدكة بالحوش وأرسل خلف القضاة الاربعة وسائر الامراء فلما تكامل المجلس قال السلطان للامراء والقضاة هؤلاء المماليك يرومون منى نفقة وقد نفد جميع ما كان فى الخزائن من المال على التجاريد ولم يبق بها شئ من المال ثم أقسم بالله انه نفد منه على التجاريد من حين ولى السلطنة الى الآن سبعة آلاف ألف دينار ومائة وخمسة وستون ألف دينار ثم قال للامراء اختاروا من تسلطنونه غيرى واشهدوا على أيها القضاة أنى خلعت نفسى وشرع يفك أزراره وقصد الدخول الى قاعة البحرة فتعلق به القضاة ومنعوه من ذلك وشرع قاضى القضاة المالكية ابن تقى يبكى وأظهر التأسف لهذه الواقعة وصار يتفارش ويترب ثم ان الامير قراز أمير سلاح صار يمشى بين الجلبان وبين السلطان فى عمل المصلحة فكثر القال والقيل فى ذلك وضج العسكر وترددت الوسائط بين السلطان وبين الجلبان ثم استقر الحال بعد جهد كبير على أن السلطان ينفق على الجلبان لكل واحد منهم خمسون دينارا من ذلك أربعون دينارا معجلة ويؤخر عشرة ينفقها عليهم بعد مدة شهرين وان القرانصة ينفق عليهم خمسة وعشرين دينارا فاستقر الحال على ذلك وسكن الاضطراب قليلا ثم ان السلطان أرسل خلف الخليفة المتوكل على

الله عبد العزيز وكان ساكنا عنده بالحوش فلما حضر جدد له مبايعة ثانية بحضرة القضاة الاربعة فكانت مدة سلطنته فى هذه المرة الاولى الى يوم خلعه هذا احدى وعشرين سنة وسبعة أشهر ثم قام الخليفة ونزل القضاة الى دورهم وانفض الموكب وكان يوما مهولا ثم ان السلطان أخذ فى أسباب تحصيل المال لاجل النفقة واستحث فى احضار ما يجى من المال بسبب الشهرين اللذين فرضهما على أرباب الاملاك ثم فرض على المماليك القرانصة وأولاد الناس الذين لم يسافروا فى التجريدة على كل من له جامكية ألفان أربعون دينارا ومن له ألف جامكية بحكم ذلك ومن لم يورد شيأ من ذلك تقطع جامكيته ستة أشهر حتى يغلق ما فرض عليه ثم أنفق على المماليك فيما بعد وان الامير تمراز شفع فى القرانصة وأولاد الناس أن لا يوردوا شيأ مما قرر عليهم وكان الغالب منهم اورد شيأ فراح عليه والمتأخر لم يحط شيأ بسبب الشفاعة وفيه ثار جماعة من العوام على الشيخ شهاب الدين أحمد الشيشى الذى يولى قضاء الحنابلة فيما بعد وكادوا أن يقتلوه لولا انه اختفى مدة طويلة حتى سكن الامر وسبب ذلك ما نقل عنه انه قد أفتى السلطان بحل ما يجى اليه من أجرة الاملاك فى الشهرين الماضى خبرهما فلما بلغ العوام ذلك ثاروا عليه وقصدوا قتله واستمر مختفيا حتى توجه الى مكة وجاور بها مدة وفيه كانت وفاة الشيخ بدر الدين بن الغرس وهو محمد بن محمد بن محمد بن خليل القاهرى الحنفى وكان عالما فاضلا عارفا بأصول الفقه وله نظم جيد وولى عدة وظائف سنية وناب فى القضاء مدة ثم تولى مشيخة تربة الاشرف برسباى ودام بها حتى مات وكان من أعيان الحنفية وذكر الى قضاء الحنفية غير مرة ومن نظمه قوله

ان جاءكم صب بكم فاكرموا * مثواه تجزون خيار الثواب
وجاوبوا العذال عمن غدا * من سقمه لا يستطيع الجواب

ولما مات رثاه الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفى بقوله

لقد أظلمت مصر وأقفرت الدنيا * لموت عديم المثل بل أوحد العصر
سا عجب ان ضاءت ليالى عصرنا * وكيف يكون الضوء مع عدم البدر

وفيه كانت الاسعار مرتفعة فى سائر البضائع وسبب ذلك اهمال كسباى المحتسب فانه لم ينظر فى أحوال المسلمين فوبخه السلطان بالكلام ثم بطحه وضربه بين يديه نحو من عشرين عصا فلما نزل من القلعة أطلق فى السوقة النار وكذلك سماسرة القمح وجرى بسبب ذلك أمور شتى وفيه كانت وفاة الحافظ قطب الدين الاخيضرى محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان بن داود بن فلاح بن ضمرة الرملى الشافعى وكان عالما فاضلا محدثا رئيسا حشما وكان من أخصاء الاشرف قايتباى وتولى عدة وظائف سنية منها كتابة

سر دمشق ونظر جيشها وقضاء الشافعية بها وغير ذلك من الوظائف ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه بعث السلطان بالقبض على مملوكه أزبك النصرانى وكان قرر فى نيابة كرك فوقع منه غاية الفساد هناك وآل أمره الى أن حزت رأسه وعلقت على باب كرك وكان من أشرار الناس وفيه من الحوادث انه أشيع بين الناس بان فرس البحر قد ظهرت عند شبرا وصارت تترا آى للناس مدة ثم اختفت وتحققت الاقوال بذلك وفيه خلع السلطان على أزبك اليوسفى المعروف بالخازندار وقرره فى رأس نوبة كبير عوضا عن تغرى بردى ططر بحكم وفاته وخلع على شادبك الخوخ بن مصطفى وقرره فى الدوادارية الثانية عوضا عن قانصوه الالفى بحكم انتقاله الى التقدمة وكانت الدوادارية الكبرى شاغرة مدة طويلة وأنعم على مملوكه طقطباى بامرية عشرة وجعله متحدثا فى نيابة القلعة فاستمر بها من غير أن يخلع عليه بها وأنعم على يشبك بن حيدر الذى كان والى القاهرة بتقدمة ألف مضافا لما بيده من الأخورية الثانية وأنعم على مملوكه جانم الذى كان بالشام أميرا بتقدمة ألف وكتب له بذلك البشارة وهو بالشام وقرر مملوكه مغلباى الشريفى فى تقدمة ألف مضافا لما بيده من ولاية القاهرة فأقام على ذلك مدة حتى تقرر غيره وفيه كان ابتداء تفرقة النفقة على الجند كما استقر الحال عليه فيما تقدم وفيه توفى تقى الدين ناظر الزردخانه فلما مات قرر ولده عبد الباسط فى نظر الزردخانه عوضا عن أبيه وفيه جاءت الاخبار بان شاه بضاع بن دلغادر حضر الى الابلستين ومعه طائفة من عسكر ابن عثمان وكبس على أخيه على دولات وقبض على اثنين من أولاده فلما بلغ السلطان ذلك تنكد لهذا الخبر جدا وفيه قرر الشهابى أحمد ابن الجمالى يوسف ناظر الخاص فى نظر الجيش وصرف عنها بدر الدين بن أخيه كمال الدين وفيه عين السلطان عدة من أمراء البلاد الشامية فقرر فى حجوبية دمشق يونس نائب البيرة وقرر فى نيابة البيرة اينال باى من جلبانه وكان يقرب له وقرر باكير بن صالح الكردى حاجب حلب فى نيابة قلعة الروم وقرر مملوكه قانصوه الغورى فى حجوبية حلب عوضا عن باكير وقانصوه هذا هو الذى تولى السلطنة فيما بعد وقرر اركماس بن ولى الدين فى دوادارية السلطان بدمشق وقرر قانى بك نائب البهسنا فى دوادارية السلطان بحلب وقرر فى نيابة البهسنا كرتباى الاشرفى من مماليكه فخرجت اليهم المراسيم بمعنى ذلك وفيه أراد السلطان أن يقرر تانى بك الجمالى رأس نوبة كبير فامتنع من ذلك وصمم أنه ما يلى الا امرية مجلس عوضا عن برسباى قراجكم وفاته فى التجريدة بحلب فتغير خاطر السلطان على تانى بك الجمالى وقصد نفيه الى مكة بسبب ذلك وأقام على ذلك أياما لا يطلع القلعة ثم أرسل خلفه ووعده بها وصار يتكلم فيها على كره منه وفيه أرسل السلطان خلعة الى عبد الرزاق أخى على دولات وقرره فى أتابكية حماه عوضا عن ابن طرغل ونقل ابن طرغل

الى نيابة طرسوس وفيه جاءت الاخبار من عند نائب حلب بان عسكر ابن عثمان لما بلغهم رجوع العسكر المصرى طمعوا فى أخذ البلاد الحلبية وأرسل يستحث السلطان فى خروج تجريدة بسرعة لحفظ مدينة حلب فلما بلغ السلطان ذلك عرض العسكر وعين تجريدة وكتب عدة وافرة من الجند الذين كانوا مقيمين بالقاهرة وجعل الباش على هذه التجريدة قانصوه الشامى أحد المقدمى الألوف ومن الامراء الطبلخانات يشبك رأس نوبة ثانى وازدمر الفقيه الظاهرى وكرت باى بن تمرباى ابن أخت السلطان واصطمر بن ولى الدين أحد العشراوات ثم أنفق عليهم وعلى الامراء وأمرهم بسرعة الخروج الى التجريدة من اغيراهمال وفى جمادى الاولى توفى الشيخ محب الدين أخو قاضى القضاة الشافعى ولى الدين الاسيوطى وكان عالما فاضلا وناب فى الحكم وتولى خطابة الجامع المؤيدى وكان لا بأس به وفيه توفى القاضى بدر الدين محمد بن الحليس أحد نواب الحنابلة وكان من أعيان الناس مشكور السيرة وفيه أنعم السلطان على طوخ المحمدى البجمقدار بامرية عشرة وفى جمادى الآخرة رسم السلطان بسلح شخص يسمى أحمد بن الديوان من أهل حلب فسلحه فى المقشرة وسلح معه والده محمد وأشهر وهما فى القاهرة على جمال وكان أحمد بن الديوان من أعيان الناس الرؤساء بحلب وكان من أخصاء السلطان فنقل عنه أنه كاتب ابن عثمان فى شئ من أخبار المملكة فلما بلغ السلطان ذلك تغير خاطره عليه وجرى عليه أمور يطول شرحها وكانت من الوقائع المهولة وفيه خرجت التجريدة ومن عين بها من الامراء والعسكر وكان يوما مشهودا قيل قد بلغت النفقة على الامراء والجند فى هذه التجريدة الخفيفة نحو من مائة وخمسين ألف دينار غير جامكية أربعة أشهر وثمن الجمال وكان السلطان درياقى خروج هذه التجريدة لصون مدينة حلب وفيه قدم قاصد من عند داود باشا وزير ابن عثمان يشير على السلطان بان يبعث قاصدا الى ابن عثمان لعل أن يكون الصلح فرد له الجواب اذا أطلق تجار المماليك الذين عنده وبعث مفاتيح القلاع التى أخذها كا تبناه فى أمر الصلح وأرسلنا له قاصدا ولكن جرى بعد هذه الواقعة أمور شتى وفى رجب خلع السلطان على تانى بك المحمدى الاينالى أحد العشراوات وقرره فى شادية الشون وأشركوا معه اقبردى ططر الظاهرى أحد الامراء العشراوات أيضا وفيه توفى جمال الدين الكورانى شيخ خانقاه سعيد السعداء وهو عبد الله بن محمد بن حسن بن خضر بن محمد الاردبيلى الشافعى وكان عالما فاضلا دينا خيرا ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفى شعبان قرر فى مشيخة خانقاه سعيد السعداء الشيخ زين الدين عبد الرحمن القناوى الشافعى عوضا عن جمال الدين الكورانى بحكم وفاته وفيه ثارت فتنة من المماليك الجلبان بسبب العشرة دنانير التى تأخرت لهم من الخمسين التى استقر الحال عليها فى أمر النفقة فما سكنت الفتنة حتى

انفقها

أنفقها لهم وفيه حضر اسكندر بن جيحان أحد الامراء المقدمين لابن عثمان وقد أسره بعض النواب وكان على دولات هو القائم فى القبض عليه فكان له بالقاهرة لما دخل يوم مشهود وأسر معه جماعة من العثمانية فلما عرضوا على السلطان رسم بسجنهم وفيه توفى سودون الثورأحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وتوفى الطواشى مرجان الجمالى المعروف بستمائة وكان من أعيان الطواشية وفيه فى آخر يوم منه كان وفاء النيل المبارك وفى مستهل رمضان كان فتح السد عن الوفاء ووافق ذلك سادس مسرى فنزل أزبك أمير كبير وفتح السد على العادة وقيل ان جماعة من أوباش العوام أفطروا فى ذلك اليوم من شدة الحر والعطش وفى أثنائه عمل الاتابكى أزبك وقدة هائلة وحراقة نفط فى بركة الازبكية وعزم على الامراء وكانت ليلة حافلة وفى شوال كان أول توت وهو يوم النوروز عند القبط وكان عيد الفطر عند المسلمين فعد ذلك من النوادر وفيه خرج الحاج على العادة وكان أمير ركب المحمل ازدمر تمساح وكان الحج فى تلك السنة قليلا وفيه جاءت الاخبار من سواكن بوفاة الصاحب خشقدم الاحمدى وكان رئيسا حشما من أعيان الطواشية وتولى عدة وظائف سنية منها الوزارة والزمامية والخازندارية الكبرى وكان ظالما غشوما عسوفا من وسائط السوء وفيه توفى الشيخ أبو الفضل محمد المحلى الحنفى وكان من أعيان الحنفية وفى ذى القعدة توفى الطواشى مرجان وكان لا بأس به وفيه توفى نوروز أخو برسباى قراأمير مجلس وكان من الامراء العشراوات من خيار الظاهرية وكان لا بأس به وفيه توفى الشيخ جعفر بن ابراهيم السنهورى الشافعى شيخ القراء بمصر وكان يقرأ بار بع عشرة رواية وكان علامة فى القرآت وفيه جاءت جماعة من تجار الاسكندرية يشكون من نائبها على باى بانه جار عليهم بالظلم والمصادرات فأرسل اليه السلطان يحذره من ذلك وفى ذى الحجة أنعم السلطان على سيباى نائب سيس بامرية عشرة وكذلك كسباى بن أزبك الساقى وفيه توفى شعبان الزواوى شيخ القبانيين وكان علامة فى صنعة القبانة والتحرير فى الاوزان وفيه توفى سليمان بن محمد المغربى وكان فاضلا فى علم الميقات وله شهرة فى ذلك

895

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثمانمائة) فيها فى المحرم كسفت الشمس كسوفا تاما حتى أظلمت الدنيا وثارت عقيب ذلك رياح عاصفة حتى فزع الناس من ذلك وفيه قدم الى القاهرة شاه بضاع بن دلغادر وقد تقدم القول بانه هرب من قلعة دمشق وكان مسجونا بها فلما هرب توجه الى ابن عثمان والتف على عسكره وملك الابلستين واستمر فى عصيانه مدة طويلة ثم وقع بينه وبين ابن عثمان فتنة وقصد قتله ففر منه والتجأ الى السلطان فلما جاء اليه أكرمه السلطان وخلع عليه ثم بعد مدة أرسله الى منفلوط ليقيم بها وأجرى عليه ما يكفيه فعد ذلك من جملة سعد السلطان وكانت من النوادر وفى صفر توفى الطواشى سرور السيفى قراجا الحسنى وكان لا بأس به وتولى رأس نوبة السقاة وغير ذلك وفيه كان اقتران المريخ

مع زحل فافرط البرد فى تلك الايام حتى أحرق الاشجار وجمدت المياه وذكر بعض المنجمين أن هذا الاقتران يدل على وقوع فتن وان البرد يستمر أياما متوالية فى تزايد من الافراط وصار الثلج ينزل فى الليل وينعقد على الجدران بناحية الجيزة ومات الكثير من الحرافيش من شدة البرد فكان كما قيل

ويوم برد مد انفاسه * يخمش الاوجه من قرصها
يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

وفيه كثرت الشكاوى فى محمد بن اسماعيل قاضى الواح فأمر السلطان باحضاره فلما حضر ضربه بالمقارع ثم أشهره بالقاهرة وهو على حمار ثم سجنه بالمقشرة فمات بها بعد أيام وكان من كبار الظلمة من المفسدين فى الارض فلما خرجت جنازته ثار عليه جماعة كثيرة من أولاد أخيه ورجموه بالحجارة وهو فى النعش وأرادوا حرقه فاخلصوه ودفنوه الا بعد جهد كبير وفى ربيع الاول جاءت الاخبار من عند على دولات بأن ابن عثمان اهتم فى تجهيز عساكر وقد وصل أوائلهم الى كولك فلما بلغ السلطان ذلك تنكد وجمع الامراء وأخذ رأيهم فى ذلك فوقع الاتفاق على خروج تجريدة صحبة أمير كبير ثم أخذ السلطان فى أسباب جمع الخمس من نواحى الشرقية كما فعل عند خروج التجريدة الماضية لاجل فرسان العرب لتخرج صحبة أمير كبير باش العسكر فحصل للمقطعين بسبب ذلك غاية الاذى وقطع الخمس من خراجهم مرتين وفيه عرض السلطان أولاد الناس أصحاب الجوامك من ألف درهم فما دونه وكان أمرهم أن يتعلموا رمى البندق الرصاص قبل ذلك فلما عرضهم ورموا قدامه كتبهم فى التجريدة وأنفق عليهم كل واحد ثلاثين دينارا وكل اثنين أشركهم فى جمل أعطاه لهما وخرجوا صحبة التجريدة وفيه خلع السلطان على قيت بن قانم الساقى وقرره فى ولاية القاهرة عوضا عن مغلباى الشريفى بحكم انتقاله الى التقدمة وكان متكلما فى الولاية مع التقدمة وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه نادى السلطان للعسكر بالعرض وأشيع أمر التجريدة الى ابن عثمان فلما عرضهم السلطان بادر اليهم بتفرقة النفقة ثم وقع فى ذلك اليوم بعض اضطراب من المماليك الجلبان وقام السلطان من الدكة ونزل وقال أنا أنزل لكم عن السلطنة وأمضى الى مكة فتلطف به الامراء ثم آل الامر بعد ذلك الى أن أنفق عليهم لكل مملوك مائة دينار على العادة وجامكية أربعة أشهر وثمن جمل سبعة أشرفية فأنفق فى ذلك على عدة طباق واستمر على ذلك حتى أكمل النفقة ثم حملت نفقة الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات وقد تعينوا للسفر أجمعين ولم يبق بمصر سوى اقبردى الدوادار وازدمر عساح فكانوا على الحكم الاول كما تقدم فبلغت النفقة على الامراء والجند نحوا من خمسمائة ألف دينار وكانت هذه التجريدة آخر تجاريد

باش العسكر

الاشرف قايتباى الى ابن عثمان وغيره ولم يجرد بعدها أبدا ثم نادى للعسكر بان لا يخرج منهم أحد قبل الباش فما سمعوا له شيأ وفيه قرر تنم الرجبى الخاصكى الخازندار فى نيابة جدة عوضا عن چاهين الجمالى وقد سئل الاعفاء عن ذلك وفيه تعين كرتباى كاشف البحيرة فى امرية الحاج بركب المحمل وعين اينال الفقيه الحاجب الثانى فى الركب الاول وفى خامس عشر ربيع الآخر خرج أمير كبير أزبك من القاهرة قاصدا البلاد الحلبية وصحبته الامراء والعسكر وكانت عدتهم عشرة وهم على ما ذكرناه فى التجريدة الماضية وأما الامراء العشراوات والطبلخانات فكانوا زيادة على الخمسين أميرا وأما المماليك السلطانية فكانوا زيادة عن أربعة آلاف مملوك فكان لهم يوم مشهود حتى رجت لهم القاهرة واستمرت الاطلاب تنسحب من اشراق الشمس الى قريب الظهر وخرج مماليك الامراء وهم باللبس الكامل من آلة السلاح فعدت هذه التجريدة من نوادر التجاريد وقد طال الامر بين السلطان وبين ابن عثمان فى أمر الفتن والامر لله وفى جمادى الاولى رسم السلطان بنقل اسكندر بن النحال من البرج الذى فى باب السلسلة الى دار كاتب السر البدرى ابن مزهر وأمره بالحفظ عليه وفيه جاءت الاخبار من مكة بوقوع سيل عظيم فى خامس صفر وقيل انه بلغ الى الحجر الاسود وهدم عدة أماكن وحصل منه غاية الضرر وفى جمادى الآخرة قويت الاشاعات بسفر السلطان بنفسه الى حلب ونزل الى الميدان وعرض الهجن وعين جماعة من الخاصكية للسفر معه وأمر من بقى من العسكر بعمل برقهم وأن يكونوا على يقظة من السفر وفيه وصل اقبردى الدوادار من البحيرة وكان قد خرج بسبب فساد العربان وفى رجب كان ختان ابن السلطان المقر الناصرى محمد الذى تسلطن بعده وكان عمره يومئذ نحو من سبع سنين وأشهر وكان المهم بالقلعة سبعة أيام متواليه وكان من نوادر المهمات فاجتمع به سائر مغانى البلد ورسم السلطان أن تزين القاهرة فزينت زينة حافلة حتى زينوا داخل الاسواق المشهورة وغير ذلك وخرج الناس فى القصف والفرجة عن الحد وكان العسكر غائبا فى التجريدة والناس فى أمن من أذى المماليك وكانت تلك الايام مشهودة لم يسمع بمثلها ودخل على السلطان من التقادم ما لا يحصى من مال وخيول وقماش وسكر وأغنام وأبقار وغير ذلك مما يزيد على خمسين ألف دينار وكان من جملة ما أهداه الشهابى أحمد بن العينى طست وابريق ذهب زنته ستمائة مثقال برسم الختان وأشياء كثيرة غير ذلك واختتن مع ابن السلطان جماعة كثيرة من أولاد الامراء والاعيان والخاصكية فكانوا زيادة عن أربعين ولدا فرسم لكل صبى منهم بكسوة على قدر مقام أبيه فكان من جملة أولاد الاعيان ابن الخليفة أمير المؤمنين عبد العزيز وهو ابنه سيدى عمر وابن الجمجمة بن عثمان وأولاد العلائى على بن خاص بك وغير ذلك من أولاد

الامراء والاعيان فلما كان يوم الخميس عشريه اجتمع الامراء والاعيان من الناس بالحوش السلطانى وركب ابن السلطان من قاعة البحرة ومشت قدامه الامراء والخاصكية وهم بالشاش والقماش ومشى قاضى القضاة الحنفى ناصر الدين الاخميمى وسائر أعيان المباشرين وأولاد الجيعان وأعيان الخدام وكان ماسك لجام الفرس الامير أقبردى الدوادار والشهابى أحمد بن العينى وهم بالشاش والقماش ولم يكن بمصر من الامراء المقدمين غير الامير اقبردى الدوادار والامير ازدمر تمساح والامير ازدمر المسرطن واستمر ابن السلطان فى ذلك الموكب من قاعة البحرة الى باب الستارة والسلطان جالس فى المقعد ينظر اليه وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير ونثر على رأسه خفائف الذهب والفضة ولاقته المغانى فنزل عن فرسه بباب الستارة ودخل به قاعة البيسرية فكان الختان بها وقيل دخل على المزين نحو من خمسة آلاف دينار فانعم عليه من ذلك بالف دينار والباقى تقاسمه الرؤساء من المزينين وعد هذا الختان من النوادر ثم نزل ابن الجمجمة وأولاد العلائى على بن خاص بك وتوجهوا الى بيوتهم فشقوا من القاهرة فى موكب حافل ورسم للقضاة الاربعة بان يركبوا قدامهم ففعلوا ذلك وفيه كانت وفاة الزينى خضر بن سنان النوروزى الجركسى وكان رئيسا حشما من أعيان الناس وله اشتغال بالعلم على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ورحمه وكان فى سعة من المعيشة ومات وهو فى عشر الستين وفيه خسف القمر ودام فى الخسوف نحو من أربعين درجة حتى انجلى وفيه عين السلطان جماعة من الجند الى مكة وجعل عليهم باش اقبردى تمساح الظاهرى أحد الامراء العشراوات وعين الطواشى اياس الشامى فى مشيخة الحرم النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وفيه ثار مماليك اقبردى الدوادار عليه وحاصروه وهو فى داره وطلبوا منه زيادة فى جوامكهم فبعث اليه السلطان بالوالى فقبض على جماعة منهم وضربهم بالمقارع وقطع أيدى جماعة منهم وفر الباقون الى الجامع الازهر وأقاموا به أياما ثم آل الامر الى أن نفى طائفة منهم الى جهة قوص وطائفة الى البلاد الشامية فسكن الحال قليلا وفيه وصل هجان من عند العسكر وأخبر بأن العسكر قصد التوجه الى بلاد ابن عثمان وقد أرسلوا اماما ى الخاصكى رسولا الى ابن عثمان فلما أبطأ عليهم خبره زحف العسكر المصرى على أطراف بلاد ابن عثمان ووصلوا الى قيسارية وفتكوا بها ونهبوا عدة من ضياعها وأحرقوها ثم فعلوا مثل ذلك بعدة أماكن من بلاد ابن عثمان وانقسموا فرقتين فرقة الى ماوندة وفرقة مقيمة بكولك ينتظرون مايكون من هذا الامر ثم حضر جان بلاط الغورى أحد مماليك السلطان وكان من الامراء العشراوات يومئذ وأخبر بأن العسكر فى قلق زائد بسبب الذى هنالك وان العليق مايوجد وأنهم قد عولوا على المجىء الى مصر فساء السلطان ذلك وفى شعبان رفعت امرأة قصة للسلطان

تشكو فيها من بدر الدين بن القرافى أحد نواب المالكية فأمر السلطان باحضاره فلما حضر ضربه بين يديه ضربا مؤلما وآل أمره الى أن غرم فى هذه الكائنة مالا له صورة بعد عقد مجلس بينه وبين المرأة التى رافعت فيه وفيه كانت البشارة بالنيل المبارك وجاءت القاعدة سبعة أذرع الا ثمانية أصابع وفيه قرر شهاب الدين بن الصير فى تدريس الشافعية بالخانقاه الشيخونية عوضا عن جلال الدين ابن اللبانة بحكم نزوله عنها ولم ينزل أحد عن هذه الوظيفة قبل اليوم قط الا أن تخرج عنه بحكم وفاته وفيه تغير خاطر السلطان على دقماق نائب القدس الشريف وفخر الدين بن نسيبة من أعيان بيت المقدس فرسم باحضارهما فلما حضرا أمر بضربهما فلما ضربا بين يديه أمر بنفى ابن نسيبة الى الواح حتى شفع فيه وفى رمضان قبض الوالى على جماعة من المماليك الاروام وجدهم يشربون الخمر فى رمضان نهارا فضربهم وأشهرهم بالقاهرة وسجنهم وفيه أخبرنى من أثق به أنه رأى بأسوان شخصا أسمر اللون وله عين واحدة فى جبهته وله أنف نابت فى وجهه تحت تلك العين وبين أنفه وفمه نحو من أربعة أصابع فكان من جملة الاعاجيب وفيه ظهرت فى القاهرة امرأة ولها ثلاثة أبزاز أحدها تحت ابطها وفيه فى رابع مسرى كان وفاء النيل المبارك ونزل أزدمر تمساح وفتح السد على العادة وكان الوفاء فى عاشر شهر رمضان ومن النوادر انه زاد فى اليوم الثالث من مسرى ثلاثة وثلاثين اصبعا فى دفعة واحدة وفيه توفى برهان الدين التتائى أخو شرف الدين الانصارى وهو ابراهيم بن على بن سليمان التتائى الانصارى المالكى وكان رئيسا حشما وله اشتغال بالعلم ومولده سنة عشرين وثمانمائة وفيه حضر هجان وأخبر بأن العسكر على حصار قلعة كوارة ومات فى مدة المحاصرة قانصوه بن فارس المعروف بقراوه وهو من مماليك السلطان وكان من الامراء العشراوات ثم أخذت هذه القلعة فيما بعد وهدمت الى الارض وفى شوال كان الموكب السلطانى فى يوم عيد الفطر بالحوش على العادة التى استجدها السلطان فى غيبة الامراء فلم يحضر فى موكب العيد سوى الامير ازدمر تمساح وكان أقبردى الدوادار مسافرا الى جهة البحيرة بسبب فساد العربان فجلس السلطان بالحوش على الدكة وخلع على المباشرين وأرباب الدولة وانفض الموكب سريعا وفيه تزايد شر العبيد حتى خرجوا فى ذلك عن الحد وصار يقتل بعضهم بعضا حتى أعيا الوالى أمرهم وصاروا طائفتين طائفة تعادى طائفة وفيه قرر فى قضاء الشافعية بحلب شمس الدين محمد بن عثمان الزعيم عوضا عن عز الدين الحسبانى وفيه قرر شمس الدين محمد بن أبى الفتح الكتبى فى مشيخة القبانين ثم تولى بعد ذلك التحدث على مباشرة بندر جدة وفى ذى القعدة رسم السلطان بنقل سوق الحمير من عند باب الميدان الى جهة مدرسة قانى باى الجركسى واستمر على ذلك الى الآن وفيه ابتدأ السلطان بعمارة المكان

الذى أنشأه على بركة الفيل برسم ولده المقر الناصرى وكان يظن ان ولده يسكن بعده فيه ويستمر مقيما بمصر فجاء الأمر بخلاف ذلك وفيه أفرج السلطان عن علاء الدين الحنفى نقيب قاضى القضاة الشافعى وكان قاسى شدائد ومحنا وأقام فى الترسيم مدة طويلة وغرم جملة من المال وفيه رسم السلطان بقلع عينى شخص يقال له على بن محمد المرجوشى وقطع لسانه أيضا وسبب ذلك أنه أوحى الى السلطان بانه يعرف علم صنعة الكيمياء فانصاغ له السلطان حتى أتلف عليه جملة مال له صورة ولم يستفد من ذلك شيأ وفعل نظير ذلك بالامير تمراز الشمسى أمير سلاح فأتلف عليه جملة مال ولم يستفد من هذا شيأ فخنق منه السلطان وفعل به مافعل وفيه خرج الامير اقبردى الدوادار مسافرا الى جهة نابلس وحصل منه غاية الضرر للناس من ذلك أنه أخذ جمال السقائين لحمل سنيحه حتى عز وجود الماء وغلا سعر الراوية بسبب ذلك وضاق الامر وفيه خلع السلطان على الطواشى فيروز وقرره فى الزمامية عوضا عن الصاحب خشقدم بحكم نفيه الى قوص وفيه جاءت الاخبار بموت اقبردى ططر الظاهرى جقمق أحد العشراوات وشاد الشون وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بأخذ قلعة كوارة من يد عسكر ابن عثمان فسر السلطان بذلك ثم بعد مدة وردت عليه الاخبار بان العسكر قلق وهو طالب المجىء الى مصر فتنكد السلطان لذلك وأرسل عدة مراسيم للامراء بالاقامة فاسمعوا له شيأ ثم جاءت الاخبار بان أزبك أمير كبير قد دخل الى الشام هو والامراء والنواب والعسكر قاصدين الدخول الى القاهرة من غير اذن وقد جاؤا طالبين وقوع فتنة وسرحوا بذلك ثم نودى من قبل السلطان بأن العسكر الذى قدم من التجريدة يصعد الى القلعة فامتنع المماليك من ذلك ولم يصعدوا الى القلعة وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بان الفرنج قد استولوا على مدينة غرناطة وهى دار ملك الاندلس ووقع بسبب ذلك أمور شتى يطول شرحها وقتل من عساكر الغرب والفرنج مقتلة عظيمة ثم بعد ذلك وقع الصلح بين أهل غرناطة والفرنج وقرر للفرنج فى كل سنة شئ من المال يوردونه لهم وفيه توفى قاضى قضاة المالكية محيى الدين بن تقى وهو عبد القادر بن أحمد بن محمد بن على بن تقى الدميرى المالكى وكان عالما فاضلا من أعيان المالكية رئيسا حشما وناب فى الحكم مدة وكان لا بأس به وأخذ العلم عن جماعة من الاقدمين كالبساطى والشيخ عبادة والشيخ ظاهر وغير ذلك من المشايخ وفى السنة المذكورة كانت وفاة الشيخ الصالح المعتقد سيدى أحمد بن عقبة اليمنى وكان من كبار أولياء الله تعالى وتوفى القاضى فتح الدين محمد السوهاجى وكان من أعيان نواب الشافعية وتوفى زين الدين الطوخى الخالدى وكان من الفضلاء وله نظم جيد

896 ثم دخلت سنة ست وتسعين وثمانمائة فيها فى مستهل المحرم كان دخول أزبك أمير كبير

ومن معه من الامراء والعسكر ودخلوا الى القاهرة فى موكب حافل وكان لهم يوم مشهود فلما طلعوا الى القلعة خلع السلطان على أزبك أمير كبير وعلى بقية الامراء ونزلوا الى دورهم وهذه آخر تجاريد أزبك أمير كبير الى البلاد الحلبية وفيه قرر السلطان كرتباى ابن أخته فى شادية الشراب خاناه وقرر مملوكه جان بلاط بن يشبك فى تجارة المماليك وفيه أشيع بين الناس أن المماليك يقصدون اثارة فتنة ويرومون نفقة على جارى العادة فاقسم السلطان بالله العظيم أنهم ان طلبوا نفقة يتوجه تحت الليل الى مكة المشرفة ويقيم بها وفيه توفى قاضى القضاة المالكية كان وهو ابراهيم بن عمر بن محمد بن موسى بن جميل اللقانى المالكى الازهرى وكان عالما فاضلا بارعا فى مذهبه دينا خيرا رئيسا حشما مات وهو منفصل عن القضاء وكان محمود السيرة فى أفعاله وفيه توفى الشيخ سنان الاونجانى الحنفى وهو يوسف بن موسى بن سعد الدين وكان قرر فى مشيخة تربة الامير يشبك الدوادار وكان من أعيان الناس الحنفية وفيه توفى الشيخ زين الدين عبد الرحمن الشنتاوى شيخ خانقاه سعيد السعداء وكان عالما فاضلا دينا خيرا لا بأس به وفيه توفى الشيخ حافظ العجمى المقرى وكان لا بأس به وفيه أنعم السلطان على أربعة من خاصكيته بامريات عشرة منهم بردبك بن بير على الذى كان بقى مقدم ألف وخرج الى مكة المشرفة بعد كائنة اقبردى الدوادار وأمر أيضا قيت الرجبى الذى تولى الاتابكية فيما بعد وأمر أيضا مصرباى الذى تولى الدوادارية الكبرى فيما بعد وأمر أيضا كمشبغاى الذى تولى نيابة الاسكندرية ومات بها وفى صفر أنعم السلطان على جانم الذى كان نائب قلعة حلب بتقدمة ألف وقد تعينت له قبل أن يحضر الى القاهرة فأقام جانم فى هذه التقدمة نحو امن سنة ومات بالطاعون فى السنة الآتية وفيه قدم الشهابى أحمد بن فرفور من دمشق وأشيع عنه بين الناس أنه جاء يسعى فى كتابة السر فما وافق السلطان على ذلك فأقام فى مصر مدة ثم عاد الى دمشق وفيه جلس السلطان لتفرقة الجامكية فقطع فى ذلك اليوم عدة جوامك من جماعة الجند نحو من ثمانين انسانا من الشيوخ والعواجز والضعفاء فكثر عليه الدعاء من الناس فى ذلك اليوم بسبب ذلك وفى ربيع الاول خلع السلطان على الشيخ عبد الغنى بن تقى وقرره فى قضاء المالكية عوضا عن أخيه محيى الدين بحكم وفاته وفيه رسم السلطان للاتابكى أزبك بأن يتوجه الى شبرمنت بنواحى الجيزة بسبب عمارة القناطر التى هناك فصرف عليها السلطان نحوا من خمسة آلاف دينار بسبب ترميمها فجاءت من أحسن البناء وبنى هناك رصيفا به نفع للمسافرين فى أيام النيل وبنى هناك لنفسه منظرة وغيطا على بركة هناك فجاء ذلك غاية فى الحسن من أجل المنتزهات وهو باق الى الآن وفيه من الحوادث المهولة أنه فى أثناء الشهر المذكور توجه السلطان الى قبة يشبك الدوادار كان التى هى فى رأس دور الحسينية فجلس هناك وأرسل خلف القضاة

الاربعة فحضر القاضى الشافعى زين الدين زكريا والقاضى الحنفى ناصر الدين بن الاخميمى والقاضى المالكى عبد الغنى بن تقى والقاضى الحنبلى بدر الدين محمد السعدى فلما تكامل المجلس شرع السلطان فى التكلم معهم فذكر لهم أن ابن عثمان ليس براجع عن محاربة عسكر مصر وان أحوال البلاد الحلبية قد فسدت وآلت الى الخراب وان التجار منعوا ما كان يجلب الى مصر من الاصناف وان المماليك الجلبان يرومون منى نفقة وان لم أنفق عليهم شيأ نهبوا مصر والقاهرة وحرقوا البيوت ومتى رجع عسكر ابن عثمان الى البلاد الحلبية لا يخرج العسكر من مصر حتى أنفق عليهم ثم شرع يقسم بالله تعالى أنه ما بقى فى الخزائن شئ من المال لا كثير ولا قليل والقصد أن أفرض على الاوقاف والاملاك التى بمصر والقاهرة من اماكن وغيطان وحمامات وطواحين وأفران ومراكب وغير ذلك أجرة سنة كاملة استعين بها على خروج التجريدة فسكت المجلس ساعة ثم قال القاضى الشافعى لعل الله تعالى يكفيكم مؤنة ذلك وقال القاضى المالكى ان أجرة سنة كاملة تثقل على الناس ولا يطيقون ذلك فان كان ولا بد من ذلك فلنفرض عليهم أجرة خمسة أشهر وقبل ذلك فرض عليهم أجرة شهرين فهذه سبعة أشهر وما يطيق الناس أكثر من ذلك فتوقف السلطان ثم آل الامر الى ما قاله قاضى القضاة المالكى وانفض المجلس على ذلك فلما بلغ الناس ما وقع اضطربت الاحوال وكثر القال والقيل فى ذلك وأشيع عن السلطان أنه يفرض على الجماجم من كل ذكر وأنثى من كبير وصغير على كل رأس دينارين ذهب وتكلموا من هذا النمط بأشياء كثيرة ثم بعد أيام رسم السلطان لتغرى بردى الاستادار بأن يكون متكلما فى جباية الاملاك من باب زويلة الى دير الطين ورسم لابن الصابونى ناظر الخاص بأن يكون متكلما فى جباية الاملاك من باب زويلة الى خارج الحسينية فعند ذلك اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال وتوجهت الرسل الغلاظ الشداد ولم يراعوا الوداد وأكثر الناس صار وارسلا وطلبوا أعيان الناس وانقطع الرجاء باليأس وصار الانسان يخرج من داره فيرى أربعة من الرسل فى استنظاره فيكون نهاره أغبر ويخرج وهو فى أذيال يتعثر فيقدحوا فيه الزناد ولا يرى له من اعتماد وقد قال بعض الموالة فى هذا المعنى

غرمت شهرين عن أجرة مكانى أمس * واصبحت مغموس فى بحر المغارم غمس
أقسم برب الخلايق والقمر والشمس * ما طقت شهرين كيف أقدر أطيق الخمس

وقد جرى فى هذه الواقعة أمور عجيبة وحكايات غريبة فمن ذلك أن بعض الرسل توجه نحو الحسينية فأتى الى امرأة ساكنة فى حوش ولم يجد عندها شيأ من متاع الدنيا فطالبها ذلك الرسول بأجرة الحوش الذى هى ساكنة فيه فجاء عليها من الاجرة عشرون نصفا عن مدة خمسة أشهر فلم تجد شيأ تعطيه للرسول فأغلظ عليها وخرج منه الحد فلما رأت منه ذلك وكان عندها شجرة تبق فى الحوش فقالت له اقطع هذه الشجرة وبعها وخذ ثمنها فى نظير ما جاء على

فأحضر القطاعين وقطع تلك السدرة وحملها ومضى وقد حصل للمرأة غاية الضرر لقطع شجرتها التى كانت تستظل تحتها فى أيام الصيف وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث فى دولة قايتباى ويا ليته صرف هذا المال فى شئ عاد نفعه على الناس ولكن صرفه فى غير مستحقه وراح فى البطال ولم ينتفع به كما سيأتى ذكر ذلك وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه كانت مصادرة المهتار رمضان فضيق عليه السلطان حتى أخذ منه ستين ألف دينار وقيل أكثر من ذلك وكان المهتار متحصله فى كل يوم فوق الاربعين دينارا خارجا عن جهاته وحماياته وغير ذلك وكان متحدثا فى نظر الكسوة وغير ذلك من الجهات السلطانية ورأى من العز والعظمة ما لم يره غيره من المهاترة السلطانية وفى ربيع الآخر ثارت المماليك الجلبان على السلطان فطلبوا منه نفقة بسبب هذه النصرة التى وقعت لهم فلما رأى منهم عين الجد أنفق عليهم على العادة كما تقدم شرح ذلك وفيه عين السلطان قرقماس أميرا خور ثانى ليتوجه الى دمشق بسبب جباية أملاك دمشق عن خمسة أشهر كما وقع بمصر وعين قاصدا أيضا الى ثغر الاسكندرية ودمياط وكانت هذه المصيبة عامة على الناس حتى أخذ من أوقاف البيمارستان خمسة أشهر وانقطع معلوم الايتام والضعفاء فى روابتهم مدة خمسة أشهر وكذلك سائر أوقاف الجوامع والمدارس والترب وقطع معلوم الصوفية والصدقات الجارية فلما توجه قرقماس المذكور الى دمشق أظهر بها من المظالم أشياء كثيرة لم يفعلها هناد فى زمانه وقرقماس هذا هو الذى تولى نيابة حلب فيما بعد وقبض عليه طومان باى الدوادار لما خرج الى الشام بسبب عصيان قصروه نائب الشام فسجن قرقماس هذا بقلعة دمشق ثم عاد الى مصر وقد تولى الاتابكية وفى جمادى الاولى خلع السلطان على تانى بك الجمالى وقرره فى امرية مجلس عوضا عن برسباى قرا المحمدى بحكم وفاته فى حلب وكانت امرية مجلس شاغرة مدة طويلة وكان تانى بك الجمالى متكلما فيها بغير تقرير وفيه انتهت عمارة ابن الجيعان أبو البقاء من تجديد ما عمره فى الزاوية الحمراء التى عند قناطر الاوز وصارت من جملة متفرجات القاهرة وفى ذلك يقول بعض الشعراء

عجبت لجامع قد زاد حسنا * وأبدع فى التزخرف والبناء
به الأنهار تجرى فى جنان * وقصر شاهق لابى البقاء

وصنع هناك جامعا بخطبة وجاء من أحسن البناء وفيه انفصل على باى عن نيابة ثغر الاسكندرية وأتى الى مصر معزولا وفيه قدم اقبردى الدوادار وكان مسافرا الى جهة نابلس فأهلك الحرث والنسل فى هذه السفرة وحضر صحبته اركماس بن ولى الدين دوادار السلطان بدمشق وقد كثرت فيه الشكاوى فاستجار بالامير اقبردى وحضر صحبته وفيه جاءت الاخبار من بلاد الكرك بأنه ظهر بها فى قبيلة بنى لام رجل من بنى آدم ذقنه قدر غربال القمح وكان يأكل اللحم النئ بعظمه ويأكل الجيف من على الكيمان وربما افترس من

بنى آدم جماعة وكان يفترس البقر والغنم وكانوا يخرجون اليه جماعة من بنى لام ويرمونه بالنشاب فلا يؤثر ذلك فيه ولو ضربوه بالسيوف وكان اذا صرخ تسقط منه الحوامل فلما قوى تسلطه على ذلك المكان رحل عنه بنو لام وتركوه وقد أعيا الناس أمره وهذه الواقعة مشهورة بين الناس وقد وصل مطالعة الى السلطان بمعنى ذلك وفيه أرسل السلطان مراسيم الى نائب الشام بأن يجمع أعيان التجار بها ومساتير الناس ويفرض عليهم الاموال الجزيلة كل واحد على قدر مقامه مساعدة للسلطان على خروج التجريدة كما فعل بمصر وكتب بمعنى ذلك مراسيم الى الاسكندرية ودمياط وأشيع بين الناس أن السلطان يخرج هذه المرة بنفسه وقد قويت الاشاعات بذلك وفى جمادى الآخرة وقعت بالقاهرة زلزلة خفيفة وماجت الناس ثم سكنت بعد ان ماجت منها الارض بعد المغرب وفيه حضر الى الابواب الشريفة قاصد من عند ابن عثمان صحبة ماماى الخاصكى الذى توجه قبل تاريخه الى ابن عثمان وكان هذا القاصد الذى حضر من أجل قضاة ابن عثمان وكان متوليا القضاء بمدينة بروسه وهو شخص من أهل العلم يقال له الشيخ على چلبى فلما صعد الى القلعة أكرمه السلطان وبالغ فى تعظيمه جدا وأحضر على يديه مفاتيح القلاع التى كان ابن عثمان قد استولى عليها فسلمها الى السلطان وأشيع أمر الصلح فنزل القاصد فى مكان عدله وهو فى غاية الاكرام ثم ان السلطان أطلق اسكندر بن ميخال الذى كان أسر وسجن كما تقدم وأقام مدة طويلة فلما أطلقه السلطان أحسن اليه وكساه وكذلك أطلق الاسراء الذين كانوا مأسورين من عسكر ابن عثمان وكساهم وأحسن اليهم وتوجهوا الى بلادهم صحبة القاصد لما سافر وهذا ما كان من ملخص أمر الصلح بين السلطان وبين ابن عثمان وفيه أمر السلطان بضرب أبى يزيد الصغير أحد البجمقدارية وكان من خواصه ولكن ضربه لامر أوجب ذلك وأبو يزيد هذا هو الذى صار رأس نوبة ثانى فيما بعد وقبض عليه العادل طومان باى وسجنه بقلعة دمشق لما توجه الى هنا وتسلطن وفيه كسفت الشمس كسوفا تاما ودامت فى الكسوف نحو من ثلاثين درجة وعاودت الزلزلة التى كانت بالامس وكانت خفيفة جدا وفى رجب طلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر وحضر قاصد ابن عثمان فعرض السلطان فى ذلك اليوم كسوة الكعبة ومقام ابراهيم عليه السلام وزف معهما المحمل الشريف وكان يوما مشهودا وفيه توفى بركات الصالحى وكيل بيت المال وكان من أعيان الموقعين وهو بركات محمد بن محمد بن أبى بكر القاهرى الشافعى الصالحى وكان غير محمود السيرة فى أفعاله كثير الظلم والعسف ومولده سنة احدى وثمانمائة وكان اعتراه آكلة فى رجله فاستمر بها الى أن مات وفيه يقول بعض الشعراء مداعبة لطيفة

بركات زاد الظلم فى أيامه * وعلى الورى قد جار فى توكيله
وبرجله كان الهلاك بعاهة * فمشى الى نار الجحيم برجله

القلقشندى

وهو الذى كان سببا لايقاف جماعة قاضى القضاة زين الدين زكريا الشافعى واستمر الشيخ برهان الدين القلقشندى فى التوكل به حتى مات بركات الصالحى فأفرج عنه بعد أن غرم أموالا لها صورة وفيه كان انتهاء العمل من جامع السلطان الذى أنشأه بالروضة وجاء فى غاية الحسن وكان البدرى حسن بن الطولونى معلم المعلمين يصنع فى كل ليلة رابع عشر الشهر ليلة حافلة بالجامع ويسمونها البدرية وينصب على شاطئ البحر قدام الجامع من الخيام مالا يحصى وتجتمع المراكب هنالك حتى تسد البحر ويجتمع الجم الغفير من العالم ويوقد بالجامع وقدة عظيمة ويحضر هنالك قراء البلد قاطبة والوعاظ وتكون ليلة حافلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم واستمر الحال على ذلك مدة ثم بطل هذا الامر وفيه أشيع بين الناس أن الشيخ جلال الدين الاسيوطى أفتى بانه لا يجوز البناء على ساحل الروضة لان الاجماع منعقد على منع البناء فى شطوط الانهار الجارية وأما ذكر ان ذلك يجوز فى مذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ورجه فباطل وليس له صحة فى كتب الشافعية قاطبة وفيه خرج جان بلاط بن يشبك قاصدا من عند السلطان الى ابن عثمان فخرج فى تجمل زائد وموكب حافل وجان بلاط هذا هو الذى تولى السلطنة فيما بعد بعشر سنين وفى شعبان قرر السلطان كرتباى بن مصطفى المعروف بالاحمر فى حجوبية الحجاب بطرابلس ونظر جيشها وغير ذلك من الوظائف بها وفيه ظهرت أعجوبة وهو أنه ولد مولود لستة أشهر فلما نظروا اليه وجدوا فى وجهه لحية وعلى فمه شارب وقد دارت لحيته فى وجهه وفى فمه أسنان مفلجة وكان عليه بشاعة فعاش ثلاثة أيام ومات وفى رمضان خلع السلطان على يشبك بن حيدر الذى كان والى القاهرة وصار مقدم ألف وقرره فى نيابة حماه عوضا عن اينال الخسيف فى تقدمة ألف بمصر فيما بعد وفيه تغير خاطر السلطان على ازدمر المسرطن أحد مقدمى الالوف بمصر وقرره فى نيابة صفد عوضا عن يلباى المؤيدى بحكم وفاته عنها وكان ازدمر هذا من خواص السلطان وكان عنده من المقربين وكان أغات أقبردى الدوادار ثم وقع بينه وبين السلطان فى الباطن فقته وولاه نيابة صفد عوضا عن يلباى المؤيدى بحكم وفاته واستمر بها الى أن مات وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية فى سائر البضائع حتى بيع كل ثلاثة أرادب قمح بدينار ورخص سائر الغلال جدا وفى شوال ليلة عيد الفطر كان وفاء النيل المبارك فاخر السلطان فتح السد فى ذلك اليوم وفتح فى اليوم الثانى من شوال ووافق ذلك خامس عشر مسرى القبطى فصار العيد عيدين فعد ذلك من النوادر وفى هذه الواقعة يقول شيخنا جلال الدين الاسيوطى هذه الابيات

يوم عيد الفطر وافى * بهنـــاء وسعاده
ختم الصوم وأوفى النـــيل فى أحسن عاده

ياله من يوم عيد * فيه حسنى وزياده

وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل الامير ازدمر تمساح وفى ذى القعدة توفى تقى الدين بن نصر الله وكان رئيسا حشما من ذوى البيوت لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من حلب بوقوع فتنة كبيرة بين نائب حلب وبين جماعة من أهلها وقتل فى هذه المعركة من مماليك أزدمر نائب حلب سبعة عشر مملوكا وقتل من أهل حلب نحو من خمسين انسانا وأحرقوا جماعة من حاشية النائب بالنار وكادت حلب أن تخرب عن آخرها ولولا أن قانصوه الغورى حاجب الحجاب بحلب قام فى إخماد هذه الفتنة حتى سكنت ما كان يحصل خير فى هذه الحركة فلما سمع السلطان بذلك تنكد جدا وعين ماماى الخاصكى بأن يتوجه الى حلب ليكشف عن هذه الفتنة وأخذ فى أسباب السفر الى حلب وفى ذى الحجة كان ابتداء الفتنة بين قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير وبين اقبردى الدوادار وقد وقع بينهما بسبب نوتى واستمرت الفتن تتزايد بينهما حتى كان من أمرهما ما سنذكره فى موضعه وفيه جاءت الاخبار من بلاد الشرق بوقوع فتنة كبيرة بين ملوك الشرق وأن يعقوب بن حسن الطويل قد قتل أخاه ووقع أيضا فتنة بين خليل الصوفى وسليمان ماجان واستمرت الفتن قائمة هناك فى جهات متعددة ووقعت أيضا فتنة كبيرة فى طرابلس الغرب وقتل شاسى بن أبى النصر ابن رجاء الخير قائد طرابلس وكان من خيار أعيان بلاد الغرب

897 ❁ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم كان دخول المحمل الى القاهرة وحجت فى تلك السنة زوجة اقبردى الدوادار وهى بنت العلائى على بن خاص بك أخت خوند زوجة السلطان قايتباى وكان طريق الحجاز فى تلك السنة مخوفا بسبب فساد العربان وفيه تغير خاطر السلطان على مجد الدين اسمعيل الناصرى قاضى قضاة الحنفية بدمشق فلما أحضر ضرب بين يديه ضربا مؤلما وقيل بل ضرب بالمقارع نحوا من عشرين شيبا وفى صفر توفى نور الدين على بن محمد بن عبد المؤمن البتنونى الشافعى ناظر الجوالى وكان رئيسا حشما لا بأس به وفيه توفى يشبك حبيب بن طط الظاهرى جقمق احد الامراء الطبلخانات رأس نوبة كبير وكان لا بأس به وقد جاوز السبعين سنة من العمر وفى ربيع الاول عمل السلطان المولد النبوى على العادة وكان حافلا وفيه قرر الناصرى محمد بن جرباش فى مشيخة المدرسة الظاهرية التى بين القصرين وفيه توفى تاج الدين بن الجيعان وهو عبد اللطيف بن عبد الغنى بن علم الدين شاكر وكان متحدثا فى كتابة السر وكان شابا حسنا محمود السيرة فى أفعاله مات وهو فى عشر الثلاثين وفيه توفى ابو يزيد قصيعا الظاهرى جقمق وكان من الامراء العشراوات وفى ربيع الآخر تزايدت الاقوال بوقوع الطاعون حتى حكى أن شخصا من الاتراك رأى فى منامه ملك الموت عليه السلام فقال له من أنت قال أنا ملك الموت جئت

الى أخذ أرواح الكثير من الناس فان الطاعون قد دخل الى مصر فقال له ذلك الجندى فهل تقبض روحى فى هذا الوباء فقال له قد بقى من عمرك سبعة أيام فانتبه الجندى من المنام وهو مرعوب فلما أصبح كتب وصية ثم انه فى اليوم السابع مات كما رأى فعد ذلك من النوادر الغريبة وفيه جاءت الاخبار بان مملكة حسن بك الطويل فى اضطراب وأن ابن عثمان قد أشرف على أخذ بلاد حسن الطويل من يد أولاده فلما بلغ السلطان ذلك قصد أن يخرج تجريدة صحبة حسين بن اعزلو بن حسن الطويل الذى كان مقيما بالقاهرة ثم آل الامر الى اهمال خروج التجريدة ومات حسين فيما بعد لما جاج ودفن بالمدينة الشريفة وفى جمادى الاولى قويت الاشاعات بوقوع الطاعون وزعموا ان انسانا رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له ان الطاعون كان واقعا عليكم فشفعت فيكم عند ربى وقل للناس يصومون سبعة أيام متوالية فصار الكثير من الناس يصوم سبعة أيام متوالية فلم يفد ذلك شيأ ووقع الطاعون بالديار المصرية وكان طاعونا مهولا (قلت) ولم يقع الطاعون بمصر من سنة احدى وثمانين وثمانمائة الا فى هذه السنة وقد غاب الطاعون ست عشرة سنة لم يدخل مصر وكان هذا الطاعون من الطواعين المشهورة بموجب ابطائه هذه المدة وهو الطاعون الثالث الذى وقع فى دولة الاشرف قايتباى وكان مبدأ هذا الطاعون من حلب وكان فى مدة انقطاعه عن مصر كثر بها الزنا واللواط وشرب الخمر وأكل الربا وجور المماليك فى حق الناس وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من قوم يظهر فيهم الزنا الا أخذوا بالفناء قال العلامة شهاب الدين بن حجر والحكمة فى ذلك أن الزنا حده ازهاق الروح فى المحصن فاذا لم يقم فيه الحد يسلط الله عليهم الجن فيقتلونهم ولما كان الزنا يقع من بنى آدم سرا سلط الله عليهم الجن يقتلونهم سرا من حيث لا يرونهم وقاعدة العذاب انه اذا نزل يعم المستحق له وغيره والرحمة لا تكون الا مخصوصة ثم يوم القيامة يبعثون على قدر نياتهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه اذا بخس المكيال حبس القطر واذا كثر الزنا وقع الطاعون واذا كثر الكذب وقع الهرج وفى جمادى الآخرة هجم الطاعون بالقاهرة وفشا جملة واحدة وفتك فى الناس فتكا ذريعا وكانت قوة عمله فى المماليك والعبيد والجوارى والاطفال والغرباء ووقع فى هذا الطاعون أمور غريبة وحكايات عجيبة منها ان الكمثرى بيعت كل رطل باشرفيين ولا توجد وبيعت الواحدة منها باثنى عشر نصفا ومنها ان انسانا كان معه خمسة أولاد فطعن الخمسة فى يوم واحد ومانوا فى يوم واحد ومن العجائب أن جماعة كثيرة فروا من الطاعون لما دخل الى مصر فتوجهوا الى أماكن عديدة فلما ارتفع الطاعون عادوا الى مصر ولم يفقد منهم ولا من أولادهم أحد فسبحان القادر على كل شئ ولما كثر الموت عز وجود البعلبكى

وأضر ذلك بحال الناس وكفنوا موتاهم فى الخام والملحم وغير ذلك وفيه توفى برسباى الخازندار أحد خواص السلطان والمتكلم على أوقافه وكان شابا رئيسا حشما لا بأس به وفيه توفى مغلباى الشريفى ابن الطويل وكان لا بأس به وهو أحد مقدمى الالوف وأصله من مماليك الاشرف قايتباى وفيه توفى جانم بن مصطفى الذى كان نائب قلعة حلب ثم بقى مقدم ألف بمصر وفيه توفى قيت الساقى أحد العشراوات ووالى القاهرة وكان لا بأس به وفيه توفى مغلباى الاشرفى أحد الامراء العشراوات وأصله من مماليك قايتباى وفيه توفيت بنت أزبك الامير الكبير زوجة الامير قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير وكانت شابة جميلة وفيه توفيت أختها بعدها بأيام وكانت بكرا وفيه توفى نامق المؤيدى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفى رجب توفيت بنت السلطان قايتباى وكانت تسمى ست الجراكسة وكانت شابة جميلة مستحقة للزواج وكانت من سريته فماتت هى وأمها فى يوم واحد وأخرجت قدام نعش ابنتها وكانت جنازة بنت السلطان حافلة وأخرجت فى بشخانه زركش وقدامها كفارة وكان يوما مشهودا وفيه أنعم السلطان على مملوكه جان بلاط بن يشبك بتقدمة ألف وبعث اليه باليلب وجان بلاط هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وأنعم أيضا على مملوكه شادبك بن مصطفى الخوخ الدوادار الثانى بتقدمة ألف ثم حضر جانم المعروف بالمصبغة من الشام الى مصر فأنعم عليه السلطان بتقدمة ألف بمصر وأنعم على كرتباى قريبه بتقدمة ألف وقرر ماماى الخاصكى فى الدوادارية الثانية عوضا عن شادبك الخوخ بحكم انتقاله الى النقدمة وقرر قيت الرجبى فى ولاية القاهرة عوضا عن قيت الساقى بحكم وفاته بالطاعون وفيه كانت وفاة الشاب الفاضل على باى بن برقوق نائب الشام وكان شابا رئيسا حشما دينا خيرا وله اشتغال بالعلم وكان له نظم جيد ومولده سنة ست وستين وثمانمائة ومن شعره الرقيق قوله

عود خيار شنبر * قد جاءنا بالعجب
أزهاره أبدت لنا * ثمار خام من ذهب

ومما مدحه به المنصورى قوله

محيا على باى بن برقوق مشرق * كطرة وسنى ليس بينهما فرق
فان يك سباقا الى الفضل والندى * فلا تعجبوا منه فوالده برقوق

ومن النكت اللطيفة قيل وقع بين الشهاب أحمد ابن الشيخ على المقرى وبين سيدى على باى هذا بعض وحشة فسطا على سيدى على باى وسماه زلابية مضافا الى اسم شخص من الاتراك كان مضحكا تعبث به الناس ويقولون له زلابية فيرجمهم فلما أشيع ذلك بين الناس أخذ بعض شعراء العصر هذا المعنى وعمل فى ذلك مداعبة وقال

قد شبهوه بمن يدعى زلابية * وصح تشبيههم والاب برقوق
لكنهم فاتهم فى الوزن نسبته * فان إسم أبيه نصفه قوق

وفيه توفى جكم كاشف منف وشادبك كاشف قليوب ومن الخشقدمية جماعة كثيرة منهم قان بردى الظريف وكسباى المحمدى واقباى الطويل وقانصوه قرا وينال الاشقر وغير ذلك جماعة كثيرة من مماليك السلطان والامراء ومات من العبيد والجوارى والاطفال والغرباء مالا يحصى عددهم وفى أواخر الشهر المذكور تناقص أمر الطاعون وخف بالنسبة لما كان عليه بعد ما جرف الناس جرفا وأخلى الدور من أهلها وقيل أحصى من مات فى هذا الطاعون بمصر وورد اسمه لديوان المواريث خارجا عن الغرباء ومن لم يرد اسمه الى الديوان فكانوا زيادة عن مائتى ألف فمن ذلك بنات بكر اثنا عشر ألف بنت من مصر والقاهرة والضواحى وقد قال القائل فى المعنى

زالت محاسن مصر فى * عينى من هم ودهش
كادت بنو نعش بها * أن يلحقوا بينات نعش

وقال الشيخ بدر الدين الزيتونى العمرى فى هذا الرجل يرثى به أهل مصر لما وقع الطاعون بها وهو

وحد ومن قد حكم بالموت * ونفد حكمه بما يختار
واحتجب عن العيون سبحان * جل من لا تدركو الابصار
بالممات رب البشر لما * قد حكم فى الكاينات باجمع
اختفوا فى ذا الوجود واضحوا * مالهم من ذا القضا مدفع
جا أخذ منهم ملاح كانوا * شبه أقمار البدور طلع
فاندبوا يا اهل الحمى وابكوا * واجعلوا دمع العيون مدرار
واحزنوا على الذين ماتوا * واختفوا عن أعين النظار
كنت اجد أقمار بدور طلع * وشموس تشرق على الاطلال
حسنهم سما وقد كانوا * فى هنا بالجاه وكثر المال
جا الممات سرعه وعاندهم * اختفوا حين عاينوا الاهوال
وبقوا تحت الثرى غياب * بعد ما كانوا يروا أجهار
يا أسف قلبى وطول حزنى * عنى قد غابت شموس واقمار
حين أتى كاس الممات للناس * وبقى ما بينهم داير
وسقاهم فى المقام شربه * حتى صار فى سرهم ساير
أصبحوا فى حضرة غياب * بعد ما كان كل أحد حاضر
سكروا فى حضرة الساقى * لما كاس الموت عليهم دار

وبقوا ندمان وقد غابوا * من شراب ماهو خمر خمار
ركب الطاعون وقد طلب * وحمل فى عسكر الاطفال
كم جرح قلوب وكم أفنى * من جموع لما عليهم مال
كم ترك مطعون بقى مطروح * كم كسر شجعان وكم أبطال
كم رأيت مقتول بذى الوقعه * بعد كسر ومايجد اجبار
والقضا فرق جموع الناس * كن كان فى ايدى القضا بتار
كم رأيت ملسوع بسم الموت * قد لسع ولايجد ترياق
كم رأيت منصاب من افعالو * جت اليه آفة بلا تنساق
كم رأيت ثكلى وهى حيه * شعرها ناشر من الاشواق
كم رأيت فارس بقى ملقى * بعد ما كان فى الوجود سيار
كم رأيت من دار خلاها الموت * ماترك فيها ولا ديار
يافهيم انظر لدى الدنيا * كيف بقت تحكى لنا بستان
والبشر قد أصبحوا فيها * كانهم أثمار على الاغصان
ومليك الموت بامر الله * قد بقى فيها شبيه جنان
كلما انتهى الى واحد * وبلغ حده والى المقدار
جا اليه بامر الذى أنشاه * قطعو من بين دى الاثمار
نسألك يارب يارحمن * يا الله يا أول ويا آخر
يالطيف بالخلق ياحافظ * ياعليم بالذنب ياغافر
يا بصير يافرد ياواحد * ياسميع ياحق ياقادر
ارفع الطاعون بجاه احمد * الممجد صاحب الانوار
وانزل الرحمه ومتعنا * بالرضا والعفو ياستار
وانا العوفى ولى أرجال * من نظام تحكى عقود جوهر
كلما كررتها تحلو * ماأحسن السكر اذا تكرر
فاسمعوا الى ماأقول واصغوا * ياجميع من حل دا المحضر
وحدوا من قد حكم بالموت * ونفذ حكمه بما يختار
واحتجب عن العيون سبحان * جل من لاتدركو الابصار

وفى شعبان ارتفع الطاعون عن مصر والقاهرة جملة واحدة ومشى نحو بلاد الصعيد وفيه توفى الشيخ شمس الدين الحصانى محمد بن أبى بكر بن محمد القاهرى الشافعى الكاتب المجيد وكان عالما فاضلا عارفا بالقراآت السبع وكان امام جامع ابن طولون وكان خيرا

دينا لا بأس به ومولده سنة عشر وثمانمائة وفيه توفى محمد العجمى الذى كان مقيما بجامع كراى وكان من أولياء الله تعالى مشهورا بالصلاح وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب بان الفنش صاحب قشتيلة الفرنجى قد ملك غرناطة التى هى دار مملكة الاندلس وكانت هذه الواقعة من أعظم الوقائع المهولة فى الاسلام وفى رمضان قرر ناصر الدين محمد الصفدى فى وكالة بيت المال وحصل منه الظلم والعسف فى الناس وفيه ثارت فتنة بين المماليك الجلبان بسبب تفرقة الاقاطيع التى توفرت عن المماليك الذين ماتوا بالطاعون وفى شوال خرج المحمل من القاهرة وكان أمير ركب المحمل تانى بك الجمالى أمير مجلس وبالاول كرتباى قريب السلطان وفيه تغير خاطر السلطان على الصاحب قاسم فعزله وكان يومئذ ناظر الدولة فلما صرف عنها قرر بها عبد القادر الطويل عوضا عن قاسم شغيته وفى ذى القعدة ابتدأ السلطان بتفرقة الاقاطيع المتوفرة عمن مات بالطاعون فى السنة المذكورة فصار يفرق أقطاع كل من توفى من الطباق لاهل طبقته ولا يخرج من ذلك شيأ لغير أهل طبقته وكانت أغوات الاطباق والمماليك الجلبان يتراصون مع بعضهم بالنوبة ويحضروا ويعرضوا ذلك على السلطان فينعم لهم بذلك فمنهم من يكون طبقته فيها اقطاعات كثيرة متوفرة ومنهم من يكون فيها شئ قليل فتأخر من المماليك الجلبان جماعة بلا أقاطيع وذلك الى آخر خرج المماليك فى السنة المذكورة سنة سبع فعرضهم السلطان فيما بعد وأخرج لهم أقاطيع كانت متوفرة فى الذخيرة ففرقها على المماليك الذين لم يخصهم شئ من الاقطاعات المتوفرة من الطاعون وصار الديوان يستدعيهم باسمائهم والسلطان يعطيهم ويكتب حتى لم يبق من جلبان فاينباى أحد بلا اقطاع الا الذين استجدوا من بعد الفصل وكانت الاقطاعات التى فرقت أكثرها ثلاثون ألفا وأقلها خمسة عشر ألف درهم والاقطاعات التى توفرت من جماعة المماليك الاينالية فرقها على خشداشينهم الاينالية فوق اقطاعاتهم والتى توفرت من الخشقدمية أعطاها لخشداشينهم من الخشقدمية وأعطى لبعض خشداشينه وبعض أولاد الناس ممن كان منزلا بالديوان وهو بالطبقة اقطاعات خفيفة واستمرت تفرقة الاقطاعات مدة ثلاثة أشهر وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة الميدان الناصرى وكان أزبك أمير كبير شادا على العمارة حتى انتهى منه العمل وفيه كان وفاء النيل المبارك ونزل أزبك أمير كبير وفتح السد على العادة وفيه اختفى تغرى بردى الاستادار وقد تغير خاطر السلطان عليه فلما طال اختفاؤه خلع السلطان على الامير أقبردى الدوادار وقرره فى الاستادارية عوضا عن المذكور مضافا لما بيده وفيه فرق السلطان على جميع العسكر من القرانصة والجلبان وأعطى لكل واحد منهم فرسا وديعة من موجود الذين ماتوا بالطاعون وذلك لاجل كثرة الخيول وقلة الغلمان لخدمتها وفى ذى الحجة جاءت الاخبار من مكة

المشرفة بوفاة الخواجا شمس الدين بن الزمن وكان من مشاهير التجار فى سعة من المال وله بر ومعروف وهو صاحب المدرسة التى ببولاق عند الرصيف وكان دينا خيرا وكان لا بأس به وفيه توفى شيخ جبل نابلس يونس بن اسماعيل وتوفى يوسف بن بردبك العجمى وكان شابا حسنا لا باس به وتوفى على بن الجمجمة الذى كان مقيما بمصر واختتن مع ابن السلطان

898 ❁ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم لم يحضر مبشر الحاج وصار الناس فى قلق بسبب ذلك وكان المبشر فى السنة المذكورة تانى بك الابح أحد المماليك السلطانية فاعترضه بعض العربان فى أثناء الطريق وأعاقوه عندهم أياما وفيه توفى برهان الدين بن النعمان المحدث وكان انسانا حسنا لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من ثغر دمياط بأنه نزل برد تحت الليل فكان قدر كل بردة مثل بيضة النعام ونزل بها بردة كبيرة فكانت زنتها خمسة وسبعين رطلا بالمصرى فقتل بسبب ذلك بهائم وطيور وغير ذلك وكان أمرا مهولا وفى صفر خرج الامير اقبردى الدوادار الى جهة نابلس وخرجت تجريدة الى جهة البحيرة وكان الباش عليها الامير أزبك اليوسفى رأس نوبة النوب وعدة وافرة من الامراء العشراوات والجند وفيه عاد الطاعون الى القاهرة ثانيا لكنه كان خفيفا بالنسبة لما قبل ذلك ومات به جماعة من المماليك والاطفال ومن كان فر قبل دخول الطاعون من القاهرة فى السنة الماضية وفيه أنعم السلطان على مملوكه قانى باى قرا الرماح بامرية عشرة ثم بعد ذلك بمدة يسيرة قرره فى نيابة صهيون وقد سعى فى ذلك بمال له صورة وقانى باى هذا هو الذى بقى أمير اخور كبير فيما بعد وفى ربيع الاول أنعم السلطان على مملوكه كسباى الشريفى بامرية عشرة وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة وحضر القضاة الاربعة والامراء وفى ربيع الآخر عين قانصوه خمسمائة أمير اخور كبير فى امرية الحاج بركب المحمل وعين الناصرى محمد بن أزبك أمير كبير بالركب الاول وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة بانه فى ليلة تاسع عشر صفر سقطت صاعقة عظيمة فى المسجد الشريف فاحرقت منه جانبا وتساقطت فى تلك الليلة عدة صواعق خارج المدينة الشريفة فلما بلغ السلطان ذلك أمر باصلاح ما فسد من المسجد الشريف وفى جمادى الاولى توفى بركات بن الظريف المقرى وكان علامة فى قراآت الرياسة بالجوق وفيه توفى الناصرى محمد بن بردبك وهو سبط الاشرف اينال وكان رئيسا حشما من أعيان أولاد الناس وكان مفرطا فى السمن جدا وكان لا بأس به وفيه توفى الخواجا عمر بن غازى وكان رئيسا حشما فى سعة من المال وكان لا بأس به وفى جمادى الآخرة خسف جرم القمر جميعه وفيه توفى الشهابى أحمد بن برقوق نائب الشام وهو أخو سيدى على باى بن نائب الشام فكان بينه وبين موت أخيه دون السنة وكان شابا حسنا جميلا لم يلتح بعد وفى رجب ثار جماعة من المماليك

الجلبان على السلطان ووقفوا بالرميلة ومنعوا الامراء من الطلوع الى القلعة وآل الامر الى طلب نفقة من السلطان فشى بعض الامراء بينهم وبين السلطان فى ذلك فوعدهم بالنفقة بعد مضى شهر فسكن الحال قليلا ولكن استمرت الدكاكين مغلقة وكذلك الاسواق حتى نودى لهم بعد أيام بالامان والاطمئنان وفيه وصل قاصد من عند رستم بن قرا ملك صاحب العراقين وكان ملك العراقين بعد أمور يطول شرحها وفيه توفى القاضى نور الدين على بن قاسم أحد نواب الحكم الشريف المالكى وكان عالما فاضلا لا بأس به وفيه توفى صندل الحبشى نائب المقدم وفيه توفى برسباى أمير جندار وكان قد طعن فى السن وفى شعبان توفى شادبك الاشقر المحمدى الظاهرى چقمق أحد الامراء العشراوات ونائب ثغر دمياط وشادا لحجر وكان لا بأس به وفيه عين السلطان قانصوه المحمدى المعروف بالبرجى أحد الامراء العشراوات بان يتوجه قاصدا من السلطان الى ملك الشرق رستم أحد أولاد حسن الطويل متولى العراقين وقد جرى بينه وبين اخوته ما لا خير فيه حتى تولى بعد أمور وقعت له فخرج قانصوه المذكور بعد أيام فى تجمل زائد وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان أهلها قد رجموا النائب قانصوه اليحياوى وقد ثارت بدمشق فتنة كبيرة وفى رمضان نودى بالصوم بعد ضحوة النهار وقد ثبت الهلال بعد طلوع الشمس بثلاثين درجة وقد أكل غالب الناس فى ذلك اليوم ولاسيما العوام فثقل عليهم الامساك فى ذلك اليوم بعد الافطار وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة سودون الطويل الاينالى أحد الامراء المقدمين بدمشق وكان لا بأس به وفيه كان ختم البخارى بالقلعة فخلع على القضاة ومشايخ العلم وفرقت الصرر على الفقهاء ووقع فى ذلك اليوم بحث بين البرهان الدميرى احد نواب المالكية وبين بعض الطلبة فانكروا على البرهان الدميرى بما أجاب به فى المسئلة وكان الختم حافلا جدا وفى شوال كان وفاء النيل المبارك ووافق ذلك ثانى عشر مسرى القبطى وتوجه أزبك أمير كبير وفتح السد على العادة وفيه خرج الامير قانصوه خمسمائة بركب المحمل والناصرى محمد بن أزبك أمير كبير بالركب الاول فكان لهما بالقاهرة يوم مشهود وطلب الامير قانصوه ذلك الطلب الذى تقدم ذكره فى التجريدة ومن غريب الاتفاق أن النيل أوفى وغالب الناس فى بركة الحاج مشغولين بالحجاج فلما بلغ أزبك وفاء النيل حضر تحت الليل حتى فتح السد وعاد وفى ذى القعدة جاءت الاخبار بوفاة الشيخ المحدث الواعظ برهان الدين ابراهيم بن الحموى رحمه الله ورضى عنه مات بطريق الحجاز قبل وصوله الى العقبة ودفن هناك وكان عالما فاضلا محدثا بارعا فى الحديث وكان دينا خيرا من أهل الصلاح ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه خلع السلطان على داود بن سليمن من أولاد ابن عمر أمير عربان هوارة وقرره فى امرية الوجه القبلى ببلاد الصعيد وفى ذى الحجة توفى ابن العبيسى ناظر الاحباس وهو عبد العزيز بن محمد بن محمد بن أحمد العبيسى الشافعى

وكان رئيسا حشما محمود السيرة لا بأس به وتوفى السيد محمد الشريف القادرى أخو زين العابدين وكان لا بأس به

899 ❁ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثمانمائة فيها فى المحرم صعد القضاة الى القلعة للتهنئة بالعام الجديد وصعد أيضا الشيخ جلال الدين الاسيوطى فلما جلس سأله السلطان عن أى سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها فلم يجبه الشيخ جلال الدين عن ذلك بشئ مع غزارة علمه وقوة اطلاعه وكان السلطان عنده كتاب يسمى حيرة الفقهاء ثم أجاب الشيخ جلال الدين بعد ذلك بجواب حسن كاف فى هذه المسئلة بأنه قصد بذلك الاذان فانه سنة ولم يفعله والاصح أنه أذن فى وقت وورد فى ذلك حديث وعمل فى هذه المسئلة كراسا مطولا وذكر فيه أشياء كثيرة مما سنه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يفعله وفيه أنعم السلطان على جماعة من مماليكه بامريات عشرة منهم ماماى جوشن ومصرباى أخو مغلباى وبرسباى العلائى واسنباى الاصم وآخرون وفيه وصل الحجاج ولم يثنوا على قانصوه جيلا ولا حمدت سيرته فى هذه السفرة وحكوا عنه أمورا غير صالحة فانه رمى الناس وأخذ جمالهم وترك جماعة منهم بالينبع حتى أتوا من البحر الملح فيما بعد وشال له الحجاج راية سوداء وهم داخلون البركة ومالاق الحجاج فى السنة المذكورة خيرا وكانت سنة صعبة على الناس من الغلاء وموت الجمال واستمر قانصوه خمسمائة فى عكس ولم ينجح أمره من بعد ذلك حتى كان من أمره ما سنذكره وفيه توفى الشيخ جمال الدين يوسف بن شاهين الكركى سبط الحافظ ابن حجر القاهرى الشافعى وكان عالما فاضلا محدثا رئيسا حشما لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بأن العربان تغلبوا على الكرك والشوبك وحصل هناك فتن مهولة وفى صفر نزل ابن السلطان من القلعة فى موكب حافل وتوجه الى داره التى أنشأها له السلطان على بركة الفيل فاقام بها ساعة ثم عاد الى القلعة وهذا أول ظهوره للناس ونزوله الى المدينة وكان معه اقبردى الدوادار والجم الغفير من الجند وكان نزوله سببا للانفاق على الجند لكل واحد منهم خمسون دينارا وسموها نفقة نزول ابن السلطان وكان قاصد ابن عثمان حاضرا الكى يشاع ذلك بحضرته وفيه جاءت الاخبار بوفاة ازدمر المسرطن نائب صفد الظاهرى جقمق وكان من أعيان الامراء جليلا سليم الفطرة ومات وهو فى عشر الستين وفيه جاءت الاخبار من حلب بوفاة ازدمر نائب حلب قريب السلطان وكان انسانا حسنا لا بأس به وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة طرابلس ونيابة صفد ونيابة حلب وامرية مجلس بمصر وغير ذلك من الوظائف والنيابات ومات وهو فى عشر الستين وكان فى أوائل عمره فى قلة وخمول وأقام على ذلك دهرا طويلا فلما تسلطن السلطان قايتباى ظهر أنه من قرابته فجاءت اليه السعادة بغتة فاقام فيها مدة ومات وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وهو ازدمر بن مزيد ثم

بعد

بعد موته أرسل السلطان خلعة الى اينال السلحدار نائب طرابلس ونقله الى نيابة حلب عوضا عن قريبه ازدمر بحكم وفاته وكان اينال هذا تولى نيابة صفد أيضا بعد ازدمر المسرطن وقتل فى واقعة اقبردى الدوادار لما سافر الى حلب وفى ربيع الاول توفيت خوند بنخ زوجة الامير أزبك اليوسفى رأس نوبة كبير وكانت زوجة تنم المؤيدى نائب الشأم وكانت من مشاهير الخوندات وهى والدة سيدى فرج الماضى ذكر وفاته وكانت لا بأس بها وكانت تقرب للملك الظاهر جقمق وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه توفى الشيخ أحمد بن زروق المغربى المالكى وكان من أهل الصلاح والدين وفيه قبض السلطان على بدر الدين بن الاينالى كاتب جيش الشام فضربه بالمقارع بين يديه وأمر بقطع لسانه حتى شفع فيه بعض الامراء فعفى من ذلك ولم يكن له ذنب يوجب ذلك ولكن خرج خلق السلطان فى ذلك اليوم جدا وفى ربيع الآخر توفى القاضى تاج الدين ابن الامام وهو محمد بن أحمد بن محمد الامام وكان أحد نواب الحكم من الحنفية وكان غير مشكور فى قضائه وعنده خفة ورهج كما قال فيه الشهاب المنصورى

قالوا علا التاج وهو قاض * فقلت ياضيعة الحقوق

غايته أنه توبيج * ملقى على مفرق الطريق

وفيه جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بأنه سقط بها ثلج حتى عم الاسطحة والشوارع مثل ثلج الشام فعد ذلك من النوادر وفيه عين السلطان ازدمر قساح أمير حاج ركب المحمل وعين الناصرى محمد بن العلائى على بن خاص بك أمير الركب الاول وعين يشبك الاشقر باش المجاورين بمكة المشرفة وفيه عين السلطان الامير ماماى بن خداداد الدوادار الثانى بأن يتوجه رسولا الى ابن عثمان وقد توجه قبل ذلك مرة أو مرتين وهذا آخر قصاد السلطان الى ابن عثمان فشرع ماماى فى عمل برق عظيم وصنع له دركابيركة الرطلى فى زمن الشتاء وصار يوقد فى كل ليلة هنالك وقدة حافلة وهرعت الناس الى هنالك بسبب الفرجة وعمل الجسر وسكن به الناس أياما فى قلب الشتاء حتى عد ذلك من النوادر وكان يعمل هنالك فى كل ليلة خيال ظل ومغانى عرب أو ابن رحاب المغنى أو جوق المحبظين وكانت ليالى مشهودة فى القصف والفرجة حتى خرج الناس فى ذلك عن الحد وأقاموا على ذلك نحو امن عشرين يوما ثم سافر الامير ماماى وخرج فى تجمل زائد وموكب حافل فتوجه الى بلاد ابن عثمان وفيه تغير خاطر السلطان على فيروز الطواشى الزمام وأمر بسجنه فسجن فى البرج الذى بالقلعة أياما حتى شفع فيه وأطلق وسبب ذلك ان شهاب الدين الكخيتى رافع فيه عند السلطان فتغيظ عليه وفى جمادى الاولى أمر السلطان بتجديد عمارة باب القرافة فعمره وأنشأ هنالك الربوع والسبل وجاء من أحسن البناء ثم بعد مدة يسيرة أنشأ

جامعا بخطبة خارج باب القرافة فعمره فجاء فى غاية الحسن وحصل به النفع للناس وفيه قرر بردبك الطويل فى دواداريه السلطان بدمشق وقرر برسباى الصغير فى الجوبية الثانية وفيه توفى القاضى محيى الدين بن مظفر وهو عبد القادر بن محمد بن أحمد بن على بن مظفر أحد نواب الحكم الشافعى وكان عالما فاضلا رئيسا حشما محمود السيرة فى قضائه وكان لا بأس به وفيه توفى الشيخ الصالح سيدى على الجبرتى وكان مقيما بالجامع الازهر مات فجأة وهو بالحمام وكان رجلا مباركا وفى جمادى الآخرة كان الحريق المهول بالقلعة فى حواصل السلطان التى عند قاعة البحرة وكان فيها خيام كثيرة فاحترق غالبها ولعبت فيها النار ولم يسلم منها شئ سوى خيمة المولد الشريف فقط فقومت الخيام التى احترقت فكانت نحوا من مائتى ألف دينار وقيل بل أكثر من ذلك ولم يعلم سبب وقوع النار هناك فقام السلطان بنفسه وبقى يطفى الحريق مع المماليك فأقامت النار تعمل هناك ثلاثة أيام فلما طلع النهار صعد الامراء الى القلعة وصاروا يسلمون على السلطان بسبب ذلك الحريق وقد تأثر السلطان لذلك وشق عليه حرق تلك الخيام وشرع كل من طلع اليه من الامراء يشكوله بانه لم يبق عنده من الخيام شئ فصارت الامراء كل من كان عنده شئ من الخيام الجديد يقدمه للسلطان ففعل ذلك الكثير من الامراء والمباشرين ثم أشيع بعد ذلك أن النار كانت من مطبخ بيت الخليفة وكان الخليفة ساكنا بالقلعة داخل الحوش بجوار قاعة البحرة فعند ذلك رسم السلطان للخليفة بان ينزل من القلعة ويسكن بالمدينة وما حصل للخليفة خير بسبب ذلك ونزل هو وعياله من القلعة وسكن بالقاعة التى بطريق السيدة نفيسة رضى الله عنها ورحمها وكانت اشاعة النار بأنها من مطبخ الخليفة باطلة ليس لها صحة وانما ذلك كلام الاعداء فى حق الخليفة وفيه خسف جرم القمر خسوفا تاما حتى أظلمت الدنيا وأقام فى الخسوف نحوا من ثلاثين درجة وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بانه وقع الغلاء المهول حتى مات من أهلها نحو من ألفين وخمسمائة انسان من شدة الجوع وأكلوا الجيف والميتات وفيه أمر أزبك الأمير الكبير بتجديد عمارة المدرسة المنصورية التى بدهليز البيمارستان وعمل على الفسقية التى بها قبة وجدد بها منبرا وأقام بها خطبة ولم يعهد قبل ذلك ان أحدا من الاتابكية قبله أقام بها خطبة فعد ذلك من النوادر ولقد رام الاتابكى ايتمش البجاسى فى دولة الناصر فرج بن برقوق فى سنة اثنتين وثمانمائة أن يفعل ذلك فتعذر عليه ذلك وأفتاه بعض العلماء بأنه لا يجوز له ذلك وان فيه مخالفة لشرط الواقف فرجع عن ذلك فلما ولى الاتابكية تمراز الشمسى بعد أزبك أبطل الخطبة منها فلما قتل تمراز وأعيد أزبك الى الاتابكية ثانيا أعاد بها الخطبة واستمرت الى الآن وفيه ثارت ريح مزعجة حتى ارتاع الناس منها فلما أصبح الناس اجتاز بعض الناس بالكيمان التى خلف الجراة

الجبرتى

حريق بالقلعة

Lunar eclipse

تجديد عمارة المدرسة المنصورية

فرأى فى الارض أثر قدم انسان فكان طوله فوق الذراع وقد أثر ذلك فى التراب خلف الجراة فاشيع ذلك بين الناس ولا يعلم ما سبب ذلك وفى رجب كانت وفاة الشيخ صلاح الدين الطرابلسى وهو محمد بن محمد بن يوسف الحنفى وكان عالما فاضلا مفتيا بارعا فى مذهبه وتولى عدة مدارس ثم تولى مشيخة المدرسة الاشرفية التى تجاه سوق الوراقين ومات وهو فى عشر الستين وكان لا بأس به وفيه قدم شخص من ماردين يقال له نور على وقد فر من رستم صاحب العراقين لذنب أوجب ذلك فانتمى الى سلطان مصر فلما حضر أكرمه السلطان ورتب له ما يكفيه وأقام بمصر مدة طويلة حتى توفى الاشرف قايتباى ففر الى بلاده وفيه توفى يشبك قرقماس الحسينى الاشرفى برسباى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفى شعبان أعيدت مشيخة المدرسة الاشرفية لبرهان الدين البكرى الامام عوضا عن الصلاح الطرابلسى بحكم وفاته وفيه كانت وليمة عرس الامير جان بلاط على ابنة القاضى كاتب السر ابن مزهر وهى أخت البدرى كاتب السر ابن مزهر وكان مهما حافلا وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب تونس ومدينة افريقية وهو زكريا بن يحيى بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبى فارس الحفصى مات بالطاعون فلما توفى قرر ولده عمر فى مملكة افريقية عوضا عن أبيه زكريا وفى رمضان رخص سعر البطيخ العبدلى حتى بيع كل حمل بنصفين فضة ولولا المكس لبيع كل حمل باقل من ذلك ويبيع فى الحوانيت كل قنطار بنصفين فضة وفيه كانت وفاة العلائى على بن خاص بك صهر السلطان وهو على بن خليل ابن حسن بن خاص بك التركى الاصل وكان رئيسا حشما دينا خيرا من أعيان أولاد الناس وقد كبر سنه وشاخ ومولده قبل الثلاثين والثمانمائة وكانت جنازته حافلة وأخرج بكفارة ونزل السلطان وصلى عليه فى سبيل المؤمنين ومشت قدامه الامراء للتربة وكان له اشتغال بالعلم وكان ينظم الشعر وله شعر جيد فمن ذلك قوله فى مؤذن

ومؤذن فى حسنه * أنا مغرم لا أصبر
لما طلبت وصاله * أضحى على يكبر

وفيه أنعم السلطان بامرية عشرة على جماعة من الخاصكية منهم طوغان باى الشورو تمر القصير الذى بقى زردكاش ثم بقى مقدم ألف وقايتباى الاشقر وآخرون وفى شوال كان عيد الفطر يوم الجمعة ولهج غالب الناس بزوال السلطان عن قريب وماذاك الا أن العيد كان يوم الجمعة ويخطب فى ذلك اليوم خطبتان ويدعى للسلطان فى ذلك اليوم مرتان فلهج الناس بان فيه كمال سعد السلطان وهو وجه العلة فى هذه المسئلة وقد جاء فى أيام الاشرف قايتباى خمسة أعياد بالجمعة ولم يضره ذلك ومكث هذه المدة الطويلة ولم يؤثر فيه ذلك شيأ فمن ذلك كان عيد الفطر بالجمعة سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وعيد فطر بالجمعة

ذكريا بن يحيى

أيضا سنة ست وثمانين وثمانمائة وعيد نحر بالجمعة سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وعيد نحر أيضا بالجمعة سنة ست وتسعين وثمانمائة وعيد فطر أيضا سنة تسع وتسعين وثمانمائة فهذه خمسة أعياد قد مرت عليه وهي بالجمعة وهو ثابت في مملكته لم يتزحزح عن ملكه منذ ثلاثين سنة الا أياما وأشهرا فكان كما يقال

لا ترقب النجم في أمر تحاوله * فالله يفعل لا جدى ولا حمل
مع السعادة ما للنجم من أثر * فلا يضر لئيم ولا زحل

وفيه توفي الاديب الفاضل محمد بن شادى خجا المحمدى وكان شاعرا ماهرا وله نظم جيد فائق في المعاني ومن شعره الرقيق قوله

ما حيلتي فيمن بنى في الحشا * بيتا من الحب لواش وشا
رشاله لحظ اذا مارنا * أنسالئ فيه الغنى عين الرشا

ومولده بعد الخمسين والثمانمائة ومما قاله فيه الشهاب المنصوري من المديح وأجاد

أنت شاد بنغمة الشحرور * في رياض المنظوم والمنثور
واد كاري بالعنبر الرطب منه * ضائع عند طيب ذاك العبير
عجبا لي مكاتب ورقيق * مع أني أحتاج للتدبير
يا ابن شاد مذ صار مدحك ذكرى * قلت اني من حسنه في قصور

وفيه خرج المحمل من القاهرة وكان ازدمر تمساح بالمحمل وايتال الفقيه بالاول وفيه توفي تاني بك الخازندار وكان من خواص السلطان لا بأس به وفيه قرر في قضاء الحنابلة بمكة المشرفة الشيشي وهو قاضي قضاة الحنبلية الآن بمصر وفيه توفي جانبك المحمودي الظاهري جقمق خشداش السلطان وكان من الامراء العشراوات ورأى غاية العز في أيام السلطان قايتباى وكان لا بأس به وفيه توفي الشيخ أبو الكرم المغربي وكان فاضلا في علم الفلك ومعرفة أحواله وفي ذي القعدة توقف النيل عن الزيادة أياما حتى قلق الناس لذلك وارتفع سعر الغلال وتكالب الناس على شراء القمح والشعير وغير ذلك من الغلال واستمر النيل واقفا ورجا نقص الذي كان زاده ثم بعث الله تعالى بالزيادة واستمر حتى كان الوفاء وفي هذه الواقعة يقول الناصري محمد بن قانصوه وهو قول ابن صادق

قلعت أصابع نيلنا * عين الذي خزن الغلال
وغدت تقول النقص كا * ن على الوفا قطعا وزال

وقال شيخنا عبد الباسط الحنفي

النيل وافى ووفى * مبشرا بالمنافع
وخازن القوت عينيه * قلعت بالاصابع

وفيه كان الوفاء فى آخره وحصل للناس غاية الجبر بكسره بعد أن كان قد نقص وأيس الناس من طلوعه فى السنة المذكورة فتوجه أمير كبير أزبك وفتح السد على العادة وكان يوما مشهودا وفيه توفى عبد العظيم أحد كتاب المماليك وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة يشبك بن حيدر نائب حماه وكان أصله من مماليك الاشرف اينال وتولى عدة وظائف سنية منها ولاية القاهرة والامير اخورية الثانية ثم بقى مقدم ألف بمصر ثم بقى نائب حماه وكان لا بأس به ومات وهو نائب حماه ودفن بها فلما مات يشبك خلع السلطان على اقباى الطويل وقرره فى نيابة حماه عوضا عن يشبك بن حيدر بحكم وفاته وفيه من الحوادث أنه وقع واقع وهو مقطع بالجبل المقطم على جماعة من الحجارين فماتوا تحته ومن المماليك ثلاثة أنفار كانوا هناك بسبب النقارة ومات تحت الواقع عدة جمال وحمير كانت هناك لاجل حمل النقارة وكان وقع على حين غفلة وكان أمرا مهولا ومن العجائب أن شخصا من المماليك الذين كانوا هناك ووقع الواقع عليهم تصلب عليه شئ من الاحجار فأقام تحت الردم ثلاثة أيام فعمل له نقب وخلصوه وهو فيه الروح وعاش بعد ذلك مدة طويلة وفى ذى الحجة فتح الاتابكى أزبك سد بركة الازبكية وكان يوما مشهودا ثم بعد أيام صنع وقدة حافلة وحراقة نفط وعزم على ابن السلطان فنزل اليه وبات عنده فى القصر المطل على البركة ومد له أسمطة حافلة وقدم له تقادم حافلة ما بين مماليك وخيول وقماش وغير ذلك ثم طلع ابن السلطان الى القلعة فى اليوم الثانى أو اخر النهار ولم يشق ابن السلطان من المدينة سوى ذلك اليوم من منذ نشأ وكان مقيما بالقلعة لم ير البحر قط وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب سمرقند وهو الملك المعظم أحمد بن أبى سعيد فلما مات تولى على سمرقند بعده أخوه محمود صاحب بلخشان وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب فرغانة من بلاد المشرق وهو عمر بن أبى سعيد وكان فيه الخير والعدل فى الرعية ولما مات تولى من بعده على مدينة فرغانة أخوه أحمد

صنع وقدة

❁ ثم دخلت سنة تسعمائة فيها فى المحرم صعدت القضاة الاربعة الى القلعة للتهنئة بالعام الجديد فلما جلسوا أمر السلطان بعقد مجلس فى المدرسة الصالحية بسبب شمس الدين ابن الطواى المغربى القاضى المالكى بدمشق وكان قد حضر الى القاهرة لامر أوجب ذلك وفيه انتهى العمل من تجديد عمارة الجامع الازهر وقد جدده الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم الرومى وصرف عليه من ماله نحوا من خمسة عشر ألف دينار وجاء غاية فى الحسن وهو على ما جدده به الآن وفيه تغير خاطر السلطان على شخص يقال له شمس الدين محمد بن عمران المقدسى وكان رفيقا لاحمد الحسينى فضرب بين يديه ضربا مؤلما فأطاق ذلك ومات بعد أيام قلائل وفى صفر جاءت الاخبار بوفاة يونس الاشرفى حاجب دمشق فلما

تجديد الازهر

مات قرر فى حجوبية دمشق قانى بك نائب غزة عوضا عن يونس المذكور وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان الحج الشامى لما رجع الى الشام خرج عليهم فى أثناء الطريق طائفة من عربان بنى لام فاحتاطوا على الركب جميعه وسبوا الحريم ونهبوا الاموال وأسروا أمير الركب اركماس وكان أمرا مهولا فتنكد السلطان وانزعج لذلك وفيه توفى كسباى بن أزبك الساقى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفى ربيع الاول توفى القاضى نور الدين الصوفى الحنفى أحد نواب الحنفية وكان رئيسا حشما لا بأس به وكان من أعيان الناس وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة وفيه هجم المنسر على سوق باب اللوق وأخذ منه أشياء كثيرة من القماش والامتعة وقتل تحت الليل جماعة من أرباب الدرك وفيه توفى يشبك بن قصروه المعروف بيشبك سحاب وكان من الامراء العشراوات وكان رئيسا حشما لا بأس به وفى ربيع الآخر خلع السلطان على كرتباى أخى الامير اقبردى الدوادار وقرره فى نيابة صفد وفيه توفى جانى باى الحسنى الظاهرى چقمق أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفى جمادى الاولى قرر عفيف الدين بن الشحنة فى قضاء الشافعية بحلب وقد سعى فى ذلك بمال له صورة وفيه قرر مصرباى بن على باى فى نيابة قلعة حلب وفيه تعين تانى بك الجمالى فى امرية الحاج بركب المحمل وعين كرتباى ابن أخت السلطان فى امرية الركب الاول وفى جمادى الآخرة توفى الامير ازدمر تمساح بن يلباى الظاهرى چقمق أحد المقدمى الالوف وكان رئيسا حشما محمود السيرة ولا سيما فى سفر الحجاز وقد سافر أمير حاج بركب المحمل عدة مرار والناس عنه راضون والثناء عنه جميل وفيه توفى الصاحب قاسم شغيته وكان من الاعيان تولى نظر الدولة والوزارة غير مرة وجاء فى الوزارة على الوضع وكان كفؤا للمنصب سائرا بالسداد منقادا فى مباشرته وجرى عليه شدائد كثيرة ومحن ومات وهو فى التوكل به ورجما قيل انه كان فى الخشب حتى مات وباشر ديوان الوزارة مدة طويلة وآل أمره الى أن مات شر ميتة نقل بعض المؤرخين أن قاسم هذا كان فى مبتدا أمره خبازا وان صلاح المكينى اشهره فى القاهرة لما كان محتسبا ثم ان قاسم هذا صار من جملة صيارف اللحم فلما قرر شمس الدين محمد البباوى تحشر فيه وصار من جملة المباشرين بالدولة فلما غرق البباوى تكلم فى الوزارة هو وعبد القادر الطويل ثم ان قاسم راج أمره وترشح للوزارة حتى استقر بها وصار من أعيان الرؤساء بمصر وباشر الوزارة أحسن مباشرة ونتج فى السداد بها وقد قيل فيه

وكم سيد يستوجب الرفع قدره * غداشاكيا من لحن ألفاظه خفضا
وكم جاهل يدعى رئيسا لقوة * كذاك الخصى يدعى رئيسا من الاعضا

وفى رجب كانت وفاة القاضى شرف الدين يحيى بن البدرى حسن ناظر الاوقاف وكان رئيسا حشما لكنه أظهر للسلطان نتيجة وعادى الناس قاطبة ولاسيما الاتراك بسبب مافرضه على البلاد لاجل الخمس كما تقدم ذكر ذلك ونهب المماليك داره فى بعض الركبات واستمر فى عكس الى أن مات ولم يثن أحد عليه خيرا فى مدة ولايته لنظر الاوقاف كما يقال

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

وفيه توفى قاضى بولاق بن قرقاس أحد نواب الحنفية واسمه عبد القادر بن أحمد بن على بن محمد بن أبى بكر الدماصى وكان يعرف بابن قرقاس وكان من أعيان الحنفية مشكورا السيرة فى قضائه وكان لا بأس به وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية حتى بيع كل عشرة أرادب قمح بثلاثة دنانير حتى عد ذلك من النوادر وفيه توفى الطواشى سرور شاد الحوش وكان عنده قسوة زائدة وعسف وظلم وهو الذى أحدث بالقلعة السجن المسمى بالعرقانة من داخل الحوش وكان يحبس فيها من يختار من أصحاب الجرائم واستمر بعده الى الآن يسجن به وفيه توفى المسند عبد القادر بن الزيات المناوى وكان لا بأس به وفيه تغيظ السلطان على ولده الناصرى محمد وألبسه زنطا عتيقا وكبر خام ونزل به الى طبقة الزمام وقال لأغات الطبقة نوروز المجنون دعه يكنس الطبقة ويقعد على السفرة آخر المماليك وان قوى رأسه اضربه علقة قوية وعامله معاملة المماليك الجلبان فأقام فى الطبقة أياما حتى طلع الاتابكى أزبك وشفع فيه واستمر عنده ممقوتا حتى مات وفى شعبان وصل الى القاهرة شخص جركسى وهو جلب قمح وقد جاوز الستين سنة من العمر ومعه اثنان من الاولاد وهما شباب ملاح الهيئة فذكروا أن ذلك الشيخ أخو السلطان وانه بيع ببلاد الفرنج وكان مقيما بها فلما حضر استسلمه السلطان وسماه قيت واستسلم أولاده وسمى أحدهما جانم والآخر جانى بك وأنزلهم بالطبقة ورتب لهم جوامك وصاروا من جملة المماليك السلطانية وفيه قدم الى القاهرة شهاب الدين أحمد بن فرفور الدمشقى قاضى القضاة بها الشافعى فلما حضر جرى عليه أنكاد ومحن من السلطان وغرم مالا له صورة حتى استمر فى قضاء الشافعية بدمشق على عادته وفيه توفى أحمد حزينات وكان استاذا فى فن الموسيقى وعنده فكاهة وحسن محاضرة وفيه أشيع الخبر بموت الجمجمة بن محمد بن عثمان ملك الروم ببنابل من بلاد الفرنج وجرى عليه أمور يطول شرحها ومات وهو فى أسر الفرنج وقد تقدم سبب ذلك وفيه غرقت معدية بساحل بولاق فمات بها كثير من الناس من رجال ونساء وأطفال وبهائم وفى رمضان توعك السلطان فى جسده حتى أرجف بموته ونسب قائل ذلك خمسمائة فى مدة توعك السلطان الى انه تقدم على السلطنة فمنع من الدخول على السلطان فى مدة انقطاعه ثم ان السلطان حصل له الشفاء ونودى فى القاهرة

العرقانة

طبقة الزمام

محقوتا

الجمجمة ؟

بالزينة واستمرت الزينة أياما فى شهر رمضان حتى تعطلت الناس عن البيع والشراء وفيه أقيمت الخطبة بالجامع الذى أنشأه الامير ازبك اليوسفى رأس نوبة كبير بدرب البابا وفيه توفى تغرى برمش الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفى شوال ليلة عيد الفطر خرج الامير قانصوه خمسمائة مسافرا الى بعض بلاده ولم يحضر موكب العيد فكثر القال والقيل فى ذلك اليوم وكان سفره برأى السلطان فلما كان يوم العيد ثارت فتنة من المماليك الجلبان وركب الكثير منهم فى ذلك اليوم وتوجهوا الى دار قانصوه خمسمائة ونهبوا ما فيها وأحرقوا بعض أماكن بها وأخربوا غالبها وهى الدار التى أنشأها فى قناطر السباع المطلة على الخليج الحاكمى وكان الذى أثار الفتنة طائفة من المماليك من عصبة اقبردى الدوادار فحصل الاضطراب فى ذلك اليوم ثم سكن الحال قليلا وفيه خرج المحمل من القاهرة وكان أمير ركب المحمل تانى بك الجمالى وبالأول ابن أخت السلطان وفيه توفى القاضى نور الدين على بن داود الصيرفى الاسرائيلى الحنفى أحد نواب الحكم وكان من أعيان الحنفية وكان يكتب التاريخ مجازفة لا عن قائل ولا عن راو وله فى تاريخه خبطات كثيرة وجمع من ذلك عدة كتب من تأليفه فكان كما يقال

يا من يقول بأن فى التاريخ كتبا كامله
لك بالاباعر نسبة * لم تدر ما هى حامله

وكان مولده سنة سبع عشرة وثمانمائة وكان لا يخلو من فضيلة وفى ذى القعدة وصل سيف قان بردى نائب قلعة دوركى وكان غير محمود السيرة وفيه كان وفاء النيل المبارك وتوجه الاتابكى أزبك وفتح السد على العادة وكان هذا آخر فتح أزبك أمير كبير للسد وفيه وقع الرخاء بالديار المصرية حتى بيع كل ثمانية أرغفة من الخبز البائت بثلاثة دراهم فلوس حتى عد ذلك من النوادر وفيه ابتدأ بالسلطان توعك فى جسده وظهر عليه أشاير الموت وضرب الكرة فى السنة المذكورة ضربا هينا بالنسبة لما كان عليه قبل ذلك من القوة فسبحان مغير الاحوال وفيه توفى سيدى عبد الرحمن اليمنى وكان من أولياء الله تعالى وفيه توفى أقبردى التماسيحى الظاهرى جقمق وكان من الامراء العشراوات وكان لا بأس به وفيه توفى ازدمر بن مراد بخا الاشرفى برسباى وكان أحد الامراء العشراوات وباش مكة وكان لا بأس به وفيه ظهرت أعجوبة وهى أن امرأة ولدت مولودا صورته كصورة الفيل وله زلومة سوداء وكان بشع المنظر فمات من يومه وفيه توفى الطواشى سرور السيفى نائب المقدم وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة صاحب خراسان وهو حسين بن بيقرا بن منصور و بيقرا جده قيل انه مات بعلة النقرس وفى يوم الخميس مستهل ذى الحجة جرت كائنة عظيمة وهى أن قانصوه خمسمائة لما توجه

الى أقطاعه فى ليلة عيد الفطر كما تقدم توجه طائفة من المماليك الى داره ونهبوا ما فيها وأحرقوا غالبها فلما رجع قانصوه خمسمائة من السفر تعمرت القلوب بالعداوة بينه وبين اقبردى الدوادار وصارت العداوة كل يوم فى مزيد فلما كان يوم الخميس المذكور ركب قانصوه خمسمائة ولبس آلة الحرب والتف عليه جماعة من أخصائه وخشداشينه مثل قانصوه الالفى وقانصوه الشامى ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات جملة كثيرة منهم برسباى الحسيف وقرقماس الشريفى واسنباى المبشر وقايتباى المبشر أيضا وازبك قفص وقيت الرجبى وغير ذلك من الامراء والجم الغفير من الخاصكية والمماليك السلطانية فلبسوا آلة الحرب وتوجهوا الى بيت الاتابكى أزبك الذى أنشأه فى الازبكية فاجتمع هنالك من العسكر ما لا يحصى فلما بلغ الامير يشبك الجمالى الزردكاش الكبير أن العسكر قد اجتمع عند أزبك حضر عنده وكمل هنالك أربعة أمراء مقدمين وجاء العسكر أفواجا أفواجا ولا يبقى يعلم ان كانت الركبة على السلطان أم على الامير اقبردى الدوادار فلما اشتد الامر طلع تانى بك قراحاجب الحجاب الى السلطان ونصحه وخلابه وقال له انما هذه الركبة على السلطان وأن العسكر قائمة مع أزبك أمير كبير لاجل قانصوه خمسمائة فانه كان صهره فلما تحقق السلطان ذلك اضطربت أحواله وخشى من اتساع الفتنة فنزل وجلس فى المقعد المطل على الرميلة وعلق الصنجق السلطانى ودقت الكؤسات حربى ثم نادى للعسكر من كان طائعا لله ولرسوله وللسلطان فليطلع الى الرميلة ويقف تحت الصنجق السلطانى فلما بلغ الامراء المقدمون ذلك طلع تمراز الشمسى أمير سلاح وتانى بك الجمالى أمير مجلس واقبردى الدوادار الكبير وأزبك اليوسفى رأس نوبة كبير وتانى بك قراحاجب الحجاب وجان بلاط بن يشبك وشادبك الخوخ وبقية المقدمين والامراء الطبلخانات والعشراوات فلما بلغ من بالازبكية من العسكر أن السلطان نادى بان العسكر يطلعون الى الرميلة ويقفون تحت الصنجق صاروا فى الحال يتسحبون من هنالك شيأ فشيأ ويطلعون الى الرميلة حتى لم يبق فى الازبكية الا مماليك الامراء الذين هنالك فظهرت الكسرة على قانصوه خمسمائة ومن معه من الامراء وهذه أول حركات قانصوه خمسمائة وكان معكوس الحركات فى سائر أفعاله كما قيل

وأخرنى دهرى وقدم معشرا * على أنهم لا يعلمون وأعلم

فذا فلح الجهال أعلم أننى * انا اللئيم والايام أفلح أعلم

فبينما الاتابكى جالس بمقعده واذا بالامير أزبك اليوسفى رأس نوبة النوب دخل اليه وصحبته الحاج رمضان المهتار بالطشتخانه فقال له قم كلم السلطان فى خبر فقام من وقته وتوضأ وصلى ركعتين وركب وهو بتخفيفة صغيرة وملوطة بيضاء وهو مفكك الازرار

فطلع صحبتهما الى القلعة فلما رآه المماليك الجلبان كادوا أن يقطعوه بالسيوف وقيل ان الأمير اقبردى الدوادار لكمه وشتمه فلما وقف بين يدى السلطان قام له وأمر بادخاله الى قاعة البحرة خوفا عليه من المماليك الجلبان أن يقتلوه فلما بلغ قانصوه خمسمائة ومن معه من الامراء ان أزبك أمير كبير قد عوقوه بالقلعة ركب وتوجه من على قنطرة الحاجب واختفى من حيث لا يعلم له خبر وكذلك قانصوه الالفى وقانصوه الشامى وبقية الامراء ممن كان من عصبة قانصوه خمسمائة فلما اختفى الامراء انفض ذلك الجمع الذى كان بالازبكية كأنه لم يكن وكان قانصوه خمسمائة فى السنة المذكورة جدد صور باب السلسلة وأنشأ المقعد المطل على الرميلة والبيت وحوله أبراج موجودة به الى الآن ثم ان السلطان نادى للعسكر أن يقلعوا آلة الحرب ويتوجهوا الى بيوتهم ونادى للناس بالامان والاطمئنان وسكنت تلك الفتنة فلما كان يوم الجمعة صبيحة ذلك اليوم قبض بعض مشايخ العربان على قانصوه الالفى وكان قد توجه الى برا الجيزة فقبض عليه من هناك وأحضره الى بيت أقبردى الدوادار فقيده وأرسله الى السجن بقلعة صفد ثم ان قانصوه الشامى أرسل يطلب من السلطان الامان فارسل له فى ذلك اليوم منديل الامان فلما قابل السلطان خلع عليه وقرره فى نيابة حماه ورسم له أن يخرج من يومه الى السفر ثم ان الامير اقبردى الدوادار صار يقبض على جماعة من الامراء الطبلخانات والعشراوات ممن كان من عصبة قانصوه خمسمائة فقبض على قيت الرجبى وبرسباى الثور الشريفى فقيدهما وتوجهوا بهما الى السجن بالصليبة ثم على جماعة آخرين منهم وهم برسباى الحسيف وقرقماس الشريفى واسنباى المبشر وقايتباى المبشر أيضا وأزبك قفص ولكن فر من أثناء الطريق وقبض على سودون الفقيه فنفى هولاء الجماعة عن آخرهم واستمر قانصوه خمسمائة مختفيا حتى كان من أمره ما سيأتى ذكره فى موضعه وقد انتصف اقبردى الدوادار على جماعة قانصوه خمسمائة وبدد شملهم وفتك فى تلك الايام وطاش وخف الى الغاية واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد ليس على يده يد وكان ذلك من أكبر الفساد فى حقه كما قيل

كل شئ اذا تناهى توانا * فانتقاص البدور عند التمام

ثم ان اقبردى الدوادار فرق فى تلك الايام المذكورة أضحية جزيلة على العسكر فكانت تعادل ضحايا السلطان من بقر وغنم حتى غمر العسكر بالاحسان فكان كما يقال فى المعنى

أنا أسمر والراية البيضا على * لا للسيوف وسل من الشجعان

لم يحل لى عيش العداة لأننى * نوديت يوم الحرب بالمران

هذا ما كان من أمر هولاء وأما ما كان من أمر أزبك أمير كبير فانه أقام بقاعة البحرة ثمانية أيام فلما كان يوم الجمعة رسم له السلطان بأن يصلى معه بالشاش والقماش على عادته فخرج

وصلى

وصلى مع السلطان الجمعة فلما فرغ من صلاة الجمعة أراد أن ينزل فقيل له ان المماليك واقفة بالرميلة ومتى نزلت يقطعونك ويقتلونك لا محالة فخاف عليه السلطان وأدخله الى قاعة البحرة ثم انه اجتمع بالسلطان وقال له انا ما بقى لى اقامة بمصر يقتلنى المماليك الجلبان وقصدى أتوجه الى مكة المشرفة فاجابه السلطان الى ذلك فلما كان يوم السبت ثامن ذى الحجة من تلك السنة نزل الاتابكى أزبك من القلعة وهو راكب على اكديش وعلى رأسه تخفيفة صغيرة وعليه ملوطة بيضاء من غير تقييد ولا أوجاقى خلفه فتوجه الى مكة المشرفة من الطور مسافرا بالبحر الى أن يصل الى جدة ويرحل من جدة الى مكة المشرفة ورسم له السلطان أن يأخذ ولده يحيى معه الى مكة المشرفة وكانت نكبة بغتة على حين غفلة كما يقال

على قدر فضل المرء تأتى خطوبه * ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اصطباره * فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وكانت مدته فى الاتابكية نحو امن سبع عشرة سنة وسوف يعود الى الاتابكية ثانيا كما سيأتى الكلام عليه وفيه فى ذلك اليوم رسم السلطان باخراج يشبك الجمالى الزردكاش الكبير وأحد المقدمين فخرج منفيا الى القدس ولم يكن له ذنب غير أنه كان من جماعة أمير كبير وحضر يوم الركبة فصار له ذنب وكان يشبك الجمالى من خواص السلطان ثم انقلب عليه فاقام بالقدس منفيا الى أن مات عن قريب فكان كما قيل

يعدون ذنبا واحدا ان جنيته * على وما أحصى ذنوبهم عدا

وفيه جاءت الاخبار من تونس بأن بها ثارت فتنة عظيمة وحصل لعساكر المغرب مقتلة مهولة والامر لله تعالى فى ذلك

901 ❁ ثم دخلت سنة احدى وتسعمائة ختمها الله بخير وهى أول القرن العاشر وكان مستهلها بالاحد وهو أول أسابيع الايام وأول افتتاح العالم بالاحد ففى المحرم كان خليفة الوقت الامام المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز العباسى وسلطان العصر الملك الاشرف أبو النصر قايتباى المحمودى الظاهرى جقمق وقاضى القضاة الشافعية زين الدين زكريا الانصارى والقاضى الحنفى ناصر الدين محمد الاخميمى والقاضى المالكى عبد الغنى بن تقى الدين والقاضى الحنبلى بدر الدين محمد السعدى * فمن حوادث هذه السنة أن السلطان أحدث مكسا على بيع الغلال وجعل على كل اردب نصف فضة ولم يعهد هذا قبل ذلك وكانت هذه الفعلة من أقبح مساويه واستمر ذلك فى صحيفته الى الآن وفيه قدم على باى نائب الاسكندرية فقرره السلطان فى تقدمة ألف وصار من جملة الامراء المقدمين وفيه قدم الحاج وقد قاسى فى السنة المذكورة مشقة زائدة ولم يجدوا الماء بنخل فعرج بهم أمير الحاج الى جهة عيون

موسى حتى وجدوا الماء وأخبر بعض الحجاج أنه سمع وهو واقف بعرفة ما جرى بمصر من ركوب المماليك وغيره من الاول الى الآخر فعدّ ذلك من النوادر كيف أشيع ذلك بعرفة من غير مخبر أتى هنالك وفيه قدم للسلطان أترجة غريبة الشكل اجتمع فيها سبع عشرة أترجة من أصل واحد فكانت بديعة الخلقة جدا وفيه عاد الشيخ عبد المؤمن العجمى شيخ قبة السلطان التى بالمرج والزيات وكان قد توجه الى ابن عثمان قاصدا عن لسان السلطان وصحبته هدية حافلة الى ابن عثمان من جملتها قماش فاخر وسبع وزرافة وببغا حمراء اللون وغير ذلك أشياء كثيرة فلما عاد عبد المؤمن أخبر بان ابن عثمان قد تلاشى أمر عسكره وبطلت همته عن محاربة عسكر مصر فسر السلطان بهذا الخبر وفيه جاءت الاخبار من حلب بوفاة صالح الكردى حاجب حلب وشيخ الاكراد بها مات قتيلا وفيه جاءت الاخبار من حلب أيضا بقتل محمود بن أبى سعيد صاحب سمرقند قتله محمود بن يونس كان صاحب شاس وملك من بعده سمرقند وكان محمود هذا آخر ذرية تمرلنك وبه زالت دولتهم كانهم لم تكن وهو محمود بن أبى سعيد بن أحمد بن ميرزا شاه بن تمرلنك وكان من أعيان ملوك الشرق وفيه ترشح أمر تمراز الشمسى بان يلى الاتابكية وفى صفر فى مستهله يوم الاثنين عمل السلطان الموكب وخلع على جماعة من الامراء فقرر تمراز الشمسى فى الاتابكية عوضا عن الاتابكى أزبك بن ططخ بحكم نفيه الى مكة المشرفة وخلع على تانى بك الجمالى وقرره فى امرية مجلس عوضا عن تمراز بحكم انتقاله الى الاتابكية وقرر ازبك اليوسفى فى امرية سلاح عوضا عن تانى بك الجمالى بحكم انتقاله الى امرية مجلس وقرر تانى بك قراالاينالى رأس نوبة كبير عوضا عن أزبك اليوسفى بحكم انتقاله الى امرية سلاح وقرر اينال الخسيف فى حجوبية الحجاب عوضا عن تانى بك قرا بحكم انتقاله الى رأس نوبة كبير وأنعم فى هذا الشهر بتقادم ألف على جماعة من مماليكه منهم ماماى بن خداد وقانصوه الحمدى المعروف بالبرجى وكرتباى الاحمر كاشف البحيرة وقانم قريبه وأنعم على جماعة كثيرة ممن هم من عصبة اقبردى بامرية طبلخانات وعشراوات منهم اقباى الطويل وخاربك الدوادار وطقطباى من طبقة الاربعين وطقطباى أيضا من طبقة الطازية وغير ذلك جماعة كثيرة يأتى الكلام عليهم فى موضعه وفيه خلع السلطان على قانى بك الشريفى وقرره فى نيابة الاسكندرية عوضا عن على باى بحكم انتقاله الى التقدمة وفيه توفى المسند شرف الدين القبانى وكان من أهل الفضل لا بأس به وفيه خلع على الاتابكى تمراز وقرره فى نظر البيمارستان المنصورى فتوجه الى هنالك فى موكب حافل وفى ربيع الاول خلع السلطان على شمس الدين محمد ابن مزاحم وقرره فى نظر الاوقاف والاحباس ونظر القرافتين وكان أصله من طرابلس وكان غير مشكور فى أفعاله وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وهذا آخر

موالد السلطان قايتباى ولم يحضر بعد ذلك مولدا وفيه خلع على تانى بك قراوقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وقرر بردبك فى امرية الركب الاول وفيه جاءت الاخبار من القدس بوفاة يشبك الجمالى الذى تقدم ذكره وكان دينا خيرا وأصله من مماليك ناظر الخاص يوسف ابن كاتب جكم ورقى فى دولة الاشرف قايتباى وتولى عدة وظائف سنية منها حسبة القاهرة والزردكاشية الكبرى ثم بقى مقدم ألف وجمع بين الزردكاشية والتقدمة وسافر أمير حاج بركب المحمل غير مامرة وفيه وقع بين الامير اقبردى الدوادار وقرقماس بن ولى الدين أميراخور ثالث واستمرت العداوة بينهما تتزايد حتى كان ماسنذكره وفى ربيع الآخر خلع السلطان على شادبك بن مصطفى المعروف بالخوخ وقرره أميراخور كبير عوضا عن قانصوه خمسمائة بحكم اختفائه وقرر بردبك المحمدى الاينالى أميراخور ثانى وقرر صولان باى بن عينى الاينالى فى الزردكاشية الكبرى عوضا عن يشبك الجمالى بحكم وفاته بالقدس الشريف بطالا وقرر برقوق الساقى الاينالى فى الحسبة عوضا عن كسباى وقرر كسباى فى الدوادارية الثانية وكان يعرف بكسباى الشريفى وقرر مصرباى فى شادية الشراب خاناه وقرر اركماس الحلبى فى نيابة القلعة وقرر سودون العجمى فى استادارية الصحبة وقرر بردبك بن بيرعلى فى تجارة المماليك فخلع السلطان على هؤلاء فى يوم واحد وفيه جاءت الاخبار من المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بان أمير المدينة وجماعته هجموا على حواصل المال التى بها من قبل النذور فاستولى على اثنى عشر ألف دينار وأخذ عدة قناديل ذهب كانت معلقة بالحجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وخرج الى جهة العراق فلم يدرك وفيه أخبر جماعة من الفلكية بان زحلا قد اقترن مع المريخ فى برج الجوزاء وذكروا أن هذا القران سيقع فيه فتن عظيمة عن قريب فأجاب شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفى عن ذلك بقوله

ليس القران بفاعل * كلا ولا بمؤثر
ان المؤثر من له * خلق القران ففكر
فالفعل عنه صادر * كم يامنجم تفترى

وفيه توفى بيغوت قرابن قنجق قرا الاشرفى برسباى أحد الامراء العشراوات وكان لا بأس به فلما مات أنعم السلطان بامريته على تانى بك الابح وفيه رخص المغل جدا حتى بيع كل خمسة أرادب قمح بدينار وبيعت البطة الدقيق بثلاثة أنصاف وعم الرخاء سائر البضائع وفى جمادى الاولى رسم السلطان بقطع أيدى ثمانية أنفار ممن يعمل الدراهم الزغل وكان فيهم شيخ قد أناف على الثمانين سنة من العمر فقطعت أيديهم وشهروا بالقاهرة وفيه توفى قايتباى الناظر الظاهرى خشقدم وكان من الامراء الطبلخانات بدمشق وفيه اذن السلطان

للقاضى بدر الدين محمود بن أجابان يتوجه الى حلب على وظيفته فى قضاء الحنفية وكان قد حج فى العام الماضى وفى جمادى الآخرة نزل جماعة من المنسر على العلائى على بن الصابونى ناظر الخاص وكان فى تربته التى أنشأها فى رأس دور الحسينية فأخذوا جميع ما كان عنده وجرح ابن الصابونى فى يده وكانت واقعة مهولة وفيه مات يشبك دجاج المحمدى الظاهرى چقمق أحد العشراوات وفى رجب توفى الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن عربشاه الدمشقى الحنفى شيخ المدرسة الصرغتمشية وكان من أهل الفضل وكان لا بأس به وقرر عوضه فى مشيخة الصرغتمشية شمس الدين الغزى وفيه جاءت الاخبار بان قانصوه نائب دوركى شنق قاضى المدينة سيف الدين يوسف الحنفى وقد بلغه أنه يكاتب ابن عثمان باخبار هذه المملكة ويدعوهم لذلك وفى شعبان كانت وفاة القاضى عبد الغنى بن الجيعان وهو عبد الغنى بن علم الدين شاكر وكان متولى كتابة الخزانة وكان من خيار بنى الجيعان رئيسا حشما موصوفا بالكرم الزائد ويحكى عنه أشياء فى بره للناس ما لا يحكى عن البرامكة فى أيامهم ومات وهو فى عشر الثمانين وكانت جنازته حافلة وكان أحق بقول القائل

فلو أن البرامك عاينوه * وأنعمه تعم الخلق سقيا

فينضب جعفر ويعوز فضل * ويبلى خالد ويموت يحيا

وفيه هجم المنسر على سوق التجار بجامع ابن طولون وكسروا منه عدة دكاكين وأخذوا ما كان فيها من القماش وراحت على أربابها وفى رمضان توفى سودون اكرش الظاهرى چقمق أحد العشراوات وكان لا بأس به وفيه من الحوادث فى الشهر المذكور أن السلطان نادى للعسكر بالعرض فلما طلعوا الى القلعة أحضر لهم المصحف الشريف الكبير العثمانى وحلفهم عليه قاطبة وكذلك الامراء بان لا يخرجوا عن طاعته ولا يخالفوه فيما يأمر وفيه أنفق السلطان على العسكر وقيل صدقة ففرق على المماليك القرانصة والسيفية الذين كانوا منزلين بالديوان قبل سلطنته هم وجلبانه لكل واحد منهم مائة دينار والسيفية الذين نزلوا أيام سلطنته لكل واحد منهم خمسون دينارا ولاولاد الناس أصحاب الجوامك ألفين لكل واحد عشرون أو ثلاثون دينارا وقيل انه فرق بعد ذلك على الخدم الطواشية لكل واحد منهم عشرون دينارا واثنا عشر دينارا ثم أرسل نفقة للخليفة ولبعض الامراء فبلغت هذه النفقة زيادة عن أربعمائة ألف دينار ولا يعلم ما سبب هذه النفقة التى انفقت من غير موجب لذلك والذى أشيع بين الناس ان السلطان قال أنا لما تسلطنت لم أنفق على العسكر شيأ فهذه فى نظير ذلك والاصح ذلك لانه أنفق على القرانصة العتق والسيفية العتق مائة دينار لكل واحد وعلى الذى تجدد من القرانصة السيفية فى أيامه خمسين دينارا لكل واحد وسماها صدقة والوجه الثانى ما قيل ان السلطان قصده ظهور قانصوه

خمسمائة وكانت له به عناية تامة فأنفق على العسكر حتى أرضاهم بسبب ظهور قانصوه خمسمائة فاسهل ذلك على اقبردى الدوادار وأخذ حذره كما سيأتى ومن العجائب أن مال هذه النفقة كان مجمدا حاضرا وهو من الخمسة أشهر التى أخذها من أجرة الاملاك والاوقاف ومن أوقاف الجوامع والمدارس والبيمارستان وصادر فيها طائفة اليهود والنصارى وتجار الفرنج وتجار المغاربة والبرانسة وغير ذلك من أعيان التجار ومشاهير الناس وكان هذا المال الذى جىء من هذه الجهات تحت يد القاضى على بن الصابونى ناظر الخاص والامير تغرى بردى الاستادار فلما خمدت فتنة ابن عثمان التى كانت سببا لذلك لم يوفق الله تعالى السلطان أن يرد للناس ما أخذه منهم كما فعل الاشرف برسباى لما أخذ من أجناد الحلقة عن اقطاعاتهم بسبب تجريدة شاه روخ بن تمرلنك لما تحرك عليه فى سنة احدى وأربعين وثمانمائة فلما بطل أمر التجريدة وحصل للاشرف برسباى توعك فى جسده رد لاجناد الحلقة ما كان أخذه منهم وكتب ذلك فى صحيفته الى يوم القيامة والاشرف قايتباى جمع هذا المال من وجوه المظالم وحصل للناس بذلك مشقة زائدة وأخرجه فى غير مستحقه لا فى وجه فيه منفعة للمسلمين كما قيل

لست أعطى فى حرام * أبدا الا حراما

وفى شوال قرر عنبر التكرورى فى نيابة تقدمة المماليك ثم بقى بعد ذلك مقدم المماليك وفيه توفى تنم الضبع الظاهرى چقمق أحد الامراء العشراوات وكان أخو تانى بك الجمالى أمير سلاح فلما مات تنم الضبع وقف شخص من الامراء يقال له ملاج بن طط خ الظاهرى چقمق يطلب من السلطان اقطاع تنم الضبع فلم يوافق السلطان على ذلك فحنق ملاج من السلطان فلما نزل ملاج الى داره شنق نفسه من شدة قهره فمات هو وتنم الضبع فى يوم واحد وقد تقدم القول على وفاة ملاج وفيه وقعت الوحشة بين اقبردى الدوادار وبين جان بلاط وسبب ذلك ان جان بلاط طلب امرية الاخورية الكبرى وعينت له فوقف اقبردى وباس الارض على ان يكون شاد بك الخوخ اميرا خور كبير فانعم السلطان على شاد بك بها فمن حينئذ وقعت الوحشة بينهما وقد التف على كرتباى الاحمر ويشبك قر وكان جان بلاط أعز أصحاب اقبردى وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير المحمل الشريف تانى بك قراو أمير الركب الاول بردبك نائب جدة وفيه توفى اركماس الحلبى نائب القلعة وكان لا بأس به وفيه توفى محمد بن نوروز المحمدى الميقاتى وكان علامة فى فن الميقات وفيه ظهر الامير قانصوه خمسمائة وكان مدة اختفائه تسعة أشهر فلما طلع الى القلعة رسم السلطان له بان يأخذ ثوبا بعلبكيا حتى يرق عليه قلب العسكر يعنى جاء وكفنه تحت ابطه فلما وقف بين يدى السلطان قبل الارض وخلع عليه كاملية صوف صينى

بسمور ورسم له بأن يتوجه الى داره ونزل من القلعة فى موكب حافل وصحبته الاتابكى تمراز واقبردى الدوادار فأوصلاه الى داره ورجعا وفى ذى القعدة ثارت فتنة كبيرة من المماليك الجلبان ممن هم من عصبة قانصوه خمسمائة فلبسوا آلة السلاح وطلعوا الى الرميلة وحاصروا اقبردى الدوادار فلما تزايد الامر أحرقوا الربع الذى عند سوق الحلاق فلما بلغ السلطان ركب ونزل الى باب السلسلة وجلس بالمقعد المطل على سوق الخيل بالرميلة فلم تخمش منه المماليك وتزايد الامر ومما أخش به المماليك فى حق السلطان أنه قبل ذلك بمدة طويلة كان السلطان ينام فى الصيف على الدكة التى بالحوش فدخل بعض الخاصكية عليه فى الليل وقالوا له ان المماليك الذين فى طبقة المطلع قد عزموا على أن ينشبوا على السلطان وهو راقد على الدكة فلما بلغ السلطان ذلك قام وبادر وراح من على الدكة فلما أصبح وجد ثلاثة أسهم من النشاب فى المخدة واللحاف الذى كان للسلطان بسبب النوم والتغطية عليه فاوسع السلطان الامر أنه فرق المماليك الذين بطبقة المطلع على الاطباق وجعل على حائط طبقة المطلع بناء يستتر منه رؤية الحوش وقيل ان الذى فعل به ذلك ورمى هو شخص خاصكى من أخصائه يسمى شرامنت فاحضره وضربه بين يديه نحو من ألفى عصا حتى قيل انه مات وضرب معه جماعة من أصحابه وسجنهم بالبرج وقطع جوامكهم وأبطل شرامنت من الخاصكية وذلك قبل فتنة ابن عثمان مع السلطان واستمر السلطان جالسا بالمقعد الذى بباب السلسلة الى ما بعد العصر فبلغه ان اقبردى الدوادار قد غيب من داره فعند ذلك قام السلطان وقد حم فى جسده فركب وطلع الى القلعة وكان هذا آخر ركوبه ورؤية الناس له فلما دخل الى الحوش طلع الى المقعد ودخل الى البيت الذى كان به فلزم الفراش وثقل فى المرض من ليلته ولما غيب اقبردى نهب العوام داره ودور الامراء الذين من عصبته منهم اينال الحسيفى وشادبك وقانم وجانم مصبغة وغيرهم وهذه أول كسرة اقبردى فكان كما قيل

لاتعجبوا للدهر فى أفعاله * ان أضحك الباكى وأبكى الضاحكا

ثم ان السلطان تزايد به الالم وقوى عليه أمر الاسهال المفرط وعجز عن الحركة وكثر القيل والقال بين الناس ثم ان النيل أوفى فى تلك الايام فرسم السلطان لتمراز أمير كبير بان يتوجه ويفتح السد والناس فى غاية الاضطراب ثم طلع الاتابكى تمراز الى القلعة ولبس خلعة بسبب فتح السد هذا كله والسلطان على غير استواء وأشيع أنه فى النزع وقد خرس فلما كان يوم الجمعة خامس عشريه طلع الاتابكى تمراز الى القلعة ودخل على السلطان فى البيت فوجده فى السياق فقال له يا مولانا السلطان ان الاحوال قد فسدت ومن الرأى أن تسلطن سيدى محمدا فلم يرد السلطان له جوابا فاخذ سيدى محمد ابن السلطان ونزل به الى باب

السلسلة

السلسلة فأجلسه فى المقعد الذى هنالك وجلس معه ليوليه السلطنة فانتظر الامير اقبردى الدوادار أن يطلع اليه فاختفى اقبردى ولم يطلع الى القلعة فى ذلك اليوم فلم يشعر تمراز الاوقد هاجمته العساكر كالجراد المنتشر وذلك ان قانصوه خمسمائة وكرتباى الاحمر لما بلغهما أن تمراز الأمير الكبير بباب السلسلة ومعه ابن السلطان لبسوا السلاح وهجموا ودخلوا الميدان من عند حوش العرب وطلعوا الى باب السلسلة من الاصطبل فقبضوا على تمراز الامير الكبير وقيدوه وسجنوه بالبرج الذى بباب السلسلة ثم فى عقيب ذلك اليوم نزلوا به وهو مقيد بقيدين أحدهما برجليه والآخر بركبتيه وخلفه أوجاقى بخنجر فنزلوا به من باب الميدان الذى عند الحوش وتوجهوا به من جهة المجراة الى البحر فانزلوه فى الحراقة وتوجهوا به الى الاسكندرية فسجن بها وكان المتسفر عليه جانم بن برسباى أخو قانصوه الالفى وبطلت الاشاعات بسلطنته فلما جرى ذلك وقع النهب فى داره وفى دار اقبردى الدوادار وجماعة من الامراء ممن كانوا فى عصبة اقبردى الدوادار ثم ان قانصوه خمسمائة وكرتباى الاحمر وجماعة من الامراء ممن هم فى عصبة قانصوه خمسمائة بابا بباب السلسلة واشتوروا فيمن يلى السلطنة فترشح أمر سيدى محمد ابن السلطان ووقع الاتفاق على سلطنته فلما كان يوم السبت سادس عشرى ذى القعدة اجتمع الامراء والعسكر بباب السلسلة وأرسلوا خلف أمير المؤمنين المتوكل على الله أبى العز عبد العزيز فحضر وحضر القضاة الاربعة وهم قاضى القضاة زين الدين زكريا الشافعى وقاضى القضاة ناصر الدين محمد الاخميمى الحنفى وقاضى القضاة عبد الغنى بن تقى المالكى وقاضى القضاة بدر الدين محمد السعدى الحنبلى فلما تكامل المجلس تكلموا فى خلع الاشرف قايتباى بحكم أنه قد أشرف على الموت فخلع وبايع الخليفة ولده الناصرى محمدا بالسلطنة عوضا عن أبيه الاشرف قايتباى وشهد عليه القضاة بذلك هذا كله والسلطان فى النزع لم يشعر بشئ مما جرى فلما كان يوم الاحد سابع عشر الشهر المذكور من سنة احدى وتسعمائة كانت وفاة السلطان الملك الاشرف قايتباى المحمودى الظاهرى الى رحمة الله تعالى فى ذلك اليوم بعد العصر ومات بالقلعة وأخرج صبيحة يوم الاثنين ثامن عشرى ذى القعدة وتوفى وله من العمر نحو من ستة وثمانين سنة ومات وهو بعلة الدبيلة واعترته علة البطن أيضا وامتنع عن الاكل مدة انقطاعه حتى مات وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر واحدا وعشرين يوما بما فيه من مدة انقطاعه عند توعك جسده فانه تسلطن يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وتوفى يوم الاحد سابع عشرى ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة وهذه المدة لم تتفق لاحد من الملوك غيره قبله وعاش عمره كله وهو فى عز وشهامة من حين كان خاصكيا الى أن بقى سلطانا وما تأثر قط ولا سجن ولا

تقيد وكانت عليه سكينة ووقار مهيب الشكل فى العيون جميل الهيئة مبجلا فى موكبه كفؤا للسلطنة وافر العقل سديد الرأى عارفا باحوال المملكة يضع الاشياء فى محلها ولم يكن عجولا فى الامور بطىء العزل لارباب الوظائف يتروى فى الأمور أياما قبل وقوعها وكان لايخرج أقطاع أحد من الجند الا بحكم وفاته ولا من أبناء الناس المقطعين الا بحكم وفاته ويرسل يكشف عليه وهو ميت حتى يصدق بموته وكانت صفته طويل القامة عربى الوجه مصفر اللون نحيف الجسد شائب اللحية تولى الملك وله من العمر أربع وخمسون سنة وكان موصوفا بالشجاعة عارفا بانواع الفروسية ولاسيما فى فن لعب الرمح علامة فى فنه لكنه كان محبا لجمع الاموال ناظرا لما فى ايدى الناس ولولا ذلك لكان يعد من خيار ملوك الجراكسة على الاطلاق ولكنه كان معذورا فى ذلك تحرك عليه فى أيام سلطنته شاه سوار وحسن الطويل وابن عثمان وغير ذلك من ملوك الشرق وغيرهم وجرد عليهم عدة تجاريد كثيرة وهو ثابت على سرير ملكه ولم يتزحزح حتى قيل ضبط ما صرفه على نفقات التجاريد التى جردها فى أيام سلطنته الى أن مات فكانت نحو امن سبعة آلاف ألف دينار وخمسة وستين ألف دينار خارجا عن عما كان ينفقه عند عودهم من التجاريد وهذا من العجائب التى لم يسمع بمثلها وكان مغرما بشراء المماليك حتى قيل لولا الطواعين التى وقعت فى أيامه لكان تكامل عنده ثمانية آلاف مملوك ومن العجائب أنه من بعده قد انحصرت مملكة مصر فى مماليكه فقط دون غيرهم وتسلطن منهم الى الآن أربعة سلاطين وكان متقيا فى نفسه لم يشرب قط خمرا ولا كان يستعمل شيأ من الاشياء المخدرة وكان له اشتغال بالعلم كثير المطالعة فى الكتب وله أذكار وأوراد جليلة الى الآن تتلى فى الجوامع وكان له اعتقاد فى الفقراء ويعظم العلماء عارفا بمقام الناس ينزل كل أحد منزلته وكان تابعا الطريقة الصوفية فى التقشف وكان لايوصف بالكرم الزائد ولا بالبخل المفرط وكان له بر ومعروف ووقف عدة جهات على وجوه البر والصدقة وكانت محاسنه أكثر من مساويه رحمة الله عليه ولم يخلف من الاولاد سوى ولده محمد الذى تسلطن من بعده وكان من سريته اصلبای ولم يتزوج مدة عمره سوى فاطمة بنت العلائى على بن خاص بك واستمرت معه الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وفى أيامه توفى الاديب زين الدين أبو الخير بن النحاس وكان من أعيان الشعراء فى عصره وكانت وفاته بالشام ولما مات الاشرف قايتباى رثاه الشيخ بدر الدين محمد بن الزيتونى بهذا الزجل فقال

يرحم الله سلطاننا الاشرف * كان مؤيد على العدا ظاهر
وكذا ابنوا المظفر المنصور * ينصر الله العادل الناصر
لما زاد الضعف بقايتباى * والدوادار فى غاية الامكان
ويوافق مع الامير تراز * وطلع قانصوه الى الميدان

وأتى القلعة مع كرتباى * والامارة وهدموا البنيان
هرب اقبردى وقيدوا تمراز * وتولى سلطاننا الناصر
من يخالف أمره ومن يعصيه * رد مقهور والامر للقاهر
فولى الملك سادس العشرين * من شهر ذى القعده طلوع شمسو
بعد واحد من السنين تالى * تسعمايه بعد انقضا أمسو
وتوفى أبوه أخير النهار * فى صباحو وارو حلول رمسو
بعد ملكه تسعه وعشرين عام * وأربعه أشهر بالكاتب الحاصر
ويليها واحد وعشرين يوم * لاتزيد أقل ولا آخر
مات الاشرف والقبر صار حاويه * بعد لسعو بالموت وسموحاق
وسر افيه سم الديب حائق * ماوجد لو مردى القضا ترياق
وقد أمسى مرهون بافعالو * وأتت لو آفة قضاه تنساق
لهف قلبى عليه شجاع وقتو * والخوندات تبكى عليه باكر
كم رأينا ثكلى وهى حيه * شعرها صار من حزنها ناشر
لهف قلبى على الامير تمراز * كان موقروهو الامير كبير
والدوادار حولو رجال واعوان * يضربوا بالحسام ومالو كنير
قالوا التمراز ماعندنا غيرك * كن مساعد وانت النظام والمشير
جت جماعه لقانصوه بالخبر * خبر ويه ركب وكان صابر
وطلع للقلعه مسك تمراز * وظفر بيه وصار عليه ظافر
العجب فى الركبه نهار جمعه * من سنه كان فى الازبكية القوم
كيف يوافق لشهر ذى القعده * والعدد فيه خمسه وعشرين يوم
مثل يوم فى الشهر والجمعه * والعدد فيه فاعجب لهذا دوم
والجزا من جنس العمل قالوا * وبهذا صار المثل سائر
كل من كان يحفر لاخيه حفره * مايقع فى الحفرة سوى الحافر
الدوادار وشادبك والخسيف * هم وجانم غابوا عن الحضار
والجمالى نظام أمير سلاح * بالمقعد وكرتباى قد صار
هو المقدم وكاشف الكشاف * ومدبر وزير واستادار
وعلى الكل قانصوه عالى * خمسمايه هو الشاطر الماهر
قد تولى أتابك العسكر * والامير كبير وهو الناظر
خلت دوله كرقعة الشطرنج * والدوادار وقانصوه فى رهان

كم رأينا بيدق من الحاشيه * قد تقدم عند ووصار فرزان
لما ساق الفرس يريد الفيل * غالبهم فى حومة الميدان
ضربوا شاه لما انكشف رخو * ما وجد لو فى رقعتو ساتر
ماتت النفس وانقلب دستوا * وهرب مرماه وهو الخاسر
ضربو تخت الرمل للغياب * جودلتهم دلت على الحضره
ورأينا الالفى نقاخدو * فى بياض وقد أشرقت حمره
واجتماعو باصحابو بالاحباب * وكذا اشكال يلقى بهم نصره
وظهر لو راية فرح فى الطريق * مع جماعة بالعز تتباشر
بانو يطلع وينظر السلطان * مرحبا بالطالع وبالناظر
اعتذارى للى سمع قولى * ان صحبى والقرب يانونى
يطلبونى ويقصدوا فنى * وان توانيت بالعجز يرمونى
أستحى أن أظهر ضعيف نظمى * واحمالى تنسب لزيتونى
ولكنى أبو النجا العونى * ان تجدنى فيما أقول حاضر
استر العيب وارج ثواب سترى * جل من لا عيب فيه وهو الغافر
لو تكون البحار مع الانهار * وجميع المياه وسيل الغمام
حبر جارى وسائر الاعشاب * والنبات والشجر جميع أقلام
والسموات والارض والاكوان * تبقى أوراق طباق ليوم القيام
وجميع العالم يجوا كتاب * يكتبوا المدح فى النبى الطاهر
للقيامه ما يحصروه ذرّ * من مديحو ووصفه الفاخر
كان للاشرف خصال ملاح فاسمع * ما رأينا فى عصرنا مثلو
يا الذى جا يسمع بديع نظمى * خذ وحرر عنى جميع نقلو
وان أتى لك من يطلب التاريخ * والوقائع عن الملوك قلو
يرحم الله سلطاننا الاشرف * كان مؤيد على العدا ظاهر
وكذا ابنو المظفر المنصور * ينصر الله العادل الناصر

وأما ما أنشأه الاشرف قايتباى فى أيام دولته من البنيان الفاخر فأشياء كثيرة منها أنه جدّد عمارة المسجد الشريف النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام لما احترق وأنشأ قبة عظيمة على القبر الشريف النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وأنشأ هناك مدرسة مطلة على الحرم النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وأنشأ مدرسة بمكة المشرفة عند باب السلام وعدة ربوع وأماكن بمكة المشرفه وأنشأ مدرسة ببيت المقدس ومدرسة

وبيوتا ودكاكين بدمشق ومدرسة بغزه ومدرسة بثغر دمياط ومدرسة بثغر الاسكندرية
والبرج العظيم الذى أنشأه مكان الفنار القديم والبرج الذى بثغر رشيد وأما ما أنشأه من
البنيان بالديار المصرية فالجامع الذى بالصحراء مكان تربته وجامع بالروضة وجامع برأس
الكبش وجامع بباب الخرق عند الشيخ سلطان شاه والسبيل والمكتب الذى بقرب تحت
الربع وجامع لطيف خارج باب القرافة وجدّد عمارة قبة الامام الشافعى رضى الله عنه
ورحمه وأنشأ زاوية بالمرج والزيات ومدرسة بالخانقاه وغير ذلك من الجوامع والمدارس
فى أماكن شتى من البلاد وأنشأ السبيل الذى برأس سويقة عبد المنعم وأنشأ بالقاهرة
عدة زوايا وأسبلة وصهاريج وغير ذلك وعدة ربوع وحوانيت فى مواضع متفرقة وجعلها
وقفا على الدشيشة التى قد كان قررها بالمدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
وأما ما أنشأه بالقلعة فالمقعد الذى أنشأه داخل الحوش والمبيتان اللذان حوله والحواصل
التى بجوار قاعة البحرة وجدد عمارة الايوان الناصرى الذى بالقلعة وأنشأ مواضع كثيرة
بالقلعة وجدد عمارة قناطر أبى المنجا والقناطر التى بشبرمنت بالجيزة وأنشأ هناك رصيفا
وحصل به غاية النفع فى أيام النيل للمسافرين وجدّد عمارة قنطرة باب البحر وجدّد عمارة
الميدان الكبير الذى بجوار البركة الناصرية وصرف عليه جملة مال وجدّد مقام سيدى
أحمد البدوى وبناه بناء حافلا ووسعه وجدّد بناء زاوية الشيخ عماد الدين رحمه الله وجدّد
عمارة باب القرافة وأنشأ هناك الربوع وأنشأ مقعدا ومبيتا وجنينة بدار البقر التى تحت
القلعة وجدّد عمارة جامع الرحمة الذى بغيط جانى بك نائب جدة وأنشأ عدة ربوع بالخشابين
والبندقانيين وبالجامع الازهر وغير ذلك وله عدة أماكن قد أنشأها وحصل بها النفع
العام للمسلمين وأما ما أبطله فى أيام سلطنته من شعار المملكة فخدمة القصر بالشاش
والقماش وقد قررته الملوك السالفة لاقامة الحرمة ونظام المملكة وأبطل الرمايات
التى تعمل ببركة الحبش ودخول الملوك الى القاهرة والعسكر قدامها بالشاش والقماش ويكون
يوما مشهودا وأبطل لبس الصوف بالمطعم وكان الملك يشق من القاهرة وهو لابس الصوف
هو والامراء ويكون لهم يوم مشهود وأبطل المركب المسماة بالذهبية وكانت من شعار
المملكة ولاسيما فى يوم الوفاء بالنيل وكانت الملوك تتوجه فيها الى المقياس وكان بها
ستون مقذافا وأبطل المركب المسماة بالدرمونة وكانت تحمل مغل الحرمين
الشريفين وكانت غريبة الهيئة فى شكلها وأبطل دوران المحمل الرجبى فى أيام
سلطنته وما كان يعمل فيه وأبطل المسايرات التى كانت تعمل فى تلك الايام وكان ينفق فى مدة
دوران المحمل ما لا ينحصر وأبطل فى أيام سلطنته أشياء كثيرة من شعار المملكة
لم نذكرها خوف الاطالة ولكن آخر من مشى من السلاطين على النظام القديم مما ذكرناه
الظاهر خشقدم رحمه الله تعالى وأما ما عدّله من المساوى فانه لما تولى السلطنة ندب

يشبك الدوادار المتولى الوزارة فقطع لحوم جماعة من الناس كانت مرتبة لايتام ونساء أرامل وكانت تباع وتشترى من الناس من الديوان الى آخر دولة الظاهر خشقدم وكانت الوزراء تتبع بالسداد لذلك ثم فعل مثل ذلك بالجوامك وقطع عدة جوامك لجماعة من أولاد الناس والذى أبقاه أخذ منه مائة دينار ممن له جامكية ألف درهم وأخذ ممن له جامكية ألف درهم خمسين دينارا وذلك بسبب بدل تجريدة سوار ممن لم يسافر للتجريدة وأخذ من أجرة الاملاك والاوقاف من الجوامع والترب بالقاهرة وغيرها أجرة سبعة أشهر وحصل للناس بذلك الضرر الشامل وصادر اليهود والنصارى فى أيامه مرتين وصادر جماعة من أعيان التجار ومن تجار الارياف والبرانسة ورمى على البلاد التى فى الشرقية شيأ يقال له الخمس بسبب خيالة تخرج مع التجريدة الى ابن عثمان وفعل مثل ذلك بعربان جبل نابلس ثم قطع هذا الخمس من خراج المقطعين ومنها انه كان ولى جماعة من مماليكه عوضا عن مشايخ العربان فجاروا أيضا على الفلاحين وأخذوا منهم غير العادة أضعافا وكذلك الكشاف يقرر عليهم الاموال فيجوروا أيضا على البلاد ويأخذوا المال أمثالا فمن يومئذ تلاشى أمر البلاد وانحط خراج المقطعين جدا ومنها أنه أحدث مكسا على بيع الغلال وجعل على كل اردب نصف فضة خارجا عن ثمنه لمن يشترى أو يبيع وقد تزايد الامر بعده فى ذلك حتى صار على كل اردب نصفان وهو أول من أحدث تفرقة الجامكية بحضرته وضيق على الناس ولم يفعل ذلك أحد قبله من الملوك وكان مقدم المماليك وأحد رؤس النوب يتولى تفرقة الجامكية فى الايوان ولم يشعر السلطان بذلك فبطل ذلك واستمرت من يومئذ تتفرق بحضرة السلطان الى الآن ومنها انه فعل بجماعة من المباشرين وغيرهم الافعال الشنيعة منها شنق القاضى ابن المقسى وتوسيط مجد الدين ابن البقرى الاستادار وغير ذلك مما تقدم ذكره وقطع يد ابراهيم بن فريعين صير فى الجامكية وكان فى سن الشيخوخة وعاش بعد ذلك مدة طويلة وهو أقطع وقد رتب له السلطان ما يكفيه الى أن مات وهو أول من أحدث بردارية السلطان ولم تكن هذه الوظيفة قبل ذلك تعرف فصارت زيادة مظلمة أخرى ومن محاسن الاشرف قايتباى رحمة الله عليه انه كان فى شدة غضبه يستحيل فى الحال راضيا ويزول ما كان عنده من الحدة وهذه من أجل الخصال وبالجملة كانت محاسنه أكثر من مساويه وكان من خيار ملوك الترك بالنسبة لمن جاء بعده من السلاطين ولو لم يكن عنده بعض طمع لكان أجل ملوك الجراكسة وكان من خيارهم ولكن كما يقال

ومن الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وقال بعض الشعراء

اذا أنت لم تنفع فضر فانما * يرجى الفتى كيما يضر وينفع

انتهى ما أوردناه من أخبار الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى وذلك على سبيل الاختصار ولما مات تولى ابنه محمد

ذكر سلطنة الملك الناصر أبى السعادات ناصر الدين محمد ابن الملك الاشرف أبى النصر قايتباى المحمودى الظاهرى

وهو الثانى والاربعون من ملوك الترك وأولادهم فى العدد وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية تقدم أنه بويع له بالسلطنة يوم السبت سادس عشرى ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة وقد تقدم ان قانصوه خمسمائة وكرتباى الاحمر والامراء الذين بلوغهم لما هجموا على الامير تمراز بباب السلسلة قبضوا عليه وقيد وأرسل الى السجن بثغر الاسكندرية فلما جرى ذلك وقع الاتفاق على سلطنة الناصر محمد ابن السلطان قايتباى فأحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وخلعوا الاشرف قايتباى من السلطنة وبايعوا ولده من غير عهد له من أبيه ولقبوه بالملك الناصر وكنى بابى السعادات وكان تلقب بالمنصور أولا ثم قرر لقبه بالناصر فلما انقضى أمر المبايعة أحضر اليه شعار الملك وهى الجبة السوداء وقد فصلت على قدره ولفت له عمامة لطيفة مناسبة له وتقلد بالسيف الحمائلى وقدمت اليه فرس النوبة بالسرج الذهب والكنبوش وركب من سلم الحراقة وكانت مبايعته فى الساعة الرابعة من النهار والماضى من الشروق ثمانية وأربعون درجة والطالع بالميزان فلما ركب تقدم قانصوه خمسمائة وحمل القبة والطير على رأسه وقد ترشح أمره لأن يلى الاتابكية فركب السلطان والخليفة معه ومشى بين يديه الامراء حتى طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وقبل له الامراء الارض وضربت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء من الخاص والعام وفى حال جلوسه على سرير الملك خلع على الخليفة ونزل الى داره وخلع على قانصوه خمسمائة وقرره أميرا كبيرا عوضا عن تمراز الشمسى وخلع على جان بلاط بن يشبك وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن اقبردى الدوادار وخلع على تانى بك الجمالى وصيره نظام الملك مضافا لما بيده من امرية سلاح وكان القائم فى هذه الامور وتدبيرها كرتباى الاحمر هذا كله جرى والاشرف قايتباى فى النزع لم يشعر بما وقع من هذه الامور ولو كان واعيا لما مكن الامراء أن يسلطنوا ولده ولا كان هذا قصده وكان الملك الناصر لما تولى الملك له من العمر نحو أربع عشرة سنة وأشهر وقد قارب البلوغ وكان مولده سنة سبع وثمانين

وثمانمائة وكانت أمه جركسية تسمى أصلباى من مشترى الاشرف قايتباى وكان الملك الناصر محمد هذا جميل الهيئة مليح الشكل وعنده عترسة وجراءة فى الامور متحركا فى نفسه وعنده رهج وخفة ومما مدح به قول القائل

ان العناصر فى سلطاننا اجتمعت * شمائل بهرت من حين مولده
قد ناسب النار عزما والهوى خلقا * والبحر جودا وملك الارض فى يده

ولما كان يوم الاحد سابع عشرى هذا الشهر كانت وفاة الملك الاشرف قايتباى رحمة الله عليه توفى بعد العصر من ذلك اليوم وبات بالقلعة فطافت له نذراء بالقاهرة وهم يقولون يصلى غدا باكر النهار على العبد الفقير الى الله تعالى الملك الاشرف قايتباى رحمه الله فتأسف عليه الكثير من الناس فلما كان يوم الاثنين ثامن عشريه وهو اليوم الثالث من سلطنة ولده شرع الامراء فى تجهيزه واخراجه فغسل فى البيت الذى مات فيه وأخرج نعشه قدام الدكة التى بالحوش وصلى عليه هناك ونزلوا به من سلم المدرج ومشت قدامه الامراء والعسكر قاطبة وكانت جنازته مشهودة بخلاف من يموت من الملوك فتوجهوا به الى تربته التى أنشأها بالقرب من زاوية سيدى عبد الله المنوفى رحمه الله فدفن بها وانقضت مدته من الدنيا كأنها لم تكن وزال ملكه بعد أن حكم بالبلاد الشامية والبلاد المصرية تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر واحدا وعشرين يوما وهذه المدة لم تتفق لاحد من ملوك الترك قبله وقد قيل فى المعنى

ان الذى اغتر بالدنيا وزينتها * وظل فيها بحب المال مفتونا
أتت اليه المنايا وهى مسرعة * فاصبح الجسم تحت الترب مدفونا
قد فارق الاهل والاوطان وانقطعت * آماله وغدا فى القبر مرهونا
خلا بأعماله ما كان من حسن * أو من قبيح به قد صار مقرونا

وفى ذى الحجة فرق السلطان الملك الناصر الضحايا على العادة للعسكر وفيه أنعم السلطان بتقادم ألوف على جماعة من الامراء منهم أزبك اليوسفى الظاهرى جقمق المعروف بقشق وكسباى الزينى ويشبك العجمى المعروف بقمر وقرقماس بن ولى الدين وفيه كتب المراسيم بحضور الامراء الذين كانوا أخرجوا الى النفى من حين كانت وقعة قانصوه خمسمائة وانبردى وكتب بحضور قانصوه الشامى الذى كان قرر فى نيابة حماه وقرر عوضه بنيابة حماه اركماس أحد المقدمين بدمشق وكتب بحضور قانصوه الالفى أيضا وبقية الامراء المنفيين وفيه ظهر تغرى بردى الاستادار وكان له مدة وهو مختف تزيد على أربع سنين وكان قد فر خوفا من السلطان قايتباى لما تجمد عليه مال له صورة وفيه جاءت الاخبار بقتل أحمد بن بهادر نائب قلعة صفد وكان لا بأس به وقد قتله كرتباى أخو اقبردى الدوادار

وكان

وكان كرتباى يومئذ نائب صفد فخرجت المراسيم بقبضه على يد خاصكى يقال له الماس بن ولى الدين فلما تحقق كرتباى ذلك ضرب عنق الماس وأحمد بن بهادر نائب القلعة وخرج من مدينة صفد وفيه عينت نيابة صفد لبردبك الطويل عوضا عن كرتباى بحكم صرفه عنها وفيه قرر القاضى عبد القادر القصروى فى نظر الجوالى وهذه أول وظائفه وفيه عظم أمر الاتابكى قانصوه خمسمائة الى الغاية حتى انه لم يصل مع السلطان صلاة عيد النحر ولا صلاة الجمعة ثم أمر باخراج مماليك اقبردى الدوادار الى أماكن شتى من البلاد وكان قد تخوف منهم وفيه توفى الشيخ الصالح المعتقد سيدى على الغزال وكان مقيما بخانقاه سرياقوس وفيه فرق الملك الناصر جملة أقاطيع كانت فى الذخيرة من أيام الاشرف قايتباى وكانت نحو امن ألف اقطاع ففرقت على المماليك جميعا ما بين أقاطيع ورزق وغير ذلك وفيه قرر جان بلاط الغورى فى نيابة القلعة عوضا عن ايدكى وفيه قرر طراباى الشريفى أميرا خور رابع عوضا عن تغرى بردى يونس السيفى الدوادار بحكم انتقاله الى امرية الاخورية الثالثة وفيه قرر السيد الشريف عبد الرحيم الحموى فى كتابة سر دمشق عوضا عن محب الدين الاسلمى فاقام بها مدة وعزل عنها وتوجه الى ابن عثمان فاكرمه وفيه قرر بخشباى فى تقدمة ألف بدمشق ثم تولى نيابة حماه فيما بعد وفيه قرر كرتباى الاحمر فى الوزارة والاستادارية وكاشف الكشاف مضافا لما بيده من تقدمة ألف وصار صاحب الحل والعقد فى تلك الايام فاظهر أشياء كثيرة من أنواع العدل منها أنه أبطل وظيفة نظر الاوقاف ونودى بذلك فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء وأبطل عدة مكوس ومظالم وحجر على البردارية والرسل والنقباء أن لا يأخذوا من الاخصام أكثر من نصفى فضة وأن أحدا منهم لا يقرر على أحد رسما ولو دام كرتباى بمصر لحصل للناس به خير وفيه قبض على القاضى أبى المنصور صاحب ديوان اقبردى الدوادار فتسلمه الامير جان بلاط الدوادار وضربه ضربا مبرحا وقرر عليه مالا له صورة وفيه خلع على الامير اقباى الطويل نائب غزة واستمر على نيابته بغزة وكان أشيع عزله لانه كان من عصبة اقبردى الدوادار فلما أراد أن يتوجه الى غزة أخذ معه اقبردى الدوادار فى الخفية فلما بلغ قانصوه وكرتباى الاحمر أن اقبردى الدوادار خرج صحبة اقباى الطويل بعثا اليه والى الشرطة الى الخانقاه ففتشوا حوله حتى الحوايج خاناه وستر الله تعالى على اقبردى حتى خرج من القاهرة ولم يظفر به أحد وهذا كان سبب خروج اقبردى من مصر وتوجهه الى غزة وكبسوا بسببه فى ذلك اليوم عدة أماكن ودوروا بالخانقاه حتى هجموا هنالك الجوامع والزوايا وحصل الضرر الشامل بسبب ذلك للناس وقيل انه لما خرج من الخانقاه فتشوا سنيح الامير اقباى الطويل أيضا وكان قد اختفى اقبردى فى الدست الكبير الزخمية لما حملوها على الجمال فستر الله عليه وفيه نزل السلطان الملك الناصر من القلعة وتوجه الى القرافة فزار وعاد الى

القلعة وهذا أول ركوبه فى حال السلطنة وفيه حضر الامير خشكلدى السيفى وكان مقيما بدمشق من أيام الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى فلما حضر أكرمه السلطان وكان من أمره ماسنذكره فى موضعه وفيه كثرت الاشاعات بوقوع فتنة فبادر الاتابكى قانصوه وقبض على جماعة من طائفة الاينالية نحو ستة عشر نفرا وأخرجوا مع نقيب الجيش شيأ فشيأ وتوجهوا نحو البلاد فكان منهم بردبك المحمدى وبرقوق ودولات باى بن عيسى وآخرون وفيه قوى الفحص والتفتيش على اقبردى الدوادار وهجموا بسببه عدة دور فلم يجدوه ولم يعلموا أنه خرج صحبة أقباى نائب غزة

902 ❁ (ثم دخلت سنة اثنتين وتسعمائة) فيها فى المحرم كان خليفة الوقت يومئذ الامام المتوكل على الله عبد العزيز العباسى وكان سلطان العصر يومئذ الناصر أبو السعادات محمد ابن الاشرف قايتباى والقضاة الاربعة على الحكم الاول كما تقدم وكان الاتابكى قانصوه خمسمائة ونظام الملك تانى بك الجمالى الظاهرى والدوادار الكبير جان بلاط بن يشبك والاستادار كرتباى الاحمر وفيه خرج اصطمر بن ولى الدين ومعه عدة من الجند بسبب القبض على أمير الحاج تانى بك قرا الاينالى فلاقاه من عجرود وقيده وبعث به من هناك الى ثغر الاسكندرية فسجن بها مع تمراز أمير كبير كان وفيه جاءت الاخبار بقتل عساف الحبشى نائب صيدا وبيروت وكان من مشاهير الرؤساء وله شهرة زائدة بتلك البلاد وفيه كانت نفقة البيعة على الجند فأنفق على الجند على العادة ولكن لم يعط مائة دينار كاملة لغير القايتباهية وأعطى من دون ذلك لكل واحد خمسون دينارا وأنفق على أولاد الناس ثلاثين دينارا وفيه أحضر السلطان المصحف العثمانى وحلف عليه سائر الامراء والعسكر ولم يطلع الاتابكى قانصوه خمسمائة ولا حلف ولكن طلع بعد أيام وحلف أيمانا غير صادقة كما يقال فى المعنى

خان اليمين وعهد الود قد فسخا ❁ ولا ترى قط صدقا خالصا نسخا

وفيه قرر دولات باى بن اركماس الساقى فى نيابة البيرة وخرج اليها عن قريب ودولات باى هذا هو الذى يولى الاتابكية بمصر وفيه قبض كرتباى الاحمر على شمس الدين الفرنوى امام اقبردى الدوادار وعاقبه أشد العقوبة وتسلم أيضا المنصور وعاقبه أشد العقوبة وجرى لهما أمور يطول شرحها وما خلصا الا بعد جهد كبير وكان السلطان له عناية فى الباطن بجماعة اقبردى الدوادار وفيه قبض كرتباى الاحمر على جماعة من الامراء العشراوات ممن كان من عصبة اقبردى الدوادار منهم اسنباى الابراهمى المعروف بالاصم وبرسباى السلحدار وجانى بك بن ازدمر المعروف بالصغير وبخشباى بن عبد الكريم وطقطباى ابن بردبك الدوادار ومن الخاصكية تمراز جوشن وايناك السلحدار وقانصوه الساقى وأبو يزيد

الصغير وآخرون غيرهم ولم يكن ذلك باختيار السلطان وفيه توفى الشيخ حمزة بن محمد ابن حسن بن على بن عبد الحليم المغربى اليحياوى المالكى وكان عالما فاضلا مقيما بالخانقاه الشيخونية وكان لا بأس به وفيه رسم السلطان للخليفة بان يطلع الى القلعة ليسكن فيها كما كان ساكنا من قبل وكان السلطان قايتباى رسم له بأن ينزل ويسكن بالمدينة عند ما حرق حاصل الخيام كما تقدم وفيه من الحوادث أن السلطان ضرب امرأة بين يديه بالمقارع وشهرت على حمارة وفى عنقها زنجير وهذا لم يعهد قط فلما طاش الملك الناصر وخف وكل كرتباى الاحمر أربعة من الخاصكية يمنعونه من اللعب مع أولاد العوام ومن كل تصرف فى شئ وصار تانى بك الجمالى نظام الملك يبيت عنده كل ليلة بالقلعة ومع ذلك ما ارعوى وما حصل من هذا طائل وزاد فى الطيشان حتى خرج فى ذلك عن الحد وكان منه ما سنذكره فى موضعه وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد نفى تانى بك قرا من عجرود فلما دخل المحمل طلبه السلطان عنده بالقلعة ليراه ولم يكن رآه قط قبل ذلك وفيه أنعم السلطان بتقدمة تانى بك قراعلى قيت الرجبى وفيه ان من جملة طيشان الملك الناصر أنه خرج لصلاة الجمعة وهو بغير كلوته بل بتخفيفة صغيرة فشق ذلك على الامراء وعابوا عليه هذه الفعلة وفى صفر خلع السلطان على قانصوه الشامى الذى كان نائب حماه وقرره فى الرأس نوبة الكبرى عوضا عن تانى بك قرا المابقى أمير مجلس ونفى الى الاسكندرية وفيه قرر فى مشيخة تربة الامير يشبك بن مهدى الدوادار الكبير كان الشيخ أبو النجا الفوى الواعظ وكان من أهل الفضل وفيه من الحوادث ان الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز عهد للشيخ جلال الدين الاسيوطى بوظيفة لم يسمع بمثلها قط وهو أنه جعله على جميع القضاة قاضيا كبيرا يولى منهم من يشاء ويعزل منهم من يشاء مطلقا فى سائر ممالك الاسلام وهذه الوظيفة لم يلها قط سوى القاضى تاج الدين ابن بنت الاعز فى دولة بنى أيوب فلما بلغ القضاة ذلك شق عليهم واستخفوا عقل الخليفة فى ذلك وقالوا ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ولا ولاية ولا عزل ولكن الخليفة استخف بالسلطان لكونه صغيرا فلما قامت الدائرة والالسنة على الخليفة رجع عن ذلك وقال ايش كنت أنا الشيخ جلال الدين هو الذى حسن لى ذلك وقال لى هذه كانت وظيفة قديمة وكان الخلفاء يولونها من يختارونه من العلماء ثم أشهدوا على الخليفة بالرجوع عن ذلك وبعث أخذ العهد الذى كان كتبه للشيخ جلال الدين الاسيوطى وكادت أن تكون فتنة كبيرة بسبب ذلك ووقعت أمور يطول شرحها ثم سكن الحال بعد مدة وفيه أشيع أن الاتابكى أزبك قد حضر من مكة فى الخفية فاضطربت أحوال المماليك الجلبان وكادوا أن ينشؤا فتنة ولم يكن لتلك الاشاعة صحة وفيه عزل الشهابى أحمد ناظر الجيش وتولى القاضى محيى الدين عبد القادر القصروى

وكان الساعى له فى ذلك جان بلاط الدوادار وكان من أخصائه وفيها ابتدأ الامراء المقدمون فى لبس التخافيف التى بالقرون الطوال وقد خرجوا فى ذلك عن الحد وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء

يقول أميرنا لما تبدى * أنا فى الحرب ذو القرنين دعنى
أنا كبش وأعدائى نعاج * اذا برزوا فأنطحها بقرنى

وفيه خلع السلطان على قانصوه الالفى وقرره أميراخور كبير عوضا عن شادبك الخوخ بحكم انتقاله وفيه أنعم السلطان على دولات باى الفلاح بتقدمة ألف وصار من جملة المقدمين وفيه خلع السلطان على بخشباى وقرره فى نيابة قلعة دمشق بعدما كانت بيد غيره وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وفيه جاءت الاخبار بوفاة كرتباى نائب البيرة وكان قصد الحضور الى مصر فمات ببعلبك وفى ربيع الاول خلع السلطان على الناصرى محمد بن الشهابى أحمد بن العينى وقرره فى نظر الجوالى عوضا عن عبد القادر القصروى وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وهذا أول مولده فلما جلس بين الامراء اعتراه النعاس حتى رش الماء على وجهه كى يستفيق وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه الى تربة والده فزار قبره ثم توجه من هناك الى قبة الامير يشبك الدوادار التى بالمطرية ثم عاد الى القلعة وشق من القاهرة فى موكب حافل وفيه خلع السلطان على كرتباى ابن عمة السلطان وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وفيه قرر قانصوه الدوادار يشبك فى امرية ميسرة بحلب ثم جرى عليه بعد ذلك أمور شتى وفيه قرر قصروه فى نيابة الكرك كما كان أولا وفيه قرر طومان باى الخازندار فى نيابة الاسكندرية فأقام بها مدة يسيرة ثم عاد الى القاهرة وطومان باى هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وتلقب بالعادل وفيه حضر الى القاهرة قانى باى الرماح وكان أتابكا بحلب وصرف عنها وفى ربيع الآخر سافر سيباى الدوادار الثانى الى جهة غزة بسبب اقبردى الدوادار وقد ثبت أنه عند اقباى نائب غزة ثم جاءت الاخبار بأن اقبردى الدوادار خرج من غزة هو واقباى نائب غزة وتوجها الى البلاد الشامية فتأثر الامراء لذلك وضربوا مشورة فى أمره فوقع الاتفاق على أن يكتبوا له بأمان من السلطان والامراء فكتبوا له أمانا وأرسلوه له وكل هذا عين الخداع وفيه قرر محمد بن أبى يزيد فى نظر البيمارستان المنصورى وكان قد عظم أمره فى تلك الايام جدا وفيه جاءت الاخبار بوفاة قانصوه نائب قلعة الروم وكان لا بأس به وفى جمادى الاولى نزل السلطان من القلعة وتوجه الى قبة يشبك الدوادار التى فى المطرية وبات بها ثم طلع الى القلعة وشق من القاهرة وزينت له وكان يوما مشهودا وفيه تزايدت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة ونقل الناس أمتعتهم من الدور فلما كثر الكلام فى ذلك أحضر السلطان المصحف العثمانى وطلع به الى

القلعة وحلف عليه الأمراء والجند بأن يكونوا كلمة واحدة ويكونوا عباد الله اخوانا وأن الامراء الذين هم من عصبة الأمير أقبردى الدوادار يظهرون ويكونون واياهم شيأ واحدا فوافق الاتابكى قانصوه خمسمائة على ذلك وكذلك كرتباى الاحمر وبقية الامراء فلما جرى ذلك نادى السلطان فى القاهرة بأن الغياب الذين من عصبة اقبردى يظهرون ولهم الأمان من السلطان فعند ذلك ظهر شادبك الخوخ الذى كان أميرا خور كبيرا وينال الحسيف الذى كان حاجب الحجاب وقانم قريب السلطان أحد المقدمين بمصر وجانم مصبغة فلما ظهروا وطلعوا الى القلعة خلع عليهم السلطان كوامل بسمور وذلك فى يوم الثلاثاء سابع عشرى الشهر المذكور ثم رسم لهم السلطان بأن يتوجهوا الى دار الاتابكى قانصوه خمسمائة التى بقناطر السباع ويقبلوا يده فتوجهوا الى هناك وقبلوا يد الاتابكى قانصوه خمسمائة ورجعوا الى بيوتهم فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم أرسل الاتابكى قانصوه خلفهم وزعم أنه يضيفهم ويمدلهم مدة فحضر اليه شادبك الخوخ وينال الحسيف وقانم قريب السلطان ولم يحضر صحبتهم جانم مصبغة وكان صاحب الرأى فى عدم حضوره فلما اجتمعوا عند الاتابكى قانصوه طاولهم بالكلام ثم أحضر لهم سفرة الشراب فشربوا ولم يجلس معهم شادبك ثم فتحوا بينهم باب العتاب واستمروا على ذلك حتى تنصف الليل فلم يشعروا الا وقد دخل عليهم مصرباى الثور والى القاهرة فقبض على الثلاثة وتوجه بهم الى نحو الجزيرة الوسطى فقيل انه أغرقهم هناك وكان هذا آخر العهد بهم كما قيل فى المعنى

لما رأيت الغدر منهم بدا * والبغض من أعينهم لى يلوح
فقلت للقلب ارتجع عنهم * ما قصدهم منك سوى أخذ روح

فلما كان يوم الثلاثاء ليلة الاربعاء ثامن عشريه صلى الاتابكى قانصوه العشاء وركب بمن معه من الامراء والعسكر وهجم وملك باب السلسلة وكان قانصوه الالفى أميرا خور كبير فأحوجه يدق باب السلسلة ولا ينتظر الجواب فلما كان يوم الاربعاء صبيحة تلك الليلة جلس الاتابكى قانصوه خمسمائة فى الحراقة التى بباب السلسلة وأرسل خلف أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز فحضر وحضر القضاة الاربعة واجتمع عنده أربعة عشر مقدم ألف والعسكر قاطبة من الامراء والجند فلما تكامل المجلس مشوا مع الخليفة فى خلع الملك الناصر وتولية قانصوه خمسمائة فخلع الناصر من السلطنة بصورة شرعية وكتب بذلك صورة محضر وشهد فيه جماعة كثيرة وتوبيع قانصوه خمسمائة بالسلطنة وتلقب بالاشرف أبى النصر على لقب استاذه الاشرف قايتباى فلما تمت بيعته قبل له الامراء الارض والعسكر قاطبة ونودى له فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء من الخاص والعام وخلع على شخص يسمى جانم أخا قانصوه الالفى وجعله والى القاهرة وكان

قانصوه خمسمائة محبا للناس قاطبة بخلاف اقبردى فلما لم يبق سوى أن يفاض عليه شعار الملك ويركب فرس النوبة ويحمل على رأسه القبة والطير ويصعد الى القلعة ويجلس على سرير الملك وقع عند ذلك العجائب والغرائب كما يقال فى المعنى

ستقضى لنا الايام غير الذى قضت * ويحدث من بعد الامور أمور

ثم ان قانصوه خمسمائة بعث بعض الامراء الى القلعة بأن يقبض على الملك الناصر ويدخله الى قاعة البحرة فتعصب له جماعة من مماليك أبيه الذين كانوا بالطباق وجداريته وكتابه وكانوا نحوا من ألف مملوك وكان رأس الجلبان قانصوه خال الملك الناصر فمنعوه من دخول قاعة البحرة ومن اعطائه الترس والسمجاة ولم يكن عند الناصر أحد من الامراء فقام قانصوه فى محاربة قانصوه خمسمائة أشد القيام وقاتل هو والجلبان قتال الموت فلكوا فى ذلك اليوم رأس الصوة وسلم المدرج والطبلخاناه وعمد قانصوه خال السلطان الى الزردخانه ففتحها وأخرج منها زرديات وخوذا وقسيا ونشابا وفرقها على المماليك الجلبان وكان البدرى حسن بن الطولونى نائبا بالقلعة فاحضر البخارين والحجارين فعملوا أشياء من الطوارق والمدافع وكان عند الملك الناصر عدة وافرة من العبيد رماة ما بين بندق رصاص ونفطيه فحاصروا قانصوه خمسمائة وهو بباب السلسلة أشد المحاصرة ثم ان كرتباى الاحمر توجه خلف القلعة ونصب مكحلة على الجبل المقطم تجاه القلعة ورمى بها على الحوش السلطانى فلم يفد ذلك شيأ ثم ان قانصوه خمسمائة نادى فى القاهرة بأن أولاد الناس النفطية تطلع الى باب السلسلة ويبيتون بها فلم يطلع اليه أحد منهم فاستمر قانصوه فى المحاصرة وهو مقيم بباب السلسلة والخليفة والقضاة الاربعة والامراء عنده واستمر على ذلك يوم الاربعاء والخميس فلما كان يوم الجمعة مستهل جمادى الآخرة وقع فى ذلك اليوم واقعة مهولة وقت صلاة الجمعة وأحرق المماليك الذين بالقلعة سقيفة الاصطبل السلطانى بحراريق وبارود رموه عليها فاحترق الاصطبل وصار المقعد الذى بباب السلسلة مكشوفا فخاف قانصوه خمسمائة على نفسه أن يرموا عليه شيأ من فوق وكانت سقيفة الاصطبل تمنع الرمى عن المقعد الذى بباب السلسلة فلما رأى قانصوه خمسمائة عين الغلب ركب ونزل من باب السلسلة ووقف عند سبيل المؤمنين فحرر عليه بعض الرماة بكفيه وقيل ببندقية فجاءت على طرق أذنه جواز فسقط عن فرسه الى الارض وقد أغمى عليه وغاب عن الوجود فحمله الغلمان على أعناقهم وبقى لباسه بتكته باقيا للناس ورأسه مكشوفة وعليها زنط أقرع فنزلوا به من الصليبة وهو على هذه الهيئة فلما وصلوا به الى المدرسة الجاولية أركبوه على حمار وهو مغمى عليه لا يدرى ما جرى له فلما وصلوا به الى درب الشمسى اختفى فى مكان هناك وكانت هذه الواقعة من أعجب الوقائع كما قيل

وبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

فلما

فلما انكسر قانصوه وخرج من باب السلسلة على أنحس حال نزل المماليك الجلبان من القلعة الى باب السلسلة ونهبوا كل مافيه من سلاح وقماش وغير ذلك ونهبوا طشخاناة الامراء والخليفة وخطفوا عمائم القضاة ونوابهم وماسلم الخليفة والقضاة من القتل الا السلامة وقتل فى هذه الحركة جماعة من الجند وقتل شخص من الامراء العشراوات يقال له كشبغا وكانت النصرة للملك الناصر على قانصوه خمسمائة على غير القياس بعد أن ملك باب السلسلة وبايعه الخليفة وتلقب بالأشرف واجتمع عنده سائر الامراء المقدمين من الظاهرية الجقمقية والقايتباهية وسائر العسكر من كبير وصغير وقبلوا له الارض قاطبة فاورث الخذلان وانتصر عليه الملك الناصر وكان قد استخف به لصغر سنه وقلة عصبته فكان كما قيل فى المعنى

ولا تحقرن صغيرا رماك * وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

﴿وقال آخر﴾

لا تحقرن كيد الصغير فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب

﴿وقال آخر﴾

لا تحقرن صغيرا فى مخاصمة * ان الذبابة تدمى مقلة الأسد

فلما كان يوم السبت مستهل جمادى الآخرة طلع الخليفة الى القلعة والقضاة الاربعة يهنؤن السلطان بالشهر وبهذه النصرة التى حصلت له ثم ان الخليفة أعاد الناصر الى السلطنة وبايعه ثانيا وكان خلع من السلطنة وأقام ثلاثة أيام الى أن عاد اليها وقيل ان الملك الناصر رشد فى ذلك اليوم وثبت رشده وأباح له التصرف فى المملكة بما يختار ثم انه خلع على الخليفة ونزل الى داره وضربت البشائر بالقلعة وتخلق جماعة السلطان بالزعفران وفرق على الخاصكية سلاريات حرير أصفر بسنجاب وتوشحوا بالبنود الحرير الاصفر وفى ذلك اليوم رسم السلطان بالافراج عن الاتابكى تمراز الشمسى وتانى بك فتوجهوا بالمراسيم الى ثغر الاسكندرية الى مغلباى الشريفى وهو الآن الزردكاشى الكبير وكتب السلطان أيضا مراسيم الى اقبردى الدوادار بالحضور وتوجه اليه جانى باى وفى ذلك اليوم خلع السلطان على اينال السلحدار وقرره فى ولاية القاهرة عوضا عن مصرباى الثورى بحكم اختفائه وصرف نظر الجيش عن عبد القادر القصروى، وأعيد اليها الشهابى أحمد بن ناظر الخاص يوسف وقرر البدرى محمد بن كمال الدين ناظر الجيش فى نظر الجوالى عوضا عن الناصرى محمد بن العينى بحكم صرفه عنها وقرر شمس الدين الفرنوى فى نظر الاحباس عوضا عن محمد بن مزاحم الطرابلسى وعين الأمير سودون العجمى فى نيابة الاسكندرية عوضا

عن قانى بردى البهلوان وأرسل بالقبض عليه فلما جرى ذلك وقع النهب فى بيوت الامراء الذين اختفوا لما انكسر قانصوه خمسمائة وأقامت القاهرة نحوا من أربع عشرة ليلة لم يدق فيها طبلخانات بموجب اختفائهم واضطربت الاحوال وفى هذه المدة كانت القلعة شاغرة لم يقم بها خدمة ولا يصعد اليها أمير والاشاعات كل ليلة قائمة بوقوع فتنة وكثر القال والقيل فى ذلك وامتنع الناس من السفر الى الشرقية والغربية لتزايد فساد العربان فى الطرقات والقاهرة مائجة باهلها يترقبون وقوع فتنة كبيرة وفيه من الوقائع أنه لما انكسر قانصوه خمسمائة توجه فى ذلك اليوم قانصوه الشامى ومصرباى والى القاهرة فخرجا على جرائد الخيل الى برا الجيزة وتوجها من هنالك الى ثغر الاسكندرية ليقتلا الاتابكى تمراز وتانى بك قراو وكانا بالسجن بالاسكندرية كما تقدم وكان قانى بردى البهلوان أخو قانصوه خمسمائة يومئذ نائب الاسكندرية فلم يشك بأن نائب الاسكندرية يمكنهما من قتل الاتابكى تمراز وتانى بك قراو كان تدبيرهما فى يد غيرهما فبينما هما فى أثناء الطريق اذ خرج عليهما جماعة من العربان فى تروجة فتحاربا معهم فانكسرا وقبضت عليهما العربان فقتل مصرباى الشور وحزت رأسه وعلقت على باب الاسكندرية وأما قانصوه الشامى فقبضوا عليه وأحضروه الى الاسكندرية فسجن بالبرج الذى كان فيه الاتابكى تمراز والمجازاة من جنس العمل وكانت مدة سجن الاتابكى تمراز بالاسكندرية ستة أشهر وأياما وكذلك تانى بك قراو بعده بمدة يسيرة وأخرجا من السجن معا وقد قيل

وكم من طالب يسعى لشئ * وفيه هلاكه لو كان يدرى

فأقام قانصوه الشامى أياما فى السجن بثغر الاسكندرية وفيه بعث السلطان مراسيم على يد قانصوه دوادار الامير شادبك الخوخ الذى قتل بضرب عنق قانصوه الشامى فلما وصلت المراسيم الى ثغر الاسكندرية أخرج قانصوه الشامى من برج الاسكندرية وتوجه به الى آخر المدينة وضرب عنقه قيل وكان المشاعلى غائبا والذى ضرب عنقه كان صبى المشاعلى وقيل انه ضربه ثلاث ضربات حتى أطاح رأسه وعذبه غاية التعذيب وذلك أن قانصوه دوادار شادبك الخوخ أخذ بثار أستاذه منه وعلقت رأسه على باب الاسكندرية وهى مشهورة فكان أول من قتل من الامراء وكان شجاعا بطلا عارفا بانواع الفروسية وكان لا بأس به وفى أثنائه وصل الاتابكى تمراز وتانى بك قراو فخرج الناس الى ملتقاهم وطلعا الى القلعة فى موكب حافل وعليهما الملاليط الطرح فلما قابلا السلطان خلع عليهما ثم أعاد تمرازا الى الاتابكية عوضا عن قانصوه خمسمائة وخلع على تانى بك قراو وقرره فى امرية مجلس عوضا عن أزبك اليوسفى المعروف بالخازندار وأنعم على قانى بك المعروف بنائب الاسكندرية وقرره من جملة المقدمى الالوف وقرر خشكلدى فى

استدارية

استادارية الصحبة وعزل اينال السلحدار عن ولاية القاهرة وقرر بها قانصوه الفاجر عوضا عن اينال وفيه أنعم السلطان على مصرباى الشريفى شاد الشرابخاناه بتقدمة ألف وخلع على خاله المقر السيفى قانصوه بن قانصوه وقرره فى شادية الشرابخاناه وأنعم عليه بامرية طبلخاناه وهذا أول ظهوره بمصر واشتهاره وكان من جملة مماليك السلطان الجمدارية ولم يكن خاصكيا فخدمه السعد جملة واحدة واستمر يرتقى الى أن بقى سلطانا كما سيأتى ذكره فى موضعه فلما بقى شاد الشرابخاناه اجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية وصار السعى لارباب الوظائف من بابه وعولت الناس على أشغالها فى ردجوابه فهذا كله جرى وقانصوه خمسمائة من حين انكسر مختف والاشاعات قائمة بوقوع فتنة كبيرة وصار الناس على رؤسهم طيرة ثم أشيع بين الناس ان المماليك الذين من عصبة قانصوه خمسمائة يقصدون قتل الاتابكى تمراز وتانى بك قرا فرسم لهما السلطان بأن يطلعا الى القلعة ويقيما بها حتى يكون من الامر مايكون فطلع الاتابكى تمراز وتانى بك قراوأقاما فى الجامع الصغير الذى هو داخل الحوش السلطانى أياما فلما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة ظهر الاشرف قانصوه خمسمائة من مكان فى درب المرسينة الذى عند قناطر السباع وكان قد أشيع بأنه قد خرج على وجهه من حين انهزم من الرميلة فلما ظهر تسامع به من كان من عصبته وأتوا اليه أفواجا أفواجا فركب من هنالك وتوجه الى الميدان الناصرى الذى عند البركة وعلى رأسه صنجق فلما تسامع به العسكر حضر عنده جماعة من الامراء ممن كان من عصبته واختفى يوم الهزيمة فحضر قانصوه الالفى وجان بلاط بن يشبك وماماى وقرقماس بن ولى الدين وقانصوه المحمدى وقيت الرجبى وكرتباى الاحمر وكسباى الشريفى ويشبك قرقفهؤلاء مقدموا ألوف وحضر من الامراء الطبلخانات والعشراوات جماعة كثيرة فلما تكاثر هنالك العسكر ضاق بهم الميدان فحسن ينال قانصوه خمسمائة أن يأخذ العسكر ويتوجه الى الازبكية فتوجه الى هنالك ونزل بدار الاتابكى أزبك فلم يحضر اليه من العسكر الاقليل فتلاشى أمره وبان عليه الخذلان وهو لا ينته عما هو فيه كما يقال فى الامثال

الموت فى طلب النار * ولا الحياة فى العار

﴿وقال آخر﴾

فموتى فى الوغى عيشى لانى * رأيت العيش فى أرب النفوس

فبات تلك الليلة هنالك فى الازبكية فلما أصبح يوم الاربعاء تسحب من كان عنده من العسكر ولم يبق عنده منهم لاقليل ولا كثير وتوجه الامير كرتباى الاحمر الى المطرية وخليج الزعفران لاجل أخذ الخيول فانها كانت فى الربيع وبلغ قانصوه خمسمائة أن المماليك الجلبان نازلة من الطبقات وهم مشاة وقد وصلوا الى رأس البندقانيين فلما تحقق ذلك طلب الفرس وركب هو ومن عنده من الامراء المقدمين والطبلخانات والعشراوات نحو من

عشرين أميرا والطواشى فيروز الزمام ومنهم قايتباى الاقرع الزردكاش وبرسباى الخسيف أمير اخور ثانى وقرقماس الشريفى المحتسب واسنباى المبشر وتمراز الشيخ ودولات باى المصارع وازدمر الخازندار ودولات باى جركس وتمرباى المحمدى كاشف الشرقية وسودون الدوادار وطومان باى أخو الامير جانم وآخرون من الامراء فخرجوا من الازبكية بعد طلوع الشمس وهم على جرائد الخيل وتوجهوا نحو خانقاه سرياقوس بعد ان أخذوا خيول السلطان وغيره من الربيع وكان آخر العهد بهم وقد قتلوا أجمعين كما سيأتى ذكره فكانت هذه ثالث كسرة وقعت لقانصوه خمسمائة وكان أرسل معكوس الحركات فى سائر أفعاله لم يطب طبه وكان ذلك خذلانا من الله تعالى له وقد قيل فى المعنى

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر
فان نال بالسعى المنى تم سعده * وان حالت الاقدار كان له العذر

فلما وصل المماليك الجلبان الى الازبكية وجدوا قانصوه قد تسحب منها وكان الاتابكى تمراز نزل مع جماعة من الجلبان من على باب الخرق وأتوا الى الازبكية والجماعة الثانية مع تانى بك قراز نزلوا وتوجهوا من البندقانيين من على قنطرة الموسكى وأتوا الى الازبكية من هناك فلم يجدوا بها أحدا فاحرقوا طبلخانة الامير أزبك ونهبوا داره والربوع التى هناك ونهبوا قناديل الجامع والحصر التى به وكان هناك حواصل للاتابكى فيها خيام ونشاب فنهبوا ذلك جميعه ونهبوا دور سكان الازبكية فكان كما يقال

غيرى جنى وأنا المعذب فيكم * فكأننى سباية المتندم

وفيه جاءت الاخبار بأن قانصوه خمسمائة لما خرج من الازبكية قصد التوجه الى غزة ليقتل اقبردى الدوادار ولكن فاته الشنب وكان مقيما عند اقباى نائب غزة وكان السلطان أرسل خلفه ليحضر الى القاهرة وكان يظن أن الوقت قد صفا له بكسرة قانصوه خمسمائة فقصد التوجه الى الديار المصرية فلما خرج من غزة ووصل الى خان يونس الذى هناك فلم يشعر الا وقد دهمته عساكر قانصوه خمسمائة ولم يكن عنده علم بذلك فاحاطوا به وكان بينهما واقعة قوية مهولة فانكسر اقبردى الدوادار ودخل الى خان يونس وأغلق عليه الباب فحاصره قانصوه خمسمائة أشد المحاصرة وأحرق باب الخان وأشرف أن يظفر به فلما رأى اقبردى عين الغلبة طلب من قانصوه خمسمائة الامان فلم يعطه الامان فبينما هو على ذلك وقد دنت الشمس للغروب واذا باقباى نائب غزة وايناك باى نائب طرابلس وشيخ العرب بن بيعه ومعهم جماعة من العربان والعشير أتوا ليتوجهوا مع اقبردى الى القاهرة فوجدوه فى المحاصرة وهو فى خان يونس فكان كما يقال * فى أضيق الوقت يأتى الله بالفرج *

فكان بينهما واقعة لم يسمع بمثلها فلما حال بينهما الليل انكسر قانصوه خمسمائة ومن معه من الامراء والعسكر وهذه رابع كسرة وقعت لقانصوه خمسمائة فكان كما يقال

والنفس لا تنتهى عن نيل مرتبة * حتى تروم التى من دونها العطب

فكان أول من أسر من الامراء اماماى بن خداد فحزت رأسه بين يدى اقبردى ثم حزت رأس فيروز الزمام وحزت رأس سودون الدوادار وأما قانصوه خمسمائة فمن الناس من يقول انه قتل فى المعركة وحزت رأسه وأخذت فرسه والهيا كل التى كان حاملها ومن الناس من يقول انه لما انكسر وحال بينهما الليل ركب فرسه وكان مجروحا فنجا بنفسه ولم يعلم له خبر والاصح أنه قتل وحزت رأسه وأحضرت بين يدى اقبردى ودخلت رأسه الى القاهرة وهى على رمح وصار الناس بعد ذلك يشكون فى قتله الى الآن ويزعمون أنه باق فى قيد الحياة الى الآن وهذا من الأمور المستحيلة وقد قضى الامر فى قتله فلما كان صبيحة يوم الواقعة صار اقبردى يقبض على الامراء الذين كانوا صحبة قانصوه خمسمائة فقبض عليهم من الغيطان التى هنالك والخانات فأمسك منهم قانصوه الالفى وكسباى الزينى ويشبك قرومن الامراء الطبلخانات والعشراوات زيادة عن عشرين ممن تقدم ذكرهم فلما قبض عليهم قيدهم وقبض على جماعة من الخاصكية ممن كان صحبة قانصوه خمسمائة واستمر وافى أسره حتى كان من أمرهم ماسنذكره فى موضعه هذا ما كان من أمر قانصوه خمسمائة واقبردى الدوادار وأما ما كان من أمر الملك الناصر بعد حركة قانصوه خمسمائة فانه صار مع مماليك أبيه فى الضنك وهو يهدد كل يوم بالقتل حتى امتنع من صلاة الجمعة وصار الاتابكى تمراز فى غاية المشقة وقد وعد بالقتل غير مامرة وفيه فى يوم السبت تاسع عشريه وقعت قلقلة بين المماليك والامراء بالقلعة فقال المماليك للامراء غيروا لقب السلطان ولقبوه بالاشرف على لقب أبيه فطال الكلام فى ذلك فقالت الامراء كيف يكون هذا الامر بعد ما خرجت عدة مناشير ومربعات الى البلاد الشامية باسم الملك الناصر فكيف يغير لقبه بالملك الاشرف فقال المماليك لا بد من ذلك وصمموا على قولهم فعند ذلك غير لقبه ونودى فى القاهرة بان السلطان تغير لقبه وتلقب بالملك الاشرف فتعجب الناس من ذلك وصار الخطباء منهم من يخطب باسم الملك الناصر ومنهم من يخطب باسم الملك الاشرف وكان سبب تغير لقب السلطان أنه أخرج خرجا من المماليك فصاروا يسمون الناصرية ومماليك أبيه يسمون الاشرفية فصارت المماليك الناصرية أرجح كفة من المماليك الاشرفية فأطاقوا ذلك وقالوا لقبوا السلطان بالاشرف ونصير كلنا أشرفية فازالوا على ذلك حتى فعلوه وتقرب هذه الواقعة مما اتفق للملك الصالح أمير حاج ابن الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون الالفى أنه تسلطن أولا وتلقب بالملك الصالح الى ان خلعه الظاهر برقوق من السلطنة

وتسلطن عوضه فلما أعيد الى السلطنة ثانيا وخلع برقوق من السلطنة فى فتنة يلبغا الناصرى ومنطاش غير والقبه بعد مضى ثمانية أشهر ولقبوه بالملك المنصور وقد تقدم سبب ذلك وفيه كثر الاضطراب بالديار المصرية وامتنع الامراء من طلوع الخدمة وكثر بين الناس القال والقيل بأن المماليك يقصدون الهجوم على السلطان ويقتلونه فرسم السلطان بسد باب السلسلة وباب المبدان وباب الحوش الذى يلى العرب فسدوها بالحجر واستمروا على ذلك مدة طويلة فكان الناس يطلعون الى القلعة من باب المدرج فقط ويطلعون الى باب السلسلة من الباب الذى عند الصوة تحت الطبلخانات وفى رجب خلع السلطان على ابن سيف وقرره فى امرية آل فضل عوضا عن أبيه وفيه رسم السلطان بنفى أزبك قشق الظاهرى چقمق وفيه أنعم السلطان بتقادم ألوف على بردبك نائب جدة ومصر باى وقرقماس التنمى ولكن لم يتم له ذلك فيما بعد وقرر فى نيابة غزة عوضا عن اقباى كما سيأتى الكلام عليه وفيه أنعم السلطان أيضا على قانى بك نائب الاسكندرية وصار من جملة المقدمين وقرر مغلباى البجمقدار فى الخازندارية الكبرى وفيه هجم المنسر على سوق باب اللوق وأخذوا أموال التجار وفتحوا عدة من الدكاكين وفعلوا مثل ذلك بسوق تحت الربع وكسروا منه عدة دكاكين وأخذوا ما فيها وفيه قبض الملك الناصر على القاضى كاتب السر بدر الدين ابن مزهر واودعه بالطشتخاناه التى بجوار البحرة وقرر عليه أموالا لا يقدر عليها وهذه أول نكباته وقاسى من البهدلة والانكاد ما يطول شرحه واستمر بعد ذلك فى النكبات وهى تترادف عليه شيأ بعد شئ حتى كان فيه هلاكه كما سيأتى ذكر ذلك وكان سبب ذلك أنه يوم مبايعة قانصوه خمسمائة كان هو المذبذب له وأظهر البشر والفرح فى ذلك اليوم فصار له ذنب عند الملك الناصر بسبب ذلك ومن جملة ما قاساه أن الناصر لكمه على عينه فنفرت من مكانها وكادت أن تذهب وأقام أياما وعينه مرفودة وهو فى التوكيل به أياما حتى أورد ما لاله صورة مما قرر عليه وفيه رسم السلطان للاتابكى تمراز والامير تانى بك قراباًن ينزلا الى دورهما وكانا بجامع القلعة من حين ركب قانصوه خمسمائة وانكسر كما تقدم ذكر ذلك وخلع عليهما ونزلا الى دورهما فى غاية التعظيم وفيه جاءت الاخبار بنصرة أقبردى الدوادار على قانصوه خمسمائة فلما تحقق السلطان ذلك نادى فى القاهرة بالزينة ودقت البشائر بالقلعة وفيه فى يوم الخميس رابع رجب جاءت رؤس من قتل فى المعركة على خان يونس كما تقدم ذكر ذلك فكان عدة الرؤس التى حضرت الى القاهرة أربعا وثلاثين رأسا وهى معلقة على رماح وينادى عليها هذا جزاء من يخامر ويعصى على السلطان وكان من جملة تلك الرؤس رأس ماماى بن خداداً حد المقدمين وكان رئيسا حشما وافر العقل شجاعا بطلا وكان من خواص الاشرف قايتباى توجه قاصدا الى ابن عثمان غير مرة وتولى من

الوظائف الدوادارية الثانية ثم بقي مقدم ألف وهو الذي جدد الدار المعظمة التي بين القصرين وصرف عليها جملة مال عظيم ومن جملة الرؤس رأس فيروز الطواشي الزمام فلم يرث له أحد من الناس ولا أثنى عليه خيرا وكان عنده خفة وطيش ومن الامراء العشراوات بخشباى بن عبد الكريم وتمربای كاشف الشرقية وسودون الدوادار ومن الخاصكية عدة وافرة منهم قايتباى بن قيت الرجبي وخاربك دوادار الاتابكي أزبك وأزبك البيري السيفي جانبك نائب جدة وآخرون من الخاصكية المماليك السلطانية وكان آخر الرؤس الذي تسلطن وما كان أغناه عن هذه السلطنة فصنعوا له عيونا من زجاج حتى يعرف بها من بين الرؤس وكان قانصوه خمسمائة أميرا جليلا موصوفا بالشجاعة وافر العقل كثير الادب والحشمة ويقال كان أصله من مماليك الملك الظاهر خشقدم من كتابيته واشتراه الاشرف قايتباى وأعتقه فهو من عتقائه وتولى من الوظائف الدوادارية الثانية والاميراخورية الكبرى ثم بقي أتابك العساكر بمصر ثم تسلطن وتلقب بالاشرف وأقام في السلطنة ثلاثة أيام وخرب بسببه عدة دور وقتلت جماعة كثيرة من الامراء وكان قانصوه خمسمائة ليس له سعد في حركاته وقتل وهو في عشر الخمسين فلما عرضوا تلك الرؤس شك أكثر الناس بان هذه ليس برأس قانصوه خمسمائة واستمروا على ذلك الى الآن والاصح أنها رأسه فأمر السلطان أن تعلق بباب زويلة وباب النصر واستمرت الكؤسات تدق بالقلعة سبعة أيام وكذلك بيوت الامراء المقدمين ثم ان اقبردى الدوادار أرسل يشاور السلطان في أمر هؤلاء الامراء الذين أسروا بخان يونس فبرزت اليه المراسيم الشريفة بقتلهم أجمعين فلما وصل اقبردى الى الخطارة سلم هؤلاء الامراء الى شيخ العرب أحمد بن قاسم بن بقر فأتى بهم الى فاقوس وقتلهم أجمعين تحت جميزة كانت هناك ثم رموهم ببئر كانت هناك وانقضت أخبارهم وقيل ان الذي باشر قتلهم تانى بك أبو شامة وقتل تانى بك أبو شامة بعد مدة يسيرة كما سيأتي الكلام عليه ومثل ما تعمل شاة الحمى في القرظ يعمل القرظ في جلدها فكان عدة من قتل هناك من الامراء نحو امن خمسة عشر أميرا منهم مقدموألوف ثلاثة وهم قانصوه الالفي وكسباى الزيني ويشبك قرو كان قانصوه الالفي من خواص الاشرف قايتباى وتولى من الوظائف الدوادارية الثانية ثم بقي مقدم ألف ثم بقي أميراخور وكسباى الزيني تولى حسبة القاهرة والدوادارية الثانية ثم بقي مقدم ألف ويشبك قرتولى ولاية القاهرة ثم بقي مقدم ألف ومات بقية الامراء عشرميتة حتى قيل ان العرب قطعوا أرجلهم بالخناجر حتى أخذوا منها القيود الحديد وألقوهم هناك في بئر خراب وأما من قتل هناك من الامراء الطبلخانات فالامير قايتباى الاقرع الزردكاش الكبير وبرسباى الخسيف أميراخور ثاني وقرقاس الشريفي المحتسب واسنباى المبشر استادار الصحبة وتمرباى وتمراز الشيخ ودولات باى بن جركس

وازدمر الخازندار ودولات باى المصارع وآخرون من الامراء العشراوات وقد تقدم القول على ذلك وكانت هذه الواقعة من أشنع الوقائع وأبشعها وكان قانصوه خمسمائة لما تسحب من الازبكية وقصد التوجه الى غزة أخذ عدة خيول للسلطان وللناس كانت فى المرابط على البرسيم فى زمن الربيع فحصل بسبب ذلك غاية الضرر وكانت تلك الايام كلها اضطراب وفيه أرسل السلطان الملك الناصر يستحث اقبردى الدوادار على الدخول الى القاهرة وكان ظن أن الوقت قد صفا له ولكن حدث بعد ذلك أمور يأتى الكلام عليها وفيه خلع السلطان على جوهر المعينى وقرره فى الزمامية عوضا عن فيروز الرومى بحكم قتله كما تقدم وقرر عبد اللطيف الرومى فى الخازندارية الكبرى عوضا عن فيروز أيضا وفيه أنعم السلطان على قانى باى الرماح بتقدمة ألف وكان أمير عشرة وولى نيابة صهيون قبل ذلك وفيه خلع السلطان على أبى يزيد الصغير وقرره فى باشية مكة المشرفة وكان ذلك باختياره خوفا على نفسه من القتل والفتن وفيه من الحوادث أن مماليك الاتابكى تمراز قتلوا شخصا من خواصه يقال له محمد البارنبالى وكان من وسائط السوء عند تمراز وكان صاحب ديوانه ومباشره فما أطاق المماليك فعله فقتلوه وهو جالس بباب الاتابكى تمراز وتعصب لهم بعض مماليك السلطان فلم يطلع من يد الاتابكى تمراز فى حقهم شئ وراح القتل فى كيس محمد البارنبالى وفيه ابتدأ الملك الناصر فى الطيش ومخالطة الاوباش والاطراف وحملت اليه مركب صغيرة فجعلها فى البحيرة ووضع بها حلوا وفاكهة وجبنا مقليا وصار ينزل فى المركب بنفسه ويبيع كما يصنع البياعون فى المتفرجات وكان كل ذلك خفة لصغر سنه ثم انه عرض المحابيس فاطلق منهم جماعة وأمر باتلاف سبعة أنفار من المفسدين كانوا معهم فى السجن ثم أدخلهم الى الحوش الذى قدام باب قاعة البحيرة فوسطهم بيده وعلمه المشاعلى كيف يوسط ثم قطع أيديهم وآذانهم وألسنتهم بيده والمشاعلى يعلمه كيف يصنع وهذا كله من أقبح الفعال التى لا تليق بالملوك ولكن قصد أن يمشى على طريقة الملك الناصر فرج بن برقوق وهى أنحس طريقة وفى يوم الاحد رابع عشر رجب كان دخول اقبردى الدوادار الى القاهرة فزينت له ودخل فى موكب حافل وطلب طلبا عظيما وكان له يوم مشهود ودخل معه من الامراء اقباى نائب غزة واينال باى نائب طرابلس وشيخ العرب ابراهيم بن بيعة وجماعة من الامراء والخاصكية ممن كان من عصبته وفر معه منهم بردبك الحمدى الخازندار الاينالى ودولات باى ومغلباى عسل نحل وجانم الاجرود فهؤلاء من الاينالية وأما من كان من القايتباهية فهم اسنباى الاصم وبرسباى السلحدار وجانى بك الصغير وآخرون وأحضر صحبته جماعة ممن كان فر معه قانصوه خمسمائة من الخاصكية والمماليك السلطانية ممن أسر منهم وهم فى جناز يرحديد فقصد اقبردى أن يدخل بهم قدامه وهم فى جناز ير وكانوا نحو مائتى انسان

فتعصب لهم خشداشينهم وقالوا متى فعل ذلك قتلناه فرجع عن ذلك وكان أحضر معه رأس قانصوه الالفى وكسباى الزينى ويشبك قراز الذين قتلوا فى الخطارة وقصد أن يشهرهم على الرماح قدامه ليدخل الى القاهرة فلم يجسر يفعل ذلك ولكن عرضهم على السلطان فيما بعد فى الخفية ولم يشعر بهم أحد فلما شق القاهرة وطلع الى القلعة خلع السلطان عليه وعلى من جاء صحبته من الامراء وعلى شيخ العرب بن نبيعة ونزلوا الى دورهم ثم ان الملك الناصر قصد أن يفتك بالمماليك الذين حضروا صحبة اقبردى ممن أسر على خان يونس فما جسر على ذلك وخشى من وقوع فتنة فاوسعه الا أنه عفا عنهم وأنفق على كل واحد منهم عشرة دنانير وأطلقهم وخمدت فتنة قانصوه خمسمائة وفيه عمل السلطان الموكب وحضر الاتابكى تمراز وتانى بك قراأمير مجلس وأقبردى الدوادار ثم أحضر المصحف العثمانى الى القلعة فحلف عليه الاتابكى تمراز وتانى بك قراز واقبردى الدوادار ولم يكن حلفهم قبل اليوم بانهم لا يخامروا ولا يعصوا ولا يركبوا على السلطان فحلفوا على ذلك ثم انه خلع على اقبردى الدوادار وقرره فى امرية سلاح عوضا عن تانى بك الجمالى بحكم أنه اختفى وقرره أيضا فى الدوادارية الكبرى عوضا عن جان بلاط بن يشبك بحكم اختفائه وقرره أيضا فى الوزارة والاستادارية الكبرى وكاشف الكشاف عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم اختفائه أيضا فصار كما كان يشبك بن مهدى وكان نهاية سعد اقبردى فأقام على ذلك مدة يسيرة نحو من شهرين وكان من أمره ما سنذكره فى موضعه وفيه قرر كرتباى أميرا خور كبير عوضا عن قانصوه الالفى بحكم قتله وفيه خلع السلطان على اقباى نائب غزة وقرره فى رأس نوبة الكبرى عوضا عن قانصوه الشامى بحكم قتله بالاسكندرية وأنعم على جانم الاجرود كاشف منفلوط بتقدمة ألف وأنعم على بردبك المحمدى بتقدمة ألف وأنعم على كرتباى أخو اقبردى بتقدمة ألف وقرر اينال باى نائب طرابلس على حاله فأقام فى القاهرة أياما ورجع الى طرابلس على عادته وفيه رسم السلطان لكاتب السر وناظر الجيش أن لا يخرجوا مراسيم سلطانية ولا مربعات ولا مناشير الا بختم من وراء العلامة السلطانية وأن يكتبوا أيضا وراء العلامة ما تضمنه ذلك المرسوم وفيه قويت الاشاعات بوقوع فتنة وأخذ السلطان فى تحصين القلعة ونقل اليها أشياء كثيرة من الدقيق والبقسماط والاحطاب والماء والعليق وغير ذلك وكانت الاحوال فى غاية الاضطراب وظهر غالب من كان اختفى من عصبة قانصوه خمسمائة وانتموا الى قانصوه خال السلطان والتفوا عليه بغضا فى اقبردى الدوادار وقد تلاشى أمره لما عاد فى هذه المرة وصار مهددا بالقتل فى كل ليلة ولم تنفذ له كلمة كما يقال

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فحيثما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا

فكان زوال اقبردى عن قريب وفى شعبان أنعم السلطان بامرية عشرة على قراكز البهلوان وهى امرية قايتباى الشرفى الذى قتل بغزة وفيه حضر الى الابواب الشريفة بردبك الطويل نائب صفد فلم يأذن له السلطان بالاجتماع به ومنع من الطلوع الى القلعة عند حضوره وقاسى من أقبردى الدوادار غاية البهدلة وفيه أمر السلطان بان تقطع الحيات التى تصنع فى البيمارستان بحضرته حتى يتفرّج عليها فاحضروها بين يديه بقاعة البحرة فقطعت بحضرته وهو ينظر اليها وخلع على رئيس الطب شمس الدين القوصونى وولده والحاوى الذى أحضر الحيات وآخرين منهم وفيه أنعم السلطان على طومان باى الخاصكى بالخازندارية وامرية عشرة وكان قد قدم من البلاد الشامية وطومان باى هذا هو الذى تسلطن فيما بعد وتلقب بالملك العادل وكان بين امرية العشرة وسلطنته دون الاربع سنين وفيه هجم المنسر على سوق أمير الجيوش وأخذوا منه أشياء كثيرة من عدّة دكاكين وقتلوا الغفير وراحت على أصحابها وفيه خلع السلطان على جانم المصبغة وقرره فى حجوبية الحجاب عوضا عن اينال الخسيف وفيه رسم السلطان بشنق عبد القادر صبى القصيرى وفيه جاءت الاخبار من دمشق بقتل شمس الدين بن بدر الدين حسن بن المزلق الدمشقى مات مذبوحا بدمشق وهو فى داره وكان متولى قضاء الشافعية بدمشق وفيه جاءت الاخبار بوفاة رستم صاحب العراقين وديار بكر وكان لا بأس به وفيه ثارت فتنة من المماليك الجلبان على السلطان وطلبوا منه نفقة بسبب هذه النصرة التى وقعت له فأنفق عليهم بعد ما كانت فتنة كبيرة بسبب ذلك فبلغت هذه النفقة نحو من خمسمائة ألف دينار وصودر فيها جماعة كثيرة من المباشرين وغيرهم وفيه صار السلطان يخرج اقطاعات الناس والرزق بل والاملاك ويفرقها على مماليكه الجلبان وحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك وفيه قرر السلطان تمراز جوشن أمير اخور ثانى وقرر قصروه فى نيابة القلعة وفيه قبض اقبردى الدوادار على داود بن عمر أمير هواره وقد آل أمره فيما بعد الى أنه شنق على باب شونة منفلوط بالوجه القبلى لامور حقدها عليه وفيه جاءت الاخبار من نواحى هرمز بان خسف بها مدينة كاملة باهلها وفيه أكمل السلطان النفقة على الجند والامراء وفيه توفى شهاب الدين أحمد بن عامر المغربى المالكى شيخ تربة الاشرف قايتباى وكان عالما فاضلا صالحا متقشفا لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بأن الطاعون قد وقع بمدينة غزة وهو زاحف نحو البلاد المصرية وفيه خلع السلطان على وفاء الماوردى وقرره فى امرية دون أمير شكار وأمر له بان يتزيا برى الاتراك ويلبس التخفيفة التى بالقرون والسلارى القصير الكم وكان عاميا يلبس لبس العوام فعدّ ذلك من نواقص الملك الناصر وفيه تزايد أذى الجلبان فى حق اقبردى وصار مهددا بالقتل فى كل يوم حتى سأل السلطان أن يوليه نيابة الشام ويخرج اليها

خوفا

خوفا على نفسه من الجلبان فلم يسمح له السلطان بذلك وفى رمضان فى أول ليلة منه لم يطلع أحد من الامراء ولا أفطر عند السلطان على جارى العادة وكثرت الاشاعات بوقوع فتنة كبيرة بسبب اقبردى فلما كان يوم السبت رابع شهر رمضان ركب الامير اقبردى ووافقه على ذلك تانى بك قراأمير مجلس واقباى نائب غزة رأس نوبة النوب وجانم مصبغة حاجب الحجاب وجانم الاجرود كاشف منفلوط أحد المقدمين وغير ذلك من الامراء الطبلخانات والعشراوات والجم الغفير من الجند ممن كان من عصبة اقبردى فوقع فى ذلك اليوم واقعة مهولة فانكسر اقبردى بعد العصر واختفى فلما دخل الليل هرب اقبردى هو ومماليكه وأخذ صحبته اقباى نائب غزة رأس نوبة كبير فلما هرب توجه نحو الصعيد فاقام به حتى كان من أمره ما سنذكره وفيه توفى خالص الطواشى التكرورى مقدم المماليك وكان عنده اين جانب وكان لا بأس به فلما مات قرر فى تقدمة المماليك مثقال الحبشى البرهانى الذى كان مقدم المماليك ونفى الى القدس وأعيد الى القاهرة وفيه اشتد الحر وعز وجود السقائين وتكالب الناس على الرواياو الجمال حتى تخانقوا بالعصى وبلغ سعر راوية الماء ثلاثة أنصاف وفيه من الوقائع الغريبة انه فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر المذكور أمر السلطان بان تدق الكؤسات بالقلعة وقال أنا أعمل العيد فى الغد من هذا الشهر ان رأوا الهلال أو لم يروا فلما أشيع ذلك بين الناس ركب قاضى القضاة الشافعى زين الدين زكريا وطلع الى القلعة فاجتمع بالسلطان وعرفه بأن العيد لا يكون الا اذا رؤى الهلال فى تلك الليلة فشق ذلك على السلطان وهم بعزل القاضى فى ذلك اليوم فلما دخل الليل لم ير الهلال فى تلك الليلة وجاء العيد بالجمعة وكأن الناصر تطير من العيد أن يجىء يوم الجمعة فكان ذلك على رغم أنفه وفى شوال لم يخرج السلطان الى صلاة العيد ولا طلع الا تابكى تمراز الى القلعة ولا بقية الامراء المقدمين فبعث السلطان الخلع اليهم فى بيوتهم وفى أواخر ذلك اليوم طلع الخليفة ليهنى السلطان بالعيد وكان بقاعة البحرة مع الاوباش الذين يعاشرهم فلم يخرج اليه السلطان وأرسل يتشكر منه وأمره بالانصراف فعند ذلك من نواقص الملك الناصر وكان الملك الناصر فى تلك الايام فى غاية الطيشان وفيه أنعم السلطان على قصروه بتقدمة ألف بمصر وخلع على عمه قيت وقرره فى نيابة القلعة عوضا عن قصروه بحكم انتقاله الى التقدمة وقرر ولده جانم فى الزردكاشية عوضا عن أبيه وفيه رسم السلطان لشخص من الامراء يقال له قانصوه الساقى بأن يكون أمينا على باب القلعة عند سلم المدرج يحيط علما بمن يطلع الى القلعة أو ينزل منها فعند ذلك من النوادر وفيه جاءت الاخبار من المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بوفاة الحافظ شمس الدين السخاوى وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد

ابن أبى بكر بن عثمان وكان عالما فاضلا بارعا فى الحديث وألف تاريخا فيه أشياء كثيرة من المساوى فى حق الناس وكان مولده بعد الثلاثين والثمانمائة وفيه جاءت الاخبار من الصعيد بانه قد قامت هناك فتنة كبيرة بين حميد بن عمر أمير هوارة وهو أخو دودو الماضى خبره فوقع بين حميد و بين قريبه ابراهيم فتنة مهولة يأتى الكلام عليها وفيه كانت الفتن قائمة بين طائفة بنى حرام و بنى وائل حتى أعيا جان بردى الكاشف أمرهم وخرجت اليهم تجريدة وبها عدة من الامراء ولم يفد ذلك شيأ وفيه عين السلطان أبا يزيد الصغير بأن يتوجه الى أقبردى الدوادار للصعيد وصحبته خلعة وفرس بسرج ذهب وكنبوش وعلى يده مراسيم شريفة لاقبردى الدوادار بأنه على عادته فى وظائفه حتى يصير له حرمة على العربان ثم حضر الى القاهرة عن قريب وكان من أمره ما سنذكره فى موضعه وفيه خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل مصرباى أحد المقدمين وبالركب الاول الناصرى محمد بن العينى وكان الحاج فى تلك السنة قليلا وفيه صعد سليمان ابن قرطام أحد مشايخ بنى حرام الى القلعة وعلى رأسه منديل الامان من السلطان فلما مثل بين يديه لكمه قانصوه الفاجر والى الشرطة وأخذ منه منديل الامان والسلطان ساكت لم يتكلم وثارت عليه جماعة من المماليك السلطانية وقالوا هذا قتل خشداشينا الذين قتلوا بالحطارة فكيف تعطونه منديل الامان فشق ذلك على السلطان وقام من فوق الدكة وهو غضبان من المماليك وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة قانصوه اليحياوى نائب الشام وحضر سيفه وكان أصله من مماليك السيفى جقمق وكان لا بأس به تولى عدة وظائف سنية منها نيابة الاسكندرية ونيابة صفد ونيابة طرابلس ونيابة حلب ونيابة الشام وجرى عليه شدائد ومحن وأسر عند يعقوب بك ابن حسن الطويل فى كائنة يشبك الدوادار مع بابندر ونفى الى القدس ثم تولى بعد ذلك نيابة الشام ومات بها وهو على نيابته وكان من أجل الامراء وأعظمهم قدرا وفيه توفى الشيخ الصالح المسلك نور الدين الذاكر ابن عين الغزال وكان معروفا بالصلاح لا بأس به وفى ذى القعدة توفى قاضى القضاة الحنبلى بدر الدين السعدى وهو محمد بن محمد بن أبى بكر بن خلف بن ابراهيم الحنبلى وكان عالما فاضلا عارفا بمذهبه تولى القضاء بمصر وهو فى عنفوان شبوبيته وأقام به مدة طويلة حتى مات وهو فى وظيفته وكان لا بأس به توفى وهو فى عشر الستين فلما مات أرسل السلطان خلف شهاب الدين الشيشى وكان بمكة المشرفة فلما حضر خلع عليه السلطان وأقره فى قضاء الحنابلة بمصر عوضا عن بدر الدين السعدى بحكم وفاته وهو باق على وظيفته الى أن مات بها لكن بعد عزل واعادة وفيه ظهر قانصوه المحمدى المعروف بالبرجى أحد الامراء المقدمين وكان مختفيا من حين ركب قانصوه

خمسمائة وانكسر فلما ظهر أمنه السلطان على نفسه وأقام بداره وفيه من الحوادث
أن القاضي أبا البقاء بن الجيعان كان طالعا الى القلعة فصلى صلاة الفجر وخرج
من داره فلما وصل الى الحمام الذى هو خارج من زقاقهم خرج عليه بعض المماليك
بخنجر فضربه فى بطنه ضربة بالغة فمات من وقته وما عرف قاتله واتهم به جماعة من المماليك
وكان رئيسا حشما فاضلا عالما عارفا باحوال المملكة وكان مقربا عند السلطان الاشرف
قايتباى ترقى فى أيامه وانتهت اليه الرياسة وفاق على من تقدم من أقاربه وكان أديبا حلو
اللسان سيوسا وله اشتغال بالعلم وكان من نوابغ أولاد ابن الجيعان وهو أبو البقاء محمد بن
يحيى بن شاكر وله بر ومعروف وهو الذى أنشأ عمارة الزاوية الحمراء وجعل بها خطبة وحوضا
وسبيلا وأنشأ هنالك القصور والمناظر والغيط وصار ذلك المكان من جملة متفرجات القاهرة
تسعى اليه الناس فى زمن النيل بسبب الفرجة هنالك وصار عوضا عن التاج والسبعة
وجوه التى كانت من المتفرجات القديمة ومات أبو البقاء وقد قارب الستين سنة من العمر
فلما مات خلع السلطان على أخيه صلاح الدين وقرره فى استيفاء الجيش مضافا لما بيده
من نيابة كتابة السر وفيه تزايد شر المماليك الجلبان وضيقوا على السلطان وصار معهم
فى غاية الضنك فأرسل يستحث اقبردى الدوادار فى سرعة المجىء وفيه فى رابع عشرى
الشهر المذكور يوم الخميس وصل اقبردى الى بر الجيزة فلما تسامع به الامراء خرجوا اليه
قاطبة وكذلك العسكر ولم يخرج اليه قانصوه خال السلطان فتلطف به الاتابكى تمراز حتى
ركب معه وتوجها الى نحو السواقى التى عند الهدّ بالقرب من درب الحولى فقصد خال
السلطان أن يعدّى من هنالك ويتوجه الى اقبردى ليسلم عليه فمنعه المماليك من ذلك وقالوا له
متى عديت ورحت اليه يقبض عليك فتخيل من ذلك ورجع من حيث أتى فعند ذلك كثر
القال والقيل واضطربت الاحوال وصار العسكر على ثلاث فرق فرقة مع اقبردى الدوادار
وفرقة مع قانصوه خال السلطان وهى الفرقة التى كانت من عصبة قانصوه خمسمائة
فالتفوا على خال السلطان وفرقة وافرة من المماليك الجلبان مع السلطان ثم ان طائفة من
المماليك لبسوا آلة السلاح وتوجهوا الى بيت اقبردى الدوادار عند حدرة البقر فاحرقوا
مقعده ونهبوا رخامه وأخشابه وأبوابه وذلك قبل دخول اقبردى الى القاهرة فلما كان يوم
الجمعة خامس عشرى الشهر المذكور عدّى اقبردى من الجيزة الى مصر فلما وصل مصلاة
خولان التى بالقرافة الكبرى لاقاه الاتابكى تمراز وتانى بك قرا وقد ظهر وكان مختفيا من
حين كسرة اقبردى فى شهر رمضان كما تقدم وتوجه الى اقبردى الجم الغفير من العسكر وكان
اقبردى أرسل خلف جماعة من عربان عزالة وبنى وائل ثم ان العربان كانوا فى طلائع عسكر
اقبردى وأتوا معه ووصلوا الى باب الزعلة وقد كان توجه اليهم جماعة من المماليك الذين هم

من عرضى فانصوه خمسمائة فالتقى معهم خاير بك الكاشف وجماعة من المماليك الذين هم من عصبة اقبردى فكسروهم وطردوهم هم والعرب الى أن وصلوا الجراة التى عند باب الزغلة وصار العرب يشوشون على الناس الذين يتوجهون من هناك ويعرونهم ويأخذون عمائمهم وأثوابهم وقتل فى ذلك اليوم جماعة من الغلمان واثنان من المماليك السلطانية فلما كان يوم سادس عشرى الشهر المذكور دخل اقبردى الدوادار من مصلاة خولان ودخل المدينة على مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ورحمها ولم يشق من الصليبة بل توجه الى بيته من درب الخازن فلما استقر بداره أتى اليه الامراء والعسكر أفواجا أفواجا ولوحطم فى ذلك اليوم وطلع الى القلعة لملكها من غير مانع وكان ذلك من عين الصواب لكن أشار عليه الاتابكى تمراز بالمجىء الى داره والتثبت فى ذلك فكان كما يقال فى المعنى

وربما فات بعض الناس حاجته * مع التأنى وكان الرأى لو عجلا

فلما بلغ قانصوه خال السلطان أن اقبردى دخل الى القاهرة وأحضر صحبته عربان من بنى وائل وعزالة اضطربت أحواله ولم يكن عنده بالقلعة من العسكر الا القليل فعند ذلك طلع الى القلعة الامير كرتباى الاحمر وكان مختفيا من عهد واقعة خان يونس فلما بلغ جماعة قانصوه خمسمائة بأن كرتباى قد طلع الى القلعة بادروا اليه بالطلوع وكان قد حضر من الشام مماليك قانصوه اليحياوى وصعدوا الى القلعة لينزلهم السلطان فى الديوان فأقاموا بالجامع وصاروا من عصبة الفواقة وكان أكثرهم رماة بالمدافع والسبقيات والبندق الرصاص وهم الذين كانوا سببا فى كسرة اقبردى فقويت شوكة خال السلطان بهم وبالامير كرتباى الاحمر وصار جماعة المماليك طالعين الى القلعة أفواجا أفواجا وقويت الفواقة وأرسل خال السلطان خلف طائفة عربان من بنى حرام وأحضر قراجا نائب غزة كان عربان السوامله فصارت العربان يقاتل بعضهم بعضا فلم يحصل بالطائفتين نفع بل حصل منهم غاية الضرر وصاروا يعرون الناس ويخطفون العمائم بالمطرية وبولاق ومصر العتيقة والقرافة وصاروا ينهبون التربة ومزارات الصالحين حتى مزار الامام الشافعى والامام الليث رضى الله عنهم ورحمهم وأظن أن هذا هو الذى كان سببا فى كسرة اقبردى ثم ان اقبردى أحضر أشياء كثيرة من الاخشاب وشرع فى عمل طوارق وأحضر عدة قناطير نحاس وشرع فى سبك مكعلتين كبار وأحضر المعلم دميلكو السباك وشرع فى سبكها وأظهر اقبردى الدوادار فى هذه الحركة همة عالية وكان عنده من الامراء الاتابكى تمراز وتانى بك قراالاينالى أمير مجلس وكرتباى ابن عمة السلطان أميراخور كبير واقباى نائب غزة رأس نوبة النوب وجانم مصبغة حاجب الحجاب وتانى بك الشريفى نائب الاسكندرية أحد مقدمى الالوف وجانم الأجرود أحد المقدمين وبردبك المحمدى الاينالى أحد المقدمين

ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات زيادة على ثلاثين أميرا منهم مغلباى صصرق
الاشرفى برسباى وغير ذلك من الامراء واجتمع عنده الجم الغفير من العسكر من سائر
الطوائف فكان اقبردى فى كل يوم عيد للامراء والخاصكية أسمطة حافلة فى أول النهار وفى
اخره ثم يحضر لهم السكر والحلواء والفاكهة والبطيخ الصيفى واستمر الحرب ثائرا بين
الفريقين وحاصر اقبردى من بالقلعة أشد المحاصرة ومنع الغلمان والعبيد أن يصعدوا الى
القلعة بشئ من الاكل وقطع آذان جماعة من العبيد وأيديهم بسبب ذلك وفى ذى الحجة
قوى عزم اقبردى على محاصرة القلعة وكان يركب كل يوم هو والاتابكى تمراز والامراء وعلى
رأسه الصنجق السلطانى يخفق وقد أرسله اليه الملك الناصر فى الدس وكان له به عناية فى
الباطن فصار اقبردى يظهر أنه لم يكن راكبا على السلطان واغماله غرما من الامراء
وقصده القبض عليهم هذا ما كان من أمر اقبردى الدوادار وأما ما كان من أمر الملك
الناصر فانه لم يكن عنده من الامراء سوى قانصوه خاله ثم صعد فى ذلك اليوم كرتباى الاحمر
على الفور وكان مختفيا وجلس بالمقعد الذى برأس سلم المدرج وكان الاميرسودون
العجمى وجان بلاط الغورى وقانى باى الرماح وطومان باى الشريفى ودولات باى قرموط
وغيرهم من الامراء قد ركبوا المكاحل حول القلعة والسبقيات وركبوا المكحلة المسماة
بالجنونة على باب السلسلة وكان غالب مماليك قانصوه اليحياوى نائب الشام الذى توفى
وحضرت مماليكه فى تلك الايام كلها رماة بالسبقيات والبندقيات الرصاص فاخذ
بخاطرهم كرتباى الاحمر وخال السلطان قانصوه وأنزلوهم فى الديوان السلطانى وصرفوا
اليهم الجامكية حتى انهم صاروا معهم وكانوا زيادة عن مائتى انسان وصار الحرب ثائرا
بين الفريقين فبقى مع الفرقة التى بالقلعة من باب المدرج الى رأس الصوة الى باب زويلة الى
باب النصر الى المطرية وصار مع الفرقة التى مع اقبردى من باب القرافة الى الصليبة الى قناطر
السباع الى مصر العتيقة وبولاق وصار يقتل فى كل يوم من طوائف العربان مقتلة كبيرة
من بنى وائل وبنى حرام وكانوا يدخلون برؤس القتلى آخر النهار فى شبالك التبن فقتل فى هذه
المعركة من العربان نحو من ألف انسان وزيادة على ذلك فلا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم وكانت الاتراك تقاتل مع بعضها والعربان تقاتل مع بعضها فلما قرب عيد
الاضحية فرق اقبردى على الامراء والعسكر الذين ركبوا معه عدة أبقار وأغنام كثيرة ثم
أنفق لهم جامكية ذلك الشهر والاضحية من ماله دون مال السلطان فصرف فى هذه الحركة
فوق المائة ألف دينار ويا ليت هذا أفاده شيأ ثم ان اقبردى أحضر مماليكه السباك واستحثه
فى سرعة عمل سبك المكحلة فأخذ فى أسباب ذلك ثم ان اقبردى وزع الامراء فى أماكن شتى
بسبب حصار القلعة فكان كرتباى ابن عمة السلطان أميرا خور كبيرو تانى بك قراأمير مجلس

وجماعة من العسكر فى مدرسة السلطان حسن بسبب حصار القلعة فكانوا يرمون عليها فلم يفد شئ من ذلك ثم انهم رموا بالمكحلة المسماة بالمجنونة على من فى مدرسة السلطان حسن فخرق المدفع شباك المدرسة ودخل فقتل ثلاثة أنفار من المماليك الذين هناك فحصل للعسكر من ذلك زمقة وكان لهم يوم عيد النحر واقعة قوية تشيب منها النواصى وقتل فى ذلك اليوم شخص من الامراء العشراوات يقال له جانم بن قايتباى وآخر من الامراء يقال له طومان باى نائب البهسنا وشخص يسمى قصروه نائب سنجر وكان حضر صحبة الأمير اقبردى الدوادار من البلاد الشامية وقتل ممن كان بالقلعة شخص من الامراء الطبلخانات يقال له برسباى اليوسفى أبوذقن وكان من مماليك الظاهر جقمق مات فجأة بالقلعة فى مدة المحاصرة وكان لا بأس به فلما طال على العسكر الذين كانوا مع اقبردى أمر الحصار وأبطأ عليهم دميلكو بفراغ المكحلة التى شرع فى سبكها وصار يقتل كل يوم من جماعة اقبردى جماعة كثيرة فبقى يتسحب منهم جماعة ويطلعون الى القلعة شيأ فشيأ فبان على اقبردى أمر التلاشى فلما حميت الطائفة الفوقانية ظهر جان بلاط بن يشبك الذى كان دوادارا كبيرا وظهر الامير قرقماس بن ولى الدين وقيت الرجبى وقانصوه المحمدى المعروف بالبرجى وكان ظهر قبل هذا اليوم عند دخول اقبردى القاهرة كرتباى الاجر ثم ظهر أزبك اليوسفى الظاهرى وتانى بك الجمالى وغير ذلك من الامراء ممن كان مختفيا من حين ركب قانصوه خمسمائة وانكسر فلما ظهروا وطلعوا الى القلعة قويت شوكتهم وجدوا فى القتال ولو حطم اقبردى أول يوم دخل فيه الى المدينة وطلع الى القلعة لكان ملك القلعة فى ذلك اليوم من غير مانع ولم يكن بها أحد من العسكر وكانت قلوب العسكر معمرة منه بالكرب الشديد واستخف اقبردى بمن فى القلعة وسمع رأى الاتابكى تمراز وتوجه الى بيته حتى كان ذلك سببا لقلة نصرته ولم يعلم ما وراء ذلك فاشتد أمر القتال ممن كان بالقلعة واستطالوا على التحتانيين الذين من حلف اقبردى بالنشاب والبندق الرصاص والمدافع حتى أهلكوا منهم ما لا يحصى وكان مع اقبردى مدرسة السلطان حسن وسبيل المؤمنين وسويقة عبد المنعم وصار اقبردى معه صنجق سلطانى ويقول الله ينصر السلطان الملك الناصر وكرتباى الاجر وبقية الامراء معهم صنجق سلطانى وهم يقولون الله ينصر السلطان فحار فكر الناس بين الفريقين ولم يبق يعلم هذه الركبة على من هل هى على السلطان أو على الامراء فى بعضهم واستمر الحال على ذلك حتى كان ما سنذكره فى موضعه وفيه توفى من الاعيان قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن الاخميمى الحنفى وهو محمد بن أحمد بن الانصارى القاهرى الحنفى وكان عالما فاضلا يقرأ بالسبع روايات وكان ضنينا بنفسه وكان امام السلطان الملك الاشرف قايتباى ثم قرر فى قضاء القضاة واستمر به الى أن مات وكان موته فجأة فأخرجت جنازته ولم

المجنونة

يشعر به أحد من الناس بسبب تلك الفتن القائمة وفيه توفى القاضى أبو الفتح المنوفى كاتب المماليك ونائب جدة وكان من أعيان المباشرين ورأى من العز والعظمة مالا يوصف وفى آخر عمره قاسى شدائد ومحنا واعتراه جنون وماليخوليا واستمر على ذلك حتى مات وفيه توفى سيدى ابراهيم بن أبى الفضل بن أبى الوفاء وكان شابا صالحا لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة عربغا الترجمان وكان لا بأس به وفيه توفى شمس الدين محمد بن الخادم الحنفى وكان من أهل العلم والفضل وكان لا بأس به وفيه توقف النيل عن الزيادة فى ليالى الوفاء وكان كل أحد مشغولا بنفسه عن ذلك والفتن قائمة وفيه فى يوم الاثنين ثانى عشرى الشهر المذكور الموافق لسابع عشرى مسرى وفى النيل المبارك وكسر فى الثامن والعشرين من مسرى وقد أبطأ عن ميعاده فلما وفى شاوروا الامير اقبردى فى فتح السد فبعث اليه والى القاهرة ليفتحه فوجد الشيخ عبد القادر الدشطوطى رضى الله عنه قد فتح جانبا منه قبل مجىء الوالى ولم يتوجه أحد ليتفرج على فتح السد على جارى العادة لكون القاهرة كانت فى غاية الاضطراب من عدم الأمن وفساد الأحوال من هذه الشرور والفتن فكان كما قيل

أتطلب من زمانك ذا وفاء * وتنكر ذاك جهلا من بنيه
لقد عدم الوفاء به وانى * لأعجب من وفاء النيل فيه

فلم يقم النيل سوى أيام قلائل وهبط بسرعة وشرق غالب البلاد وحصل بسبب ذلك الضرر الشامل ولما وقعت بمصر الفتن بين الاتراك وقعت الفتن أيضا بين العربان وأحرقوا القمح والشعير وهو فى الجرون ونهبوا عدة بلاد فوقع الغلاء بالديار المصرية وانتهى سعر القمح الى ألف درهم كل اردب واستمر على ذلك مدة طويلة وكانت الاحوال فى تلك الايام فى غاية الفساد واستمر الحرب ثابتا على ماذكرناه من القتل والنهب حاصل والحصار ليلا ونهارا حاصل فى القلعة وفيه فى يوم الجمعة سادس عشرى الشهر المذكور تسحب من كان عند اقبردى الدوادار من العسكر جملة ولم يبق معه سوى مماليكه وبعض مماليك السلطان والامراء المقدمين وكان الامير جانم الاينالى كاشف منفلوط وأحد المقدمين قد جرح واختفى ومات من ذلك ولم يشعر به أحد ثم ان الامير اقبردى اضطربت أحواله وتشتت عنه جماعته بعد ما أكلوا عيشه وأخذوا أضحيته وجامكيته وصرف عليهم جامكية شهرين من ماله ولم يراعوا له حق ذلك ولا أثمر فيهم ما فعله بهم فكان كما قيل فى المعنى

لقاء أكثر من يلقاك أوزار * فلا تبالى أصدوا عنك أو زاروا
أخلاقهم حين تبلوهن أوعار * وفعلهم مأثم للمرء أوعار
لهم لديك اذا جاؤك أو طار * اذا قضوها تنحوا عنك أو طاروا

وكان أحسن لغالبهم وأنفق على بعضهم وأرضاهم بكل ما يمكن وبعد ذلك بعضهم رماه وطلع

الى القلعة فلما كان وقت المغرب من ليلة السبت نزل كرتباى الاحمر من القلعة وصحبته
جميع من كان بالقلعة وكان خشكلدى البيسق قد ظهر وطلع الى القلعة فنزل صحبة
الامراء ممن كان بالقلعة والمماليك الكبار والصغار الذين كانوا بالطباق فزحفوا زحفة
واحدة وهجموا على جماعة اقبردى فانكسروا وفروا فهجموا على من كان بمدرسة السلطان
حسن وأحرقوا بابها ودخلوا على من بالمدرسة من الامراء فأخرجوا كرتباى ابن عمة السلطان
وهو مجروح جرحا بليغا قتل منه وهو أمير اخور كبير وهرب تانى بك قراقلم يظفروا به وهرب
من كان بمدرسة السلطان حسن من الامراء والمماليك فنهب الجلبان جميع ما كان بالمدرسة
من طشتخانات الامراء ونهبوا بسط المدرسة والقناديل وقلعوا شبابيك القبة التى بالمدرسة
وأخذوا رخامها وأحرقوا الربع الذى عند سوق الرميلة بجوار بيته وربع يشبك الدوادار
وربع خشكلدى البيسق وسبيل المؤمنين وبعض من بيوت الصوة وغير ذلك فلما دخل
الليل ركب اقبردى فى نفر قليل من مماليكه وطلع الى الرميلة فلم يطب طبه واستمر على ذلك
طول الليل فلما أصبح يوم السبت سابع عشرى الشهر المذكور وهو ذو الحجة انكسر
اقبردى كسرة مهولة ورجع الى داره وأخذ بركه وزرد خانته والطشتخاناه وخرج من داره
وعلى رأسه صنجق وقدامه طبلان وزمران ومماليكه حوله وهم لابسون آلة السلاح وخرج
صحبته من الامراء تانى بك قراأمير مجلس واقباى نائب غزة رأس نوبة كبير وجانم مصبغة
حاجب الحجاب وقانى بك نائب الاسكندرية أحد المقدمين وكرتباى أخو اقبردى الدوادار
أحد المقدمين ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات جماعة كثيرة نحو امن عشرين أميرا
فمن جملتهم اينال السلحدار المعروف بالصغير ومن المماليك السلطانية والسيفية نحو من ألف
مملوك فلما خرج من داره دخل من الدرب الذى عند حمام الفارقانى وخرج من الدرب الذى
تجاه المدرسة الصرغتمشية وتوجه من هنالك الى بولاق وطلع على جزيرة الفيل ثم خرج الى
الفضاء وقصد التوجه الى البلاد الشامية فدخل خانقاه سرياقوس فلم يقم بها واستمر يجد
السير حتى وصل الى بلبيس فلم يتبعه أحد من الامراء ولا العسكر حتى خرج وتوجه الى
البلاد الشامية وجرى منه أمور يطول شرحها يأتى الكلام على بعضها فى مواضعه
والذى وقع لاقبردى الدوادار لم يقع لمنطاش الناصرى فى أيام الظاهر برقوق وكانت مدة
محاصرته للقلعة احدا وثلاثين يوما ولم يسمع بمثل هذه الواقعة فيما تقدم قال بعض
المؤرخين لم يقع بمصر من يوم فتحها الى الآن مثل واقعة اقبردى الدوادار فكانت من غرائب
الوقائع وفى مدة هذه المحاصرة كانت الاسواق معطلة والدكاكين مقفلة وامتنع
البيع والشراء ولم تظهر فى تلك الايام امرأة بالاسواق ولا بالطرقات وكثر القتل والنهب وكان
الناس فى أمر عظيم قيل لما طال أمر هذه الفتنة دخل على الامير اقبردى جماعة من الفقراء

الرفاعية

الرفاعية والقادرية والاحمدية وجماعة من الصوفية سألوه أن يكف عن هذا القتال وان يقع الصلح بين الطائفتين فابى اقبردى ذلك ثم نزل اليه مثقال مقدم المماليك رسولا عن لسان السلطان بأن يكون الصلح بينه وبين الامراء على يد السلطان فأبى اقبردى ذلك وكان دميلكو قد فرغ من المكحلة وركبها ورمى بها أول حجر فكسر باب السلسلة فاضطرب من كان بالقلعة وهجموا على المكحلة ودقوا بها مسمارا وكانت معيبة فلما خرقوا منافضها وشمت النار خرج الحجر منها على حين غفلة وانكسر اقبردى وكانت هذه ثالث كسرة وقعت لاقبردى وكانت آخر العهد به فلم يدخل بعدها الى مصر وقاسى شدائد ومحنا يأتى الكلام عليها فهذا ما كان من أمر اقبردى الدوادار وأما ما كان من أمر الاتابكى تمراز فانه كان مقيما بالبيت الذى بجوار بيت يشبك الدوادار الذى كان عند المدرسة البندقدارية وكان متوعكا فى جسده فلم يشعر بكسرة اقبردى فلما أراد اقبردى أن يفر أرسل خلف الاتابكى تمراز وأعلمه بما جرى وأراد أن يأخذه معه فابطأ عليه وخشى من العسكر أن يهجموا عليه ويقتلوه فأسرع فى الخروج من داره وترك الاتابكى تمراز فى داره ومضى ثم ان الاتابكى لبس قماشه وركب وخرج من البيت الذى كان به فلما وصل الى بيت تانى بك قرا الاقاه جماعة من المماليك الفواقة وقبضوا عليه وقصدوا قتله وأدخلوه الى بيت تانى بك قرا ثم بدا لهم أن يطلعوا به الى القلعة فلما خرجوا به من بيت تانى بك قرا ومشوا الى رأس الصليبة لقيه طائفة من المماليك الفواقة غير هؤلاء فقطروه عن فرسه فوقع الى الارض وطلعوا به الى دكان هناك ونزعوا ثيابه عنه وحزوا رأسه على الدكان بالسيف فلم تنقطع فكسروها حتى خلصت عن جثته وكان الذى قتله من أرذل المماليك السيفية يقال له بردبك الاشقر ثم أخذ رأسه وقبض عليها من ذقنه وطلع بها الى القلعة فلما عرضت على الملك الناصر شق عليه ذلك لكونه كان من قرابة أبيه الملك الاشرف قايتباى رحمه الله ثم أمر بلفها فى فوطة وأرسل معها ثوبين بعلبكيين وثلاثين دينارا ثم ان بعض جماعة الاتابكى تمراز أحضروا له نعشا وأخذوا فيه جثته وتوجهوا بها الى مكان بالقرب من بيت تغرى بردى الاستادار وخيطوا رأسه على جثته وغسلوه ثم أحضروا اكرتباى ابن عمة السلطان الذى قتل فى مدرسة السلطان حسن فغسلوه مع الاتابكى تمراز وأخرجوهما فى يوم واحد وصلوا عليهما فى مصلى باب الوزير ثم توجهوا بهما الى تربة الاشرف قايتباى فدفن الاتابكى تمراز داخل القبة ودفن اكرتباى ابن عمة السلطان على جانم قريب السلطان الذى كان ناظر الجوالى ومقدم ألف وكان الاتابكى تمراز أميرا جليلا معظما دينا كثير البر والصدقة محسنا للناس جميل الهيئة وله آثار ومعروف منها ما فعله فى الجسور التى صنعها بالغربية وهو كاشف التراب بالغربية وكان أصل الاتابكى تمراز من مماليك الاشرف برسباى فأعتقه وأخرج له خيلا

وقاشا وصار من الجمدارية ثم بقى خاصكيا ساقيا فى دولة الاشرف اينال ثم أنعم عليه بامرية عشرة وصار عنده من المقربين ثم نفى الى دمياط فى دولة الظاهر خشقدم ثم حضر الى القاهرة فى دولة الظاهر تمربغا ثم ظهر انه ابن أخت السلطان الاشرف قايتباى فلما تسلطن جعله مقدم ألف ثم بقى رأس نوبة كبير ثم بقى أمير سلاح ثم بقى أتابك العسكر عوضا عن أزبك بن طط خ لما نفى الى مكة المشرفة كما تقدم وكان تمراز أميرا كبيرا كان اذا جلس فى أى مكان ودخل اليه الادنى أو الاعلى يقوم له القيام الكلى ويجلسه وكان لا يجلس بمقعده الا وهو مزرر الملوطة وهو بالخف والمهماز ولم تبن له رجل وهو جالس وهذا من النوادر فى زمننا هذا فلما مات رثيته بهذه الابيات وهى قولى مع التضمين

أرغمت يا دهر أنوف الورى * بقتل تمراز ويتم العباد
أتابك العسكر ذو رأفة * بالجود قد شاع لأقصى البلاد
أخطات يا قاتله كيف قد * قتلت من يقمع أهل العناد
مصيبة جلت فمن أجلها * قد أطلقت فى كل قلب زناد
لكن له فى قتله اسوة * الى الحسين بن على الجواد
من أودعوه الرمس ما أنصفوا * بل كان يخبى فى صميم الفؤاد
فالله يأجره على ما جرى * من قتله بالعفو يوم المعاد

ومات الاتابكى تمراز وهو فى عشر الثمانين وكان لين الجانب واسطة خير وكان يظن كل أحد انه يتسلطن وقد ترشح أمره اليها غير مامرة وكان اذا سأله أحد فى حاجة يقول له اصبر علينا حتى يجىء وقتها وكان طامعا فى السلطنة فخابت فيه الظنون وجاء الامر بخلاف ما أمله أن يكون فكان كما يقال

وقائل لى لما أن رأى قلقى * من انتظارى لآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخزينا

وفيه جاءت الاخبار بأن أقبردى لما مر على الشرقية كادت طائفة عربان بنى حرام أن تقتله فرجموه حتى جاءته رجمة فى وجهه وسبوه سبا قبيحا وفعلوا به ذلك فى عدة أماكن وما خلص منهم الا بعد جهد كبير وسبب ذلك أنه سلط عليهم بنى وائل وقتل منهم فى مدة المعركة ما لا يحصى فلما انكسروا مر بهم انتقموا منه وجرى عليه منهم ما لا خير فيه فلما هرب اقبردى وقتل تمراز اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال ونزل المماليك من القلعة وعطعطوا فى المدينة وصاروا يدخلون الحارات وينهبون البيوت حتى نهبوا الربوع التى هى سكن العوام ثم توجهوا الى حارة زويلة ونهبوها بسبب انه كان لاقبردى حاصل هناك فيه مال فنهبوا ما كان فيه حتى قيل كان فيه ما يزيد على مائة ألف دينار غير الخيام والقماش الذى كان به ونهبوا

بيوت اليهود الذين حوله ودخل الزعر والعبيد فنهبوا القبة التى فى مدرسة السلطان حسن وأخذوا الرخام التى بها والشبابيك والنحاس الذى بها والابواب ومن يومئذ تلاشى حال المدرسة الى الآن واستمر النهب والقتل دائر ثلاثة أيام متوالية ولم يجدوا من يردّهم عن ذلك والمدينة مائجة وقد تعطلت الخطبة واقامة الصلاة من مدرسة السلطان حسن نحوا من ستة أشهر وكان كل من ظفروا به من جماعة اقبردى يقتلونه أشر قتلة ثم قبض على المعلم دميلكو وأحضروه عند الامير كرتباى الاحمر فقطع رأسه وعلقها على باب السلسلة كما قيل فى الامثال وربما عوقب من لاجنى وقد خرجت السنة المذكورة على ماشرح فيها من الفتن والانكاد والفساد وخراب البلاد ووقع فيها الغلاء وتشحطت الغلال وقتل فيها من الامراء نحو من خمسين أميرا ما بين مقدمى ألوف وطبلخانات وعشراوات وقد تقدم ذكر ذلك عند وقوع كل حادثة من أوائل السنة المذكورة الى آخرها حسبما أوردناه من الوقائع وقتل من الجند والعرب نحو من ألف انسان فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما حصل لعسكر مصر بعد وفاة الاشرف قايتباى خير وجاءت الامور بضد ما أملوه من بعده فكان كما يقال

يسعى ابن آدم فى قضا أوطاره * والموت يتبعه على آثاره
يلهو وكف الموت فى أطواقه * كالكبش يلعب فى يدى جزاره
يمسى وقد أمن الحوادث ليله * فلربما تطرقه فى أسحاره
من رام ينظر كيف تصبح داره * من بعده فليعتبر بجواره

❁ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعمائة فيها كان مستهل المحرم يوم الثلاثاء ووافق ذلك اليوم يوم النوروز للقبط بموجب تحويل السنة القبطية الى السنة العربية فصعد القضاة الى التهنئة بالشهر والعام الجديد وبهذه النصرة التى وقعت للسلطان ولم يحضر الخليفة فى ذلك اليوم بسبب انه كان متوعكا فى جسده وهو مقيم بالقلعة فنزل الى داره فى محفة وكان ذلك ابتداء ضعف الموت وفى ذلك اليوم خلع السلطان على برهان الدين بن الكركى الامام وقرره فى قضاء الحنفية عوضا عن ناصر الدين بن الاخميمى بحكم وفاته وهذه أول ولاية ابن الكركى وخلع على الشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة وقرره فى مشيخة المدرسة الاشرفية عوضا عن البرهان بن الكركى فلم يقم بها عبد البر غير ثلاثة أشهر وأعيد اليها ابن الكركى مضافا لما بيده من قضاء الحنفية وفيه تخوف السلطان على نفسه من الامراء فأحضر لهم المصحف العثمانى وحلف عليه الامراء الذين هم من حزب قانصوه خمسمائة بأنهم لا يخونونه قط ولا يغدرون به ولا يركبون عليه وهذا رابع يمين حلفه السلطان للامراء على المصحف العثمانى وكل أيمانهم كانت كاذبة فاجرة وفيه عمل

السلطان الموكب وخلع على جماعة من الامراء منهم المقر السيفي قانصوه خال السلطان وقرره في الدوادارية الكبرى عوضا عن اقبردى بحكم هروبه وخلع على كرتباى الاحمر وقرره في امرية سلاح وخلع على جان بلاط بن يشبك وقرره في نيابة حلب وخرج اليها عن قريب وفيه دخل مبشر الحاج وهو شخص من العرب وقد تأخر عن عادته ستة أيام لفساد طريق الحجاج وفيه توفي الزيني قاسم بن قاسم المالكي أحد نواب الحكم وكان عالما فاضلا متفننا لا بأس به وفيه قرر كمشبغا الشريفي في نيابة الاسكندرية عوضا عن اسنباى وفيه عين السلطان خاير بك أخا قانصوه بأن يتوجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وفيه قرر عبد القادر بن النقيب في مشيخة خانقاه سعيد السعداء وكانت عينت للسلمى ولم يتم له ذلك وفيه توفي الشيخ بدر الدين محمد الوفائي وكان لا بأس به وفيه خلع السلطان على طرباى الشريفي وقرره أمير اخور ثاني وهذه أول وظائفه وخلع على دولات باى الاجرود وقرره في ولاية الشرطة وفيه وقع الاتفاق من الامراء على عود الاتابكي أزبك وحضوره من مكة المشرفة ليلي الاتابكية عوضا عن تمراز فكتبت له المراسيم بالحضور وتوجه بها طرباى الشريفي الذي قرر أمير اخور ثاني فخرج على الفور بسبب ذلك وفيه خلع السلطان على قاني باى الرماح وقرره أمير اخور كبير عوضا عن كرتباى بحكم قتله بمدرسة السلطان حسن في واقعة اقبردى وخلع على قانصوه المحمدي المعروف بالبرجي وقرره في امرية مجلس عوضا عن تاني بك قرا الاينالي بحكم هروبه مع اقبردى وخلع على قيت الرجبي وقرره حاجب الحجاب عوضا عن جانم مصبغة بحكم اختفائه وهروبه مع اقبردى وخلع على طومان باى وقرره في الدوادارية الثانية عوضا عن سيباى نائب سيس وخلع على سيباى وقرره في تقدمة ألف وهي تقدمة جانم الاجرود الاينالي كاشف منفلوط بحكم أنه خرج في واقعة اقبردى ومات عقيب ذلك وخلع على تمراز الزردكاش الكبير وقرره بها عوضا عن قيت الاحول أخي الاشرف قايتباى وقرر بيبرس في نيابة القلعة عوضا عن قيت عم الملك الناصر فعزل عن الزردكاشية الكبرى ونيابة القلعة وقد نسب الى ميل مع عصبة اقبردى الدوادار وفيه خلع السلطان على أزبك اليوسفي المعروف بالخازندار وقرره مقدم ألف مشير المملكة وقرر قانصوه كرت في الخازندارية الكبرى وفيه دخل الحاج الى القاهرة بعد ما قبض على أمير الحاج مصرباى في عجرود وتوجهوا به من هناك الى السجن بثغر الاسكندرية فسجن بها وفيه جاءت الاخبار بان اقبردى الدوادار لما خرج من مصر بعد فراره استولى على غزة وملكها فاتفق رأى الامراء على تجريدة اليه وفيه خلع السلطان على جان بلاط الغوري وقرره في رأس نوبة كبير عوضا عن اقباى نائب غزة بحكم فراره مع اقبردى وقرر أزبك قفص في الرأس نوبة الثانية وفيه

أشيع بين الناس ان الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز قد اشتد به المرض وأشرف على الموت وقد عهد بالخلافة الى ولده الشرفي يعقوب وحكم بذلك قاضي القضاة المالكي عبد الغني بن تقي ونفذه بقية القضاة وعهد أيضا لولده محمد من بعد أبيه يعقوب فلما بلغ ذلك ابن عمه خليل اضطربت أحواله وضاقت عليه الدنيا بما رحبت وكان منتظرا للخلافة بعد عمه عبد العزيز فلم ينله من ذلك شيء وفاته المطلوب فقدح في الشرفي يعقوب بكلمات قبيحة من نار قلبه فلم يفده من ذلك شيء ولم يلتفت اليه أحد من القضاة ولا السلطان وتولى الخلافة يعقوب على رغم أنف خليل كما سيأتي ذكر ذلك وقد قلت مع التضمين في هذه الواقعة

قالت العليا لمن حاولها * سبق المولى وقد حل عراها
فدعوا الحاسد فيها انها * حاجة في نفس يعقوب قضاها

فلما كان يوم الخميس سلخ المحرم من سنة ثلاث وتسعمائة كانت وفاة أمير المؤمنين أبي العز عبد العزيز وهو عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله ولم يل والده يعقوب الخلافة بل جده محمد المتوكل على الله وكان الخليفة عبد العزيز رئيسا حشما ذا شهامة جميل الهيئة كفؤا للخلافة وافر العقل سديد الرأي وله اشتغال بالعلم وحفظ جيد مع حسن عبارة وكان عنده لين جانب واتضاع كثير العشرة للناس وتوفي وله من العمر نحو من أربع وثمانين سنة ومولده بعد العام السابع عشر والثمانمائة وكانت مدة خلافته تسعة عشر سنة وأياما وحضر مبايعة الملك الناصر محمد بن قايتباي الاشرف رحمهم الله تعالى ومبايعة قانصوه خمسمائة وكان من خيار بني العباس وكان له مشهد عظيم ونزل الملك الناصر وصلى عليه بسبيل المؤمنين ودفن بجوار مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها ورحمها ورحمهم داخل القبة التي بها مشاهد الخلفاء ثم بعد وفاته تولى بعده ولده يعقوب

ذكر خلافة أمير المؤمنين المستمسك بالله أبي الصبر يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله

وهو الرابع والخمسون من خلفاء بني العباس في العدد وهو الخامس عشر من خلفاء بني العباس بمصر وهو من خلاصة بني العباس لكونه هاشمي الابوين ولم يل الخلافة من هو هاشمي الابوين غير أربعة من بني هاشم وهم الامام علي كرم الله وجهه وكانت أمه هاشمية وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم ثم ابنه الحسن رضي الله عنه ورحمه وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم محمد الامين بن زبيدة وكانت أمه هاشمية

ثم يعقوب بن عبد العزيز وأمه هاشمية تسمى آمنة بنت أمير المؤمنين المستكفى بالله أبى الربيع سليمان فهؤلاء الاربعة هاشميو الابوين وغيرهم من الخلفاء كانوا من سرارى مولدات وحبش وغير ذلك وكانت صفة ولاية الشرفى يعقوب أنه لما كان يوم السبت ثالث صفر بعث الملك الناصر خلف الشرفى يعقوب فحضر وحضر ابن عمه خليل فعرض العهد المقدم ذكره على السلطان فشرع خليل يتكلم فى حق الشرفى يعقوب بكلمات فاحشة منها أنه قال انه قليل النظر ولا نصح ولايته فلم يلتفت السلطان الى كلام خليل وقال أهذا أبوه كان خليفة فقيل له لا فقال ما يلى الخلافة الا من كان أبوه خليفة وشرع كرتباى الاحمر وأزبك اليوسفى مشير المملكة وتغرى بردى الاستادار يساعدون الشرفى يعقوب فترشح أمره لأن يلى الخلافة وفى الحقيقة لم يكن يومئذ من بنى العباس من يصلح للخلافة غير الشرفى يعقوب فى الدين والخير والصلاح فاتفق رأى الامراء على ولايته ونزل خليل من القلعة بخفى حنين فلما حضر القضاة وتكامل المجلس لم يحتج الى مبايعة ثانية لانه استقر فى الخلافة بعهد من أبيه له عند موته فاستكفى القاضى الشافعى بذلك ثم أحضر اليه شعار الخلافة فأفيض عليه وتلقب بالمستمسك بالله أبى الصبر وعد لقبه هذا من النوادر وقيل ان الشيخ جلال الدين الاسيوطى هو الذى كناه ولقبه بهذا اللقب ومن الغرائب أنه لم يل الخلافة من بنى العباس ولا من بنى أمية من اسمه يعقوب سواه فلما تمت بيعته أحضر اليه التشريف وأفيض عليه فصار فى غاية الابهة والوقار وفى الحقيقة انه من عباد الله الصالحين لم يعهد له صبوة من منذ نشأ الى الآن رضى الله عنه وفيه أقول مضمنا

يا أمير المؤمنين اقبل ولا * ترتجى غير الذى قد شرفك
لو أتى العباس أضحى قائلا * يرحم الله الذى قد خلفك

وكان له من العمر لما تولى الخلافة نحو من خمسين سنة وقد وخطه الشيب فنزل من القلعة فى موكب حافل حتى وصل الى داره واستمر فى هذه الولاية مدة طويلة حتى كان من أمره ما سنذكره فى موضعه وفى ربيع الاول خلع السلطان على قانصوه خاله وقرره فى الاستادارية والوزارة عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم استعفائه من ذلك وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة السيد الشريف الحسيب النسيب محمد بن بركات أمير مكة المشرفة وكان رئيسا حشما فى سعة من المال كفؤ الامرية مكة المشرفة وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار بوفاة اينال باى الابراهيمى نائب طرابلس وكان من حلف اقبردى الدوادار وفيه جاءت الاخبار أيضا بوفاة اينال باى وبوفاة كرتباى أخى اقبردى الذى كان نائب صفد ثم بقى مقدم ألف بمصر وفر مع أخيه اقبردى فمات فى أثناء الطريق ودفن هناك وفيه خلع السلطان على تغرى بردى القادرى وقرره فى الاستادارية نائبا عن قانصوه خال السلطان

ربيع الاول

وفيه فى أوائل بابه أمطرت السماء مطرا مهولا حتى وقعت منه عدة أماكن وخسف غالب القبور التى بالقرافة والصحراء وكان من نوادر الوقائع وفيه خلع السلطان على كرتباى الاحمر وقرره فى نيابة الشام عوضا عن قانصوه اليحياوى بحكم وفاته وكان كرتباى الاحمر هو الساعى فى ذلك خوفا على نفسه من الملك الناصر أن يسلط عليه المماليك الجلبان يقتلونه وقد هم بذلك غير مرة لاجل أن كرتباى الاحمر كان يحجر على الملك الناصر ويمنعه عن الافعال الفاحشة الشنيعة فكرهه بسبب ذلك وقصد قتله حتى قيل انه ذبح يوما كبشا بيده وقال هكذا أفعل بكرتباى الاحمر عن قريب فلما خرج كرتباى الاحمر من القاهرة كان له يوم مشهود وطلب طلبا حافلا وفيه عين السلطان تجريدة بسبب اقبردى الدوادار فانه لما انكسر وخرج من مصر هاربا حاصر الشام وقصد أن يملكها فاقدر فنهب الضياع التى حول دمشق وخرب غالبها وفعل مثل ذلك بضياع حلب فوقع الاتفاق من الامراء على خروج تجريدة له فعينوا ذلك وأنفق السلطان على العسكر المعينين للتجريدة وبعث نفقة الامراء الذين عينوا للخروج الى التجريدة وهم قانصوه البرجى أمير مجلس وقيت الرحبى حاجب الحجاب وقانصوه الغورى أحد المقدمين وهو الذى تسلطن فيما بعد واصطمر بن ولى الدين أحد المقدمين وقصروه أحد المقدمين ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات عدة وافرة وفيه جاءت الاخبار بان اقبردى بعد أن حاصر الشام نحو امن شهرين لم يقدر عليها وحاربه الامراء الذين بالشام ورموا عليه بالمدافع وفر الى حلب فلما توجه الى حماه حاصرها وأخذ منها أموالا لها صورة فلما وصل الى حلب حاصرها نحو امن شهرين وكان اينال السلحدار يومئذ نائب حلب وكان من عصبة اقبردى فقصد أن يسلمه مدينة حلب فرجمه أهل المدينة وطردوه منها وحصنوا المدينة بالمدافع على الاسوار فعند ذلك فر اقبردى ومن كان معه من الامراء والعسكر وكذلك اينال نائب حلب بمحبتهم وفروا أجمعون وتوجهوا الى على دولات والتجؤا اليه فلما بلغ الامراء ذلك اضطربت أحوالهم فوقع الاتفاق على أن يولوا جان بلاط بن يشبك الذى كان دوادارا كبيرا نيابة حلب عوضا عن اينال الذى كان بها بحكم فراره مع اقبردى وفيه خلع السلطان بعد خروج كرتباى الاحمر الى محل نيابة الشام على محمد بن العظمة وأعاده فى نظارة الاوقاف وكان الساعى له فى ذلك عبد القادر بواب الدهيشة فكثر عليه الدعاء من الناس بسببه وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وفيه فى يوم الخميس ثانى عشريه كان دخول الاتابكى أزبك الى القاهرة وقد حضر من مكة المشرفة فلما حضر خلع عليه السلطان وأعاده الى الاتابكية عوضا عن تمراز الشمسى بحكم وفاته فكانت مدة غيبته بمكة سنتين وثلاثة أشهر وفيه خلع السلطان على جان بلاط الموتر أحد العشراوات وقرره فى الحسبة عوضا عن

تانى بك بن حديد بحكم وفاته وفى تلك الايام اشتد الغلاء وانتهى سعر القمح الى ثلاثة أشرفية كل أردب وفيه هجم المنسر على سوق تحت الربع وسوق الحاجب وفتحوا عدة دكاكين فلما بلغ الوالى ذلك ركب وتحارب مع المنسر وقتل جماعة من أعوانه ولم يبلغ من المنسر أربا وراحت على التجار أموالها وفى ربيع الآخر يوم الثلاثاء رابعه كان خروج الامراء الذين عينوا للتجريدة فكان لهم يوم مشهود حتى ارتجت لهم القاهرة وقد تقدمهم كرتباى الاحمر الذى تقرر فى نيابة الشام وجان بلاط بن يشبك الذى تقرر فى نيابة حلب واستمرت الاطلاب تنسحب الى قريب الظهر والعسكر خارجون أفواجا أفواجا وفيه ظهر تانى بك الجمالى وكان مختفيا من حين ركب قانصوه خمسمائة وانكسر فلما ظهر خلع عليه السلطان وأعاده الى امرية سلاح عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم انتقاله الى نيابة الشام وفيه أعيدت مشيخة المدرسة الاشرفية الى برهان الدين بن الكركى وانفصل عنها عبد البر بن الشحنة وفيه نزل السلطان وتوجه الى قبة يشبك التى بالمطرية وبات بها فلما أصبح شق من القاهرة فى موكب حافل وصحبته قانصوه خاله وبعض أمراء وجعل قدامه طبلين وزمرين وعبيد اسودا ترمى بالنفوط قدامه على هيئة الكشاف وقد تهتكت حرمة السلطان والمملكة ولم يقع من ابناء الملوك من السواقط ما وقع للناصر هذا كما سيأتى الكلام عليه فى موضعه وفيه حضر الشهابى الششينى من مكة المشرفة وقد أرسل اليه السلطان مرسوما بالحضور ليلى قضاء الحنابلة فلما حضر خلع عليه السلطان قرره فى قضاء الحنابلة بمصر عوضا عن بدر الدين السعدى وفيه نادى والى القاهرة على لسان السلطان بان أهل الاسواق والحارات يعملون عليهم دروبا فامتثلوا ذلك وبنيت بالقاهرة عدة دروب منها على سوق تحت الربع وسوق أحمد بن طولون وسوق أمير الجيوش وغير ذلك من الاسواق والحارات وكانت المناسر قد كثرت فى تلك الايام جدا وصاروا يهجمون على الاسواق والحارات ويعطعطون بها وفيه من الحوادث الشنيعة نادى السلطان فى القاهرة بأن الامراء المختفين الذين هم من عصبة اقبردى يظهرون وعليهم أمان الله تعالى وأشيع ان اقبردى قد ظهر وانه عند السلطان بالقلعة فعند ذلك ظهر بردبك المعروف بنائب جدة الذى كان من جملة المقدمين وظهر بردبك المحمدى الاينالى وأبو يزيد الصغير وبرسباى السلحدار وبرقوق المحتسب وشادبك وبيبرس وقانصوه التاجر وكرتباى الكاشف وخاربك الكاشف وقانصوه الساقى ودولات باى بن عينى وآخرون من الخاصكية وكان قبل ذلك رسم السلطان بالافراج عن مصرباى وكان فى السجن بثغر الاسكندرية فحضر وحضر أيضا قنبك أبو شامة وتانى بك المحمدى الاينالى وجانى باى وكان هؤلاء فى السجن من حين ركب اقبردى الدوادار وانكسر فلما ظهر هؤلاء كثر القال والقيل فى سبب

ظهورهم ثم ان السلطان صرح فى قوله وقال أنا ما رسمت بالاخراج الا لاصلح بينهم وبين الطائفة التى من عصبة قانصوه خمسمائة فلما ظهروا وطلعوا الى القلعة قرّى السلطان تلك الليلة ختمة ومد اسمطة حافلة وباتوا عنده فلما صلوا العشاء أحضر عدة خلع فخلع على مصرباى وعينه أمير اخور كبير وخلع على أبى يزيد الصغير وعينه دوادارا ثانيا وخلع على قنبك أبى شامة وعينه نائب القلعة وقرر آخرين منهم فى تقادم ألوف وآخرين فى امريات عشرة وكل هذا خفة وطيش وصبينة من الملك الناصر وقد طاش الى الغاية لما خرج كرتباى الاحمر الى الشام وكان يظن أنه ما بقى على يده يد وكل هذا من عقل الصغار فكان كما قال المعمار

دى دولة خواطر * تسويقه معتر
خليلى وشامى * والخيار مقصر

فلما جرى ذلك تحت الليل بلغ الامراء الذين من عصبة قانصوه ما وقع من السلطان تلك الليلة فلما طلع النهار لبسوا آلة الحرب وصعدوا الى القلعة وثبوا على بعضهم بها وكانت فتنة مهولة فقتلوا الامير أبا يزيد الصغير والامير برسباى الاشقر وهرب الامير مصرباى وقتل قنبك أبو شامة واتسعت الفتنة وقتل فى هذه المعركة جماعة من الخاصكية وقدهوا بقتل السلطان لولا أنه اختفى ثم نزلوا بجثة أبى يزيد على حمار وتوجهوا بها الى داره ليغسلوه ويدفنوه ثم نزل جماعة من المماليك ونهبوا بعض أماكن الامراء الذين من حلف اقبردى ونهبوا بيت الناصرى محمد بن خاص بك لكونه كان صهر اقبردى الدوادار فلما بلغ الاتابكى أزبك ما جرى طلع الى القلعة واجتمع بالسلطان ولامه على هذه الافعال الشنيعة التى تصدر منه فلم يلتفت الى كلامه ثم نزل الاتابكى أزبك الى داره وقد خمدت هذه الفتنة قليلا وكان ذلك فى يوم الخميس حادى عشرى ربيع الآخر وفى جمادى الاولى وقع من الناصر غاية القبح فى حق الامراء المقدمين بأشياء ما سبقه اليها أحد وهو أنه أضاف لكل أمير مقدم ألف ثلاثين مملوكا من المماليك الجلبان يأخذون من اقطاعه فى كل سنة كل واحد منهم عشرة آلاف درهم وأضاف الى أمير كبير أربعين مملوكا لكل واحد كما تقدم وأضاف الى كل أمير طبلخانات عشرة من المماليك يأخذون من اقطاعه كما تقدم وأضاف الى كل أمير عشرة خمسة مماليك يأخذون منهم كما تقدم فحصل من المماليك فى حق الامراء ما لا خير فيه وصاروا يدخلون بيوت الامراء وهم راكبون ويشوشون على مباشريهم بالضرب والسب حتى يأخذوا منهم ما قرر لهم فأضر ذلك بحال الامراء وما اطاقوا ذلك ولكن لم يطلع من أيديهم شئ بسبب اضطراب الاحوال فى تلك الايام فكان كما يقال

اخضع لقرد السوء فى زمانه * وداره مادام فى سلطانه

وفيه أمر السلطان بهدم كنيسة اليهود التى فى دموه فتوجه الى هناك بنفسه وهدمت

بحضرته ثم عاد الى القلعة وفيه تزوج الامير طومان باى الدوادار الثانى بنت الملك المنصور عثمان بن الظاهر چقمق فكان لهامهم حافل وفيه كانت وفاة شيخنا علامة العصر الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر بن حسن بن عمران بن نجيب المعروف بالقادرى وكان شاعر العصر على الاطلاق بعد الشهاب المنصورى وكان مولده بعد الثلاثة والثلاثين والثمانمائة وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد فمن ذلك قوله فى ميقاتى وأجاد

فى صنعة الميقات بدر نجمه * بالسعد يخدمه مدى الساعات
حجت عيون الناس كعبة حسنه * وقضت مناسكها من الميقات

وقوله فى فرس محجل الثلاثة مطلوق اليمين

وطرف زانه التحجيل يحكى * لمن يحكيه بالسحر المبين
جواد رام أن يخفى نوالا * فأسبل كمه فوق اليمين

وفيه جاءت الاخبار من مكة بانه وقع بين السيد الشريف بركات وبين أخيه هزاع فتنة كبيرة وكادت أن تخرب فيها مكة المشرفة وفيه توفى امام الكاملية وابن امامها وكان من عباد الله الصالحين دينا خيرا لا بأس به وفى جمادى الآخرة وقعت الوحشة بين السلطان والامراء بل وبين خاله قانصوه بسبب ما تقدم من تلك الفتنة التى وقعت من حلف اقبردى وقد نسب فيها السلطان الى غرض وفيه قرر يحيى بن سبع فى امرية الينبع عوضا عن دراج بحكم صرفه عنها وفيه جاءت الاخبار بقتل الطواشى لؤلؤ الرومى رأس نوبة السقاة والخازندار وكان قد خرج الى الوجه القبلى فى بعض أشغال ليتوجه الى مكة المشرفة وكان صحبته السجينى المرافع فخرج عليهم جماعة من العربان فقتلوا لؤلؤ والسجينى ومن معهم وفيه نزل السلطان وبات فى تربة أبيه وحصل منه تلك الليلة عدة مساوى لا ينبغى شرحها وفيه جاءت الاخبار بوصول الطاعون الى قطيا وقد فشا بها وهو زاحف نحو الديار المصرية وفيه نادى السلطان فى القاهرة ومصر بان تعلق على الحوانيت قناديل وكذلك البيوت المطلة على الشوارع وصار يركب هو بنفسه فى كل ليلة بعد العشاء وقدامه فانوسان أكره وأربعة مشاعل ومعه أولاد عمه قيت وهما جانم وأخوه جانى بك وقدامه عدة عبيد سود معهم بندقيات نفط وكان اذا طاف بالقاهرة بعد العشاء ورأى أحدا يمشى يقطع أذنه مع أنفه ومنهم من يضربه بالمقارع ومنهم من يوسطه فقتل من الناس جماعة فى مدة يسيرة وكان اذا مر بدكان ولم ير عليها قنديلا يأمر بتسميرها وهو واقف بنفسه عليها حتى يسمروها وكل هذا خفة وطيش وقد بهدل حرمة المملكة فى أيامه ولم يتبع طريقة الملوك السالفة فى اقامة حرمة السلطان وصار على طريقة والى الشرطة وفيه قبض بعض الخاصكية والمماليك على عبد من عبيد السلطان يقال له فرج الله وكان مقربا عنده الى

الغاية فضربوه وقتلوه بالرميلة فشق ذلك على السلطان وتأسف عليه ولم يقدر أن يحميه من المماليك فانهم كانوا يومئذ طالبين للشر مع السلطان بسبب هذه الافعال التى تصدر منه وفيه قرر شاهين الجمالى فى نظر الحرم الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام على عادته فخرج الى السفر عن قريب وأمره السلطان بأن يتوجه الى يحيى بن سبع أمير الينبع ويصلح بينه وبين أمير مكة المشرفة وكان قد وقع بينهما فى تلك الايام وحشة وفى رجب ظهر الطاعون بالقاهرة ومات بها جماعة وفيه تخوفت خوند اصل باى أم الناصر على ولدها من خاله قانصوه وكانت المماليك قد التفت عليه فأحضرت المصحف العثمانى بين يديها فى قاعة العواميد وحلفت عليه أخاها قانصوه وابنها الملك الناصر محمد بوفاء كل منهما لصاحبه ولم تفد تلك الايمان شيأ وفيه خرج خاير بك بن قانصوه البرجى قاصدا الى ابن عثمان فخرج فى تجمل زائد وصرف فى هذه الحركة مالا له صورة وفيه توفى الشيخ داود المالكى وكان من أعيان علماء المالكية من أهل العلم والدين وكان لا بأس به وفى شعبان تزايد أمر الطاعون بالديار المصرية ومات من المماليك والاطفال والعبيد والجوارى جانب فلما كثر الموت فى المماليك صنع السلطان ثلاثين نعشا برسم من يموت بالقلعة وحصل بذلك النفع وفيه توفى اينال الفقيه الحسنى الظاهرى جقمق أحد الامراء الطبلخانات حاجب ثانى وكان دينا خيرا لا بأس به وفيه وقعت نادرة غريبة وهى أن شخصا من المماليك السلطانية مات وغسل وكفن ووضع فى نعشه وحمل ليدفن فبينما هو فى أثناء الطريق اضطرب وتحرك فى أكفانه فوضع على الارض وحلوا أكفانه فاستوى قائما وعاش بعد ذلك مدة وفيه توفى العزى عبد العزيز بن البرهان وكان من مشاهير الناس لا بأس به ومات بالطعن وفيه من الحوادث ان الصوفية الذين بالخانقاه البيبرسية ثاروا على شيخهم الشيخ جلال الدين الاسيوطى وكادوا أن يقتلوه ثم حملوه بأثوابه ورموه فى الفسقية وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وكان طومان باى الدوادار محطا عليه فلما تسلطن فيما بعد اختفى الشيخ جلال الدين الاسيوطى فى مدة سلطنته حتى كان من أمره ما سنذكره وفيه خلع السلطان على ماماى جوشن وقرره فى الحجوبية الثانية وفيه صارت معاملة الفلوس الجدد بالعدد وبطل أمر وزنها بالميزان وفيه تزايد شر المماليك وجاروا على الناس يخطف القماش من الدكاكين والبضائع من الاسواق وصاروا يستخفون بالسلطان والامراء قيل ان بعض المماليك كان راكبا على فرس حرون فصادف جنازة فى وجهه فجفل منها فرس ذلك المملوك ووقع الى الارض فقام وهاش وضرب الحاملين الذين كانوا يحملون الميت فلما عاين ذلك الحاملون ألقوا الميت على الارض وهربوا فلما هربوا وقع المملوك فى الميت وضربه بالدبوس حتى اشتفى وصار الميت ملقى على الارض الى

آخر النهار وقد جرت هذه الواقعة فى سويقة صفية وصار الطعن عمالا والمماليك جائرة فى حق الناس بالاذى حتى قلت فى ذلك هذه المداعبة وهى قولى

قد قلت للطعن والمماليك * جاوزتما الحد فى النكايه
ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما كفايه

وكان الناس على ماذكرناه من هذه الافعال الشنيعة والملك الناصر فى طيشانه ولعبه وفيه نزل الناصر الى بولاق فى ليلة سيدى اسماعيل الانبابى رحمه الله تعالى ورضى عنه وشق البحر فى مركب ومعه جماعة من العوام يغنون على النداء والاجهار وكان معه أولاد عمه وهما جانم وأخوه جانى بك وأحرق تلك الليلة ببولاق حراقة نفط عظيمة وبات فى المركب تلك الليلة وكانت من الليالى المشهورة وفعل مثل ذلك عدة مرار وفيه مات بالطاعون شاه بضاع بن دلغادر أمير التركمان وكان مقيما بالقاهرة وفيه جاءت الاخبار بأن العسكر الذين توجهوا الى مواجهة اقبردى قد تبعوه الى عين تاب وتقاتلوا معه هناك ووقع بينهم واقعة عظيمة فانكسر اقبردى كسرة مهولة وقتل من عصبته جماعة كثيرة منهم اينال السلحدار نائب حلب الذى كان معه وقتل لعلى دولات معه ولدان وقتل من الخاصكية والمماليك الذين كانوا معه جماعة كثيرة وقد حاربه كرتباى الاحمر نائب الشام أشد المحاربة وكان قد توجه اليه صحبة العسكر الى عين تاب حتى تحارب معه وانكسر وهرب وطلع على جبل الصوف وقيل انه لما انكسر وصعد على جبل الصوف توجه الى نحو الفرات بمن معه من الامراء والمماليك وفى رمضان تزايد أمر الطاعون وفتك فى المماليك والاطفال والغرباء والعبيد والجوارى فتكا ذريعا حتى قيل انه انتهى الى ثمانية آلاف من الاموات فكان كما قيل

ألا ان بحر الوبا قد طغى * وقد أرسل الطعن طوفانه
ولا عاصم اليوم من أمره * سوى رحمة الله سبحانه

ومات من الاعيان جماعة كثيرة منهم الناصرى محمد ابن الشهابى أحمد بن العينى وكان شابا رئيسا حشما أديبا عاقلا تولى من الوظائف حسبة القاهرة ونظر الجوالى ووكالة بيت المال وتوجه الى الحجاز أميرا أول فى دولة الملك الناصر وكان عنده من أخصائه ومات بيبرس ابن حيدر الاشرفى قايتباى نائب القلعة ومات الامير جان بلاط الغورى رأس نوبة النوب وكان قليل الاذى لا بأس به وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى ومات صنطباى المبشر الاشرفى قايتباى أحد الامراء الطبلخانات وماتت شاشة أم اقبردى الدوادار الجركسية فنزل السلطان وصلى عليها وحمل نعشها فانصرف خال السلطان ومشى به خطوات وماتت أم الجمجمة بن عثمان سرية أبيه محمد بن عثمان ملك الروم وكان اسمها چچك وكانت لا بأس بها ومات قيت الاشرفى أحد العشراوات وشاد الطرانة ومات عبد القادر الالواحى بواب

الدهيشة وكان عند الملك الناصر من جملة المقربين وكانت الناس تسعى فى الوظائف على يديه وفيه من الوقائع أن شخصا من المماليك الجلبان طعن فلما أشرف على الموت أحضر شهودا وأخرج بين أيديهم جملة قماش ما بين بشاخين ومقاعد ومخدات وبسط وغير ذلك ومبلغا نحوا من ثلاثة آلاف دينار وأخبر أنه نهب ذلك من مكان سماه ثم قال لغلامه امض وأتنى باصحاب ذلك القماش فمضى الغلام والشهود جالسون عنده فغاب ساعة ثم أحضر أصحاب القماش فعرفهم ذلك المملوك فسلمهم تلك الاموال والقماش بحضرة الشهود وسألهم المحاللة فلما حاللوه ومضوا مات من ليلته فعد ذلك من الوقائع ومات آخر من المماليك الجلبان فوجد عنده خمسة عشر ألف دينار فذكر غلامه أنه نهب ذلك من حاصل اقبردى الدوادار فى حارة زويلة فحمل ذلك المال الى خزائن السلطان ومات مصرباى بن على باى الذى كان نائب قلعة حلب وعزل عنها وفيه رسم السلطان لما كثر الموت بعمارة سبيل المؤمنين وهى المصلى التى بالرميلة وكان خرابا من حين حاصر اقبردى القلعة وفيه جدد الامير طومان باى الدوادار الثانى ما فسد من مدرسة السلطان حسن من حين كانت واقعة اقبردى الدوادار فجدد باب المدرسة الذى كان احترق وسد شبابيك القبة وأصلح ما فسد منها وأقيمت الخطبة بها وصلاة التراويح وكانت معطلة نحوا من عشرة أشهر بسبب ما تقدم وفيه قبض على انسان زعموا أنه ينبش القبور على الموتى ويسرق أكفانهم فأمر السلطان بسلخ وجهه وهو حى فسلخوه من رأسه الى رقبته وأرخوه على صدره وصار عظم رأسه ظاهرا وطافوا به فى القاهرة ثم علقوه على باب النصر واستمر معلقا الى أن مات ثم نودى للحفارين بحفظ أكفان الموتى وفى أواخره تناقص أمر الطاعون وكانت مدته ثلاثة أشهر ومات به زيادة على مائتى ألف انسان من كبير وصغير ومن المماليك السلطانية نحو من ألف ومائتى انسان وفى شوال خلع السلطان على قرقماس بن ولى الدين وقرره فى رأس نوبة كبير عوضا عن جان بلاط الغورى بحكم وفاته وفيه قرر بلباى المؤيدى من جملة المقدمى الالوف بمصر وفيه فى رابع عشره وصل سودون الدوادارى أحد الامراء العشراوات وصحبته عدة رؤس ممن قتل فى المعركة التى وقعت بين اقبردى والعسكر الذين خرجوا من مصر كما تقدم فكان عدة تلك الرؤس احدى وثلاثين رأسا وكان فيها رأس اينال السلحدار نائب حلب الذى فر مع اقبردى وفيها رأس ابن على دولات الذى قتل فى المعركة وقيل ان الذين قتلوا اثنان وثلاثون فكان لدخولهم فى القاهرة يوم مشهود ودخلت الرؤس وهى مشهورة على رماح وشقوا بها من القاهرة والمشاعلى ينادى عليها فلما عرضوا على السلطان رسم بان يعلقوا على أبواب المدينة فعلقت رأس اينال ورأس ابن على دولات على باب زويلة والباقى على باب النصر وغيره وكل هذا يشق على الملك الناصر فى الباطن وكانت له عناية بأقبردى وتعصب وأخبر سودون الدوادارى ان كرتباى الاحمر نائب الشام رجع الى الشام وان

جان بلاط نائب حلب رجع الى حلب وان العسكر واصل عن قريب وفيه جاءت الاخبار أن كرتباى الاحمر لما استقر فى نيابة الشام استولى على نيابة قلعة الشام أيضا مضافا لما بيده من نيابة الشام وهذا الامر عزيز الوقوع جدا وفيه أمر السلطان ببناء جامع الفيوم وكان القائم فى ذلك الشيخ عبد القادر الدشطوطى وأرسل السلطان صحبته جماعة من البنائين والمهندسين وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بان كاتب السر بدر الدين ابن مزهر لما توجه الى مكة أصلح بين أمير مكة المشرفة وأخيه بمرسوم السلطان وجاءت الاخبار من مكة المشرفة أيضا بوفاة بردبك نائب جدة وكان أحد المقدمين بمصر وخرج منفيا الى مكة المشرفة بعد كسرة اقبردى فمات بها وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى وكان لا بأس به وفيه كان ابتداء الوحشة بين السلطان وخاله وصار بعض الامراء يرمى بينهما الفتن حتى بلغ بذلك مقاصده وخيلوا الملك الناصر من خاله وخيلوا خاله منه باشياء من أنواع الحيل والخداع وأخذوا فى أسباب ما تمم به الحيلة على قتل الملك الناصر وقد سعوا فى ذلك سعى الشطار حتى كان من أمره ما سنذكره فى موضعه وقد قيل فى معنى ذلك

صف بالدهاء الذى يخشى الدهاء فما * ينام خيفة ان تبدو له الحيل

فقد يبيت بقلب ضمه أسد * ولا يبيت بقلب ضمه رجل

وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير ركب المحمل تانى بك الجمالى وأمير ركب الاول جان بلاط الموتر المحتسب وفيه جدد الامير قانصوه خال السلطان خطبة فى المدرسة البشيرية التى بدرب الخازن ولم يكن بها قبل ذلك خطبة فجدد الخطبة بسبب مماليكه وكان ساكنا بالقرب منها وفيه قبض الوالى على شخص من السراق فلما عرضه على السلطان أمر بقطع يده ورجله وألزم ذلك السارق أن يقطعهما بيده ففعل ذلك بحضرة السلطان وفيه دخلت التجريدة التى توجهت الى اقبردى الدوادار وقد حضروا من غير اذن السلطان فشق عليه ذلك وأخذ حذره من الامراء لكونهم دخلوا من غير اذن منه وفى ذى القعدة جاءت الاخبار من حلب بان اقبردى الدوادار لما بلغه أن التجريدة عادت الى مصر عاد الى عين تاب وصار ينهب البلاد ويقطع الطريق على التجار فلما بلغ الامراء ذلك أعياهم أمره وفيه تزايد أمر العربان بالشرقية حتى خرج اليهم قانصوه خال السلطان وقرقماس رأس نوبة كبير فلما خرج قانصوه خال السلطان سرح فى بلاد الشرقية والغربية سرحة عظيمة وغاب نحوا من شهر ودخل عليه جملة تقادم حافلة من الكشاف ومشايخ العربان وغيرهم وفيه قصد السلطان أن يخرج الى مولد سيدى أحمد البدوى رحمه الله ورضى عنه فلم يمكنه الامراء من ذلك وفيه توفى الخطيب الوزيرى شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عثمان المالكى وكان من أهل العلم والفضل لا بأس به وفى ذى الحجة عاد قانصوه خال السلطان من السرحة

فنادى له السلطان فى القاهرة بالزينة فزينت له ثم انه دخل فى موكب حافل وطلع الى القلعة فخلع عليه لسلطان خلعة سنية فلما نزل من القلعة ووصل الى رأس الصوة لاقاه جماعة من المماليك السلطانية الجلبان وبأيديهم دبابيس مسحوبة فقالوا له قل للسلطان ينفق علينا بسبب نصرته على اقبردى واستمروا يحاصرونه من رأس الصوة الى أن دخل بيته الذى عند درب حمام الفارقانى فلما دخل الى بيته وقفوا له على الباب حتى قلع الخلعة وأكل المدة وأركبوه ثانيا وطلعوا به الى القلعة وهو مهدد معهم بالقتل فلما طلع الى السلطان لم يوافقه على ذلك فردّ الجواب على المماليك بالمنع من السلطان فاستمروا صابرين حتى مضى عيد النحر وانقضى أمر تفرقة الاضحية فلبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة وحاصروا السلطان وهو بالقلعة وكان قانصوه خاله عنده فوق القلعة وتوجهوا الى بيت الاتابكى أزبك فاركبوه غصبا وطلعوا به الى القلعة فتكلم مع السلطان فى ذلك فامتنع ساعة ثم انه وقع الاتفاق على أنه ينفق عليهم بعد مضى شهر لكل مملوك خمسون دينارا فلما نزل الاتابكى أزبك من القلعة ردّ عليهم الجواب بذلك فخمدت تلك الفتنة وقلعوا آلة السلاح وفيه أخذ السلطان فى أسباب جمع الاموال فوزع على المباشرين جانبا وعلى قضاة القضاة جانبا وعلى أعيان الناس من التجار وغير ذلك حتى على اليهود والنصارى قاطبة ومشاهير السوقة والمتسببين وكان القائم فى ذلك قانصوه خال السلطان وأعوانه وهم ناصر الدين الصفدى وكيل بيت المال وابراهيم المهاجرى امام الامير قانصوه خال السلطان وقانى بك الدوادار جلس قانصوه خال السلطان فى داره الذى عند درب حمام الفارقانى وأحضر المعاصير والكسارات وأجى خود حديد على النار وطلب الناس بالرسل الغلاظ الشداد فاما قاضى القضاة المالكى ابن تقى فانه اختفى فى بيته وكذلك قاضى القضاة الحنبلى الشهاب الششينى وطلب القاضى شهاب الدين أحمد ناظر الجيش فامتنع مما قرر عليه فطرح على الارض ليضرب وكذلك ناظر الخاص علاء الدين بن الصابونى وعلى هذا قس بقية الناس من الاعيان والمشاهير فجمعت تلك الاموال من الناس بالضرب والحبس والتراسيم وحصل لهم غاية المشقة بسبب ذلك فكثر الدعاء على الناصر وخاله وقد تزايد الظلم والجور فى تلك الايام الى الغاية حتى فرج الله تعالى عن قريب وكان كما قيل

وماذا ينفع الترياق يوما * اذا وافى وقد مات اللديغ

فلما تكامل جمع الاموال ابتدأ السلطان بتفرقة النفقة فأعطى لطائفة المماليك القايتباهية لكل واحد منهم خمسون دينارا وما عدا ذلك خمسة وعشرين دينارا وفيه ان من أخبار الملك الناصر التى هى فى غاية البشاعة انه دخل الى حارة الروم وهجم على دار ابراهيم مستوفى الخاص ليلا وقبض على ولده أبى البقاء ورام توسيطه فالقى والده نفسه

عليه وافتداه بألف دينار قيل كان سبب ذلك أن الناصر بلغه أن زوجه أبي البقاء جميلة فهجم عليه بسببها فاخفوها منه فجرى بسبب ذلك ما جرى وهذا الكلام مستفاض بين الناس والله أعلم وفيه جاءت الاخبار من بلاد المغرب بان المسلمين أخذوا حصن جربة من أيدى الفرنج وكانوا قد استولوا عليه نحو امن سنة وأشهر فكانت النصرة للمغاربة على الفرنج وفيه كثرت الفلوس الجدد بأيدى الناس حتى صار النصف الفضة يصرف باربعة عشر من الفلوس الجدد وصار الدينار الذهب يصرف من الفلوس بثلاثين نصفا وصارت البضائع تباع بسعرين سعر بالفضة وسعر بالفلوس الجدد وأضر ذلك بحال الناس وقد وقع فى دولة الاشرف قايتباى أن النصف الفضة وصل صرفه بالفلوس أربعة وعشرين وفيه تزوج قايتباى قرأ مير اخور كبير بنت يشبك الدوادار التى كانت زوجة كرتباى ابن عمة السلطان الاشرف قايتباى الذى قتل فى واقعة اقبردى بمدرسة السلطان حسن وفيه خرج نوروز الخوخ أحد الامراء العشراوات قاصدا الى كرتباى الاحمر نائب الشام وعلى يده مراسيم بالعتب عليه لكونه استولى على نيابة قلعة الشام من غير اذن السلطان فتوجه اليه وعاد بعد مدة بغير طائل وفيه توفى اقباى استادار الذخيرة وكان لا بأس به وفيه جاءت الاخبار من مكة المشرفة بوفاة اسنباى الذى كان نائب الاسكندرية واتهم بموته كاتب السر لما توجه الى هنالك وقد خرجت السنة المذكورة عن الناس وهم فى أمر عظيم ووقع بها الغلاء والفناء والمصادرات وجور السلطان فى حق الناس كما تقدم وأذى المماليك فى حق الرعية وقد كان الناس فى غاية الاضطراب وما كفى هذا كله حتى فشا فى الناس داء يقال له الحب الفرنجى أعاذنا الله تعالى منه والمسلمين أجمعين بمنه وكرمه وقد أعيا الاطباء أمره ولم يظهر هذا بمصر قط الا فى أوائل هذا القرن ومات به من الناس ما لا يحصى

904

❁ ثم دخلت سنة أربع وتسعمائة فيها فى المحرم كان خليفة الوقت المستمسك بالله أبا الصبر يعقوب بن المتوكل على الله عبد العزيز وسلطان العصر الملك الناصر أبا السعادات محمد ابن الاشرف قايتباى رحمه الله وأما القضاة الاربعة فالقاضى زين الدين زكريا الشافعى والقاضى برهان الدين بن الكركى الامام الحنفى والقاضى عبد الغنى بن تقى المالكى والقاضى شهاب الدين احمد بن الششينى الحنبلى وأما الامراء المقدمون فقد تقلبت أحوالهم بموجب ما جرى من الفتن والقتل كما تقدم فى أخبار السنة الخالية فكان الاتابكى أزبك بن ططخ أمير كبير يومئذ وتانى بك الجمالى الظاهرى جقمق أمير سلاح وقانصوه المحمدى المعروف بالبرجى أمير مجلس وقانى باى الرماح أمير اخور كبير وقانصوه خال السلطان دوادار كبير واستادار كبير وكاشف الكشاف وقرقماس بن ولى الدين رأس نوبة كبير وقيت الرجبى حاجب كبير وبقية الامراء على حكم ما تقدم من أخبارهم وأما

المباشرون

المباشرون فالقاضى بدر الدين بن مزهر كاتب السر ونائبه صلاح الدين بن الجيعان والقاضى شهاب الدين أحمد ناظر الجيش والقاضى علاء الدين بن الصابونى ناظر الخاص ووكيل بيت المال وبقية المباشرين على حكم ماتقدم وفيه من الوقائع أن النيل أوفى تاسع عشر مسرى الموافق لرابع المحرم وكان السلطان عوّل على أن ينزل ويفتح السد بنفسه وأخذ فى أسباب ذلك فلم يمكنه الامراء من ذلك خوفا عليه من القتل فشق عليه ذلك فلما صلى العشاء نزل من القلعة على حين غفلة وقدامه عدة فوانيس ومشاعل ومعه أولاد عمه وبعض خاصكية نحو من مائة خاصكى فتوجه الى السد وفتحه تحت الليل ثم توجه الى سد قنطرة قديدار ففتحه أيضا ثم عاد الى القلعة وكل هذا تحت الليل فلما طلع النهار وجد الناس الماء فى الخلجان والبرك قد غمرت بالمياه فتعجبوا من ذلك وما وقع قط فى الجاهلية ولا فى الاسلام أن السد فتح بالليل وقد قطع على الناس فرحتهم بيوم الوفاء وما كان فيه من القصف والفرجة المعتادة وفى هذه الواقعة يقول الناصرى محمد بن قانصوه بن صادق

منذ للسلطان قالوا * للورى بالكسر جبر

كسر السدّ بليل * فغدا للناس كسر

وفيه توجه السلطان الى قناطر أبى المنجا وفتح سدها أيضا فعد ذلك من النوادر وفيه ضرب السلطان الكرة بالحوش فى غير موكب وكان معه بعض أمراء الطبلخانات والعشراوات منهم الامير طومان باى الدوادار الثانى فاقتحم على أخذ الكرة من السلطان فخنق منه السلطان وضربه على ظهره بالصولجان غير مرة فكان ذلك من جملة ماحقده طومان باى حتى كان سببا لقتله عن قريب وفيه مر السلطان من بين القصرين بعد العشاء فرأى شخصا ماشيا فى السوق وقد خرج من الحمام فقيل له هذا الرجل سكران فوسطه ولم يفحص عن أمره وراح ذلك الرجل ظلما وكان الناصر قد تزايد شره فى تلك الايام الى الغاية وفيه نادى السلطان لسكان بركة الرطلى بأن يوقدوا بها وقدة سبع ليال متواليه فامتثلوا ذلك وصار ينزل فى المراكب ويطوف البركة هو وأولاد عمه وان رأى امرأة جميلة فى بيتها هجم عليها وطلع لها من الطاق وأخذها غصبا وضرب زوجها بالمقارع فى وسط بيته فارتاب الناس منه وبقى على رؤسهم طيرة وفيه من الحوادث انه أشيع بين الناس ان السلطان عمل له برقا حافلا بتربة أبيه وقد عول على أن يسافر فى الدس الى نحو البلاد الشامية بسبب اقبردى الدوادار ليكون له عونا على نصرته ودخوله الى مصر وكان الناصر له عناية باقبردى ظاهرا وباطنا فلما بلغ الامراء ذلك توجهوا الى المكان الذى فيه السنيج ونهبوه الى آخره وضربوا الغلمان الذين تعينوا الى السفر مع السلطان وكادت أن تكون فتنة مهولة بسبب ذلك وقصدوا أن يلبسوا آلة السلاح ويثيروا فتنة عظيمة ثم سكن الامر قليلا وفيه وصل الحاج

ودخل الى القاهرة بعد أن قاسى مشقة زائدة وعطشا وقلة أمن من فساد العربان وأشيعت الاخبار بوفاة يوسف بن أبى الفتح كاتب المماليك مات بمكة المشرفة وكان مجاورا بها وكان لا بأس به وفيه وقعت نادرة وهى أن المحمل لما دخل الى القاهرة صحبة الحجاج شق المدينة فلما أن وصل الى جامع المارداني بركوا جمل المحمل هنالك وأرادوا أن ينزعوا ما عليه من القماش واذا بقاصد من عند السلطان يطلب المحمل وكان بقبة يشبك التى بالمطرية فتوجهوا به اليه فشقوا به من القاهرة ثانيا حتى رآه السلطان وهو بالقبة ثم عادوا به فشق القاهرة ثالث مرة فعد ذلك من النوادر التى قط ما وقعت وفى صفر جاءت الاخبار من البحيرة بان الجويلى ومرعى أثاروا فتنة مهولة بالبحيرة ونهبوا البلاد وأسروا النساء وقتلوا الاطفال وأشيع ان الجويلى حلف أنه لا يمكن أحدا من أرباب الدولة أن يأخذ خراجا من بلاد الغربية والبحيرة فى السنة المذكورة فلما تحقق السلطان ذلك عين تجريدة الى البحيرة فلم يوافق أحد من الامراء ولا العسكر على ذلك وكان النيل فى قوة زيادته ثم ان السلطان نادى للعسكر بالعرض فى الميدان فلما حضر العسكر لم ينزل اليهم السلطان وقد تخوف على نفسه فانفض ذلك الجمع وكثر القال والقيل بين الناس وكانت أيام الناصر كلها فتنا وشرورا وفيه ظهر البدرى بن مزهر كاتب السر وكان مختفيا فارسل له السلطان بالامن والامان وفيه قرر السلطان قانصوه چركس المعروف بابن اللوقانى حجوبية الحجاب بدمشق وفيه قرر ابراهيم بن يحيى المهاجرى فى نظر الديوان المفرد بواسطة قانصوه خال السلطان فانه كان امامه وفيه نودى فى القاهرة من قبل السلطان بان جميع الحوانيت التى بالاسواق والشوارع يبيضون وجوهها ويزخرفونها بالدهان فحصل للناس بسبب ذلك غاية المشقة ثم رسم بتبييض وجوه الربوع المطلة على الشوارع وكل هذا من وسائط السوء التى حوله وعقل الصغار وفيه تزوج السلطان بمصر باى الچركسية زوجة كرتباى أخو اقبردى الدوادار الذى كان نائب صفد ووقع بين السلطان وأمه بسبب زواج مصرباى مالا خير فيه وكانت عليه كعب الشوم فاقام معها دون الشهر وقتل وفى ربيع الاول طلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر فلما تكامل المجلس أحضر السلطان المصحف العثمانى بين يديه وحلف العسكر قاطبة عليه ثم حلف الامراء فلما حلفوا قالوا مثل ما حلفنا للسلطان يحلف لنا هو أيضا أنه لا يسلك منا أحدا بغير سبب فتوقف السلطان فى ذلك اليمين وكان المتكلم بين السلطان والامراء تانى بك الجمالى أمير سلاح فانفض المجلس على مانع ونزل الامراء من غير رضا فلما كان يوم الجمعة لم يطلع من الامراء أحد الى صلاة الجمعة مع السلطان واجتمعوا فى بيت قانصوه خاله ولم يمكنوه من الطلوع الى القلعة واستمر الحال الى يوم الاثنين ثم ان السلطان أرسل نقيب الجيش الى طومان باى الدوادار الثانى وطرا باى أمير اخور ثانى وازدمر شاد الشراب خاناه واسنباى فقال لهم نقيب الجيش عن لسان

السلطان

السلطان رسم السلطان لكم بأن تكتبوا وصية وتخرجوا فى عقيب هذا اليوم وتوجهوا الى مكة المشرفة من البحر فلم يلتفتوا الى كلام نقيب الجيش وقالوا له ما نخرج من مصر لموضع ومهما يفعل بنا يفعل فعند ذلك أضمر والله السوء وتغيرت عليه خواطر الامراء قاطبة وهو فى غفلة عما يراد به وقد حقدوا عليه قبل ذلك مما يقع منه من هذه الافعال الشنيعة وصار كل أحد من الناس حاقدا عليه باطنا وظاهرا من سوء تدبيره كما قيل

ما تفعل الاعداء فى جاهل * ما يفعل الجاهل فى نفسه

وفيه ظهر مصرباى وآخرون من الامراء ممن كانوا مختفين من عصبة اقبردى الدوادار فلما ظهروا طلعوا الى القلعة وهم مصرباى وقانبك أبوشامة وقانصوه التاجر وتمرازجوشن وقانصوه الساقى وآخرون من الخاصكية وكان ظهورهم بأمر السلطان وجماعة من الاينالية منهم دولات باى بن عينى وبرقوق الساقى فلما قابلوا السلطان خلع عليهم وعلى خاله وأشيع بان الصلح قد وقع بين حلف اقبردى الدوادار وبين حلف قانصوه خمسمائة وكان هذا أكبر أسباب الفساد فى حق الملك الناصر وأخذ عقيب ذلك بايام وفيه نزل السلطان بقبة يشبك الدوادار التى بالمطرية فأقام بها الى آخر النهار وعاد الى القلعة وكان هذا آخر ركوبه الى جهة قبة يشبك وفيه عمل السلطان المولد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فلم يطلع الى القلعة من الامراء سوى أزبك أمير كبير وتانى بك الجمالى أمير سلاح وبعض أمراء عشراوات والقضاة الاربعة ولم يطلع خاله قانصوه ولا أحد من الامراء ولا حضروا المولد ووقع فى ذلك اليوم من المماليك الجلبان فى حق الامراء والفقهاء ما لا خير فيه ورجموا الامراء من الاطباق وكبوا عليهم الماء المتنجس بالاوساخ وخطفوا عمائم الفقهاء وكان يوما مهولا فلما انقضى يوم المولد بعث السلطان يقول لطومان باى دوادار ثانى اخرج فى هذه الساعة على جرائد الخيل الى جهة البحيرة بسبب فساد جويلى ومرعى فخرج طومان باى من يومه وأتى الى بر الجيزة ونصب بها خيامه فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر الشهر المذكور نزل السلطان من القلعة وتوجه الى نحو القناطر العشرة وكان ذلك فى أواخر النيل فعدى الى بر الجيزة وسبقه الخيام والمطبخ وكان عنده جانب كبير من بقية احتياج المولد فلما وصل السلطان الى الوطاق نزل به ولم يكن معه سوى أولاد عمه قيت وهما جانم وجانى بك أخوه وجماعة من الخاصكية ولم يتوجه معه أحد من الامراء ولا خاله فارسل أحضر أبا الخير ومعه خيال الظل وجوق مغانى العرب وبرابوه رئيس المجيطين فأقام هناك ثلاثة أيام وهو فى أرغد عيش وقد خرج عن الحد فى اللهو والخلاعة والانشراح ومد هناك أسمطة حافلة وحلوى وفاكهة وغير ذلك وأنعم على جماعة من الخاصكية بخيول وقماش ومال وانشرح فى تلك الايام بخلاف العادة وتلاعبت به الدنيا

الشهر المذكور

كما تلا عبت بامثاله من المقدمين فكان كما قيل

تزود من الدنيا فانك لا تدرى * اذا جن ليلك هل تعيش الى الفجر

فكم من صحيح مات من غير علة * وكم من عليل عاش حينا من الدهر

وكم من فتى يمسى ويصبح آمنا * وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

فلما كان يوم الاربعاء خامس عشر الشهر المذكور أدركت السلطان تفرقة الجامكية فأذن للخاصكية الذين كانوا معه أن يتقدموا قبله كى لا يزاحمونه وقت التعدية فتقدم جماعة منهم وراحوا الى بيوتهم فصلى السلطان العصر وركب ولم يبق معه سوى ابنى عمه وبعض سلحدارية فلما ركب مر على الطالبية وكان الامير طومان باى هناك بقصد التوجه الى البحيرة كما تقدم ذكره فلما مر عليه خرج له طومان باى مسرعا وعزم عليه فلم ينزل عنده فخرج اليه بجفنة فيها لبن فاخر فوقف السلطان وهو راكب على فرسه فقدموا له الجفنة اللبن ومعلقة فمديده الى الجفنة وأكل من اللبن فبينما هو يأكل والامير طومان باى ماسك لجام فرسه فلم يشعر الا وقد خرج عليه كمين من الخيام التى هناك نحو من خمسين مملوكا وهم لابسون آلة السلاح فاحتاطوا به وعاجلوه بالحسام قبل الكلام فقتلوه شر قتلة وحملوا عليه اى حملة فجاءته ضربة على عاتقه وكتفيه فهدلته وطعن فى جوفه فوقع عن فرسه الى الارض وقتلوا أولاد عمه الاثنين جانم وأخاه جانى بك وكانا شابين جميلين وقتل معهما شخص من السلحدارية يقال له أزبك الغمرى الخاصكى المعروف بالبواب وكان من خواص السلطان وتقرب هذه الواقعة من واقعة الاشرف خليل ابن الملك المنصور قلاون وقد قتل مثل هذه القتلة بعينها فى تروجة بمكان يعرف بالحمامات وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة قتله مماليك أبيه أيضا وكانت قتلة الملك الناصر فى يوم الاربعاء بعد العصر خامس عشر ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة وقتل بارض الطالبية وقد نسب قتله الى طومان باى وأزبك وازدمر وبعض مماليك أبيه فكان كما قيل فى المعنى

كنت من كربتى أفر اليهم * فهم وكربتى فأين المفر

أو كما قيل رعاة الشاة تحمى الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة هى الذئاب

فلما قتل الملك الناصر صارت جثته مرمية على الارض ومن قتل معه فلما دخل الليل حمله جماعة شيخ الطالبية وأدخلوه مسجدا هناك وألقوه على حصير هو ومن معه وهو ملطخ فى دمه ورأسه مشتبكة فى جثته ببعض شئ فبات هناك فى تلك الليلة فلما جاءت الاخبار الى القاهرة بما وقع للناصر من قتله اضطربت أحوال المدينة وماجت باهلها ولبس العسكر آلة الحرب وكانوا تلك الليلة فى اضطراب وكان جماعة من الامراء قرروا مع الامير قانصوه خال السلطان انه اذا قتل الناصر يكون هو السلطان بعده فتغافل عن هذه الواقعة حتى قتل الناصر ولولا انهم استمالوا خاله لما قدروا عليه ولا قتلوه فلما كان يوم الخميس صبيحة ذلك الامر

بعث خال السلطان ثلاثة نعوش الى الطالبية فأحضروا جثة السلطان وأولاد عمه جانم وأخاه جانى بك وازبك الخاصكى فلما عدوا بهم من الجيزة أتوا بهم الى بيت الاشرف قايتباى الذى أنشأه بقرب حمام الفارقانى فغسلوا السلطان وأولاد عمه والخاصكى وأخرجوا ولم يكن معهم غير الحمالين فقط فأتوا بهم الى باب الوزير فلم يجدوا من يصلى عليهم حتى أمسكوا بعض الفقهاء وصلى عليهم ثم توجهوا بهم الى تربة الاشرف قايتباى فدفنوا الملك الناصر على أبيه داخل القبة وأولاد عمه على جانم قريب السلطان وازبك الخاصكى وحده بعيدا عنهم فى التربة وقد رثيت الملك الناصر لما مات بهذين البيتين وهما قولى

دفن الناصر

ياقبر لا تظلم عليه فطالما * جلى بطلعته دجى الاظلام
طوبى لقبر قد حواه وكيف لا * يحكى السماء وفيه بدر تمام

وكان الملك الناصر حسن الشكل أبيض اللون عربى الوجه نحيف الجسد معتدل القامة وكان ضعيف الخط فى العلامة قتل وله من العمر نحو من سبع عشرة سنة وكان مولده سنة سبع وثمانين وثمانمائة وكان يوصف بالكرم الزائد والشجاعة لكنه كان جاهلا عسوفا جرىء اليد سفاكا للدماء سيىء التدبير كثير العثرة للاوباش من أطراف الناس ووقعت منه أمور شنيعة فى مدة سلطنته لا ينبغى شرحها وليس له من المحاسن الا القليل وسار فى المملكة أقبح سير ولم يقع من أبناء الملوك من السوء قط ما وقع منه فى سائر أفعاله حتى جاوز الحد فى ذلك وفيه أقول

سلطاننا الناصر المفسدى * أخباره نقلها صحيح
بالجهل أضحى قبيح فعل * فلم يفد شكله المليح

وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية نحو من سنتين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوما وكانت أيامه كلها فتنا وشرورا وحروبا قائمة كما تقدم ذكر ذلك من الوقائع وما كان قصد السلطان الاشرف قايتباى أن يتسلطن ولده خوفا عليه من ذلك انتهى ما أوردناه من أخبار الناصر محمد ابن الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى وذلك على سبيل الاختصار ولما قتل الملك الناصر تولى بعده خاله المقر السيفى قانصوه الدوادار الكبير

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبى سعيد قانصوه ابن قانصوه الاشرفى

وهو الثالث والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو السابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد وكان أصله جركسى الجنس اشتراه الامير قانصوه الالفى مع جملة مماليك وقدمهم للسلطان الاشرف قايتباى فى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة

فأنزل بالطبقة مع جملة المماليك الكتابية فاقام بها مدة يسيرة ثم ظهر انه أخو سرية السلطان أصل باى الجركسية ام ولده محمد الذى تسلطن فأخرج له السلطان خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك الجمدارية فاقام على ذلك حتى توفى الاشرف قايتباى وتسلطن ولده الناصر محمد فجعله خازندار كبير وبقى يسمى خال السلطان فلما وثب قانصوه خمسمائة على الملك الناصر كما تقدم لم يكن عنده بالقلعة الا خاله قانصوه هذا وجماعة كثيرة من المماليك الجلبان فقام قانصوه بنصرته هو والمماليك الجلبان وقاتلوا قتال الموت بعدما أرسل قانصوه خمسمائة بادخال الناصر الى قاعه البحرة وتقييده فلما انتصر الناصر على قانصوه خمسمائة خلع على خاله قانصوه وقرره أمير طبلخانات وشاد الشراب خاناه دفعة واحدة فعظم أمره وشاع بين الناس ذكره ولما ركب اقبردى الدوادار وانكسر وتوجه الى البلاد الشامية خلع السلطان على خاله وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن اقبردى ثم قرره فى الوزارة والاستادارية فعظم أمره جدا فلما قتل الناصر وقع الاضطراب بين الامراء فيمن يتسلطن بعد الناصر فاجتمع الامراء بدار الظاهر تمربغا وحضر الاتابكى أزبك وبقية الامراء وأشيع فى ذلك اليوم أن قانصوه خمسمائة فى قيد الحياة فنودى له بالامان وأن يظهر فلم يكن لهذا الكلام تأثير وبطلت هذه الاشاعات ثم قالوا للاتابكى أزبك تتولى السلطنة أنت فحلف بالطلاق ثلاثا من بنت الملك الظاهر بانه ما يتسلطن وان يعود الى مكة المشرفة كما كان ثم صعدوا الى باب السلسلة وحضر قانصوه خال السلطان الناصر من بيته المشهور وصعد الى باب السلسلة ووقع الاتفاق على سلطنته وكان القائم فى ذلك طومباى باى الدوادار الثانى فأرسل خلف أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربعة وهم زين الدين زكريا الشافعى والبرهان بن البكرى الحنفى وعبد الغنى بن تقى المالكى والشهاب الششينى الحنبلى فبايعه الخليفة بالسلطنة وشهد عليه القضاة الاربعة بذلك وتلقب بالملك الظاهر أبى سعيد وذلك فى يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول من سنة أربع وتسعمائة وذلك فى أثناء الساعة الرابعة وهى لرحل فاحضر شعار الملك وهو الجبة والعمامة السوداء والسيف البداوى فافيض عليه شعار الملك وقدمت له فرس النوبة وركب من سلم المقعد الذى بباب السلسلة ومشت الامراء بين يديه وركب الخليفة معه وتقدم الاتابكى أزبك وحمل القبة والطير على رأسه وكان هو أولى بالسلطنة من كل أحد وقد فاتته عدة مرار كما قيل

اذا رفع الزمان محل شخص * وكان سواه أولى لو تصاعد

فكم فى العرس أبهى من عروس * ولكن للعروس الوقت ساعد

فلما طلع الظاهر الى القصر جلس على سرير الملك فأول من قبل له الارض الاتابكى أزبك

ثم بقية الامراء شيأ فشيأ وقيل ان الذى لقبه بالملك الظاهر هو تانى بك الجمالى أمير سلاح فلما جلس خلع على الخليفة ونزل الى داره وخلع على الاتابكى أزبك بالاستمرار فى الاتابكية وخلع على طومان باى الدوادار الثانى وقرره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن نفسه ثم دقت البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت الاصوات له بالدعاء وفرح كل أحد من الناس بسلطنته بغضا فى الملك الناصر مما كان يفعله من الافعال الشنيعة فلما كان وقت صلاة الجمعة من ذلك اليوم خطب باسم الملك الظاهر على المنابر وجاء فى حال سلطنته باشياء على الوضع وانصلحت الاحوال فى أيامه على قدر ما كان جلبا فتولى الملك وله من العمر دون الثلاثين سنة وكان له عقل وافر وثبات جنان والذى وقع له لم يقع لاحد من مبتدا دولة الاتراك الى الآن فانه كان من دخوله الى مصر واقامته فى الطبقة وحضوره من بلاد جركس وامريته وسلطنته دون الست سنين وهذا لم يتفق لاحد من الاتراك قبله وكان من جملة الجمدارية فى دولة الاشرف قايتباى ثم صار فى دولة الناصر كما تقدم وكان له سعد خارق من العناية الازلية فى القدم كما قيل

اذا خص الرحمن عبدا بنعمة * فكل حسود بعد ذلك مقمع

فيا طالب العلياء مهلا ولا تطل * فليس بسعى المرء ما شاء يصنع

وفى حال سلطنته حضر سيف كرتباى الاحمر نائب الشام لموته وقدمات الناصر بحسرة أن يسمع بذكر موته ويقال ان الناصر رشا على قتل كرتباى الاحمر بألف دينار قيل ان بعض غلمانه سمه فى زيق الكوفية وقيل فى قبة العرقية فلما لبسها وعرق سرى السم فيه فورم وجهه ووصل الورم الى قلبه فمات وقد تمت حيلة الناصر عليه وكان كرتباى الاحمر أميرا جليلا رئيسا وكان يجرى على الناصر وينهاه عن هذه الافعال الشنيعة فكرهه بواسطة ذلك وكان الناصر يصور أوراقا بقاعة البحرة بهيئة كرتباى الاحمر وهو مسمر على جمل والناس تنشبه وكان كرتباى يصرخ فى وسط مجلسه فى الشام ويقول أنا من تحت حكم صبى أو امرأة يعنى الناصر وأمه ولما استقر كرتباى فى نيابة الشام ملك قلعتها وطرد نائبها ووقع منه أمور شتى فى حق السلطان الناصر يطول شرحها وفى ذلك اليوم ثار جماعة من المماليك الجلبان على ناصر الدين الصفدى وكيل بيت المال فضربوه ضربا مبرحا حتى كاد أن يموت وفيه عمل السلطان الموكب بالقصر وخلع على قصروه بن اينال وقرره فى نيابة حلب عوضا عن جان بلاط بن يشبك وأرسل الى جان بلاط خلعة ونقله من نيابة حلب الى نيابة الشام عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم وفاته وفيه قرر الامير طومان باى فى الوزارة والاستادارية مضافا لما بيده من الدوادارية الكبرى وفيه ثار جماعة من المماليك الناصرية على الامير طومان باى وربجوه من الطباق وقصدوا قتله غير مامرة وقد أشيع عنه انه كان سببا

لقتل الناصر فلما بلغ السلطان ذلك رسم بسد جميع الطباق والشبابيك والمناور التى تطل على دهاليز القلعة من طباق المماليك وفيه خلع السلطان على طراباى الشريفى وقرره فى الدوادارية الثانية عوضا عن طومان باى المذكور وقرر تانى بك الجمالى أحد الامراء العشراوات فى الخازندارية وقرر اقباى الطويل فى نظر الجوالى وأنعم على بيبرس الاشقر بامرية عشرة وفيه قبض الامير طومان باى على على بن رحاب المغنى وضربه بالمقارع وشهره بالقاهرة وهو عريان مكشوف الرأس على حمار وكان على بن رحاب طالما أدخل نفسه فيما لا يعنيه وتعصب لاقبردى الدوادار وصار بسبب الامراء سباقبيحا فى المجالس جهارا ويهجوهم الهجو الفاحش ويصرح بذلك فى السماعات وهو على الدكة وكان كرتباى الاحمر قبض عليه قبل ذلك وأراد ضربه ثم وبخه بالكلام وعفا عنه فلما زاد فى هذا الامر ضربه طومان باى وشهره فى القاهرة والمشاعلى ينادى عليه هذا جزاء من يكثر كلامه ويدخل نفسه فيما لا يعنيه وفيه أخذ السلطان فى أسباب تحصيل الاموال لاجل النفقة على الجند فقرر على الشهابى أحمد ناظر الجيش مبلغا له صورة فاختفى فلما اختفى خلع السلطان على القاضى عبد القادر القصروى وقرره فى نظر الجيش عوضا عن الشهابى أحمد بحكم اختفائه وفيه اختفى الشهابى أحمد بن العينى بسبب مال فرض عليه واختفى جوهر المعينى الزمام بسبب مال فرض عليه وقبض على محسن الطواشى الخازندار وآخرين من الطواشية وقرر عليهم الاموال وتسلم طراباى محسن الخازندار والطواشية وعاقبهم واستخلص منهم الاموال حتى باعوا جميع ما يملكونه من بيوت وقماش ولم يبق مما قرر عليهم شئ وكان من جملة الطواشية مسك الساقى وغيره من الطواشية وفى ربيع الآخر خرج قصروه فى نيابة حلب وخرج صحبته اقباى الذى قرر فى نيابة قلعة الشام وفيه تعين قرقماس بن ولى الدين رأس نوبة كبير فى امرية ركب المحمل وتعين أزبك المكحل أحد الامراء الطبلخانات فى امرية الركب الاول وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن اقبردى الدوادار قد حاصر حلب أشد المحاصرة وأحرق ما حولها من الضياع وأشرف على أخذ المدينة وقد التم عليه الجم الغفير من الناس والتركمان وحصل منه غاية الضرر فلما تحقق السلطان ذلك عين تجريدة ثقيلة الى اقبردى وكان باش العسكر تانى بك الجمالى أمير سلاح وبها من الامراء المقدمين قانى باى أمير اخور كبير وسودون العجمى وبلباى المؤيدى وجماعة من الامراء الطبلخانات والعشراوات وعدة وافرة من العسكر فأنفق عليهم واستحثهم على الخروج الى حلب بسرعة وفيه توجه جانم طاز الابراهيمى أحد العشراوات الى على دولات بن دلغادر وصحبته خلعة وتقليد الى على دولات باستمراره على امرية التركمان على عادته وفيه أمر السلطان بتوسيط شخص من المماليك يقال له

الناس وقد قتل قتيلا فوسطه السلطان بسبب ذلك وفى جمادى الاولى فى يوم الاثنين عاشره خرجت التجريدة المعينة الى اقبردى الدوادار وكان الخروج فيها يوم مشهود وفيه صنع السلطان مولدا فى غير وقته وحضر فيه القضاة الاربعة على العادة وكان يوما حافلا سلطانيا وفيه أنعم السلطان على جان بردى الاشقر الكاشف بامرية عشرة وفيه جاءت الاخبار من دمشق بوفاة هلال الطواشى الرومى وكان صار مقدم المماليك وكان لا بأس به وفيه كان ابتداء نفقة البيعة على الجند وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان قصروه الذى قرر نائب حلب لما دخل الى الشام وضع يده على مال كرتباى الاحمر جميعه وكان مبلغا ثقيلا نحو امن سبعة وستين ألف دينار وكان هذا أول عصيان قصروه واستخفافه بالسلطان فلما بلغ السلطان ذلك تنكد لهذا الخبر وعين مشد أحد الدوادارية بالتوجه الى قصروه وان يأمره بردما أخذه من مال كرتباى الأحمر فلما توجه الى قصروه لم يلتفت الى مراسيم السلطان ولا رد شيأ من المال الذى أخذه واعتذر باشياء لم تقبل وفيه قبض السلطان على شخص من الحرامية يقال له ابن الوارث فقطع لسانه وكحلت عينه بالنار ومع هذا لم يرتجع عن الحرام والسرقة وقد قبض عليه بعد ذلك وعلى رأسه عمامة والطبع فى الانسان لا يتغير وفيه جاءت الاخبار بوفاة كمشبغا الشريفى نائب الاسكندرية وكان لا بأس به وفيه أخرج السلطان تقدمة أزبك اليوسفى بحكم أنه كبر سنه وعجز عن الحركة فلما أخرجت عنه أنعم السلطان بها على ازدمر بن على باى الذى كان شاد الشراب خانه وفى جمادى الآخرة عاد الامير طومان باى الدوادار من السرحة التى سرحها نحو بلاد الصعيد وأحضر صحبته من الاغنام فوق الاربعة آلاف رأس زعموا أنها من أغنام عرب عزالة وجرى فيما بعد أمور غريبة بسبب ذلك يأتى الكلام عليها وفيه قرر السلطان أزبك المكحل فى نيابة الاسكندرية عوضا عن كمشبغا الشريفى وفيه كثرت المصادرات للمباشرين وأعيان الناس بسبب النفقة وقد عجز السلطان عن سدها وفيه عين السلطان البدرى بن مزهر كاتب السر بان يخرج الى مكة المشرفة فى بعض المهمات الشريفة وفيه قبض السلطان على الناصرى بن خاص بك أخى خوند زوجة الاشرف قايتباى فأقام فى الترسيم مدة وطلب منه مال له صورة وعرض للضرب غير مامرة وقد آل أمره الى أن يخرج أمير حاج بالركب الاول وأمره بأن يقوم بما يحتاج اليه من ماله ولا يأخذ من السلطان شيأ ثم قبض على اخت خوند بنت خاص بك التى كانت زوجة أقبردى الدوادار ورسم عليها وطالبها بمال له صورة وزعم أن أقبردى أودع عندها مائة ألف دينار وأجرى عليها ما لا خير فيه من الانكاد والضرر وفيه غمز بعض التجار على قنبك أبى شامة أحد الامراء وكان مختفيا فى مكان فى رأس حارة زويلة فكبس عليه والى الشرطة ومعه جماعة من المماليك فلما دخلوا عليه هاش عليهم بالسيف فتكاثروا عليه

ومسكوه وقتلوه بالدار التى كان بها وكان قنبك أبو شامة من الامراء الطبلخانات وكان من أكبر أصحاب أقبردى الدوادار وقد فاته القتل عدة مرار وكان غير مشكور السيرة فى أفعاله وفى رجب أنعم السلطان على أنس باى وقرره فى شادية الشراب خانه عوضا عن ازدمر ابن على باى بحكم انتقاله الى التقدمة وفيه خلع السلطان على بخشباى وقرره فى نيابة حماه وخرج اليها فيما بعد وفيه قرر شخص يقال له محمد الباسطى فى التكلم على جهات الحسبة وجرى من الباسطى هذا أمور يطول شرحها وآل أمره الى ان ضرب بالمقارع وشهر على جمل فى دولة العادل طومان باى وفى شعبان غرق محب الدين محمد ابن قاضى القضاة الشافعى زين الدين زكريا قيل انه كان فى مركب فغرق قدام المقياس وكان غير مشكور السيرة وفيه جاءت الاخبار بأن الامير طومان باى الدوادار لما توجه الى جهة الصعيد احتال على حميد بن عمر أمير عربان هوارة فلما ظفر به قتله وحز رأسه وأرسلها الى مصر فعلقت بباب زويلة ثلاثة أيام وفيه فى حادى عشره وصل خاير بك أخو قانصوه البرجى الذى توجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وكان الملك الناصر أرسله قاصدا عن لسانه الى ابن عثمان فأكرمه وأظهر الفرح بسلطنة الملك الناصر فلما بلغه قتله الملك الناصر شق عليه ووبخ خاير بك بالكلام وفيه تغير خاطر السلطان على جان بردى الغزالى كاشف الشرقية وأمر بتوسيطه حتى شفع فيه وفيه عاد الطاعون الذى كان فى العام الماضى ومات فيه كثير من الناس من الغرباء ممن فر وعاد بعد رفع الطاعون وفى هذه السنة كان الطاعون خفيفا جدا وفيه جاءت الاخبار بأن عسكر ابن عثمان زحفوا على بلاد السلطان وآل الامر الى أن ابن عثمان أرسل يقول لنائب حلب اعزل ابن طرغل فأجابه نائب حلب الى ذلك وعزل ابن طرغل وفى رمضان خلع السلطان على بهاء الدين عبد الرحمن بن قدامة الدمشقى وقرره فى قضاء الحنبلية وصرف عنها الشهاب أحمد بن الشيشينى فأقام ابن قدامة فى منصب القضاء شهرا واحدا وأربعة أيام وعزل عنها وأعيد الشيشينى الى القضاء ثانيا وفيه تغير خاطر السلطان على الشيخ سراج الدين عبد البر بن الشحنة ورسم بنفيه الى قوص فشفع فيه بعض الامراء من النفى فرسم له بأن يلزم داره ولا يركب ولا يجتمع على أحد من الناس وجرت عليه أمور مهولة فى تلك الايام وفيه اجتمع السلطان والامراء فى قاعة البحرة وضربوا مشورة فى أمر اقبردى الدوادار فوقع الاتفاق فى ذلك اليوم على أن أقبردى يستقر فى نيابة طرابلس وان اقباى الذى كان رأس نوبة كبير يستقر فى الاتابكية بدمشق وان تانى بك قراباى توجه الى القدس بطالا فانفصل المجلس على ذلك وفيه تغير خاطر السلطان على جان بلاط الابح نائب القلعة وأمر بنفيه نحو البلاد الشامية حتى شفع فيه بعض الامراء من النفى وفيه وقع للناصرى محمد ابن بنت جمال الدين الاستادار كائنة عظيمة

وهى أن شخصا تخاصم معه فشكاه من بيت طرابای وكان يومئذ دوادارا ثانيا فوقع من ابن بنت جمال الدين فى المجلس بعض كلام فى حق خصمه فبطحه طرابای بين يديه وضربه ضربا مبرحا حتى كاد أن يهلك وفيه قرر ابن قدامة فى قضاء الحنابلة بدمشق وتوجه اليها فيما بعد وفيه فى يوم الاربعاء عشرينه كانت وفاة الاتابكى أزبك بن ططخ وقد زعموا أن ولده يحيى قد سحره حتى مات وقبض على شخص يقال له القصيرى وصبيه اتهم انه الذى سحره حتى مات وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها وكان أزبك من أجل الامراء قدرا وأعظمهم ذكرا وكان أميرا جليلا فى سعة من المال وافر الحرمة نافذ الكلمة وكان أصله من عتقاء الظاهر جقمق يقال ان أصله من كتابية الاشرف برسباى واشتراه الظاهر جقمق من بيت المال وأعتقه فصار من عتقائه وصاهره مرتين فى ابنتيه وتولى عدة وظائف سنية بمصر منها حجوبية الحجاب ورأس نوبة كبير ثم بقى نائب الشام فى دولة الظاهر بلباى ثم عاد الى مصر وتولى الاتابكية فى دولة الاشرف قايتباى سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة وأقام بها نحو ثلاثين سنة وكان من مبدأ أمره رئيسا حشما قرر فى امرية العشرة فى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ولا زال يترقى حتى كان من أمره ما ذكرناه وقاسى شدائد ومحنا ونفى نحوا من أربع مرات وسجن بالاسكندرية مرتين وكان كفؤا للمهمات السلطانية والتجاريد وقد سافر فى عدة تجاريد ويطلب الاطلاب الحافلة وصرف على التجاريد من ماله مالا يحصر وكان مسعود الحركات فى سائر أفعاله ذا شهامة وعلو همة وأظهر العزم الشديد فى قتال عسكر ابن عثمان ولم يجئ فى الاتابكية بعده مثله ومات وله من العمر نحو من خمس وثمانين سنة وخلف من الاولاد ولده الناصرى محمد الذى من بنت الظاهر جقمق وولده يحيى وصاهره قانصوه خمسمائة فى احدى بناته وماتت معه فلما مات ترافع محمد ويحيى بين يدى السلطان فوضع السلطان يده على تركته من صامت وناطق قيل وجد له من الذهب العين سبعمائة ألف دينار خارجا عن البرك والخيول والقماش والتحف وخارجا عن جهاز ابنته التى ماتت مع قانصوه خمسمائة وقد قوم ذلك بنحو من مائة ألف دينار فحمل ذلك جميعه الى الخزائن الشريفة وقد نال أزبك أمير كبير من الدنيا منالا عظيما فكان كما قيل

أتلهو من نعيمك فى قصور * وأنت من الهلاك على شفير
فيا من غره أمل طويل * يؤديه الى أجل قصير
أتفرح والمنية كل يوم * تريك مكان قبرك فى القبور
هى الدنيا فان سرتك يوما * فان الحزن عاقبة السرور
ستسلب كلما جمعت منها * كعارية ترد على المعير

ولولا الذى صرفه أزبك أمير كبير على التجاريد وعمارة الازبكية ما كان ماله ينحصر وكانت

تركته تعادل موجود سلار نائب السلطنة وقد تقدّم ذكر ذلك ومن أراد أن يعلم علو همة الاتابكى أزبك فلينظر ما صنعه من عمارة الازبكية وقد أنشأها فى سنة احدى وثمانين وثمانمائة وقد تقدم ذكر ذلك كما يقال

(١) ليس الفنا بفناء يستطل به * حتى يكون له فى الارض آثار

ومما عد من مساوى أزبك أمير كبير انه كان شديد الخلق صعب المراس اذا سجن أحدا لا يطلقه أبدا وكان عنده حدة زائدة وشح فى نفسه جرىء اللسان مع تكبر وبطش وقد فاتته السلطنة عدّة مرار فكان كما يقال

اذا منعتك أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فلما علم السلطان بموته نزل وصلى عليه وكان له يوم مشهود ودفن بتربة أستاذه الملك الظاهر جقمق فلما نزل السلطان وصلى عليه قيل له ان الامير أزبك اليوسفى أمير مجلس فى النزع وسيموت فى هذه الساعة فجلس السلطان على مدورة فى سبيل المؤمنين ينتظر أزبك اليوسفى حتى يموت ويصلى عليه فلم يمت فى تلك الساعة فقام السلطان وطلع الى القلعة فلما كان وقت العصر من ذلك اليوم توفى فيه الامير أزبك اليوسفى فهيىء وصلى عليه السلطان وطلعت جنازته من الصليبة فلما رجعوا به توجهوا به الى مدرسته التى أنشأها ودفن بها وكان أميرا جليلا دينا خيرا لين الجانب وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق وكان يعرف بازبك الخازندار وناظر الخاص مات وهو طرخان وقد كبر سنه وشاخ وناف عن الثمانين سنة من العمر وكان قليل الاذى كثير البر والصدقات وتولى عدة وظائف سنية منها الخازندارية الكبرى ثم بقى مقدم ألف ثم بقى رأس نوبة كبير ثم بقى أمير مجلس ثم مشير المملكة فى دولة الناصر محمد بن قايتباى ثم أخرجت عنه التقدمة الى ازدمر بن على باى فأقام على ذلك مدة يسيرة ومات وفى شوال فى يوم عيد الفطر جاءت الاخبار بان عربان عزالة ثاروا على الكاشف بالبحيرة فحاربهم فنصروا منه وعدوا من الوراق وطلعوا بالقرب من شبرا وتوجهوا من خلف الجبل الاحمر وطلعوا من بحر بلامه قبالة طرا ثم نزلوا بالمعيصرة وهى ضيعة هنالك فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم تجريدة فخرج اليهم فى الحال قانصوه البرجى أمير مجلس وقرقماس بن ولى الدين رأس نوبة النوب وقيت الرجبى حاجب الحجاب وسنباى نائب سيس أحد المقدمين ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات منهم طراباى الشريفى دوادار ثانى والجم الغفير من العسكر فلبسوا آلة السلاح وخرجوا يوم عيد الفطر فتوجهوا الى نحو المعيصرة فوجدوا هنالك عزالة نازلين فتقاتلوا معهم قتالا عظيما فانكسر الاتراك وتشتتوا وقتل من الاتراك من المماليك السلطانية نحو من خمسين مملوكا ومثل ذلك من الغلمان والعبيد وجرح الامير قرقماس رأس نوبة كبير فى وجهه وكذلك قيت الرجبى وأما

(١) ذكر هذا البيت فى صحيفة (١٨٩) من هذا الجزء مغايرا لما هنا

طرابای فقیل انه جاءته حربة فی نحره ذبحته من وریده لکنه لم یمت من ذلك وجرح من العسکر مالا یحصی ثم ان العرب نهبوا برکهم عن آخره وتوجهوا الی نحو بلاد الصعید فلما جاءت هذه الاخبار الی القاهرة اضطربت وماجت فنادی السلطان للعسکر قاطبة للخروج الی المعیصرة وهم لابسون آلة السلاح فلما وصلوا الی هناك وجدوا العرب قد رحلوا والذین قتلوا من العسکر مطروحین علی الارض فارسلوا یطلبون من القاهرة عدّة نعوش بسبب من قتل هنالك فارسلوا لهم نعوشا فی مراکب من البحر الی طرا فأحضروا فیها من قتل وصار العید مثل المأتم فی کل حارة نعیّ کایام الفصول بسبب من قتل وموجب ذلك ان التراك استخفوا بالعرب فاکمنوا لهم أکمنة فخرجت التراك وخرجت العرب من ورائهم فانکسروا وقتل منهم من قتل وکانت هذه الحادثة من الحوادث المهولة وقد قلت فی معنی ذلك

ألا قولوا الأعراب تجروا * علی حرب فهل یخشوا عقیبه
سهام ملیکنا أضحت نفوذا * ونرجو أن تکون لکم مصیبه

ومن الحوادث فی هذا الشهر أن الامیر دولات بای الفلاح أحد المقدمین خرج فی یوم الاربعاء یسیر الی نحو الرصد فلعب هنالك بالکرة وساق الفرس فی أرض محجرة فقنطرته فمات لوقته فحملوه علی قفص جمال وأتوا به الی بیته حتی غسلوه وکفنوه وأخرجوه یوم الخمیس ونزل السلطان وصلی علیه ثم ان السلطان بعد أن صلی علیه توجه الی بیت طرابای الدوادار الثانی وسلم علیه بسبب ماوقع له من عرب عزالة وفیه تغیر خاطر السلطان علی قراجا نائب غزة فاحضره الی القاهرة وهو فی الحدید وجری علیه مالا خیر فیه ثم آل أمره الی أن تولی نیابة طرسوس وقتل وفیه دخل الامیر طومان بای الدوادار الکبیر الی القاهرة وکان مسافرا فی جهة الصعید فلما بلغه مافعلت عرب عزالة کما تقدم ذکره کبس علیهم فی مکان بالوجه القبلی وقبض علی جماعة منهم نحو من ثلثمائة انسان من رجال ونساء وصغار فوصلوا بهم الجیزة وعدوا بهم وطلعوا بهم من الصلیبة قدام الامیر طومان بای فکان یوما مشهودا فوضعوا الرجال فی زناجیر والنساء والصغار فی حبال وعلقوا رؤس من قتل من الرجال فی رقاب النساء وکانت واقعة من الوقائع الغریبة ولم یتفق مثل ذلك الا فی أیام الظاهر برقوق بماوقع لبدر بن سلام کبیر عربان البحیرة وقد تقدم ذکر ذلك فی أخبار الظاهر برقوق فلما طلع الامیر طومان بای الی القلعة صادف ذلك الیوم خروج المحمل من القاهرة وکان أمیر رکب المحمل قرقماس رأس نوبة کبیر وبالاول الناصری بن خاص بك فلما عرضوا عرب عزالة علی السلطان رسم بتسمیرهم علی جمال فسمروهم وشقوا بهم من القاهرة وکان یوما مشهودا وصارت الفرجة فرجتین علی المحمل وعلی عربان عزالة ثم انهم

كلبوهم وعلقوهم على أبواب المدينة على كل باب نحو من عشرة أنفار حتى على باب القنطرة وباب الشعرية وغير ذلك من الابواب ثم ان السلطان رسم بان سائر الناس يرجمون العربان بالاحجار حتى يكون من أمرهم ما يكون وقد قام الامير طومان باى بنصرة الاتراك على العرب بعد كسرتهم التى تقدمت وفى هذه الواقعة يقول الشيخ بدر الدين الزيتونى

نحمد الله ونشكروا * خالق الجسم والعصب
اذ نصرنا على العرب * بالدوادار والعصب
والعرب أكثروا الفساد * من عزاله وعزلوا
جوو عدوا وشرقوا * وعلى الحرب عوّلوا
واهلكوا الحرث والنسل * فى الضواحى وحملوا
من عزاله عرب طغوا * عمرهم فى الوغا ذهب
جتهم الترك أرخوا * واقعتهم بما الذهب
صار عزيز العرب ذليل * وبقى فى الوجود عدم
وجميع ما جرى لهم * بالمقدر وبالحكم
كان مسطر على الجبين * وبهذا جرى القلم
نحمد الله ونشكروا * خالق الجسم والعصب
اذ نصرنا على العرب * بالدوادار والعصب

وهذا الزجل يقرب من الزجل الذى قاله الغبارى فى واقعة العرب التى كانت فى سنة احدى وثمانين وسبعمائة فى دولة الظاهر برقوق وقد وقع فيها ما يشبه ذلك وهذا الزجل الذى تقدم من اختصاره وفيه قرر شمس الدين بن مزاحم الطرابلسى فى نظر الاصطبل عوضا عن يحيى بن البقرى بحكم صرفه عنها ومات يحيى عقيب ذلك وفيه جاءت الاخبار من حلب بأن اقبردى الدوادار دخل الى حلب طائعا وقد تم الصلح بينه وبين الامراء الذين توجهوا من مصر وسبب ذلك ان العسكر الذين توجهوا الى قتال اقبردى وجدوه بالمرعش عند على دولات فلما طال الامر على العسكر وكان الغلاء موجودا بحلب والعليق لم يوجد أرسل قصروه نائب حلب يسأل اقبردى فى الصلح فتوجه اليه قانى باى الرماح أمير اخور كبير فشى فى أمر الصلح وكان السلطان والامراء مائلين الى ذلك فلما وثق اقبردى بذلك حضر صحبة قانى باى الرماح ودخل الى حلب طائعا مختارا فلاقاه قصروه نائب حلب وسائر الامراء الذين كانوا هناك وكان له بحلب يوم مشهود وكان الامير اقبردى متوعكا فى جسده فلما استقر بحلب كاتبوا بذلك السلطان فعين له خلعة حافلة وفرسا بسرج ذهب وكنبوش وكتب له تقليد نيابة طرابلس وما لها فى كل سنة ثم أخذوا فى أسباب التوجه اليه

وفيه توفى برهان الدين مستوفى الخاص وكان لا بأس به وفيه أرسل السلطان الامير تمراز الزردكاش الى المقر السيفى جان بلاط بن يشبك نائب الشام يسأله فى الحضور الى مصر ليلى الاتابكية عوضا عن أزبك بحكم وفاته فخرج تمراز بسبب ذلك وفى ذى القعدة جاءت الاخبار بوفاة أقبردى بن على باى الدوادار الكبير وكان أميرا جليلا رئيسا حشما بشوشا متواضعا كريما سخى النفس فى سعة من المال مثريا جدا وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى ثم ظهر أنه قريبه ورقى فى أيامه الى منتهى الرياسة وتولى عدة وظائف سنية منها امرية السلاح والدوادارية الكبرى والاستادارية والوزارة وكاشف الكشاف ومدبر المملكة وصاحب الحل والعقد بالديار المصرية وكان قريب السلطان وعديله تزوج باخت خوند الخاصكية وكان وافر الحرمة نافذ الكلمة شديد العزم شجاعا بطلا مقداما فى الحرب تولى الدوادارية الكبرى بعد يشبك بن مهدى سنة سبع وثمانين وثمانمائة وأقام فيها نحو امن ست عشرة سنة وكان مشهورا بالعطاء الجزيل على الامراء والعسكر وجرى عليه شدائد ومحن ونهبت أمواله أربع مرات وقاسى من الشدائد والضيق ما يطول شرحه واستمر يحارب عسكر مصر بمفرده ثلاث سنين وكان غالبا للعسكر وتوجه الى آخر الصعيد ثم توجه الى الشام وحاصرها وكذلك حماه وحلب ثم توجه الى بلاد التركمان ولم يظفر به أحد ولم يسلم نفسه عن عجز ولا سجن قط ولا تقيد وآخر الامر مات على فراشه من غير أن يقتل فكان كما قيل

أنا أسمر والراية البيضاء لى * لا للسيوف وسل من الشجعان

لم يحل لى عيش العداة لاننى * نوديت يوم الحرب بالمران

قيل ان أقبردى لما دخل الى حلب وأقام بها اعترته آكلة فى فمه وقيل فى وجهه رعت فيه حتى مات بحلب ودفن عند سيدى سعد الانصارى رحمة الله عليه ثم نقلت جثته الى القاهرة فى أواخر صفر سنة خمس وتسعمائة ودفن بتربته التى أنشأها له فى الصحراء ومات وله من العمر دون الخمسين سنة وكان أسمر اللون مستدير اللحية أسود الشعر غير عبوس الوجه وكان لا بأس به وكان الامراء والسلطان يخشون من سطوته فلما مات كفى كل أحد شره وقد قلت فى ذلك مع التضمين والاقتباس هذه الابيات

مات اقبردى الامير وولى * بعد عز وحاز جاها ومالا

فاتاه من بعد ذا ريب دهر * نال منه من العنا ما أنالا

وقضى نحبه بغير قتال * وكفى الله المؤمنين القتالا

فلما تحقق السلطان موت أقبردى جهز مراسيم للامراء الذين كانوا صحبة أقبردى وهم تانى بك قرا الذى كان أمير مجلس وأقباى نائب غزة الذى كان رأس نوبة كبير وجانم مصبغة

الذى كان حاجب الحجاب وقنبك نائب الاسكندرية أحد الامراء المقدمين بمصر فأماتانى بك فراوا قباى فرسم السلطان لهما بان يتوجها الى القدس ويقيما به بطالين وأما جانم مصبغة وقنبك فرسم لهما أن يتوجها الى الشام بطالين فاستمروا مقيمين بالشام والقدس حتى كان من أمرهم ماسنذكره وأما اينال الصغير السلحدار الذى كان واليا أحد العشراوات قيل انه قتل وقيل انه غرق فى بعض الانهار وأما بقية العسكر الذين كانوا مع أقبردى فمات منهم جماعة كثيرة ودخل الباقون الى مصر وخمدت فتنة أقبردى كانها لم تكن بعد ماجرت منه أمور مهولة بمصر والشام وغير ذلك وهذا ملخص واقعته وفى ذى الحجة فرق السلطان الضحايا على العسكر وكان عيدا حافلا وجاء العيد بالجمعة فلهج الناس بزوال السلطان عن قريب وكان الامر كذلك ولم يقم الى العيد الثانى وفيه توفى الطواشى مقبل الرومى رأس نوبة السقاة الاشرفى اينال وكان لابأس به فلما مات خلع السلطان على الطواشى محسن الحبشى الاشرفى قايتباى وقرره رأس نوبة السقاة عوضا عن مقبل الرومى بحكم وفاته وقد قاسى محسن هذا فيما بعد غاية الشدائد والمحن وفيه انتقل قصروه من نيابة حلب الى نيابة الشام عوضا عن جان بلاط نائب الشام بحكم انتقاله الى الاتابكية بمصر وانتقل دولات باى بن اركماس نائب طرابلس الى نيابة حلب عوضا عن قصروه وقرر بلباى المؤيدى فى نيابة طرابلس عوضا عن دولات باى وأضيف الى بلباى حجوبية طرابلس مع النيابة وفيه دخلت مسرى من الشهور القبطية فكانت زيادة النيل فى ثالث مسرى ثلاثين اصبعا وفى الرابع منها أربعين اصبعا وفى الخامس منها عشرين اصبعا فوفى فى خامس مسرى وكسر فى اليوم السادس منها الموافق لحادى عشرى ذى الحجة فرسم السلطان للامير طومان باى الدوادار الكبير بأن يتوجه ويفتح السد وكانت الاتابكية شاغره من حين توفى أزبك وكانت الامراء غائبين فى التجريدة بسبب اقبردى فلم يكن بمصر أكبر من طومان باى فتوجه الى المقياس فى الحراقة وفتح السد وكان له يوم مشهود وكان نيلا عظيما فى تلك السنة وثبت فى أواخر بابه كما قيل

وفت أصابع نيلنا * وطغت وطافت فى البلاد

وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أياد

وفيه دخل الامراء الذين كانوا توجهوا الى التجريدة بسبب اقبردى فحضر صحبتهم من كان مع اقبردى من الامراء العشراوات منهم اسنباى الاصم ونوروز أخو يشبك الدوادار كان وجانم أقجى الابراهيمى وآخرون من الخاصكية ممن كان من عصبة اقبردى فأقاموا بالقاهرة مدة يسيرة ثم عادوا الى البلاد الشامية وفيه توفى شرف الدين بن الاشقر وكان من أعيان المباشرين وفيه توفى جلال الدين الصاحبى وكان لابأس به وقاسى شدائد

ومحنا فى آخر عمره وفيه جاءت الاخبار بوفاة داود باشا وزير ابن عثمان ملك الروم وكان رئيسا حشما مدبر المملكة الرومية سديد الرأى وافر العقل مشكور السيرة وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة كبيرة ببلاد الغرب بين ملوك الفرنج وملوك الغرب وكانت النصرة للمسلمين على الفرنج ولله الحمد وفيه ابتدأ السلطان بعمارة تربته التى بالصحراء وحصل للناس منه غاية الضرر بسبب ذلك وفيه جاءت الاخبار بوقوع فتنة بين الشريف محمد أمير مكة المشرفة وبين أخيه هزاع واستمرت الفتنة قائمة هنالك فيما بعد حتى كان ماسنذكره فى موضعه

905 ثم دخلت سنة خمس وتسعمائة فيها فى المحرم كان الخليفة أمير المؤمنين المستمسك بالله أبا الصبر يعقوب العباسى الهاشمى الأبوين والسلطان الملك الظاهر أبا سعيد قانصوه خال الناصر وأما القضاة الاربعة فعلى حكم السنة الماضية وكذلك الامراء المقدمون من أرباب الوظائف غير الاتابكية فانها عينت الى جان بلاط المقدم ذكره وكتب له بالحضور وفيه توفى يحيى بن البقرى الذى كان ناظر الاصطبل وصرف عنه وكان لا بأس به وفيه تغير خاطر السلطان على القاضى علاء الدين بن الصابونى ناظر الخاص فعزله ورسم عليه ثم خلع على شهاب الدين الرملى وقرره فى نظر الخاص عوضا عن ابن الصابونى ولم يكن شهاب الدين هذا تقدم له رياسة بمصر ولا ولى قط تلك الوظيفة السنية وكانت ولايته من غلطات الزمان وفى ذلك يقول شيخنا عبد الباسط الحنفى

قد ولى الرملى على منصب الـ * ـخاص برأس العام ياخلى
من عدم الدست ومن جهل من * يطبخ حتى انحط للرملى

وفيه استعفى هلال الرومى من تقدمة المماليك وسأل أن يتوجه الى الشام ويكون بها على امرية عشرة فأجيب الى ذلك ثم ان السلطان خلع عليه بذلك وخلع على عنبر التكرورى وقرره فى تقدمة المماليك عوضا عن هلال الرومى وفيه توفى أزبك قفص الاشرفى قايتباى أحد الامراء الطبلخانات الرأس نوبة الثانى ثم بعد موته خلع السلطان على أبى يزيد المحمدى وقرره فى رأس نوبة ثانى عوضا عن المذكور بحكم وفاته وفيه كانت اقامة الخطبة بالجامع الذى أنشأه بركات بن قريعيط بحارة زويلة وجاء فى غاية الحسن ولا سيما فى ذلك الخط وفيه دخل الحاج الى القاهرة وقد قاسى فى تلك السنة مشقة زائدة وخرج طائفة من العربان على الركب الغزاوى بالقرب من الشرفة فاستولوا عليه من أوله الى آخره وأسروا النساء وقتلوا الرجال ولولا أنهم أدركهم قرقماس أمير كبير بعد أمير ركب المحمل لاخذوا جميع من فى الركب الغزاوى وقد نهبوا أطراف الركب الاول من الناصرى محمد وكان أمير الركب الاول الناصرى محمد بن خاص بك أخو خوند وفيه توفى الشيخ خالد الوقاد النحوى الازهرى

الشافعى وكان فاضلا فى النحو وله فى ذلك عدة تصانيف وفى صفر كان دخول المقر السيفى
جان بلاط نائب الشام فلما حضر خلع عليه السلطان وقرره عوضا عن أزبك فى الاتابكية
بحكم وفاته وسكن بالازبكية فلما أقام بمصر شرع فى بناء تربته التى بجوار باب النصر وصنع
بها جامعا بخطبة ولم تتم الا بعد موته ودفن بها وفى ثالثه توفى الشيخ الصالح الزاهد الورع
أبو العباس أحمد بن محمد الغمرى رحمه الله ورضى عنه ودفن بجامعه الذى أنشأه
بالقرب من مرجوش وباب القوس وفيه حضرت جثة اقبردى الدوادار ودفنت فى تربته
التى أنشأها بالصحراء وقد نقلت من حلب الى مصر بعد دفنه فى تربة سيدى سعد الانصارى
رحمه الله ورضى عنه وفى ربيع الاول عين السلطان قانصوه كرد أحد الامراء الطبلخانات
والخازندار الثانى بأن يتوجه الى ابن عثمان ملك الروم قاصدا فخرج بعد مدة وجرى عليه
أمور شتى من بعد ذلك وفيه جاءت الاخبار بوفاة أيدكى حمار الاشرفى قايتباى نائب قلعة
الشام وجرى عليه قبل موته شدائد ومحن شتى وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان
حافلا وفيه عين السلطان الامير قانصوه البرجى المحمدى أمير مجلس أمير ركب المحمل
وعين جان بلاط الموتر المحتسب أمير الركب الاول وفيه جاء السلطان ولد ذكر من زوجته
خوند جان كادى الجركسية فسماه أحمد فلما كان يوم سابعه اجتمع سائر الخوندات ونساء
الاعيان بالقلعة وكان مهما حافلا وحمل الزمام جوهر المعينى القبة والطير على رأس
خوند جان كادى وكان لها يوم مشهود وفيه تزوج السلطان بخوند مصرباى زوجة الناصر
وكانت عليه كعب الشوم ولم يسن معها وفى ربيع الآخر جاءت الاخبار بأن قصروه الذى
تولى نيابة الشام قد عصى وخرج عن الطاعة واستولى على قلعة دمشق كما فعل كرتباى
الاحمر واستمر العصيان يتزايد من قصروه حتى كان من أمره ما سنذكره فى موضعه وفيه
قبض السلطان على خاربك الكاشف فأحضر فى الحديد فامر بنفيه الى قلعة المرقب فسجن
بها ثم أطلق وجرى عليه من الانكاد ما لا خير فيه وصودر غير مرة وفيه قدم البدرى
محمود بن اجا وقد انفصل من قضاء الحنفية بحلب وأتى الى مصر واقام بها وكان من
أمره ما سنذكره وفيه قرر فارس المنصورى نائب دمياط فى كشف الغربية عوضا عن
خاربك الماضى ذكره وفيه قبض على سليمان بن قرطام وكان من كبار المفسدين بالشرقية
فلما قبض عليه رسم السلطان بان يشنكلوه على باب زويلة وأقام معلقا ثلاثة أيام
بلياليها وفيه قبض السلطان على أخت خوند بنت خاص بك زوجة أقبردى فرسم عليها
بالقلعة وقرر عليها مالا له صورة وقد رافعها أبو المنصور مباشر اقبردى وزعم أن اقبردى
أودع عندها مالا فاقامت فى الترسيم حتى أوردت ما قرر عليها وفعل مثل ذلك باختها خوند
الكبرى زوجة قايتباى وقرر عليها مالا له صورة ووكل بها خمسة من الطواشية حتى

أوردت ما قرر عليها و باعت أشياء كثيرة من قماشها وقد حصل عليها ما هو أعظم من ذلك وهو أنه فى دولة الملك الناصر محمد بن قايتباى توجه طائفة من المماليك الجلبان الى دارها وقصدوا ان يهجموا عليها ثم قالوا لبعض الطواشية ادخلوا قولوا لخوند تتفق علينا لكل مملوك خمسون دينارا فلما بلغ خوند ذلك غيبت من البيت وكان سبب ذلك انه أشيع عنها أنها تزوجت بقانصوه خمسمائة فى الخفية فلما قتل قانصوه تحرشت المماليك على خوند وطلبوا منها النفقة كما تقدم وكان الذى تحرش على خوند جماعة من عصبة اقبردى فلما بلغ ذلك الملك الناصر قام مع خوند قياما تاما ونادى فى القاهرة لجميع العسكر حسبما رسم السلطان المقام الشريف ان لا يتوجه أحد من العسكر الى بيت خوند زوجة الاشرف قايتباى ولا يقف لها على باب وكل من خالف مرسوم السلطان شنق بلا معاودة فانكف المماليك عن التوجه الى بيت خوند من حين نادى وكان تقدم ذكر ذلك فى دولة الملك الناصر وقام بنصرتها بعد ما قصدت أن تسافر الى المدينة مع أن الملك الناصر صادر خوند فى أيامه بحسن عبارة وأخذ منها جملة مال وحصل لها عقيب ذلك طلوع فى وجهها واستمر بها ذلك العارض حتى ماتت كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه وفى جمادى الاولى فى اليوم الثانى منه نزل السلطان الى قبة يشبك الدوادار التى بالمطرية وبات بها فلما أصبح ركب وشق من القاهرة وزينت له ثم طلع من الصليبة والامراء والمباشرون قدامه واستمر فى ذلك الموكب الحافل حتى طلع الى القلعة وفيه قرر ابن النيربى فى نظر الجيش بدمشق وقد سعى فى ذلك بمال له صورة وفى جمادى الآخرة جاءت الاخبار بوفاة الطواشى هلال الرومى الذى كان مقدم المماليك توفى بدمشق وكان لا بأس به وفيه فى يوم الجمعة ثامنه عقد للا تابكى جان بلاط على خوند أصل باى الجركسية أم الملك الناصر وأخت الملك الظاهر قانصوه وكان العقد بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة وكان عقدا حافلا وفيه جاءت الاخبار من القدس بوفاة قباى الطويل الذى كان نائب غزة ثم بقى رأس نوبة كبير وفر مع اقبردى الدوادار لما انكسر وخرج من مصر وآل أمره الى ان أقام بالقدس بطالا حتى مات وكان أصله من مماليك الاشرف قايتباى وقيل انه مات مسموما وكان شجاعا بطلا وجرى عليه شدائد ومحن وقاسى مالا خير فيه بسبب صحبته لاقبردى الدوادار وهو الذى كان سببا لنصرته على قانصوه خمسمائة فى الواقعة بخان يونس الذى بقرب غزة وفيه قرر على بن طرغل فى نيابة عين تاب وفيه توفى شمس الدين محمد الفرنوى الذى كان امام اقبردى الدوادار ثم بقى ناظر الاحباس وكان يكتب الخط الجيد المنسوب وقاسى من الشدائد والمحن مالا يعبر عنه وعذبه كرتباى الاحمر بانواع العذاب وفيه توفى الشيخ أحمد المجذوب الذى كان يجلس تحت الكوم الذى عند القنطرة الجديدة وكان من كبار الصالحين وفيه

خرج الامير طومان باى الدوادار متوجها الى الشرقية والغربية فسرح فى البلاد نحوا من عشرين يوما ثم عاد الى القاهرة وقد حاش عدة خيول وجمال وأغنام من العربان وفى رجب تزايدت عظمة الملك الظاهر قانصوه خال الناصر فجلس على الدكة التى بالحوش ونصب سحابة جديدة صنعها من المخمل المذهب وبها رنوك زركش فجاءت غاية فى الحسن فجلس على الدكة والسحابة على رأسه وطلع القضاة الاربعة للتهنئة بالشهر وكان موكبا حافلا وفى حادى عشره منه تغير خاطر السلطان على القاضى كاتب السر بدر الدين ابن مزهر فقبض عليه وسجنه بالعرقانة ثم طلب أخاه كمال الدين محمد وقرره فى كتابة السر عوضا عن أخيه بدر الدين وفيه قرر سيباى فى نيابة صهيون عوضا عن قنبك الشيخ بحكم فراره عند ابن عثمان وخوفه على نفسه من القتل وفيه كان دخول خوند أصل باى ام الملك الناصر على جان بلاط أمير كبير فنزل جهازها من القلعة فى يوم السبت خامس عشره وشق من القاهرة واستمر ينسحب من ضحوة النهار الى وقت الظهر وتوجهوا به الى الازبكية فكان عدة الجمالين أربعمائة جمال والبغال نحو من مائتى بغل فرجت له القاهرة وكان يوما مشهودا وكان فيه من الامتعة والتحف ما يعجز عنه الواصفون فلما كان يوم الاربعاء تاسع عشره نزلت خوند أخت السلطان فى محفة زركش وتوجهت الى الازبكية ومشى قدامها جماعة من المباشرين منهم كاتب السر كمال الدين بن مزهر وناظر الجيش عبد القادر بن القصروى وصلاح الدين بن الجيعان نائب كاتب السر وآخرون من المباشرين والطواشية وبعض أمراء عشروات وهم بالشاش والقماش وعدة وافرة من الخاصكية فلما وصلت الى باب البيت الكبير الذى بالازبكية فرشت لها الشقق الحرير تحت حوافر بغال المحفة ونثرت على رأسها خفائف الذهب والفضة وكان يوما مشهودا ولكن جرى بعد ذلك أمور شتى وأنكاد مترادفة يأتى الكلام عليها فى موضعها كما يقال

أمور تضحك السفهاء منها * ويبكى من عواقبها اللبيب

وفى شعبان فى يوم السبت سادسه جاءت الاخبار من القدس بقتل الامير تانى بك قراوكان مقيما بالقدس كما تقدم ذكر ذلك وكان من عصبة اقبردى وفر معه فلما استقر بالقدس توجهت المراسيم بخنقه فخنق وهو بين أولاده وعياله وكانوا توجهوا اليه وكان قتله يوم الاحد ثانى عشرى رجب ودفن بالقدس فلما جاءت الاخبار بوفاته تأسف عليه الكثير من الناس وكان أميرا جليلا رئيسا حشما لين الجانب قليل الاذى كثير الخير ومن آثاره السبيل والصهريج الذى أنشأه ما برأس سويقة ابن عبد المنعم تجاه الرميلة وصرف على ذلك من ماله مالا له صورة فلما كمل بناء ذلك قدم هذا السبيل والصهريج للسلطان قايتباى فصار ذلك يعرف بسبيل السلطان ومن آثاره المسجد اللطيف الذى أنشأه بجوار بيته عند خوخة القردمى وكان أصله من مماليك الاشرف اينال ورقى فى دولة الاشرف قايتباى وتولى

عدة وظائف منها تاجر المماليك والدوادارية الثانية ثم بقى مقدم ألف ثم بقى حاجب الحجاب ثم بقى رأس نوبة كبير ثم بقى أمير مجلس ووقع له من الشدائد والمحن ما يطول شرحه وفاته القتل عدة مرار وفر مع اقبردى الى البيرة وعدى الى الفرات وكان موصوفا بالفروسية والشجاعة ومات وله من العمر زيادة عن ستين سنة والله أعلم ولما مات رثيته بهذه الابيات

من طالع التاريخ يوما أو قرا * يروى صروف الدهر عن تنبك قرا
شاع الحديث بخنقه فلاجل ذا * خنقت بعبرتها الورى مستعبرا
قد خانه ريب الزمان بفعله * والدهر ان يصفو يعود مكدرا
قد كنت أحذر من وقوع حمامه * والآن دمعى كالدماء وقد جرى
لهفى عليه من أمير صارم * فى يوم حرب للعداة مدمرا
لم يقتلوه فوق ظهر جواده * لكن قاتله تعدّى وافترى
يالهف قلبى قد تجرّع فقده * وتجدّدت أحزانه بين الورى
يالهف قلبى كم أمير كان فى * عز وجاه فانطوى تحت الثرى
قد غادر الامراء جور زمانهم * فالحكم للرحمن فيما قدّرا
يارب فاجعل قبرهم فى روضة * واجعل برحمتك الجنان لهم قرا

وفيه جاءت الاخبار بوفاة الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم الرومى توفى ببلاد ابن عثمان وكان لا بأس به وهو الذى جدد عمارة الجامع الازهر وصرف على ذلك مالا له صورة من ماله وكان مشكور السيرة وفيه طلع الاتابكى جان بلاط الى القلعة وضمن بدر الدين بن مزهر كاتب السر فان الاتابكى جان بلاط كان زوج أخت بدر الدين بن مزهر فلما ضمنه تسلمه من السلطان على مال قرره عليه فلما استقر عنده هرب تلك الليلة فى مكان بالازبكية فتشوش الاتابكى جان بلاط لذلك ثم نمزوه على بدر الدين بن مزهر فقبض عليه عقيب ذلك وآل أمره الى كل سوء وفيه توفى ابن السلطان الماضى حديث وضعه وكانت مدة حياته أربعة أشهر وثلاثة عشر يوما فأظهروا عليه الحزن والاسف ودفن فى تربة أبيه التى أنشأها بالصحراء فكان كما يقال فى المعنى

بدا وفى حاله توارى * فيالها طلعة شريقه
جوهرة ما عملت الا * دموع عينى لها عقيقه

وفيه توفى القاضى شهاب الدين بن الصيرفى وهو أحمد بن صدقة الاسرائيلى الشافعى أحد نواب الحكم بالديار المصرية وكان عالما فاضلا مفننا من أعيان النواب وله تصانيف ونظم جيد ومات وقد قارب السبعين سنة وفيه جاءت الاخبار بقتل قراجا نائب سيس وكان تولى

نيابة غزة وكان موصوفا بالشجاعة وفيه توفى الناصرى محمد بن أبى يزيد وكان رئيسا حشما من أعيان الناس وفيه عين السلطان نيابة حلب للامير قرقماس ولى الدين فلما قرر فى نيابة حلب أخرج عنه وظيفة رأس نوبة الكبرى وقررها الامير قانصوه الغورى ولم يتم أمر قرقماس فى نيابته بحلب وأعيد الى تقدمة ألف ووقع بعد ذلك أمور شتى وفى رمضان عرض السلطان المحابيس من الرجال والنساء التى بالحجرة وعمل مصالح أرباب الديون وصالح عنهم أرباب الحقوق ووزن عن جماعة من ماله وأطلق فى ذلك اليوم نحو امن مائتى انسان وضاع للناس بعض حقوقها ممن كان له دين على من أطلقه من المحابيس فكان كما يقال فى المعنى

رام نفعا فضر من غير قصد * ومن البر ما يكون عقوقا

وفى يوم الاثنين رابع عشره عين السلطان تجريدة الى الكرك بسبب عربان بنى لام وقد تقدم منهم فى حق الحجاج غاية الضرر وكان باش العسكر سنباى نائب سيس أحد المقدمين وجماعة من الجند فخرجوا فى أثناء ذلك اليوم مسرعين وفيه جاءت الاخبار من دمشق بان قصروه نائب الشام خرج عن الطاعة وأظهر العصيان جملة واحدة وحضر قانصوه بن سلطان چركس المعروف بابن اللوقا حاجب دمشق وأخبر أن قصروه نائب الشام صرفه عن الحجوبية وقصد القبض عليه ففر منه وأخبر بان قصروه نائب الشام قد استولى على قلعة الشام وعلى ما فيها من المال فلما تحقق السلطان ذلك تنكد الى الغاية واضطربت أحواله وأظهر أنه يخرج الى الشام بنفسه وشرع فى أسباب ذلك ثم نزل الى الميدان وعرض ما عنده من الهجن وأمر صلاح الدين بن الجيعان بان يحضر قوائم مصروف الاشرف برسباى عند توجهه الى آمد وكل هذا هيت وتهييت على الامراء والعسكر ثم عين قانى بك أحد الدوادارية أن يتوجه لكشف الاخبار عن الحقيقة وفيه أفطر السلطان ليلة العيد بالقصر الكبير واجتمع عنده الامراء وضربوا مشورة فى أمر قصروه فعد فطوره فى الايوان من النوادر وفى شوال صادف أن فى يوم عيد الفطر قلع السلطان الصوف فى ذلك اليوم ولبس البياض وخرج الى صلاة العيد وهو راكب على فرس أبيض قرطاسى بسرج فضة بيضاء من غير طلاء وعباءة حرير أبيض وخف أبيض ومهماز بيض حتى قلع الكلفتاه حتى المشاية التى فى رجله كانت برغالى أبيض فعد ذلك من النوادر وكان لبس البياض فالا عليه فانه خلع من السلطنة عقيب ذلك وفيه صلى الامير طومان باى الدوادار الكبير صلاة الجمعة مع السلطان بالقلعة فلما انقضت الصلاة خلع عليه السلطان ونزل متوجها للوجه القبلى وكان فى تلك الايام قويت الاشاعات بان السلطان يقصد القبض على الامير طومان باى وكان وقع بينهما فى الباطن بسبب قصروه نائب الشام وكان الامير طومان باى

متواطئا

متواطئا مع قصروه على السلطان وكان طومان باى يقصد التمهيد لنفسه حتى يتسلطن وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد كما يقال

بت فى قلوب أسود * لا فى قلوب رجال
فالكيد للناس لا لا * بهائم الجهال

وفيه أشارت الامراء على السلطان بان يبعث الى قصروه قاصدا وعلى يده مراسيم بان يكون على نيابة الشام وأن يسلم قلعة الشام الى نائبها ولا يؤاخذه بما فعل فعين له اقباى الطويل ناظر الجوالى فخرج عن قريب وفيه خرج المحمل من القاهرة فى تجمل زائد وكان أمير المحمل قانصوه البرجى وبالاول جان بلاط الموتر المحتسب فلما وجه الى بركة الحاج استمر المحمل مقيما بالبركة الى خامس عشرى شوال حتى عد ذلك من النوادر وسبب ذلك أن غلمان أمير الركب الاول هرب أكثرهم وتعطلت أحواله بموجب ذلك وفيه جاءت الاخبار بان قصروه قد استولى على مدينة طرابلس وقبض على نائبها بلباى المؤيدى وسجنه بقلعة دمشق وفى ذى القعدة خلع السلطان على قيت الرجبى حاجب الحجاب وقرره فى نيابة طرابلس عوضا عن بلباى المؤيدى ولم يتم له ذلك فيما بعد وفيه خلع السلطان على شخص من خواصه يقال له تمر بن جانم وقرره فى الحسبة عوضا عن جان بلاط الموتر وهو غائب بالحجاز فلم ينتج أمره هذا وقبض عليه فيما بعد وفيه أنعم السلطان على انس باى شاد الشراب خاناه وقرره فى تقدمة ألف وفيه فى ثالث عشره حضر اقباى الطويل الذى توجه الى قصروه كما تقدم فعاد الجواب على السلطان بان قصروه مستمر على العصيان ولم يدخل تحت الطاعة فعند ذلك عرض السلطان العسكر وعين تجريدة الى قصروه وعين بها من الامراء المقدمين ثمانية ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات نحو من ثلاثين أميرا ومن المماليك السلطانية ألفى مملوك وأظهر السلطان انه يخرج الى الشام عقيب ذلك بنفسه وفيه جاءت الاخبار بقتل قانى بك أحد الدوادارية الذى كان توجه الى قصروه لكشف الاخبار وكان قد سافر من البحر الملح لموجب فساد الطرقات وفيه قويت الاشاعات ان السلطان أرسل بالقبض على الامير طومان باى الدوادار وهو بالصعيد وكانت هذه الاشاعات من أكبر الفساد فى زوال ملك الظاهر قانصوه فلما قويت الاشاعات بذلك نادى السلطان فى القاهرة بان أحدا لا يكثر كلاما فيما لا يعنيه وان الامير طومان باى دوادار كبير على عادته وكان ترك هذه المناداة أصوب وقد تأكد الامر بذلك وفيه هجم المنسر على سوق الوراقين وسوق الهرامزة وكسروا عدة حوانيت ونهبوا ما فيها وقتلوا ثلاثة من الغفراء وكان المنسر نحو من مائة نفر ما بين مشاة وركاب ومعهم قسى ونشاب فنهبوا قماشا بنحو عشرة الاف دينار وكانت هذه من الوقائع المهولة

وفيه كانت وفاة الرئيس نور الدين بن رحاب المغنى الناشد المادح فريد عصره ووحيد دهره وكان من نوادر الزمان ينظم الشعر ويلحن الخفائف بالحان غريبة وكان آخر مغانى الدكة فى الدخول والطرب ولم يجئ بعده أحد فى الدخول مثله وقد رثيته بعد موته بهذه الابيات

توفى نزهة الاسماع طرا * وصار العيش منا فى ذهاب
وناحت بعده الآلات حزنا * وأظهرت الصراخ مع انتحاب
وأبدى الدف والماصول زعقا * كمن جاء الماتم فى المصاب
وأضحى الناس فى قلق ولم لا * وقد ضاق الوجود بلا رحاب

وفى آخره حضر الامير طومان باى الدوادار وكان مسافرا الى جهة الصعيد فلما حضر الى الجيزة خرج الامراء والعسكر قاطبة الى ملاقاته فاقام بالجيزة ولم يعد فتوجه اليه الامير طرا باى أحد المقدمين وعلى يده صورة حلف عن لسان السلطان أنه لا يشوش عليه اذا قابله ولا يقبض عليه فلما توجه اليه طرا باى لم يثق الامير طومان باى بذلك الحلف وأظهر العصيان فرجع الامير طرا باى بجواب غير صالح وقد تقلب على الظاهر قانصوه خال الناصر غالب العسكر فلما رأى أحواله مضطربة تحقق وقوع فتنة فأخذ فى أسباب تحصين القلعة ونقل اليها أشياء كثيرة من البقسماط والجبن وملأ الصهاريج التى بالقلعة وفرق السلاح على مماليكه وانتظر ما يكون من الامير طومان باى فلما عدت اليه الامراء قبض على جماعة منهم الامير قانى باى الرماح أمير اخور كبير فلما قبض عليه شكه فى الحديد وقبض على القاضى عبد القادر القصروى ناظر الجيش وعلى آخرين من الامراء فلما كان يوم الاربعاء سادس عشرى ذى القعدة عدى الامير طومان باى من معادى امبابة وطلع من بولاق بمن معه من العسكر وتوجه الى الازبكية بعد العصر وبات بها وكان الاتابكى جان بلاط ساكنا هناك فاجتمع الامراء عنده وضربوا مشورة فى أمر الظاهر قانصوه فوقع الاتفاق على خلعه من السلطنة فلما كان يوم الخميس سابع عشريه لبس العسكر آلة الحرب وركب الاتابكى جان بلاط والامير طومان باى وبقية الامراء من الازبكية وتوجهوا الى بيت الظاهر تمربغا الذى عند سوق السلاح بالقبو فعند ذلك ركبوا وتوجهوا لحصار القلعة ولم يكن عند الظاهر من الامراء سوى جان بلاط الايج نائب القلعة وبعض أمراء عشراوات ومن الجند نحو ألف انسان واستمر الحرب ثائرا بين الفريقين ثلاثة أيام وذلك على قلة من عنده من العسكر بالقلعة وكان الظاهر قانصوه حصن القلعة وسد باب الاصطبل الذى من جهة باب القرافة فلما كان يوم الجمعة بعد العصر ملك الامير طومان باى باب السلسلة فلما كان يوم السبت تاسع عشريه انكسر الظاهر قانصوه وتشتت من كان عنده بالقلعة فلما رأى عين الغلب دخل الحريم وتزيا بزى النساء ونزل من القلعة وتوجه الى

نحو الترب فاختفى فكان كما يقال

وقائلة لم دهتك الهموم * وأمرك ممتثل فى الامم

فقلت ذريني على غصتى * فان الهموم بقدر الهمم

فلما انكسر الظاهر قانصوه لم يجسر الامير طومان باى أن يتسلطن وكان قدامه الاتابكى جان بلاط فاستمرت القاهرة بلا سلطان يوم السبت ويوم الاحد وقد أشيع وجود قانصوه خمسمائة الذى تسلطن فنودى فى القاهرة ان كان قانصوه خمسمائة موجودا فليظهر وله الأمان فلم يكن لهذه الاشاعة صحة فعند ذلك وقع الخلف بين الامراء فيمن يلى السلطنة فذكر تانى بك الجمالى فلم يرض به العسكر ثم ذكر الاتابكى جان بلاط فلم يرض به العسكر فتعصب له الامير طومان باى حتى تسلطن كما سيأتى ذكره فى موضعه وكانت مدة الظاهر قانصوه فى السلطنة ستة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما وكان ملكا هينا لين الجانب قليل الاذى كثير البر والمعروف وكان مسلوب الاختيار مع الامراء مهما يقولوا له يقول بخشى فسمته العامة بخشى كما سموا الظاهر بلباى ايش كنت أنا قل له وكانت أيام الظاهر قانصوه أصلح حالا من أيام الملك الناصر محمد ابن الاشرف قايتباى وقد انصلحت أحوال البلاد الشرقية وقل الاذى من العربان وكذلك البلاد الغربية ووقع الرخاء فى أيامه فى سائر البضائع وانكفت المماليك عما كانوا يعملون من الاذى فى أيام الملك الناصر وساس الناس فى أيامه أحسن سياسة وخلع والناس عنه راضون وكانت صفته أبيض اللون يميل الى الصفرة نحيف الجسد قصير القامة أسود الشعر عربى الوجه مستدير اللحية جميل الهيئة حسن الشكل فى المنظر حركسى الجنس قليل الكلام بالعربى الغالب عليه الجلوبية تولى الملك وله من العمر دون الثلاثين سنة وكان وافر العقل ثابت الجنان مع سكون وعدم رهج وأما ما عد من مساويه فقتله للامير تانى بك قراما من غير ذنب أرسل بخنقه وهو بين عياله وأولاده بالقدس ومنها أنه صادر خوند الخاصبكية زوجة أستاذه الملك الاشرف قايتباى ووكل بها طواشيته حتى باعت قماشها مثل التركة وأوردت ما قرر عليها من المال وصادر أختها زوجة اقبردى ووكل بها بالقلعة وطالبها بمائة ألف دينار وزعم ان اقبردى أودع عندها ما لا وصادر أخاها الناصرى محمد بن خاص بك وعرضه للضرب غير مرة وألزمه أن يسافر أمير حاج بالركب الاول من ماله ولم يعطه شيأ كعادة أمراء الحاج من النفقة ومنها أنه ظلم جماعة من أعيان المباشرين من رجال ونساء وأخذ أملاكهم غصبا وهدمها بسبب البيت الذى أنشأه على بركة الفيل لاجل أخيه قانم وفعل مثل ذلك بالتربة التى أنشأها بالصحراء وضيق بها الطريق على المارين هنالك وأعمى ترب الناس التى بجواره ومنها انه كان متواطئا مع الامراء على قتل الملك الناصر محمد ابن أخته ولولا تراخيه لما قدروا على قتله ومنها أنه رسم بشنق بدر

الدين بن مزهر كاتب السر حتى شفع فيه طومان باى الدوادار ومنها انه كان غير عفيف الذيل على ماقيل والله أعلم انتهى ماأوردناه من أخبار الملك الظاهر أبي سعيد قانصوه خال الناصر محمد ابن الاشرف قايتباى رحمة الله تعالى عليه وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف أبي النصر جان بلاط ابن يشبك الاشرفى

وهو الرابع والاربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية وهو الثامن عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد وكان أصله چركسى الجنس اشتراه الامير يشبك بن مهدى أمير دوادار كبير وأقام عنده مدة وحفظ القرآن ثم ان الامير يشبك قدمه مع جملة مماليك الى الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى ثم اخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك الجدارية ثم بعد مدة بقى خاصكيا ثم بقى دوادار سكين وسافر أمير حاج بالركب الاول وهو خاصكى غير مامرة ثم أنعم عليه السلطان بامرية عشرة فى سنة أربع وتسعين وثمانمائة وسافر الى الحجاز أمير ركب المحمل وهو أمير عشرة وقرر فى نظر الخانقاه ثم توجه قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم فى سنة ست وتسعين وثمانمائة وكان يومئذ أمير طبلخاناه تاجر المماليك ثم بقى مقدم ألف فى آخر دولة الاشرف قايتباى ثم بقى دوادارا كبيرا عوضا عن اقبردى فى دولة الناصر ثم قرر فى نيابة حلب وخرج اليها فلما تولى السلطنة الظاهر قانصوه نقله الى نيابة الشام عوضا عن كرتباى الاحمر بحكم وفاته ثم احضر الى القاهرة وقرر فى الاتابكية عوضا عن الاتابكى أزبك بحكم وفاته ثم تزوج بخوند اصلباى ام الملك الناصر واستمر على ذلك حتى وثب طومان باى على الظاهر قانصوه وخلعه من السلطنة وانكسر فوقع الاتفاق على سلطنته على كره من الامراء والعسكر وكانت صفة مبايعته انه لما تسحب الظاهر قانصوه من القلعة واختفى كما تقدم اقامت القاهرة يومين بغير سلطان فلما كان يوم الاثنين ثانى ذى الحجة صعد الامراء والعسكر الى باب السلسلة واشتوروا فيمن يلى السلطنة وكانت قصد الامير طومان باى الذى تسلطن فيما بعد ولكن كان قدامه جان بلاط وتانى بك الجمالى أمير مجلس فلم يجسر أن يتسلطن وكان العسكر غير راض بجان بلاط فاوسع طومان باى الا أنه تعصب له وسلطنه فارسل خلف أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربعة وهم زين الدين زكريا الشافعى والبرهان بن الكركى الحنفى وعبد الغنى بن تقى المالكى والشهاب الشيشينى الحنبلى فلما تكامل المجلس عملوا صورة محضر لخلع الظاهر قانصوه فخلع من السلطنة فى الحال ثم ان الخليفة بايع الاتابكى جان بلاط بالسلطنة وتلقب بالاشرف وكنى

بأبي النصر على لقب استاذه الاشرف قايتباى فلما تمت بيعته أحضر اليه شعار الملك وهو الجبة والعمامة السوداء فأفيض عليه ذلك الشعار وقدمت اليه فرس النوبة فركب من سلم الحراقة الذى بباب السلسلة ورفعت على رأسه القبة والطير وركب الخليفة عن يمينه ومشت الامراء بين يديه واستمر فى ذلك الموكب حتى طلع من باب سر القصر وجلس على سرير الملك وقبل له الامراء الارض من كبير وصغير ثم خلع على الخليفة وألزمه أن ينتقل من يومه ويسكن بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان ملء العيون كفوا للسلطنة وافر العقل سديد الرأى وفى حال سلطنته رسم بالافراج عن الامير قانى بك الرماح أميرا خور كبير وكان مشكو كا فى الحديد عند الامير طومان باى الدوادار وقد قاسى من البهدلة والانكاد ما لا يعبر عنه وكذلك الامير طرابای عنده فى الترسيم أيضا فخلع السلطان على قانى باى الرماح وأعاده الى الامير اخورية الكبرى وأطلق طرابای وانس باى شاد الشراب خاناه وأبقاهما على وظائفهما ثم انه عين الاتابكية الى قصروه نائب الشام وكان يظن انه يدخل تحت طاعته وكان الامر بخلاف ذلك وقيل انه تسلطن فى ساعة الشمس وفى يوم الثلاثاء ثالثه جلس فى شباك الدهيشة وعرض مماليك الظاهر قانصوه ومسح منهم جماعة وفيه فى ذلك اليوم بعث الامير طومان باى الدوادار نحوا من ثلثمائة فرس من خيوله الخاصة التى كانت عنده لما حضر من الشام وفى يوم الخميس خامسه فرق السلطان الاضحية على الامراء والجند ومن له عادة ثم خلع على بدر الدين بن مزهر وأعاده الى كتابة السر وعزل أخاه كمال الدين عنها وأعيد الشهابى بن ناظر الخاص الى نظر الجيش وعزل عبد القادر القصروى وأعاده فى الترسيم وقرر عليه مالا له صورة وخلع على جلال الدين بن الصابونى وأعاده الى نظر الخاص وعزل شهاب الدين بن الرملى عنها وسلمه الى طرابای على مال قرر عليه وفيه خلع السلطان على قيت الرجبى وأعيد الى حجوبية الحجاب وبطل سفره الى طرابلس نائبا وخلع على أربك الناشف وقرره فى نيابة القلعة عوضا عن جان بلاط الابح بحكم اختفائه ثم عين قصروه الصغير بان يمضى الى قصروه نائب الشام بالبشارة بسلطنته وظن ان قصروه يسر بسلطنته فازداد الاعصيانا وأرسل اليه بالحضور ليلى الاتابكية فلم يجب قصروه الى ذلك وتمادى على ما هو عليه من العصيان وفيه قبض السلطان على تمر قريب السلطان الظاهر قانصوه الذى كان محتسبا ووكل به وقرر عليه مالا وكذلك قبض على قانى بك الخازندار وقرر عليه مالا وفيه عين السلطان لدولات باى تقدمة ألف وكذلك بردبك المحمدى وكذلك خاربك أخو قانصوه البرجى وفيه قوى الفحص والتفتيش على الظاهر قانصوه وصار والى الشرطة فى كل يوم وليلة يكبس الحارات ويهجم البيوت وحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل من الكبس والنهب فلما طال الامر قبض السلطان على الطواشى مسك

وضربه فأقر بان زوجته خوند جان كلدى تعرف طريقه فبعث اليها السلطان الامير طرابای فسألها عنه فلم تقر بشیء فاحضر اليها المعاصير وعصرها فی رجليها فلم تقر بشیء فاحضر الوالی وعاقب الجواری وآخرين من جماعتها فلم يقروا بشیء ولما اشتد الامر بسبب ذلك حضر شخص من أولاد الناس يقال له محمد بن اينال وكان ساكنا فی سويقة صفية عند الزير المعلق فاشر للامير ازدمر أحد الامراء المقدمين أن الظاهر قانصوه عنده فی بيته فلما تحقق الامير ازدمر ذلك طلع وأعلم السلطان فارسل جماعة من الخاصكية مع والی الشرطة الى ذلك المكان فقبضوا عليه وأركبوه على بغل وعلى رأسه زنط وعليه كبر أبيض وأنوابه على بركة الناصرية وقاسى من البهدلة والانكاد مالا يعبر عنه وقيل انه وقع من فوق البغل فی أثناء الطريق وتعثر عليهم فأركبوه غصبا وكان القبض عليه فی يوم الاحد ثانی عشری ذی الحجة وكانت مدة اختفائه أربعة وعشرين يوما فجری عليه هذا كله وهو ساكت لا يتكلم فكان كما يقال

الصبر أولى بوقار الفتى * من قلق يهتك ستر الوقار

من لازم الصبر على حاله * كان على أيامه بالخيار

واستمر على هذه الحالة حتى أنوابه الى بيت ازدمر فلما رآه قام له وأدخله الى البيت فلما كانت ليلة الثلاثاء خامس عشريه رسم السلطان باخراج الظاهر الى ثغر الاسكندرية فسجن بها وقيل ان السلطان جان بلاط أنعم عليه بخمسة آلاف دينار لكونه كان صهره زوج أخته وكان المتسفر عليه الامير ازدمر بن علی باى فأوصله الى ثغر الاسكندرية وسجنه بها وعاد وخمدت فتنة الظاهر كأنها لم تكن وفيه قامت المماليك على الاشرف جان بلاط بسبب نفقة البيعة فلما رأى منهم الجد أخذ فی أسباب جمع الاموال فأطلق فی الناس نار المصادرة وقبض على جماعة من الاعيان ووزع على قاضی القضاة مالا له صورة فشفع الخليفة فی قاضی قضاة المالكية عبد الغنی بن تقی فعفی عما قرر عليه لفقره وفيه قبض السلطان على الحاج رمضان المهتار وسلمه الى طرابای فعاقبه وعصره واستخلص منه ثلاثين ألف دينار وقد صودر غير مرة وهذه آخر مصادراته فباع جميع ما يملكه حتى بيوته وشوارنسائه وانكشف حاله جملة واحدة وكان رئيسا حشما أقام فی مهمترته بالطشتخاناه نحو من ثلاثين سنة ونال من العز والعظمة فی دولة الاشرف قايتباى ما لا رآه غيره من المهامترة وفيه اشتد الامر على الناس بسبب المصادرات وقاسى أعيان الناس من البهدلة والانكاد مالا يعبر عنه وكان المتكلم فی أمر هذه المصادرات بدر الدين بن مزهر كاتب السر فاظهر النتيجة لصهره الاشرف جان بلاط وحصل منه للناس غاية الضرر الشامل وشوش على الكثير منهم وقد عقب ذلك عليه حتى كان من أمره ما سنذكره وعمت

هذه المصادرة طائفة اليهود والنصارى وجماعة من أعيان التجار والطواشية منهم مسك ومحسن ومختص وغيرهم وكانت حادثة مهولة وفيه أنعم السلطان بامرية عشرة على خاربك العلائى أحد خواصه وعلى جانم المحمدى الظاهرى خشقدم وعلى علي باى دوادار خشكلدى البيسقى وآخرين من الخاصكية وفى ليلة الجمعة سابع عشريه وقعت بالقاهرة زلزلة خفيفة بعد العشاء وأقامت نصف درجة وقد شاهد وا بعض النجوم فى السماء تتناثر وفيه نزل السلطان وتوجه نحو تربة الاشرف قايتباى فزار قبره ثم توجه الى باب النصر وكشف عن عمارة مدرسته التى أنشأها هناك ثم دخل من باب النصر وشق المدينة ثم أتى الى بيت الاشرف قايتباى الذى أنشأه ببركة الفيل فكشف عن زوجته خوند أم الملك الناصر وكانت مقيمة هناك فزارها ثم عاد الى القلعة وفيه أعيد الطواشى محسن كما كان وقد قاسى من الانكاد ما لا خير فيه وفيه كانت وفاة صاحبنا تقى الدين بن محمود أحد أعيان الشهود بالمدرسة الصالحية وكان رئيسا حشما عشيرا للناس فكه المحاضرة لكنه كان ملسنا كثير التعلق بالناس لا يفوته أحد من كبير وصغير وكانت أعيان الناس يخشون من كلامه ولسانه حتى قضاة القضاة وقد هجاه الاديب زين الدين ابن النحاس بقوله فيه

قف وقفة وانتظر عند الامام ترى * جيوش أجفانه بالسود قد كسرت
ومن بوقد نيران الحشيش غدت * عيناه ترمى جمارا كلما نقرت

وفى هذه السنة انقطع البلسان من مصر وهو البلسم وكان من آثار عيسى بن مريم عليهما السلام وكانت الفرنج يجيئونه من أقصى البلاد حتى يشترون من دهن هذا البلسم ويتغالون فى ثمنه وقد أحضر حب البلسان البرى من الحجاز وزرعوه بأرض المطرية وعالجوه فلم ينبت وانقطع من مصر بالكلية كأنه لم يكن قط بعين شمس وهو أجل نبات بها وهذا لم يتفق قط وكان قبل ظهور الاسلام بمدة طويلة وكان ذكى الرائحة أشبه شئ بورق الملوخية وكان دهنه ينفع للامراض الباردة كوجع الظهر والركب وغير ذلك من الامراض البلغمية وكان يستخرج دهن هذا البلسم فى رابع عشرى بشنس القبطى وكان فى الزمن القديم يحضر يوم استخراج دهنه بعض الامراء وقيل الخازندار الكبير وأجود ما طبخ دهنه فى برمهات وكان يزرع حبه فى بؤنه الى هاتور وكان معدودا من جملة محاسن مصر وكان انقطاعه من مصر فى رأس القرن العاشر ومن حوادث هذا القرن أيضا الحب الفرنجى أعاذنا الله منه فشا فى الناس جدا وقد أعيا الاطباء أمره واستمر يعرض للناس الى الان

(ثم دخلت سنة ست وتسعمائة) فيها كان خليفة الوقت المستمسك بالله أبا الصبر يعقوب الهاشمى العباسى والسلطان الملك الاشرف أبا النصر جان بلاط بن يشبك الاشرفى والقضاة الاربعة على حكم ما تقدم وكانت الاتابكية شاغرة وقد تعينت لقصروه نائب الشام وفى يوم

AR 906

الثلاثاء مستهل المحرم كان صعود خوند اصلباى زوجة الاشرف جان بلاط وهى أم الناصر وسرية الاشرف قايتباى وأخت الظاهر قانصوه فكان يوم صعودها الى القلعة يوما مشهودا فشقت من الصليبة وهى فى محفة زركش وحولها الخدام من أعيان الطواشية وقدامها أعيان المباشرين وجماعة من الخاصكية نحو من خمسين انسانا وهم بالشاش والقماش وجماعة من المماليك نحو من مائة انسان وبأيديهم العصى يفسحون الناس فاستمرت فى هذا الموكب الحافل حتى صعدت الى القلعة ومعها نحو من مائتى امرأة على مكارية وفيه فرق السلطان نفقة البيعة على العسكر وقد جمع هذا المال من وجوه الظلم والمصادرات ففرق على جماعة مخصوصة من العسكر وقطع للاكثر من الجند وأولاد الناس وغيرهم وفى يوم الخميس ثالثه حضر قصروه الصغير الذى كان قد توجه الى قصروه نائب الشام ببشارة سلطنة الاشرف جان بلاط فلما عاد أخبر أن قصروه نائب الشام باق على عصيانه ولم يدخل تحت طاعة الاشرف جان بلاط ولم يلبس خلعته ولا قبل له الارض فلما تحقق السلطان ذلك تنكد الى الغاية وكان يظن ان قصروه يدخل تحت طاعته فجاء الامر بخلاف ذلك وفى يوم الجمعة رابعه صلى السلطان صلاة الجمعة وجلس بباب الستارة وخلع على الامير تانى بك الجمالى وقرره فى الاتابكية عوضا عن نفسه وكان السلطان أخر الوظيفة لقصروه فلما تمادى على عصيانه قرر بها تانى بك الجمالى وخلع على الامير طومان باى وقرره فى امرية السلاح مضافا لما بيده من الدوادارية الكبرى وقرره أيضا فى الوزارة والاستادارية وكشوفية الكشاف كما كان الامير يشبك بن مهدى فعظم أمره جدا وصار صاحب الحل والعقد فى تلك الايام وفيه استقر قراسنقر بن ولى الدين فى ولاية حلب كما قرره الظاهر قانصوه وقرر بردبك الطويل فى نيابة طرابلس عوضا عن قيت الرجبى الذى كان تعين اليها وقرر قانصوه بن سلطان جركس المعروف بابن اللوقا فى نيابة حماه وكان قرره قبل ذلك فى نيابة غزة ثم بطل أمر هؤلاء النواب جميعا وحدثت أمور بعد ذلك يأتى الكلام عليها فى موضعها وفى يوم السبت خامس المحرم الموافق لثامن مسرى وفى النيل المبارك وكسر يوم الاحد سادس المحرم فلما وفى توجه الامير طومان باى الدوادار وفتح السد على العادة فأظهر فى ذلك اليوم غاية العظمة وفرق على المتفرجين نحوا من مائتى مجمع حلوى ومائتى مشنة فاكهة حتى فرق البطيخ الصيفى ونثر للعوام فضة لما أراد أن يركب عند السد فارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان له يوم مشهود وكان هذا آخر فتحه للسد وعقيب ذلك تسلطن وجرت عليه أمور يأتى الكلام عليها فابتهج الناس بيوم الوفاء لكون النيل كان وفاؤه مسرعا وحصل به غاية النفع وكان نيلا عاليا مباركا فكان كما يقال

كان في يوم الوفا نيلنا * أتقن علم الحرف بالضبط
اذ بالصبا صفحات خلجانه * تجدولت بالكسر والبسط

وفيه تكلم وسائط السوء مع السلطان في اعادة وظيفة نظر الاوقاف فلما عرضوا ذلك على الامير طومان باى لم يوافق على اعادة هذه الوظيفة وكان الملك الناصر أبطلها بواسطة كرتباى الاحمر فلما توجه كرتباى الاحمر الى الشام وطاش الملك الناصر بعده سعى محمد بن العظمة الذى كان ناظر الاوقاف فى اعادته الى هذه الوظيفة وكان الساعى له عبد القادر البواب بواب الدهيشة فقرره السلطان فى نظر الاوقاف فأقام بها مدة يسيرة وضج منه الناس فشكوه للملك الناصر فقبض عليه وضربه ضربا مبرحا ونفاه الى قوص وقد تولى هذه الوظيفة غير مامرة ولم ينتج أمره وقد تولاها جماعة كثيرة منهم شخص يسمى الفار الوكيل فلم ينتج أمره وتولى بها أيضا شرف الدين بن البدرى حسن فلم ينتج فيما تقرر عليه من المال وقد تولاها جماعة كثيرة ولم يمكنهم السداد وهى وظيفة شروط فلم فشكر الناس فعل الامير طومان باى الدوادار على ابطال هذه الوظيفة فى تلك الايام المسيئة وفيه قبض السلطان على شمس الدين بن مزاحم ناظر الاصطبل وقرر عليه مالا له صورة يورده للخزائن الشريفة وفيه عاد سنباى نائب سيس أحد المقدمين وكان توجه الى الكرك لقتال بنى لام وعاد من غير طائل وفيه اجتمع السلطان بالامراء وضربوا مشورة فى أمر قاصروه نائب الشام فأشاروا على السلطان بأن يرسل اليه قاصدا فعين شخصا من الامراء العشراوات وهو ازدمر الفقيه وعين معه الامير اصباى فتوجها اليه عن قريب وفى أثناء ذلك حضر خاير بك الكاشف الذى كان الظاهر نفاه وفر من أثناء الطريق وتوجه الى قصروه وأظهر العصيان معه فلما بلغه سلطنة الاشرف جان بلاط فر من عند قصروه ودخل تحت طاعة الاشرف جان بلاط فلما حضر خلع عليه ووعده بتقدمة ألف وفى خامس عشريه كان دخول الحاج الى القاهرة وقد حصل لهم مشقة زائدة وعوقهم العرب حتى فات ميعاد دخولهم وفيه تعين تمربای خازندار الامير طومان باى وأظهر للسلطان أنه يروم الصلح بينه وبين قصروه وكان الامر بخلاف ذلك وانما أرسل تمربای فى عمل مصلحة نفسه وقد ظهر ذلك فيما بعد وتلاعب بالاشرف جان بلاط وهو يظن أنه له من الناصحين وهو بضد ذلك كما يقال فى أمثال الصادح والباغم

جهد البلاء صحبة الاضداد * كأنها كى على الفؤاد
ومنها كد المن يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد
ومنها أعظم ما يلقى الفتى من جهد * أن يبتلى من جنسه بالضد

وفيه جاءت الاخبار بان قصروه قد استولى على غزة وأعمالها والقدس وغير ذلك من النواحى

وفى صفر عظم أمر الامير طومان باى جدا وتصرف فى أحوال المملكة كما يختار وصار الاشرف جان بلاط معه كالمحجور عليه لا يقضى أمرا دونه وفيه جاءت الاخبار من حلب بان دولات باى نائبها أظهر الطاعة للسلطان وانه ليس مع قصروه نائب الشام وهذا كله حيل وخداع وترتيب من الامير طومان باى حتى كل عزم السلطان عن ارسال تجريده الى قصروه نائب الشام وكانت لوائح الخذلان ظاهرة على الاشرف جان بلاط وأحواله كلها معكوسة وصار طومان باى يمهد لنفسه فى الباطن وفيه توعك قاضى القضاة زين الدين زكريا وحصل له ضعف فى بصره فاغلق عليه بابه وأظهر أنه قد عزل نفسه عن القضاء فلم يلتفت السلطان اليه فلما كان يوم الاثنين عشريه خلع السلطان على محيى الدين عبد القادر بن النقيب وقرره فى قضاء الشافعية عوضا عن القاضى زكريا بحكم انفصاله عنها فكانت مدة ولاية الشيخ زكريا فى قضاء الشافعية نحو امن عشرين سنة فانه تولى فى دولة الاشرف قايتباى فى سادس رجب سنة ست وثمانين وثمانمائة وعزل فى صفر سنة ست وتسعمائة وهذه المدة لم تقع لاحد من قضاة الشافعية فى ولاية واحدة غيره فعد ذلك من النوادر وسيعود الى القضاء ثانيا عن قريب فلما تولى عبد القادر بن النقيب شق على كل أحد من الناس ولايته ولاموا السلطان على ذلك وكان يومئذ فى الشافعية من هو أولى بالقضاء منه ولكن سعى بماله صورة حتى تولى على كره من الناس فكان كما يقال دو بيت

فى مصر من القضاة قاض وله * فى أكل مواريث اليتامى وله
ان رمت عدالة فقم مجتهدا * من عدله دراهما عدله

وهو أول قضائه بمصر وقيل انه سعى بسبعة آلاف دينار حتى تولى وسيعزل عن قريب وفيه جاءت الاخبار من جهة المغرب بأن الفرنج قد استولوا على غرناطة التى هى دار ملك الاندلس ووضعوا فيها السيف للمسلمين وقالوا من دخل فى ديننا ترکناه ومن لم يدخل قتلناه فدخل فى دينهم جماعة كثيرة من المغاربة خوفا على انفسهم من القتل ثم ثار عليهم المسلمون ثانيا وانتصفوا عليهم بعض شئ واستمر الحرب ثائرا بينهم والامر لله تعالى فى ذلك وفى ربيع الاول نزل السلطان الى بيت الامير طومان باى وترجل ونزل عن فرسه ودخل هو واياه الى المبيت وأقام عنده ساعة يتحدثان فى أمر قصروه ثم ركب وطلع الى القلعة وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا وهو اول مولده وفيه فى يومه عين السلطان خاير بك أتابكا فنصوه البرجى ومعه جماعة من العسكر وأمرهم أن يقيموا بغزة خشية من قصروه أن يطرق غزة على حين غفلة فخرج خاير بك والعسكر مسرعين وفيه ماتت خوند حبيبة ابنة الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق وهى زوجة الامير طومان باى الدوادار وكانت جنازتها حافلة وفيه عين السلطان الامير سودون العجمى أحد المقدمين وقرره فى امرية الحاج بركب المحمل وعين دولات باى قرموط والى القاهرة بالركب الاول وفيه عرض

السلطان العسكر وعين تجزيدة الى قاصروه نائب الشام وقد تمادى على العصيان والخروج عن الطاعة واضطربت أحوال البلاد الشامية وامتنع ورود القماش والفاكهة وغير ذلك مما كان يجلب من البلاد الشامية فلما عرض العسكر عين نحو من ألفى مملوك ومن الامراء المقدمين أحد عشر أميرا وكان الباش على هؤلاء الامراء المقر السيفى طومان باى دوادارا كبيرا وأمير سلاح ووزيرا واستادارا وكاشف الكشاف ومشير المملكة ومامع ذلك من الوظائف وفيه عرض السلطان العسكر وأنفق عليهم وبعث نفقة الامراء ثم استحثهم على الخروج بسرعة ورسم لهم أن يخرجوا شيأ بعد شئ فلما كان يوم الثلاثاء سادس عشريه خرج جماعة من الامراء الطبلخاناه المعينين فى هذه التجريدة فكان جاليش العسكر قيت الرجبى حاجب الحجاب واصطمر بن ولى الدين أحد المقدمين وسودون الدوادار أحد المقدمين وخرج صحبتهم خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية وفيه قرر الامير قان بردى اليوسفى فى شادية الشرابخاناه مع امرية أربعين وكان من خواص الامير طومان باى الدوادار وقرر قلج فى نيابة البيرة ثم لم يتم له ذلك وقرر فى نيابة الاسكندرية ثم نفى فى دولة العادل طومان باى الى البلاد الشامية وفيه قرر الشيخ صنطباى فى نظر المدرسة السنقرية التى بباب النصر وأخرج النظر عن قاضى القضاة الشافعى بأمر السلطان وفيه قرر السلطان أنس باى الذى كان شاد الشرابخاناه فى تقدمة ألف وكان من خواص الامير طومان باى وفيه قرر طقطباى فى كشف أسيوط وصرف عنها يوسف النوام وقرر جانم المحمدى الخشقدمى فى كشف منفلوط وصرف عنها حيدر السيفى أزبك اليوسفى وفى يوم السبت مستهل ربيع الآخر خرج من تعين من النواب المقدم ذكرهم وهم قرقماس بن ولى الدين المعين لنيابة حلب وبردبك الطويل المعين لنيابة طرابلس وقانصوه بن سلطان جركس المعروف بابن اللوفا المعين لنيابة حماه وقد تعينت لدولات باى نائب حلب نيابة الشام عوضا عن قصروه اذا قبض عليه وكانت هذه التراتيب كلها فى البطال وآل الامر الى خلاف ذلك كما يأتى الكلام عليه فى موضعه وفى يوم الاثنين رابعه خرج المقر السيفى طومان باى أمير سلاح ومامع ذلك فلما خرج طلب طلباحافلا حتى رجت له القاهرة فلما طلع الى القلعة أفاض عليه السلطان خلعة حافلة وهى فوقانى حرير ازرق بوجه أخضر بطرز يلبغاوى عريض قيل كان طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين ونصف من الذهب الخالص البندقى وكان مادخل فيه ثمانمائة مثقال بحيث لم يعمل قط مثله ولا سمع بمثل ذلك وكان الاشرف جان بلاط يقاتل على رضا الامير طومان باى بكل ما يمكن ومع هذا كان الامير طومان باى يضمر له كل سوء فكان لسان حال جان بلاط يقول

أقاسى المنون لنيل المنى * وياليت هذا بهذا انتهى

وكان الامير طومان باى باغيا على الاشرف جان بلاط فكان كما يقال

والغدر بالعهد قبيح جدا * شر الورى من ليس يرعى عهدا

فلما خرج كان صحبته من الامراء المقدمين قانى باى الرماح أميرا خور كبير والامير قانصوه الغورى رأس نوبة كبير والامير ازدمر بن على باى أحد المقدمين وأنس باى أحد المقدمين فكانوا ممن تقدمهم من الامراء المقدمين أحد عشر أميرا ومن المماليك السلطانية نحو من ألفى مملوك وزيادة وكانت هذه التجريدة المعينة الى قصروه نائب الشام تعادل تجريدة ابن عثمان وقد تقدم ذكر ذلك فى دولة الملك الاشرف قايتباى فلما شق الامير طومان باى من القاهرة كان له يوم مشهود وارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان محبوبا للناس ولاسيما العوام فلهج الناس بأنه سيعود سلطانا وكان الامر كذلك واستمر فى ذلك الموكب حتى نزل بالريدانية فى الوطاق فاقام به أياما وقيل ان السلطان نزل اليه هناك فى الخفية تحت الليل وجلس عنده وتحدثا فيما يكون من أمر قصروه وأنعم عليه السلطان باشياء كثيرة من مال وقماش وتحف حتى بالحجار حيوانية لمنع السموم القاتلة ثم ودعه وطلع الى القلعة وكان يظن ان الامير طومان باى ناصحاله وكان الامر بخلاف ذلك وفيه من الحوادث ان السلطان تغير خاطره على القاضى كاتب السر بدر الدين بن مزهر فقبض عليه وعلى حاشيته وسجنه بالعرقانة وضربه ضربا مبرحا غير مامرة وسبب ذلك ان السلطان لما صادر الناس كما تقدم ندب القاضى بدر الدين الى ذلك فأظهر من الظلم والعسف والتشويش على الناس ما يطول شرحه وأظهر النتيجة فى ذلك للاشرف جان بلاط فانه كان صهره فكثر الدعاء عليه وأخذه الله من الجانب الذى يأمن اليه وكان كما يقال

فكان كالمتمنى أن يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمى

ثم انه قرر عليه مالا وأقام فى العرقانة حتى يورد ما قرر عليه من المال وكان من أمره ماسنذكره فى موضعه فلما كان يوم الخميس ثانى عشره خلع السلطان على صلاح الدين بن يحيى بن شاكر بن الجيعان وقرره فى كتابة السر عوضا عن بدر الدين بن مزهر بحكم صرفه عنها وهذه آخر ولايته لكتابة السر فلم يعد اليها بدر الدين بعد ذلك وفى ليلة الجمعة ثالث عشره خسف جرم القمر خسوفا تاما وأقام فى الخسوف الى قريب التسبيح وغرب وهو مكسوف وفيه توفى القاضى جلال الدين بن الامانة أحد نواب الشافعية وهو عبد الرحمن ابن محمد بن عبد العزيز وكان عالما فاضلا رئيسا حشما وفاته منصب القضاء غير مامرة وهو آخر من روى صحيح مسلم عن الزينى الزركشى بالسماع وكان قد طعن فى السن وقارب التسعين من العمر وفيه نودى من قبل السلطان بابطال ما تجدد من المكوس والمظالم الحادثة من بعد موت الاشرف قايتباى وفيه عاد تمربای خازندار الامير طومان باى

الدوادار الذى كان توجه الى قصروه نائب الشام ليمشى بينه وبين السلطان بالصلح فلم يوافق قصروه على ذلك وفيه توفى أصبهاى الاشرفى قايتباى وكان أحد الدوادارية وكان لا بأس به وفى جمادى الاولى فى يوم الاثنين خامسه وصل هجان من الشام فى الخفية وعلى يده مكاتبات الى تمربهاى خازندار طومان باى ليفرقها على الامراء فكان مضمونها أنه تسلطن بالشام وتلقب بالملك العادل واستفاض هذا الكلام بين الناس وفشا فلما فرق تمربهاى المكاتبات على الامراء خاف على نفسه ففر تحت الليل وستر الله عليه حتى خرج من القاهرة وفيه جاءت الاخبار مفصلة بصحة ما جرى وهو أن العسكر لما وصل الى الشام نزل فى مكان يسمى سعسع بالقرب من دمشق فركب قصروه نائب الشام فى نفر قليل من عسكره وأظهر أنه طائع فاطمأن له العسكر وكان غالب الامراء خشداشينه فلما حضر اليهم دخل معهم الى الشام واجتمعوا فى القصر الابلق الذى فى الشام بالميدان ولما حضر قصروه نائب الشام ذكروا له أنه يطلع الى القلعة ويقرأ مراسيم السلطان فطلع وطلع الامراء الى القلعة فعند ذلك قرؤا عليه مراسيم السلطان فلم يلتفت الى ذلك ثم تفاوض هو والامراء فى الكلام ثم ثارت فتنة كبيرة بالقلعة ثم أمر قصروه والاميرطومان باى بالقبض على جماعة من الامراء وهم قرقماس ابن ولى الدين نائب حلب الذى قربها وازدمر بن على باى أحد الامراء المقدمين وخاربك اخو قانصوه البرجى أحد الامراء المقدمين وسودون بن يشبك الدوادار أحد الامراء المقدمين وقانصوه بن سلطان جركس الذى قرر فى نيابة حماه وقبض على آخرين من الامراء الطبلخانات والعشراوات فلما قبض عليهم قيدهم وسجنهم بالقلعة بدمشق وفى أثناء ذلك حضر الى دمشق دولات باى بن اركماس نائب حلب الشهير باخى العادل فلما حضر تعصب للأمير طومان باى وتكلم فى سلطنته فاحضر قضاة الشام وكتب صورة محضر فى خلع الاشرف جان بلاط من السلطنة وبايعوا طومان باى من غير خليفة وتلقب بالملك العادل أبى النصر وأحضر له شعار الملك فأفيض عليه وقبل له الامراء الارض فأول من قبل له الارض قصروه نائب الشام ثم بقية الامراء شيأ فشيأ فلما تم أمره فى السلطنة عين الاتابكية بمصر لقصروه نائب الشام وعين نيابة الشام لدولات باى نائب حلب وعين نيابة حلب الى اركماس بن ولى الدين وعين نيابة طرابلس لبردبك الطويل وعين نيابة صفد لجانم وقرر قيت الرجبى فى امرية سلاح عوضا عن نفسه وقرر قانصوه الغورى فى الدوادارية الكبرى والاستادارية والوزارة وكاشف الكشاف عوضا عن نفسه وقرر قانى بك نائب الاسكندرية فى الرأس نوبة الكبرى وقرر اصطمر بن ولى الدين فى الحجوبية الكبرى وعين عدة امريات الوف وامريات طبلخانات وعشراوات لجماعة من عصبته ثم انه رسم بشنق أحد مشايخ العربان من أولاد ابن نبيعة وشنق شخصا آخر من مشايخ بنى حرام يقال له نابت

فلما تم أمره فى السلطنة خطب باسمه على منابر دمشق ثم أخذ فى أسباب الحضور الى مصر فلما سمع الاشرف جان بلاط هذه الاخبار اضطربت أحواله وضاقت به الدنيا ثم أخذ فى أسباب تقرير الوظائف للامراء الذين بمصر عوضا عمن أظهر العصيان بدمشق فاستمال قلوبهم حتى يكونوا له عونا ويدخلوا تحت طاعته فاحضر لهم المصحف العثمانى وحلف عليه سائر الامراء من كبير وصغير بعد صلاة الجمعة بحضرة الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربعة وكان قاضى القضاة الشافعى عبد القادر بن النقيب ألف صورة أيمان مغلظة بالله وبالمصحف وبالحج وبالعتق والطلاق ثلاثا وغير ذلك من التأكيد فى الايمان المغلظة وكتب ذلك فى سجل ودفعه الى صلاح الدين بن الجيعان كاتب السر ليحلف عليه الامراء وكان هذا سببا لانتقام العادل من ابن النقيب لما حضر الى مصر وتم أمره فى السلطنة فجرى على ابن النقيب منه أمور مهولة يأتى الكلام عليها فلما تكامل المجلس حلف الامراء بتلك الايمان التى تقدمت أنهم لا يخونون ولا يغدرون ولا يميلون مع العادل اذا حضر فحلفوا على ذلك ثم أحضر لهم عدة تشاريف فخلع على قانصوه المحمدى المعروف بالبرجى وقرره فى امرية السلاح عوضا عن طومان باى بحكم سلطنته بدمشق وقرر خشكلدى اليسقى الظاهرى خشقدم فى امرية مجلس عوضا عن قانصوه البرجى بحكم انتقاله الى امرية سلاح وقرر مصرباى فى الدوادارية الكبرى عوضا عن طومان باى بحكم سلطنته بدمشق وقرر سنباى نائب سيس فى الاميراخورية الكبرى عوضا عن قانى باى الرماح بحكم عصيانه مع طومان باى وقرر سودون العجمى فى الرأس نوبة الكبرى عوضا عن قانصوه الغورى بحكم عصيانه مع طومان باى وقرر بردبك المحمدى الاينالى فى جوبية الحجاب عوضا عن قيت الرجبى بحكم عصيانه وقرر قانصوه الصغير فى ولاية القاهرة وقرر تانى بك الابح فى شادية الشراب خاناه وقرر اقباى الطويل فى تجارة المماليك وقرر تمرباى أمير شورى فى استادارية الصحبة وقرر جان بردى رأس نوبة ثانى وأنعم بتقادم الوف على جماعة من الامراء منهم بيبرس الفهلوان وأزبك المكحل وخشكلدى الذى كان استادار الصحبة ودولات باى قرموط الذى كان والى القاهرة وأزبك الناشف وتمراز جوشن وتمراز الزردكاش وقرقماس الشرابى وخيربك الكاشف وغير ذلك من الامراء ممن خامر مع طومان باى ثم فرق عدة أقاطيع على الخاصكية عوضا عمن كان صحبة طومان باى ثم أخذ فى أسباب تحصين القلعة فركب حولها المكاحل المعمرة بالمدافع وأصلح سورها وأبراجها وبنى فوق سلم المدرج بابا وهو موجود الى الآن ثم بنى برجا محيطا على باب السلسلة فبناه بالفص الحجر وصنع فيه مرامى وأبوابا صغارا ثم سد باب الميدان وباب حوش العرب وباب الاصطبل الذى عند الصوة وصار ينزل فى النهار مرتين يكشف على

العمارة بنفسه ثم رسم بهدم مدرسة السلطان حسن فهدم منها بعض شئ من وراء ظهر محراب القبة فأقاموا يهدمونها ثلاثة أيام فلم يقدروا على هدم ذلك فتكلم الامير تغرى بردى الاستادار مع السلطان فى عدم ذلك فرجع السلطان وترك الهدم وقد تأسف الناس على هدمها لانه لم يعمر فى الدنيا مثلها ولو هدمها ما كان يفيده من هدمها شئ وما كان يقدر على هدمها فكان تركه ذلك أوجب وقد ظهر عجزه عن ذلك وفى هذه الواقعة يقول شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفى

هتكت قبة الحسن * وانتفى وصفها الحسن
ان فى ذا لعبرة * لكن المستفيق من

وقال محمد بن قانصوه بن صادق سامحه الله

حسن السلطان قد هتكت * خيفة المحذور رقبته
تعس الراضى بذا وغدت * مثلها فى الهتك حرمته

ثم ان السلطان نقل الى القلعة من البقسماط والجبن والغنم والبقر والاوز والدجاج والقمح والشعير وأشياء كثيرة من احتياج المطبخ ما يكفى للمحاصرة نحو الشهرين ثم نادى فى القاهرة باصلاح الدروب واصلاح باب المدينة فاضطربت الاحوال وتزايدت الاقوال وكثر القيل والقال ووزعوا اقلامهم فى الخبايا وظن كل أحد أن هذه فتنة مهولة ما تنجلى الا عن أمور شتى وصار الناس فى رعب من ذلك وقد اشتد الامر جدا وفيه قبض السلطان على اسماعيل زامل وشنقه على باب الميدان وسبب ذلك انه لما هرب تمربای خازندار طومان باى الذى تسلطن بالشام مكنه أن يتوجه الى الشام وما أعلم السلطان بذلك فشنقه لاجل ذلك وصار له ذنب كبير ثم ان السلطان أراد أن يقبض على الامير طراباى وعوقه بالقلعة ساعة ثم بدا له ترك هذا الامر ثم ان السلطان رسم بقطع سلالم مدرسة السلطان حسن وأمر بنقض أماكن من دار يشبك الدوادار ونقل الى القلعة أخشابا كثيرة صنع منها عدة طوارق وسلالم خشب وغير ذلك من آلة الحرب ثم فتح الزردخانه وفرق منها على جماعة من الجند عدة سيوف وزرديات ولبوس وتراكس وقسى ونشاب وغير ذلك ثم فرق عليهم عدة خيول خاص من خيول الامراء الذين خامر وامع طومان باى فأخذ خيولهم وفرقها على العسكر وفرق عليهم من خيوله الخاص أيضا وأرضى العسكر بكل ما يمكن وأنعم على أكثرهم بوظائف واقطاعات وفرق مثالات تكتب على بياض على جميع من كان عنده ولم يفده من ذلك شئ فكان كما قيل

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك فى اعتدال

وفى جمادى الآخرة فى يوم الاربعاء مستهله خلع السلطان على الأمير عبد اللطيف الطواشى

وقرره زماما وخازندارا كبيرا عوضا عن جوهر المعينى بحكم وفاته كما تقدم وفيه توفى الشيخ الصالح المعتقد سيدى عبيد القفاص وكان من الصالحين وفى يوم السبت رابعه جاءت الاخبار بأن العادل طومان باى خرج من الشام هو وقصروه نائب الشام ودولات باى نائب حلب وجماعة من النواب والتف عليهم الجم الغفير من عسكر الشام وعربان جبل نابلس والعشير وغير ذلك وقد وصل الى غزة فلما تحقق السلطان ذلك علق الصنجق السلطانى على باب السلسلة ونادى للعسكر بأن يطلع الطائع الى القلعة ومعه آلة الحرب وان سائر الامراء تطلع الى القلعة صغارهم وكبارهم ثم رسم لقضاة القضاة بأن يطلعوا الى القلعة فطلعوا الى القلعة وكذلك سائر المباشرين من أرباب الوظائف يطلعون الى القلعة أجمعين فامتثلوا ذلك وطلعوا الى القلعة وأقاموا بها واحتاط فى الامور بكل ما يمكن ولم يفده من ذلك شئ فكان كما يقال

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فلما كان يوم الخميس تاسعه وصل العادل بمن معه من العساكر الى خانقاه سرياقوس ودخل أوائل عسكره الى القاهرة ففاجأت القاهرة واضطربت وقلق الاشرف جان بلاط وضاقت عليه الدنيا بما رحبت فكان كما يقال فى المعنى

قد كان يرجف فى ليالى وصله * قلبى فكيف الآن عند صدوده

وفيه جاءت الاخبار بوصول عسكر العادل الى المطرية فخرج اليه بعض العساكر السلطانية وتقاتلوا معهم هناك قتالا هينا ففر منهم أزبك النصراوى ودخل تحت طاعة العادل وقبل له الارض فخلع عليه العادل هناك وقرره والى الشرطة بالقاهرة ثم ان بعض المماليك توجه الى بيت العادل الذى كان ساكنا به وهو بيت الظاهر تمربغا الذى عند سوق السلاح بالقبو فاحرقوا مقعده ومبيته ونهبوا منه بعض أثاث وفى يوم السبت حادى عشره كان دخول العادل طومان باى الى القاهرة فدخل من باب الفتوح ورفع على رأسه صنجق خليفتى وكان معه من الامراء قانى باى الرماح أمير اخور كبير وقانصوه الغورى رأس نوبة كبير وقيت الرحبى حاجب الحجاب وكان معه من النواب قصروه نائب الشام ودولات باى نائب حلب وبردبك الطويل نائب طرابلس وجانم نائب حماه وغير ذلك من الجند والعربان والعشير فشق من القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعاء وكان محببا للناس قاطبة فنادى بالامان والاطمئنان والبيع والشراء والاخذ والعطاء وان لا يشوش أحد على أحد من الرعية فتزايدت له الناس بالدعاء وكان الناس يظنون ان العادل طومان باى يخرب مصر عن آخرها بسبب ما يقع من الفتن وان الامر يطول فى ذلك فما حصل الا كل خير وانفرج الامر عن قريب فاستمر العادل طومان باى فى ذلك

الموكب وكان له يوم مشهود حتى توجه الى بيت قانى بك قرا الذى عند حمام الفارقانى فنزل به ونزل قصروه بالازبكية بدار الاتابكى أزبك ونزل دولات باى نائب حلب بجامع شيخو ونزل نائب طرابلس بدار أزبك اليوسفى أمير مجلس الذى كان بدرب ابن البابا بالقرب من الصليبة وتوزع الامراء والنواب الذين حضروا صحبة العادل كل واحد فى مكان بالقرب من الصليبة ثم ثار الحرب بين الفريقين وعظم الامر جدا وكان القائم بنصرة العادل قصروه نائب الشام فأمر بحفر خنادق فى الطرقات ووراءها سور من الحجارة فحفروا خندقا برأس الرميلة عند سويقة ابن عبد المنعم وخندقا عند حدرة البقر وخندقا عند باب الوزير وخندقا برأس سوق جامع أحمد بن طولون وخندقا عند سوق القبو عند مدرسة السلطان حسن فكانت خمسة خنادق ثم ان العادل أحضر عدة أخشاب لاطات وجزم وصوارى وأحضر جماعة نجارين فصنعوا منها عدة طوارق وسلالم وشرعوا فى عمل مجانيق وسدوا عدة أماكن شتى وبنوا عليها دروبا وصاروا يغلقونها وظنوا أن هذه الفتنة يطول أمرها ففى اليوم الثالث من المحاصرة ملك قصروه مدرسة السلطان حسن وركب المكاحل المعمرة بالمدافع ووقف بها ورماوا على من بالقلعة بالسبقيات وبالبندق الرصاص فقتل ممن كان بالقلعة جماعة كثيرة وجرح آخرون فضعف عزمهم عن القتال وبانت الكسرة عليهم ولم يكن عند الاشرف جان بلاط بالقلعة سوى الاتابكى قانى بك الجمالى والأمير طرباى والامير مصرباى والامير قانصوه البرجى وخشكلدى البيستى ونائب سيس سنباى وآخرين من الامراء المقدمين وغيرهم وكان الرماة أشاعوا عن السلطان جان بلاط لما وصل العادل الى المطرية أن يخرج اليه الاتابكى قانى بك الجمالى وآخرون من الامراء ويحاربونه وكان هذا عين الصواب لو فعلوه كما يقال فى الامثال

وانتهز الفرصة ان الفرصه * تصيران لم تنتهزها غصه

واسبق الى الاجود سبق الناقد * فسبقك الخصم من المكايد

ثم ان العادل قصد أن يحضر جماعة من فرسان عربان الشرقية يقاتلون معه كما فعل أقبردى الدوادار فلم يوافقه الامراء على ذلك وقالوا هذا يحصل منه غاية الفساد فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره اشتد الحرب بين الفريقين ووقع بينهما واقعة مهولة بباب الوزير فجرح فيها شخص من الامراء الطبلخانات يقال له تمرباى الطويل استدار الصحبة فلما جرح أغمى عليه فسقط عن فرسه فاخذوا البسه وسلاحه وحمل الى داره فمات بعد أيام وفى ذلك اليوم تقنطر الامير مصرباى الدوادار بالتبانة وأخذوا فرسه من تحته ونجا بنفسه وهرب وجرح فى ذلك اليوم جماعة كثيرة من الفريقين وقتل فى ذلك اليوم أيضا الامير قانى بك نائب الاسكندرية أحد الامراء المقدمين قتل بكفيه وكان من عصبة الامير اقبردى الدوادار

وحضر الى القاهرة صحبة قصروه نائب الشام وكان مقيما بالشام وقتل جماعة من الخاصكية فى ذلك اليوم وفى يوم الاربعاء خامس عشره استمر الحرب ثائرا بين الفريقين الى يوم الخميس سادس عشره فأنفق العادل طومان باى على العسكر الذين من عصبته جامكية شهر وصار الاشرف ينفق الجامكية بالقلعة على من عنده من العساكر والعادل طومان باى ينفق الجامكية فى بيت تانى بك قراعلى من عنده من العسكر فلما تلاشى أمر الاشرف جان بلاط وترشح أمر العادل طومان باى ولاحت عليه لوائح النصر صار جماعة من الامراء والعسكر يتسحبون من القلعة وينزلون عند العادل طومان باى فنزل اليه قانصوه الفقيه وتمر الظاهرى وجان بلاط الابح وقانى بك الابح وغير ذلك من الامراء والخاصكية ثم نزل فى ذلك اليوم القاضى عبد القادر القصروى وتوجه الى العادل فخلع عليه وأقره فى نظر الجيش عوضا عن الشهابى أحمد ناظر الجيش وكان الاشرف جان بلاط وعد العسكر أنه ينفق عليهم مع الجامكية فلم ينفق عليهم شيأ فانقلبوا عليه وتسحب غالبهم وأتوا الى العادل فرحب بهم فلما كان يوم الجمعة سابع عشره خرج العادل من بيت تانى بك قراوهو راكب وعليه سلارى شوح احمر بفرو سمور وعلى رأسه تخفيفة صغيرة والامراء حوله فتوجه الى جامع شيخو فصلى به صلاة الجمعة فارتفعت له الاصوات بالدعاء وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وكان يوما مشهودا فلما خطب الشرفى يحيى بن العداس خطيب جامع شيخو دعا فى آخر الخطبة باسم الملك العادل فهى أول خطبة خطبت باسم العادل فى القاهرة قبل أن يخلع جان بلاط من السلطنة وقد خاطر الشرفى يحيى بن العداس بنفسه فى ذلك فعد ذلك من النوادر فلما تسلطن العادل وتم أمره فى السلطنة كتب للشرفى يحيى بن العداس جامكية فى كل شهر ألف درهم فى نظير ذلك وفى يوم السبت ثامن عشره وقت صلاة الفجر نزل من القلعة جماعة من الامراء العشراوات منهم جان بردى الغزالى وخاير بك الكاشف وآخرون من الخاصكية فتوجهوا الى العادل ثم ان جان بلاط رسم بتفرقة الجامكية الثانية فى الاصطبل السلطانى وحضر هناك العسكر وهم لابسون آلة الحرب فبينما العسكر الذين بالقلعة مشغولون بنفقة الجامكية واذا بالقلعة قد ماجت واضطربت وثار الجم الغفير بالرميلة من المماليك الذين من عصبة العادل فنهبت الجامكية عن آخرها التى أنفقت بالاصطبل وكان سبب ذلك ما استفاض بين الناس أن الملك الاشرف جان بلاط كان مقيما فى مدة حصاره بالقلعة بالقصر الكبير وعنده جماعة من المشايخ الصوفية ومن يعرف بالصلاح فلما ضاق الامر على الاشرف جان بلاط قام ودخل الى دور الحريم فأبطأ فيه ساعة طويلة فعمد الامير طراباى الى النعجاة والترس فأخذهما ونزل بهما من القلعة وتوجه الى العادل طومان باى وأشاع ان الاشرف

جان بلاط

جان بلاط قد هرب من القلعة فلما سمع بذلك الاتابكى قصروه وكان مقيما بمدرسة السلطان حسن حطم بمن معه من الجند فلك باب السلسلة وسلم المدرج من غير مانع ولم يفد تحصين الاشرف جان بلاط شيأ ولا بناية تلك الابراج ولا تركيب المكحلة الكبيرة التى يقال لها المجنونة وكان هذا خذلانا من الله تعالى له وقد قلت فى المعنى مع التضمين

تحصن خوفا جان بلاط بقلعة * فلم تدفع الاعداء عنه المدافع

وكانت مدافعه كفارغ بندق * خلى من المعنى ولكن يفرقع

فلما كانت الكسرة على الاشرف جان بلاط وقع النهب بالقلعة فى الحواصل السلطانية فنهبوا أشياء كثيرة من قماش وسلاح وخيول وغير ذلك مما نقله الاشرف جان بلاط الى القلعة من أغنام وأبقار وبقسماط وسكر واحتياج المطبخ وغير ذلك ثم انه فى ذلك اليوم رسم العادل بالافراج عن القاضى بدر الدين بن مزهر كاتب السر وكان الاشرف جان بلاط سجنه بالعرقانة وقرر عليه مالا له صورة وأقام بالعرقانة مدة طويلة ثم أفرج عنه ونزل الى داره فى ذلك اليوم فلما حصلت هذه النصرة من غير قتال مهول ركب العادل طومان باى من بيت تانى بك قراوعلى رأسه الصنجق السلطانى وصعد الى باب السلسلة من غير مانع وملكه وكان من أمر سلطنته ما سيأتى الكلام عليه فى موضعه فى أثناء ذلك اليوم قبض على الاشرف جان بلاط قيل وجد فى مكان مهجور بدور الحريم فأمسك من هناك فلما قبضوا عليه أدخلوه الى قاعة البحرة وقيدوه بقيد ثقيل ووكلوا به جماعة من الخاصكية وفيهم شخص من مماليك اقبردى الدوادار فحصل للاشرف جان بلاط منه غاية الضرر والبهدلة وما لا خير فيه فكان كما يقال فى أمثال الصادح والباغم

عند تمام المرء يبدو نقصه * وربما ضر الحريص حرصه

﴿ومنها﴾

كم عشت فى لذة عيش وهنا * فاصبر الآن لهذى المحنا

ثم نقل الاشرف جان بلاط من البحرة الى المبيت الذى بجوار المقعد الذى بالحوش فاقام نحوا من ثمانية عشر يوما وقيل كان تأخير الاشرف جان بلاط هذه المدة لأجل ان يورد ما قرره عليه العادل من المال فلما كان يوم الاثنين خامس رجب توجهوا بالاشرف جان بلاط الى السجن بثغر الاسكندرية فنزلوا به من باب الدرفيل وقت الظهر وهو مقيد وخلفه أوجاقى بخنجر فتوجهوا به من جهة المجراة الى البحر فنزلوا به فى الحراقة وساروا الى الاسكندرية وكان المتسفر عليه الاميرانس باى أحد المقدمين والاميرقان بردى أحد الامراء العشراوات وجماعة من الخاصكية فتوجهوا به الى الاسكندرية ورجعوا وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ستة أشهر وثمانية عشر يوما وكان فى هذه المدة فى غاية الضنك مع الاميرطومان

باى وآخر الامر وثب عليه وخلعه من السلطنة وحاصره وهو بالقلعة نحو من سبعة أيام فانه دخل الى القاهرة يوم السبت حادى عشر هذا الشهر وهو جمادى الآخرة وملك القلعة يوم السبت ثامن عشره وتعب فى تحصين القلعة ونقل اليها أشياء كثيرة من كل صنف كما تقدم وظن ان حصار القلعة يطول فما افاده ذلك شيأ وكان الاشرف جان بلاط أرشل غليظ القلب قليل الحظ عسوفا ظالما حصل منه فى مدة سلطنته للناس غاية الضرر من المصادرات وأخذ الاموال ولو أقام فى السلطنة لحصل للناس منه غاية المشقة من الظلم والاذى فعجل الله تعالى به ومن مساويه ما وقع له مع اقبردى الدوادار فانه كان من أعز أصحابه وقيل ضبط ما وهبه له اقبردى فكان ينيف عن خمسين ألف دينار ثم بعد هذا الاحسان انقلب عليه كأنه لم يعرفه وكانت صفته أبيض اللون طويل القامة مستدير الوجه أسود اللحية جميل الهيئة حسن الشكل تولى الملك وله من العمر نحو من أربعين سنة وكان من خواص الاشرف قايتباى وساعدته الاقدار حتى تسلطن وأقام هذه المدة اليسيرة وآل أمره الى أن خنق وهو مسجون بالبرج كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه انتهى ما أوردناه من أخبار الاشرف جان بلاط وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك العادل طومان باى بن قانصوه أبى النصر الاشرف قايتباى

وهو الخامس والاربعون من ملوك الترك وأولادهم فى العدد وهو التاسع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية وكان أصله جركسى الجنس اشتراه قانصوه اليحياوى نائب الشام وقدمه مع جملة المماليك الى الاشرف قايتباى فاقام بالطبقة مدة طويلة ثم أعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك السلطانية جمدارا ثم بقى خاصكيا خازندار كيس فى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة ثم بقى أمير عشرة فى دولة الناصر محمد بن قايتباى ثم قرره فى نيابة الاسكندرية فى سنة اثنتين وتسعمائة وتوجه اليها وأقام بها مدة يسيرة ثم عاد الى مصر ثم بقى مقدم ألف دوادارا كبيرا فى دولة الظاهر قانصوه ثم بقى أمير سلاح ودوادارا كبيرا واستادار ووزيرا وكاشف الكشاف ومدبر المملكة فى دولة الاشرف جان بلاط ثم سافر لما عصى قصروه نائب الشام فتسلطن هناك وعاد سلطانا كما تقدم فلما دخل الى القاهرة وصحبته قصروه وبقية النواب قام قصروه بنصرته قياما حافلا وصار ينفق على حفر الخنادق ويشيل التراب بالقفة على راسه وكتفه هو ومماليكه مع الفعلاء ونصب المكاحل على مدرسة السلطان حسن ووقف الرماة بالبندق الرصاص واستمر

يحاصر القلعة سبعة أيام فلما كان يوم السبت ثامن عشر هذا الشهر انكسر الاشرف جان بلاط فحطم العادل وملك باب السلسلة من غير مانع فلما استقر بباب السلسلة قبض على قاضى القضاة الشافعى محيى الدين عبد القادر بن النقيب ووكل به جماعة من الاوجاقية وقرر عليه مالا له صورة فنزلوا به وهو ماش على أقدامه وحوله اوجاقية ورسل قابضين عليه من اكمامه فشقوا به من الصليبة وهو على هذه الهيئة فسبه العوام وكادوا أن يرجموه حتى حماه بعض الاتراك واستمر على ذلك حتى أوابه الى بيت على بن أبى الجود البزدار وكان ساكنا فى ربع الاشرف برسباى الذى بالصليبة فأقام هناك فى الترسيم حتى يورد المال الذى قرر عليه وكان قد بلغ العادل مارتبه من الاقسام المغلظة التى حلفها الاشرف جان بلاط للعسكر لما بلغ ابن النقيب سلطنة العادل بدمشق فانتقم منه العادل بسبب ذلك وعزله عن القضاء فكانت مدته فى هذه الولاية ثلاثة أشهر وثمانية وعشرين يوما وسيعود الى القضاء ثانيا عن قريب وقد قلت فى ذلك

ولولا أشرف منصب يا قاضيا * لكن ان عدل الزمان ستنسخ

طبخوا بنار العزل قلبك بعدذا * وكذا القلوب على المناصب تطبخ

ثم ان الملك العادل طلب قاضى القضاة زين الدين زكريا فلما توجهوا اليه امتنع من الحضور واعتذر بأنه متوعك فى جسده فلازالوا به حتى أركبوه وطلعوا به الى القلعة فخلع عليه العادل وأعاده الى القضاء عوضا عن ابن النقيب بحكم عزله كما تقدم ثم حضر قاضى قضاة الحنفية ابن الكركى وقاضى قضاة المالكية عبد الغنى بن تقى وقاضى قضاة الحنابلة الشهاب الشيشينى ثم حضر أمير المؤمنين أبو الصبر المستمسك بالله يعقوب فلما تكامل المجلس عملوا صورة شرعية فى خلع الاشرف جان بلاط وولاية العادل طومان باى فخلع جان بلاط من السلطنة وبايع الخليفة طومان باى بالسلطنة وجدد له مبايعة ثانية زيادة على ما بيده من مبايعته بالشام واستمر على لقبه بالعادل الذى تلقب به بالشام وكان أولا تلقب بالملك المؤيد وهو بالشام ثم تحول لقبه الى الملك العادل فلما انكسر الاشرف جان بلاط كما تقدم وطلع العادل الى القلعة لم يجلس بالمقعد الذى بباب السلسلة بل طلع الى القصر الكبير وجلس به وحضر الخليفة العباسى والقضاة الاربعة ووقعت مبايعته هناك وأفيض عليه شعار الملك واجتمع عليه هناك الامراء والعسكر وأرباب الدولة قاطبة واستمر على ذلك حتى جلس على سرير الملك ورفع الزردكاش القبة والطير على رأسه وكان قانى بك الجمالى أمير كبير مختفيا وقبل له الامراء الارض قاطبة ثم خلع على الخليفة العباسى وكان ساكنا بالقلعة ثم قرر قصروه فى الاتابكية عوضا عن قانى بك الجمالى بحكم اختفائه فخلع عليه فى ذلك اليوم الفوقانى الذى كان الاشرف جان بلاط صنعه له عند توجهه الى دمشق وكان

فوقانى حرير أزرق بوجه مخمل أخضر بطرز يلبغاوى عريض طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين ونصف قيل فيه من الذهب ثمانمائة مثقال بحيث لم يعمل مثله قط ثم قام العادل لقصروه وقبل رأسه ونزل من القلعة فى موكب حافل فتوجه الى الازبكية بدار الاتابكى أزبك وكان هذا كله عين الخداع من العادل فى حق قصروه كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه فكان كما يقال فى المعنى

اذا رأيت ثنايا الليث كاشرة * فلا تظن بان الليث يبتسم

ثم ضربت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت الاصوات له بالدعاء وكان محببا للناس ولا سيما العوام فزينت له القاهرة سبعة أيام متوالية وخرج الناس فى القصف والفرجة عن الحد حتى عد ذلك من النوادر الغريبة وصار كل أحد فى فرح بسلطنته وانفرجت تلك الفتنة عن الناس عن قريب وكان يظن كل أحد أن أمر الفتنة يطول ويتسع فآل الامر الى خير بخمود الفتنة عن قريب فكان كما يقال

ملك نداه المبتدا * للناس والمدح الخبر

أمضى لسان سيفه * حكم القضاء والقدر

فلما تم أمره فى السلطنة كان أول شئ صدر منه من الافعال الشنيعة أنه قبض على خوند أصل باى أم الناصر وزوجة الاشرف جان بلاط وأخت الظاهر قانصوه فوكل بها عشرة من الخدام وقرر عليها نحوا من خمسين ألف دينار وقيل عشرين ألف دينار فباعت أشياء كثيرة من قماشها وأخذت فى أسباب وزن ما قرر عليها من المال ثم انه عزل برهان الدين ابن الكركى عن قضاء الحنفية وقرر بها الشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة وهذه أول ولايته لقضاء الحنفية وفيه قرر قماس المقرى فى الحسبة فلما قرر بها قبض على محمد الباسطى الذى كان متكلما فى الحسبة فى دولة الناصر محمد بن قايتباى فلما قبض عليه ضربه بالمقارع فى يوم شديد البرد وأشهره فى القاهرة على جمل فما أطاق ذلك ومات عن قريب وكان من الظلمة الكبار وفيه خلع على اسنباى الاصم وقرره فى الحجوبية الثانية وقرر نوروز أخا يشبك الدوادار فى رأس النوبة الثانية وقرر طومان الاشرفى فى الامير اخورية الثانية وقرر القاضى عبد القادر القصروى فى نظر الجيش وصرف عنها الشهابى أحمد بن ناظر الخاص وفيه رسم السلطان برم ما فسد من حيطان مدرسة السلطان حسن فى مدة محاصرة القلعة فرم ذلك جميعه وفيه توفى الشرفى يونس بن محمد أينبك أحد الزردكاشية وكان لا بأس به وفى ليلة الخميس مستهل رجب جرى من الحوادث الغريبة ان الاتابكى قصروه طلع الى القلعة ليبيت عند السلطان وكان يبيت بالقلعة ليلة الاثنين وليلة الخميس فى تلك الايام فلما طلع على جارى العادة وأكل السماط وجلس ساعة يتحدثون قال له

السلطان

السلطان قلبي خائف منك يا أمير كبير فلما صلى العشاء مع السلطان أمر بعض الخاصكية بالقبض عليه فأقاموه من مجلس السلطان وتوجهوا به الى المكان الذى أنشأه الظاهر فأنصوه بجوار الدهيشة فأقام هناك أياما ثم أمر بخنقه فخنق تحت الليل وغسل وكفن وأنزلوه من باب الدرفيل فدفن فى تربة الصاحب خشقدم الزمام التى بالقرب من حوش العرب وكان قصروه أميرا جليلا رئيسا حشما مهيبا مبجلا وأصله من مماليك الاشرف قايتباى وتولى عدة وظائف سنية منها نيابة حلب ونيابة الشام والاتابكية بمصر وكان فى أيام العادل له الامر والنهى فى الموكب واذا نزل من القلعة يتوجه معه الامراء الى الازبكية و جميع قراء البلد والوعاظ وعزم على سائر الامراء فى ليلة وعمل أسمطة حافلة جدا وحضر عنده جميع الامراء أكابرهم وأصاغرهم وباتوا عنده وأنعم فى تلك الليلة على جماعة من الامراء بخيول ومال حتى استمال قلوبهم وكان يوصف بالكرم الزائد مع الشجاعة فوعد العسكر بكل جميل فمالوا اليه وعولوا فى السلطنة عليه فلما بلغ العادل ذلك المجلس استغنم الفرصة وبادر بالقبض عليه وخنقه تحت الليل ودفنه فكان كما قيل فى الامثال

وانتهز الفرصة ان الفرصة * تصير ان لم تنتهزها غصة

وقد قلت فى واقعة قصروه عدة مقاطيع منها

اعجبوا من أمر قصروه الذى * ملكه بالشام جهلا قد ترك
وأتى مصرا فنال المنى * ورماه الدهر فى وسط الشرك

﴿وقولى فيه﴾

كان قصروه قصيرا عمره * خانه الدهر فولى مسرعا
طلبوا التسليم منه فأبى * ثم ما سلم حتى ودعا

﴿وقولى فيه أيضا مضمنا﴾

لم ينل قصروه ما أمله * من علو فانه فى دهره
رام كيد الملك عادل * فرماه كيده فى نحره

ولكن كان العادل باغيا على قصروه ووشت بينهما الاعادى بالكلام حتى وقع بينهما ما وجرى ما جرى من القتل وكان قصروه سببا لنصرته بالشام وبمصر وكان فى الحصار بمصر معه بكل ما يمكن كما تقدم وكان يشيل التراب مع الفعلاء على كتفه عند حفر الخنادق وقت محاصرة القلعة عند حضوره من الشام وما أبقى ممكنا فى نصرة العادل على جان بلاط وآخر الامر قتله ظلما فلم يعش الملك العادل بعده الا أياما قلائل وقتل قال على كرم الله وجهه من سل سيف البغى قتل به وفى الامثال

البغى داء ما له دواء * ليس لملك بعده بقاء

وكان بين العادل طومان باى وبين قصروه أيمان غليظة وعهود ومواثيق وما كان قصروه يظن أن العادل يخون تلك الايمان والعهود كما قيل

وحلفت أنك لاتميل مع الهوى * أين اليمين وأين ماعاهدتنى

وكان قصروه عفيفا عن المنكرات شجاعا بطلا سخى النفس غير أنه كان عنده طيش وخفة وسلامة باطن ومات وقد قارب الخمسين سنة من العمر ووكزه الشيب فلما مات تأسف عليه الكثير من الناس وزال حب طومان باى من قلوب الناس كأنه لم يكن ولم يستحسن أحد منهم قتله لقصروه الذى كان سبب النصرة فنفرت عنه قلوب الرعية وكان هذا على غير القياس كما يقال

لاتشكرن امرأ حتى تجربه * ولاتذمنه من غير تجريب

فشكرك المرء مالم تختبره خطا * وذمه بعد شكر محض تكذيب

ويقرب من واقعة قصروه مع العادل طومان باى ماوقع لطشطمر حمص أخضر وقطلوبغا الفخرى مع الملك الناصر محمد بن قلاون فان طشطمر وقطلوبغا الفخرى كانا سبب النصرة لما حضر من الكرك فلما تسلطن قبض عليهما وقيد طشطمر وقطلوبغا ولم يرع لهما ودا ثم أمر بتوسيطهما عند عوده من الكرك ولم يكن لهما من الذنب ما أوجب ذلك وهذه الافعال ماتصدر الامن جاهل أحمق يعد من جملة المجانين وكانت هذه الواقعة فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وفعل العادل هذه الفعلة مع قصروه بعد ماخدعه وألبسه الاتابكية وخلع عليه وعلى الامراء الذين كانوا معه بالوظائف السنية منهم قيت الرجبى خلع عليه وقرره فى امرية سلاح وقانصوه المحمدى البرجى خلع عليه وقرره فى امرية مجلس وقانصوه الغورى خلع عليه وقرره فى الدوادارية الكبرى وخلع على قانى باى الرماح وقرره فى الامير اخورية الكبرى وخلع على طراباى الشريفى وقرره فى الرأس نوبة الكبرى وخلع على طشتمر وقرره حاجب الحجاب وأنعم على جماعة بامريات تقادم ألوف منهم خضربك أخو قانصوه البرجى أنعم عليه بتقدمة ألف وطبلخانات وعشراوات ووظائف ممن كان فى عصبته وفيه قبض السلطان العادل على تخشباى الذى كان نائب حماه ثم بقى مقدم ألف فى دولة الاشرف جان بلاط وقبض على تمراز جوشن أمير اخور ثانى ثم شفع فيه بعض الامراء فقرره بحجوبية الحجاب بدمشق وخرج من يومه ثم قبض على جان بردى الغزالى كاشف الشرقية وعلى جماعة أخر من الامراء العشراوات والخاصكية ممن كان من عصبة قصروه وفى يوم الخميس ثامن رجب قبض السلطان على الامير قانصوه البرجى المحمدى أمير مجلس وأمر بنفيه الى مكة المشرفة بطالا فتوجه من البحر الملح ثم قبض على قلج نائب الاسكندرية وبعثه الى الشام بطالا وقبض على جان بلاط الموتر الذى كان

محتسبا ونفاه وفيه خرج الاشرف جان بلاط منفيا الى ثغر الاسكندرية وهو مقيد كما تقدم وفى يوم الجمعة عاشره عقد السلطان طومان باى على خوند فاطمة ابنة العلائى على بن خاص بك زوجة الاشرف قايتباى فعقد لها عليه بجامع القلعة وحضر القضاة الاربعة العقد وكان يوما مشهودا وفيه أنعم السلطان على قان بردى اليوسفى بتقدمة ألف وقرره فى الدوادارية الثانية عوضا عن طرا باى الشريفى بحكم انتقاله الى الرأس نوبة الكبرى وفيه عمل الموكب وخلع على جماعة من الامراء فخلع على دولات باى المشهور باخى العادل وقرره فى نيابة الشام وقرر اقباس بن ولى الدين فى نيابة حلب عوضا عن دولات باى وخلع على جانم بن قجماس وأقره فى نيابة طرابلس عوضا عن بردبك الطويل وخلع على الامير سنباى نائب سيس وقرره فى نيابة حماه وخلع على قانصوه الفاجر وقرره فى نيابة صفد وخلع على ملاج الاشرفى قايتباى وقرره فى نيابة القدس وخلع على قصروه الصغير وقرره فى نيابة البيرة وخلع على جانم وقرره فى نيابة طرسوس فلما خلع عليهم استحثهم فى الخروج بسرعة الى محل ولايتهم فخرجوا بغير اطلاب وفيه أمر بنفى جماعة من الامراء العشراوات الى نحو قوص منهم جان بردى الغزالى وقرقماس قراو قايتباى وآخرون من الخاصكية وقيل انه فقد منهم جماعة وفيه فى يوم السبت سادس عشريه خلع السلطان على جانبك السيفى اقبردى الدوادار وقرره فى شادية الشراب خاناه وقرر طوخ الحمدى فى نيابة القلعة وقرر تمرباى أحد خواصه فى الخازندارية الكبرى وفيه أنعم السلطان على جماعة من الامراء بتقادم ألوف منهم طقطباى وماماى جوشن وفيه حضر خاير بك أخو قانصوه البرجى وكان ممن سجن بقلعة دمشق مع الامراء المقدم ذكرهم فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف واستمرت الاتابكية شاغرة من حين قتل قصروه فرسم السلطان للامير طرا باى أن يتكلم فى جهات الاتابكية حتى يقرر فيها من يختار وفيه عزل السلطان القاضى عبد البر الحنفى وأعاد البرهان بن الكركى فكانت مدة القاضى عبد البر فى القضاء أياما وعزل عنها وقد قلت فى ذلك

ولولا قاضى القضاة لكن * جاؤك بالعزل عن قريب
فمدة الحكم منك كانت * أقصر من جلسة الخطيب

ولما أعيد قاضى القضاة برهان الدين بن الكركى الى القضاء قلت فى ذلك

بقاضى القضاة استبشرت مصر فرحة * بعودته فى منصب للشرائع
فذقيل من أولى بمرتبة القضا * على مذهب النعمان من كل بارع
أشار اليه بالايادى مليكها * وأوما اليه نيلها بالاصابع

وقد سعى ابن الكركى فى عوده الى القضاء بمال له صورة وفيه اختفى شيخنا جلال الدين

السيوطى وقد طلبه ليفتك به وكان بينهما ما حفظ نفس من حين كان السلطان العادل فى الدوادارية الكبرى وجرى بينهما أمور شتى يطول شرحها فلما اختفى قرر السلطان الشيخ يس البلبيسى فى مشيخة الخانقاه البيبرسية عوضا عن الجلال السيوطى بحكم صرفه عنها وقد جاءت الاخبار بالقبض على مغلباى زجاج حاجب دمشق ونائب قلعتها أيضا ثم ان السلطان قرر فى حجوبية دمشق بردبك تفاح وقرر تمر بن جانم الظاهرى فى حجوبية حلب عوضا عن تمراز جوشن وكانت حيلة عليه فلما خرج أرسل بالقبض عليه ومضى به الى القدس بطالا وفى شعبان المبارك كانت تفرقة السلطان لنفقة البيعة وفيه حضر قاصد على دولات وعلى يده مكاتبات للسلطان تتضمن أنه أرسل يشفع فى الامير ارقماس نائب البيرة وكان فر الى ابن عثمان وعاد فأقام عند على دولات حتى شفع فيه عند السلطان وفيه عزل السلطان بالقبض على الامير خشكلدى البيسق فلما بلغه ذلك فر من داره واستمر مختفيا حتى جرى للعادل ما جرى وفيه طلع جهاز خوند الخاصكية الى القلعة فشق من الصليبة وكان يوما مشهودا وفى يوم الاثنين رابع الشهر المذكور جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بقتل الاشرف جان بلاط مخنوقا وهو بالبرج بالاسكندرية قاتل الله من فعل به ذلك وكان قد أرسل العادل مرسومه على يد مصرباى الصغير الى نائب الاسكندرية بخنقه وهو فى قيده وقيل لما أرادوا خنقه أحدث فى ثيابه وصار شخيره كالثور العظيم فلما مات غسل وكفن وصلى عليه ودفن بمقابر الاسكندرية ثم نقل بعد موته كما سيأتى الكلام عليه فى موضعه وكان الاشرف جان بلاط ملكا جليلا وافر العقل جميل الهيئة وكان من خواص الاشرف قايتباى وتولى عدة وظائف سنية منها تجارة المماليك وتقدمة ألف والدوادارية الكبرى ونيابة حلب ونيابة الشام والاتابكية بمصر ثم تولى السلطنة وأقام بها ستة أشهر وثمانية عشر يوما وآل أمره الى أن مات مخنوقا بالسجن وقاسى شدائد ومحنا كما يقال فى الامثال

والمرء لا يدرى متى يمتحن * فانه فى دهره مرتهن

ولما مات الاشرف جان بلاط كان له من العمر زيادة على الاربعين سنة ولما مات على تلك الحالة رثيته بهذه الابيات

جان بلاط بداله * طالع النحس طرده
نجمه لاح مخبرا * بعكوس مؤبده
عند ما ظن انه * نال بالملك مقصده
جاءه الموت عاجلا * فى بروج مشيده

وفى يوم الخميس سابعه صعدت خوند الخاصكية زوجة الملك العادل طومان باى الى القلعة

فخرجت

فخرجت من بيتها الذى بقنطرة سنقر وهى فى محفة زركش ومشى قدامها رؤس النوب والحجاب والخاصكية وهم بالشاش والقماش ومشى أيضا قدامها الوالى ونقيب الجيش وعبد اللطيف الزمام وأعيان الاكابر والمباشرين منهم كاتب السر صلاح الدين بن الجيعان وعبد القادر القصروى ناظر الجيش وعلاء الدين بن الصابونى وناظر الخاص وبقية المباشرين قاطبة وأعيان الطواشية منهم عنبر مقدم المماليك وآخرون من الخدام وكان معها من نساء الامراء والاعيان نحو مائتى امرأة فلما وصلت الى باب الستارة فرشت لها الشقق الحرير تحت حوافر بغال المحفة ونثر عليها خفائف الذهب والفضة وحمل الزمام القبة والطير على رأسها حتى جلست بقاعة العواميد والنوبة السلطانية عمالة وكان يوما بالقلعة مشهودا واستمر المهم بالقلعة عمالا ثلاثة أيام وكان لها موكب حافل لما شقت من الصليبة وكان قدامها المجمع السلطانى والبقج وطشت وابريق بلور ومدورة زركش ولم يتفق لاحدى الخوندات قبلها أنها نزلت من القلعة وعادت اليها على هذا الوجه سوى هذه وخوند اصلباى أم الملك الناصر ولكن هذه أعظم وأحكم موكبا وقلت فى هذه الواقعة أبياتا لطيفة المعنى

عادت خوند الى سرور ثان * مذ زوجت بالعادل السلطان
فى وجهها الاقبال والبشر الذى * يتقاولون به بكل لسان
طلعت كشمس الافق ضمن محفة * تجلى لحور العين وسط جنان
فى موكب يحكى مواكب قيصر * فاقت على كسرى أنوشروان
لما أتت عند الصعود لقلعة * نثرت عليها الدرّ كالعقيان
عادت الى الاوطان فى بشر وفى * عز واقبال وصفو زمان
نالت مراتب عزها مذ أقبلت * عاد السرور بمقدم السكان
واستبشرت دار بها سكنت وقد * رقصت بها طربا على العيدان
وتبسمت أزهار أغصان الربا * فرحا بها فى روضة البستان
بحر السماح غدا براحة كفها * يروى العطاش بمنهل الاحسان
وتجود من فيض الندى بمكارم * فيكون منه شفاء للظمآن
فالله يكفيها مؤنة حاسد * ويطيل أياما لها بأمان
ماماس غصن فى الرياض وكللت * أيدى الغمام شقائق النعمان

وقد عرضت هذه القصيدة على خوند واستحسنتها وفيه خلع السلطان على طوخ المحمدى وقرره فى نيابة القلعة عوضا عن طقطباى بحكم اختفائه وفيه قرر شمس الدين أبو النصر فى كتابة الخزانة مشاركا لصلاح الدين بن الجيعان وفيه قبض السلطان على القاضى ناظر

الجيش عبد القادر القصروى ووكل به وخلع على القاضى شهاب الدين أحمد وأعاده الى نظر
الجيش عوضا عن القصروى وفيه رسم السلطان للامير خشكلدى البيسقى أن يتوجه ٢
وفيه تغير خاطر السلطان على الامير اصطمر بن ولى الدين وقصد الاخراق به لكونه صهر
البيسقى وصار ممقوتا عنده وفى مستهل رمضان رسم السلطان للخليفة أن ينزل ويسكن بداره
وكان للملك الاشرف جان بلاط رسم له أن يسكن بالقلعة وفى يوم الاثنين خلع السلطان على
المقر البدرى بدر الدين محمود بن أجا الحلبى الحنفى وقرره فى كتابة السر بالديار المصرية عوضا
عن صلاح الدين بن الجيعان بحكم استعفائه منها وقد تقدم للبدرى محمود أنه ولى قضاء
الحنفية بحلب غير مامرة وكان والده القاضى شمس الدين محمد بن أجا الحلبى رئيسا حشما
من الاعيان وتولى قضاء العسكر فى أيام الاشرف قايتباى وكان من خواص الامير يشبك
الدوادار ورأى الاوقات الحميدة وفيه توفى العلائى على بن الصابونى ناظر الخاص وهو على
ابن أحمد بن محمد بن سليم البكرى الدمشقى الشافعى وكان رئيسا حشما وتولى عدة وظائف
سنية منها قضاء الشافعية بدمشق ووكالة بيت المال ونظر الخاص بمصر ومات وله من العمر
خمس وثمانون سنة فلما مات خلع السلطان على علاء الدين على بن حسن الامام وكان من
جملة مباشرى الخاص وتولى نظارة الطور وكانت نظارة الخاص تعينت الى ناصر الدين
الصفدى ثم تحولت الى علاء الدين بن الامام وفيه أنفق السلطان الكسوة على العسكر
على العادة وفيه أرسل السلطان خلعة الى قانصوه قرا الذى كان كاشف الشرقية ثم
بقى نائب غزة وقرره فى نيابة حلب فاستعظم الناس عليه ذلك ولاموا السلطان على هذه
الفعلة فخرج اليه بالتقليد شخص من بعض الدوادارية يقال له ايدكى وفيه قرر السلطان
فى نيابة غزة على باى السيفى بن يشبك عوضا عن قانصوه الشهير بقرا رجله بحكم انتقاله الى
نيابة حلب وقرر بلباى المؤيدى فى دوادارية السلطان بدمشق وفى نظارة الجيش بها أيضا
حتى عد ذلك من النوادر وقرر قانصوه الجمل فى الاتابكية بدمشق عوضا عن قرقماس التنمى
بحكم صرفه عنها وفيه مات فجأة كسباى المغربى الاينالى أحد الامراء العشراوات وكان
لا بأس به وفيه تزايد شر العادل وصار يكبس البيوت والحارات بسبب الامراء الذين
اختفوا منه وهم مصرباى وطقطباى وتمرباى وكرتباى وخشكلدى وجماعة آخرون
وصار طراباى وأنس باى وبيبرس البهلوان وقان بردى الغورى وأزبك النصراوى ووالى
الشرطة يطوفون بعد العشاء ومعهم جماعة وافرة من مماليك السلطان فيشوشون على
الناس ويكبسون عليهم البيوت تحت الليل ويسبون حريمهم فحصل للناس الضرر الشامل
بسبب ذلك فما كان عن قريب حتى هرب العادل واختفى وصاروا يكبسون عليه البيوت
والحارات ويطلبونه أشد الطلب وكما يدين الفتى يدان وفيه حضرت الى القاهرة

زليخا خاتون ابنة خليل بن حسن الطويل ملك العراقين حضرت تروم الحج فأكرمها السلطان ورسم لها بعمل برق وفيه كان ختم البخاري بالقلعة واجتمع القضاة الاربعة وأرسل السلطان خلف قانصوه الغوري أمير دوادار كبير وقيت الرجبي أمير سلاح وكان يوما حافلا فلم يحضر قانصوه الغوري ولا قيت الرجبي وقد أحسا بما عول عليه السلطان من مسكهما وفيه دارت عدة طواشية على الخيل وأشيع بالعرض للعسكر وان السلطان يريد القبض على جماعة من الجند والمماليك فتخيلوا من ذلك ولم يطلع أحد منهم الى القلعة وقد تغيرت عليه خواطر العسكر قاطبة وفيه أخرج السلطان جماعة من مماليكه وسماهم العادلية وقد استمر الحال في اضطراب الى يوم الاحد سلخ شهر رمضان فلبس العسكر آلة السلاح ووثبوا على العادل وكان القائم بهذه الفتنة قيت الرجبي ومصرباى فلما اتسعت الفتنة ظهر جماعة من الامراء المختفين منهم خشكلدى البيسقي وجان بردى الغزالي وآخرون من الامراء ممن كان مختفيا فلما تحقق العادل أن الركبة عليه نزل الى باب السلسلة وعلق الصنجق السلطاني ونادى للعسكر أن تطلع الى القلعة فلم يطلع اليه أحد من الأمراء ولا من العسكر ولم يكن عنده أحد من الامراء سوى الامير قان بردى الدوادار الثاني أحد المقدمين وكان من عصبته ومن خواصه وقد أشيع بين الناس أنه سيوليه الاتابكية عوضا عن قصروه وكان عنده قرقماس المقري المحتسب وطرابای رأس نوبة كبير وأنس باى وآخرون من الامراء وبعض مماليك سلطانية فجلس في المقعد المطل على الرميلة فلم يطلع اليه أحد من العسكر وفي ذلك اليوم وقع قتال هين وجرح الامير قبردى في وجهه فلما كان وقت الغروب من سلخ شهر رمضان نزل الامير قانی باى الرماح من باب السلسلة ومعه ماماى جوشن ونزل طرابای وأنس باى فلما رأى ذلك من كان عند العادل من المماليك السلطانية تسحبوا جميعا وتمت الكسرة على العادل فلما دخل الليل قام ونزل من القلعة واختفى وكانت ليلة عيد الفطر فاضطربت الاحوال ولا سيما في تلك الليلة وقد قلت في المعنى

في ليلة العيد أتى * سلطاننا كل الضرر

فلم تكن كسرته * الا كملح بالبصر

وكان سبب هذه الفتنة انه قد أشيع بين الناس في ليلة العيد أن السلطان قد عول على مسك جماعة من الامراء يوم العيد وهم في الجامع فلما بلغهم ذلك وثبوا عليه تلك الليلة فلما نزل من القلعة واختفى وقع النهب في الاصطبل السلطاني والزردخاناه فنهب منها أشياء كثيرة بنحو من ستين ألف دينار على ما قيل فلما كان يوم العيد لم يصل أحد من الامراء صلاة العيد واشتغل كل أحد بما هو فيه ووقع الخلف بين الامراء فيمن يلي السلطنة وكان من الامر ما سنذكره فكانت مدة السلطان الملك العادل طومان باى بالديار المصرية ثلاثة أشهر

وعشرة أيام خارجا عن سلطنته بدمشق وكان ملكا جليلا مهيبا مبجلا تولى الملك وقد جاوز الاربعين سنة وكانت صفته طويل القامة أبيض اللون مشربا بحمرة مدور الوجه مستدير اللحية أسود الشعر الغالب عليه الشقرة وكان ممتلئ الجسد جميل الهيئة وافر العقل سديد الرأى غير انه كان سفاكا للدماء عسوفا ظالما قتل الاتابكى قصروه ظلما وأرسل بخنق الاشرف جان بلاط وهو بالبرج وعول على خنق الظاهر قانصوه أيضا وهو بالبرج ولكن كان فى أجله تأخير ونفى جماعة كثيرة من الامراء والخاصكية والمماليك فى هذه المدة اليسيرة ولو دام فى السلطنة لوقع منه أمور شتى ولكان يقتل غالب الامراء وثلث العسكر وكانت مدة سلطنته كلها شرور وفتن مع قصرها وآخر الامر هرب واختفى واستمر مختفيا حتى ظهر وقبض عليه وقطعت رأسه كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه وآل الامر الى أن خلع من السلطنة وتسلطن بعده قانصوه الغورى كما سنذكره فى محله انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك العادل طومان باى وذلك على سبيل الاختصار وقد قلت

لله تاريخ له * كل التواريخ تحسد
كادت تذوب لقهرها * لكنها تتجلد

﴿وقلت أيضا﴾

وتاريخ يفرق كل هم * ويبعث كل بشر بعد غم
اذا سرحت طرفى فيه يوما * رمى شيطان أحزانى بسهم

﴿وقال بعضهم﴾

اذا عرف الانسان أخبار من مضى * توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره * الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر
فكن عالما أخبار من عاش وانقضى * وكن ذا نوال واغتنم أطول العمر

تم الجزء الثانى من تاريخ مصر لابن اياس المسمى بدائع الزهور فى وقائع الدهور ويليه فى أول الجزء الذى بعده ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة

﴿تنبيه﴾

جميع النسخ التى بأيدينا من تاريخ مصر لابن اياس تنقص أغلب مدة سلطنة الغورى وذلك من أثناء سنة ست وتسعمائة الى آخر سنة احدى وعشرين وتسعمائة

906 - 921

New York University
Bobst, Circulation Department
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Web Renewals:
http://library.nyu.edu
Circulation policies
http://library.nyu.edu/about

THIS ITEM IS SUBJECT TO RECALL AT ANY TIME

NOTE NEW DUE DATE WHEN RENEWING BOOKS ONLINE

New York University
31142028212564